



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِكَ يَا
مُؤْتَمِرُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَمَا الذِّمَّةُ إِلَّا الْبَيْتُ بَيْنَ الْمَلَأُ هَيْبِ

كَأَنَّكَ
أَنْتَ يَا مُؤْتَمِرُ أَيْدِي اللَّهِ
الْبَيْتُ بَيْنَ الْمَلَأُ هَيْبِ

« V »

بِسْمِكَ يَا مُؤْتَمِرُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسائل و مقالات: تبحت فى مواضع فقهيه، اصوليه، كلاميه، تراجم، و مكاتبات و حوارات مع بعض الاعلام

كاتب:

آيت الله العظمى جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

موسسه الامام الصادق (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢١	رسائل و مقالات: تبحث فى مواضع فقهيه، اصوليه، كلاميه، تراجم، و مكاتبات و حورات مع بعض الاعلام المجلد ٧
٢١	اشاره
٢١	اشاره
٢٨	مقدمه
٣٠	الفصل الأول: فى الكلام والعقائد
٣٠	اشاره
٣٢	مع ابن تيميه فى عقائده
٣٢	١ التجسيم والتشبيه فى منهج ابن تيميه
٣٢	اشاره
٣٢	١. طلبهم من موسى عليه السلام الإله المجسم
٣٣	٢. طلبهم رؤيه الله تعالى
٣٣	٣. عبادتهم العجل فى غياب موسى عليه السلام عنهم
٣٤	تطرق فكره التجسيم إلى النصرانيه
٣٥	دور الأخبار و الرهبان فى نشر فكره التجسيم
٣٦	عقيدته أهل السنه فى التنزيه
٤١	إجابته عن سؤال
٤٢	كلام ابن تيميه فى العقيدته الواسطيه
٤٥	موقف أهل البيت عليهم السلام من فكره التجسيم
٥٠	٢ حركه البارى ونزوله عند ابن تيميه
٥٠	اشاره
٥٢	الأول: تعريف الحركه
٥٢	الثانى: وجود الإمكان فى المتحرك
٥٢	الثالث: ما هى الغايه من الحركه ؟

- ٥٩ ٣ الجبهه والمكان لله سبحانه عند ابن تيميه
- ٥٩ اشاره
- ٦٩ أخبار الأحاد هي المصدر عنده للعقائد
- ٧١ ابن تيميه وجلوسه سبحانه على العرش
- ٧٥ ٤ نظره إلى تكلمه سبحانه في منهج ابن تيميه
- ٧٥ اشاره
- ٧٥ نظريه المعتزله
- ٧٦ نظريه الأشاعره
- ٧٧ نظريه الإماميه
- ٧٩ نظريه ابن تيميه
- ٨٣ الاستدلال بروايه جابر بن عبد الله
- ٨٤ تحليل الحديث
- ٨٦ استدلال بحديث آخر
- ٨٧ ذاته سبحانه ليست محلاً للحوادث
- ٨٩ ٥ عقائد شاذة نابيه
- ٩٢ ٦ العصمه حقيقتها وأثارها
- ٩٢ لماذا نبحت عن العصمه ؟
- ٩٣ العصمه في اللغة
- ٩٣ العصمه في مصطلح المتكلمين
- ٩٤ العصمه من مقوله العلم الرادع
- ٩٦ العصمه لا تسلب الاختيار عن صاحبها
- ٩٧ موقف الشيعه من العصمه
- ٩٨ العصمه وآيه التطهير
- ١٠١ ٧ الأحكام الشرعيه،
- ١٠١ اشاره
- ١٠١ ١. صيروره الإنسان مستعداً لامثال الأحكام العقليه

٢. باعته على معرفه المعبود ١٠٣
٣. تأكيد العقليات ١٠٤
٤. محصله للقرب ١٠٥
٥. الكشف عن المصالح والمفاسد ١٠٦
- ٨ في الرؤيه ومعنى الإله ١٠٨
- ٩ البدء في الكتاب والسنه ١١١
- اشاره ١١١
١. البدء ثبوتاً ١١٣
٢. البدء إثباتاً ١١٥
- اشاره ١١٥
١. إخبار يونس عن نزول العذاب ١١٦
٢. إخبار موسى بثلاثين ليله في الميقات ١١٧
- إطلاق البدء على الله سبحانه ١١٩
- ١٠ التبرك في الكتاب والسنه ١٢٢
- اشاره ١٢٢
- التبرك لغه ١٢٣
- التبرك اصطلاحاً ١٢٤
- اشاره ١٢٤
١. التبرك في الأمم السالفه ١٢٥
٢. التبرك في القرآن الكريم ١٢٦
- تبرك الصحابه بأثار النبي صلى الله عليه و آله ١٢٩
- اشاره ١٢٩
١. التبرك بماء وضوئه صلى الله عليه و آله ١٢٩
٢. التبرك بقدحه ١٣٠
٣. التبرك بسوره ١٣٠
٤. التبرك بمنبره ١٣٠

٥. التبرّك بالدنياير التي لمسها النبي صلى الله عليه و آله ١٣٢
٦. التبرّك بالعصا التي أعطها النبي صلى الله عليه و آله ١٣٢
٧. التبرّك بقميص النبي صلى الله عليه و آله ١٣٣
٨. التبرّك بالبرده المهده ١٣٣
- اشاره ١٣٣
- التبرّك بجبته صلى الله عليه و آله ١٣٤
٩. التبرّك بالقبر الشريف ١٣٤
١٠. التبرّك بالمواضع التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه و آله ١٣٥
١١. التبرّك بخاتم النبي صلى الله عليه و آله ١٣٥
١٢. التبرّك بالمسح واللمس ١٣٦
- التبرّك في روايات أهل البيت عليهم السلام ١٣٧
- اشاره ١٣٧
١. التبرّك باسم الله جل وعلا ١٣٧
٢. التبرّك بالقرآن الكريم ١٣٧
٣. التبرّك بماء وضوء النبي صلى الله عليه و آله ١٣٨
٤. التبرّك بقبر النبي صلى الله عليه و آله ١٣٨
- شبهه الفائلين بحرمه التبرّك ١٣٩
- ١١ التوسل في الكتاب والسنة ١٤٥
- اشاره ١٤٥
- أنواع الوسائل ١٤٦
- اشاره ١٤٦
- الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته ١٤٦
- الثاني: التوسل بالقرآن الكريم ١٤٧
- الثالث: التوسل بالأعمال الصالحة ١٤٨
- الرابع: التوسل بدعاء الأخ المؤمن ١٥٠
- الخامس: التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه و آله في حياته ١٥١

- السّادس: التوسّل بدعاء النّبى صلى الله عليه و آله بعد رحيله - - - - - ١٥٢
- تكلّم النّبى صلى الله عليه و آله مع الهالكين من قريش - - - - - ١٥٦
- سيره المسلمين بعد رحيل النّبى صلى الله عليه و آله - - - - - ١٥٧
- شبهات المخالفين - - - - - ١٦٢
- اشاره - - - - - ١٦٢
- الأولى: البرزخ مانع من الاتصال - - - - - ١٦٢
- الشبيهه الثانيه: امتناع إسماع الموتى - - - - - ١٦٣
- الشبيهه الثالثه: انقطاع عمل الإنسان - - - - - ١٦٤
- الشبيهه الرابعه: التوسّل بدعاء الأنبياء شرك - - - - - ١٦٥
- الشبيهه الخامسه: أنّ دعاء النّبى صلى الله عليه و آله بعد رحيله بدعه - - - - - ١٦٨
- السابع: التوسّل بذات النّبى حال حياته - - - - - ١٦٩
- اشاره - - - - - ١٦٩
- توسّل الضير بشخص النّبى صلى الله عليه و آله - - - - - ١٦٩
١. اللهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك - - - - - ١٧١
٢. محمد نبي الرحمة - - - - - ١٧١
٣. يا محمد إني أتوجه بك إلى ربّي - - - - - ١٧١
٤. وشفعه فيّ - - - - - ١٧١
- الثامن: التوسّل بذات النّبى صلى الله عليه و آله بعد رحيله - - - - - ١٧٢
- التاسع: التوسّل بحق الصالحين وحرمتهم ومنزلتهم - - - - - ١٧٥
- العاشر: التوسّل بحق السائلين - - - - - ١٧٧
- توسّل الأنبياء عليهم السلام بالنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله - - - - - ١٧٨
- خاتمه المطاف سيره الموحدين في توسّلهم - - - - - ١٨٠
- اشاره - - - - - ١٨٠
١. استسقاء عبدالمطلب بالنّبى صلى الله عليه و آله وهو صغير - - - - - ١٨٠
٢. استسقاء أبي طالب بالنّبى صلى الله عليه و آله وهو غلام - - - - - ١٨٠
- ٣ - توسّل الخليفه بعتم النّبى: العباس - - - - - ١٨٢

١٨٥	١٢ الاحتفال بيوم الغدير
١٩٢	١٣ فى تسميه الولد بعبد المسيح
١٩٥	١٤ محسن بن على بين الحقيقه والخيال
٢٠١	الفصل الثانى: فى الأصول والحديث والفقہ
٢٠١	اشاره
٢٠٣	١ أصول الفقه ومناهجه عبر العصور
٢٠٣	اشاره
٢٠٤	أصول الفقه فى أحاديث العتره
٢٠٥	أصول الفقه ومناهجه المختلفه
٢٠٥	الطريقه الأولى: طريقه المتكلمين
٢٠٧	الطريقه الثانيه: طريقه الأحناف
٢٠٨	الطريقه الثالثه: الجمع بين الطريقتين
٢١٠	منهج الإماميه فى تدوين أصول الفقه
٢١٤	٢ مصطلح «المسند» فى علوم الحديث
٢١٤	اشاره
٢١٥	المسانيد فى عصر الأئمه عليهم السلام
٢١٨	٣ منهجيه نقد متن الحديث
٢١٨	اشاره
٢٢٠	١. عرض الحديث على كتاب الله الكريم
٢٢١	٢. عرض الحديث على السنه القطعيه
٢٢١	٣. عرض الحديث على العقل الحصيف
٢٢٢	٤. عرض الحديث على التاريخ الصحيح
٢٢٣	٥. عرض الحديث على اتفاق الأئمه
٢٢٤	٦. مخالفه الحديث لمسلّمات العلم
٢٢٤	٤ حجه الوداع..
٢٢٤	اشاره

- مقدمه ٢٢٧
- عدد خطبه صلى الله عليه و آله فى حجه الوداع ٢٢٩
- اشاره ٢٢٩
١. خطبته صلى الله عليه و آله فى اليوم السابع والثامن من ذى الحجه ٢٢٩
٢. كلماته صلى الله عليه و آله فى يوم عرفه ٢٣٠
٣. خطبه رسول الله صلى الله عليه و آله يوم عرفه ٢٣٣
٤. خطبته صلى الله عليه و آله يوم النحر ٢٣٩
٥. خطبته صلى الله عليه و آله فى مسجد الخيف ٢٤٣
٦. خطبه رسول الله صلى الله عليه و آله عند الكعبه ٢٤٤
٧. خطبته صلى الله عليه و آله فى غدير حُـم ٢٤٧
- ٥ ما هو المراد من أن الأنبياء لم يورثوا؟ ٢٤٣
- اشاره ٢٤٣
- دراسه مضمون الحديث ٢٤٥
- الهدف هو التوقى من الأعداء ٢٤٨
- ٦ رساله إلى الدكتور عبدالوهاب فى رؤيه الهلال ٢٧٠
- اشاره ٢٧٠
١. التخيير بين الأقل والأكثر أمر لغو ٢٧٢
٢. استلزام ذلك فقهاً جديداً ٢٧٣
٣. الإفطار فى شهر رمضان والصيام فى العيد ٢٧٤
- ٧ شركه الأعمال فى الفقه الإسلامى ٢٧٧
- اشاره ٢٧٧
- أقوال الفقهاء فى شركه الأعمال ٢٧٩
- أدله القائلين بعدم الجواز ٢٨٣
- اشاره ٢٨٣
١. الإجماع على البطلان ٢٨٣
٢. كونها غرريه ٢٨٤

- ٢٨٨ ٣. كون المعاملات توقيفيه
- ٢٩٠ ٤. تمليك المعدوم
- ٢٩١ ٥. عدم المزج
- ٢٩١ ٦. من قبيل شركة المنافع
- ٢٩٢ ابن حزم وبطلان شركة الأعمال
- ٢٩٤ أدله المجوزين من السنه
- ٢٩٤ تصحيح شركة الأعمال
- ٢٩٧ شركة الأعمال فرع من الشركات المعنويه
- ٣٠٠ ٨ في وقف الخلي والأتمان
- ٣٠٠ اشاره
- ٣٠١ ١. عدم جواز الوقف
- ٣٠٢ ٢. جواز الوقف
- ٣٠٢ ٣. التردد وعدم الجزم بشيء
- ٣٠٣ تصحيح وقف الأتمان مع التجاره بها
- ٣٠٤ ٩ رساله في إرث الزوجه
- ٣٠٤ اشاره
- ٣١٣ ١. حول الروايات المعارضه لنظر المشهور
- ٣١٥ ٢. مشكله اختلال الميزان في الفرائض والأسهم
- ٣١٤ ٣. مشكله تأخير البيان
- ٣١٧ الآن حصص الحق
- ٣٢٠ ١٠ هل ترك النبي صلى الله عليه و آله من مصادر التشريع
- ٣٢٠ اشاره
- ٣٢٤ حكم العباديات والقربيات
- ٣٢٤ اشاره
- ٣٢٤ ١. تنقيط القرآن وإعراجه
- ٣٢٤ ٢. التطور في بناء المساجد

٣. المناظره مع أصحاب المقالات ٣٢٧
٤. كتابه الحديث ٣٢٨
٥. النبي وحج التمتع ٣٢٨
٦. صلاه التراويح ٣٢٩
٧. ترك النبي صلى الله عليه و آله استلام الحجر بيده ٣٣٠
- نظرة وتعليق على فتاوى القرضاوى الفقيهيه ٣٣٣
- ١١ ادعاء تحريم الزواج المؤقت (المتع) ٣٣٣
- اشاره ٣٣٣
١. أخذ التأييد فى تعريف الزواج ٣٣٤
٢. أهداف الزواج ٣٣٥
٣. ادعاؤه تحريم المتعه على التأييد ٣٣٦
٤. هل أنّ الرسول صلى الله عليه و آله حزم المتعه ؟ ٣٣٧
٥. المحزّم هو الخليفه نفسه ٣٣٨
- ١٢ عدم كفايه التسميه عند الأكل ٣٤٢
- ١٣ حرمه الاستمناء (العاده السّويه) ٣٤٤
- ١٤ الغناء والموسيقى ٣٤٧
- اشاره ٣٤٧
- حرمه الغناء فى الكتاب والسّنه وأقوال الفقهاء ٣٤٩
- حرمه المعازف فى السّنه ٣٥١
- دليل القائل بالجواز ٣٥٣
- ١٥ فى عدم مساواه ديه المرأه لديه الرجل ٣٥٧
- اشاره ٣٥٧
- اتفاق الفقهاء على النصف ٣٥٨
- تضافر السّنه على النصف ٣٦٠
- التنصيف فى ديه الأعضاء ٣٦٠
- ما هى المصلحه فى تنصيف الديه ؟ ٣٦١

- ٣٦٣ الفصل الثالث: مقالات تقرّيبه
- ٣٦٣ اشاره
- ٣٦٥ ١ فقه أهل البيت عليهم السلام بين أهل السنّة والشيعة
- ٣٦٥ اشاره
- ٣٦٦ الفصل الأوّل التعرف على أهل البيت عليهم السلام وفقههم
- ٣٦٦ اشاره
- ٣٦٦ المحور الأوّل مَنْ هم أهل البيت ؟
- ٣٦٦ اشاره
- ٣٦٧ الأوّل: أفراد البيت في مقابل البيوت
- ٣٦٨ الثانيه: اللام في أهل البيت للعهد
- ٣٦٩ أهل البيت عليهم السلام في لسان النبي الأكرم صلى الله عليه و آله
- ٣٧١ المحور الثاني الدليل على حجّيه فتاواهم على المسلمين كافه
- ٣٧٤ المحور الثالث مصادر فتاواهم
- ٣٧٤ اشاره
- ٣٧٤ ١. استنطاق كتاب الله العزيز
- ٣٧٤ ٢. سنه رسول الله صلى الله عليه و آله
- ٣٧٤ أ. السماع عنه صلى الله عليه و آله
- ٣٧٧ ب. كتاب على عليه السلام
- ٣٧٨ ٣. العلم الموهوب
- ٣٧٩ خاتمه المطاف رجوع كبار الفقهاء إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام
- ٣٨٢ الفصل الثاني المدرسه الفقيهيه للشيعة الإماميه
- ٣٨٢ المصادر والخصائص
- ٣٨٤ الأمر الأوّل: مصادر الفقه عند الشيعة الإماميه
- ٣٨٤ اشاره
- ٣٨٤ المصدر الأوّل: القرآن الكريم
- ٣٨٥ المصدر الثاني: السنّه الشريفه

- المصدر الثالث: الإجماع ٣٨٦
- المصدر الرابع: العقل ٣٨٦
- إزاحه شبهه ٣٨٨
- الأمر الثاني: خصائص فقه الإماميه ومميزاته ٣٩٠
- إشاره ٣٩٠
- الأولى: إحرار العدالة في عامه سند الروايه ٣٩١
- الثانيه: تقييد العمل بالقياس ٣٩١
- تخريج المناط ٣٩٢
- الثالثه: انفتاح باب الاجتهاد ٣٩٣
- الرابعه: لكل واقعه حكم ٣٩٣
- الخامسه: التصويب والتخطئه ٣٩٤
- السادسه: تقسيم الأحكام الشرعيه إلى واقعيه وظاهريه ٣٩٤
- السابعه: تقسيم الموضوعات إلى أوليه وثانويه ٣٩٥
١. الضروره والاضطرار ٣٩٥
٢. الضرر والضرار ٣٩٦
٣. العسر والحرج ٣٩٦
٤. قاعده الأهم والمهم عند التزاحم ٣٩٦
٥. صلاحيات الفقيه الجامع للشرائط ٣٩٧
- ٢ التشيع تاريخاً وعقيده ٣٩٩
- إشاره ٣٩٩
- التسميه من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ٤٠٠
- الأصول المشتركه بين الشيعه والسنه ٤٠٢
- الفوارق بين الإماميه والأشاعره ٤٠٣
- الفوارق بين الشيعه والمعتزله ٤٠٤
- الشيعه الإماميه والأحكام الفرعيه ٤٠٦
- ٣ الأواصر العلميه بين علماء الشيعه والسنه ٤٠٨

- ٤٠٨ اشاره
- ٤١١ مدح القرآن للاتحاد ودمته للانقسام والتفرق
- ٤١٢ الانسجام والتضامن الإسلامي
- ٤١٣ التضامن الإسلامي في ظلال المذاكره والحوار
- ٤١٤ تعاون علماء الفريقين في العصور السابقه
- ٤١٤ عصر الصادقين عليهما السلام المنير والتضامن الإسلامي
- ٤١٨ ١. الكلينى فى بعلبك
- ٤١٨ ٢. الشيخ الصدوق فى بلاد ماوراء النهر
- ٤١٩ ٣. الشيخ المفيد فى بغداد
- ٤٢٠ ٤. الشريف المرتضى زعيم أهل العراق
- ٤٢٠ ٥. الشيخ الطوسى وكرسى التدريس
- ٤٢٠ ٦. ابن إدريس الحلى والتعاون مع الفقيه الشافعى
- ٤٢١ ٧. الشيخ منتجب الدين الرازى ومدىح الرافعى القزوينى
- ٤٢١ ٨. فخر المحققين ومدىح صاحب القاموس
- ٤٢٢ ٩. الخواجه نصير الدين الطوسى ونجاه العلماء
- ٤٢٤ ١٠. العلامة الحلى ومختصر ابن الحاجب
- ٤٣٩ دار التقريب ودورها فى تقارب المذاهب
- ٤٤١ السلفيه الوهابيه
- ٤٤٥ حفظ الأصاله
- ٤٤٦ ٤ رساله مفتوحه إلى الشيخ يوسف القرضاوى
- ٤٤٦ اشاره
- ٤٥١ الأولى: البدع النظرية
- ٤٥١ ١. ادعاء الوصيه لأمير المؤمنين
- ٤٥٤ ٢. العلم بالغيب
- ٤٥٥ ٣. عصمه العتره
- ٤٥٦ ٤. سب الصحابه

٤٥٨	الثانيه: البدع العمليه
٤٥٨	١. تجديد مأساه الحسين عليه السلام كل عام
٤٥٩	٢. ما يحدث عند مزارات آل البيت من شركيات
٤٦٢	٥ رساله إلى الدكتور عيسى بن مانع الحميري
٤٦٧	٦ رساله إلى الدكتور عبدالرحمن الصالح المحمود
٤٧٦	٧ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف
٤٧٦	اشاره
٤٧٨	البدعه في اللغه والشرع
٤٨٠	الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه و آله له أصل في الشريعة
٤٨٠	اشاره
٤٨٠	١. حبّ النبي أصل من الأصول
٤٨٢	٢. تكريم النبي صلى الله عليه و آله أصل من الأصول
٤٨٣	٣. رفع ذكر النبي صلى الله عليه و آله
٤٨٤	٤. ذكر نعم الله سبحانه وتعالى
٤٨٦	٥. الاقتفاء بسنّه نبي الله عيسى عليه السلام
٤٨٨	أدلّه القائل بالبدعه
٤٩٢	٨ رساله إلى أحد أعلام التقريب من أهل السنّه حول تكفير اتباع أهل البيت عليهم السلام من قبل بعض الخطباء والوعاظ
٤٩٥	٩ إدانه مثيرى الفتنة
٤٩٧	١٠ إدانه إهانه القرآن الكريم في أمريكا
٥٠٠	١١ رساله إلى الدكتور الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر
٥٠٢	الفصل الرابع: في التراجع
٥٠٢	اشاره
٥٠٤	١ البرقى وأثره الرجالي
٥٠٤	اشاره
٥٠٧	الأوّل: محمد بن خالد بن عبدالرحمن البرقى
٥٠٨	الثانى: أحمد بن محمد بن خالد البرقى

- الثالث: عبدالله بن أحمد بن محمد بن خالد ٥١١
- الرابع: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن خالد البرقي ٥١٣
- علي بن أحمد بن عبدالله بن أحمد البرقي (شيخ الصدوق) ٥١٣
- الكتاب تأليف الحفيد ٥١٤
- ٢ علي بن إبراهيم القمي (٢٣٠-٣١٠ هـ) ٥١٦
- اشاره ٥١٦
- قول العلماء في حقه ٥١٨
- أساتذته: ٥١٩
- تلامذته: ٥٢١
- طبقته في الرجال ٥٢٢
- وقفه مع تفسيره المتداول ٥٢٣
- توثيق من وقع في أسناد التفسير ٥٢٦
- ٣ المحدث الكليني وأثره الخالد ٥٢٩
- اشاره ٥٢٩
- أسرته ٥٢٩
- الظروف التي نشأ فيها ٥٣١
- ثقافته الواسعة ٥٣٣
- أثره الخالد ٥٣٤
- ثناء العلماء وأقوالهم فيه ٥٣٤
- رحلاته في أخذ الحديث وعرض كتابه ٥٣٦
- العناية بكتاب «الكافي» ٥٣٧
- الكليني وتهمه تحريف القرآن ٥٣٩
- ٤ الشريف المرتضى رحمه الله ٥٤٢
- اشاره ٥٤٢
- نسبه الشريف ٥٤٤
- نشأته وسيرته ٥٤٤

٥٤٤	كلمات العلماء في حقّه
٥٤٦	آثاره العلميّه
٥٥٢	فضائله ومكارم أخلاقه
٥٥٣	أشهر تلامذته
٥٥٤	إلفات نظر
٥٥٦	السيد المرتضى وأصول الفقه
٥٦٢	٥ العالم الرباني
٥٦٢	اشاره
٥٦٧	مؤلفاته وتصنيفه
٥٦٩	٦ آقا بزرگ الطهراني وطبقات أعلام الشيعة
٥٧٢	٧ السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر
٥٧٥	الفصل الخامس: رسائل إرشادية
٥٧٥	اشاره
٥٧٧	١ رساله الشيخ محمد شهيد وجوابنا عنها
٥٧٩	٢ رساله إلى أعضاء دارالزهراء عليها السلام
٥٨٢	٣ التقرير على تفسير البينات
٥٨٤	٤ رساله مفتوحه إلى الشيخ محمد سالم الخضر
٥٨٤	اشاره
٥٩٢	ما هو المراد بعاشوراء في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله ؟
٥٩٢	اشاره
٥٩٧	١. تسطيح القبر
٥٩٨	٢. الجهر بالبسملة
٥٩٨	٣. ترك المستحبات إذا صارت شعاراً للشيعة
٥٩٩	زاد في الطنبور نغمه
٦٠٢	عاشوراء بين الحزن والفرح
٦٠٧	فهرس المحتويات

اشاره

سرشناسه: سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور: رسائل و مقالات: تبحر فی مواضع فقهیه، اصولیه، کلامیه، تراجم، و مکاتبات و حورات مع بعض الاعلام / تالیف جعفر السبحانی.

مشخصات نشر: قم: موسسه الامام الصادق (ع)، ۱۴۱۴ ق. = ۱۳ -

مشخصات ظاهری: ۱۰ ج.

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی بر اساس جلد ششم: ۱۴۲۸ ق. = ۱۳۸۶.

یادداشت: کتابنامه.

موضوع: اسلام -- بررسی و شناخت

شناسه افزوده: موسسه امام صادق (ع)

رده بندی کنگره: BP۱۱ / س ۵۲ ر ۵۱۳۰۰

رده بندی دیویی: ۲۹۷

شماره کتابشناسی ملی: ۱۰۵۳۰۷۶

ص: ۱

اشاره

رسائل و مقالات

تبحث فى مسائل كلاميه، عقائديه، فقهيه، أصوليه، تراجم،

وحوارات مع بعض الأعلام، وفيها إرشادات

ودعوه إلى التقريب بين المذاهب

تأليف

الفقيه المحقق

آيه الله العظمى الشيخ جعفر السبحانى

الجزء السابع

منشورات

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ص: ٥

آيه الله العظمى جعفر السبحاني، ١٣٤٧ ق. -

رسائل و مقالات / تأليف جعفر السبحاني. - قم: مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام ١٤٣٢ ق ١٣٨٩

ج.

ISBN :٩٧٨-٩٦٤-٣٥٧-٤٦٤-٢ (ج. ٧)

ISBN :٩٧٨-٩٦٤-٣٥٧-٤٦٥-٩ (دوره)

أنجزت الفهرسه طبقاً لمعلومات فيبا:

المحتويات: ج. ٢. تبحث في مواضيع فلسفيه، كلاميه، فقهيه وفيها الدعوه إلى التقريب بين المذاهب. -- ج. ٣. تبحث في مواضيع فلسفيه، كلاميه، فقهيه واجتماعيه. ج. ٤. تبحث في مواضيع فقهيه، أصوليه، كلاميه و... ج. ٥. مواضيع فقهيه، أصوليه، كلاميه، تراجم، ومكاتبات وحوارات مع بعض الأعلام. -- ج. ٦. مسائل فلسفيه، كلاميه، فقهيه، أصوليه، مكاتبات، تقاريض. ج. ٧. تبحث في مسائل كلاميه، عقائديه، فقهيه، أصوليه، تراجم، وحوارات مع بعض الأعلام، وفيها إرشادات ودعوه إلى التقريب بين المذاهب

١. الشيعة -- العقائد -- مقالات ورسائل. ٢. الإسلام - مسائل متفرقه. ألف. مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام. ب. العنوان.

BP ٢٩٧/٤١٧٢ / ٢١١/٥ / ٢ ر ٥ ١٣٨٩

اسم الكتاب:.... رسائل و مقالات

المؤلف:.... العلامة الفقيه جعفر السبحاني

الجزء:.... السابع

الطبعه:.... الأولى

المطبعه:.... مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

القطع:.... وزيرى

التاريخ:.... ١٤٣٢ ه. ق

الكميه:.... ١٠٠٠ نسخه

الناشر: ... مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

تسلسل النشر: ٦٣١ تسلسل الطبعة الأولى: ٣٧٢

توزيع

مكتبه التوحيد

ايران - قم؛ ساحه الشهداء

٠٩١٢١٥١٩٢٧١؛ ٧٧٤٥٤٥٧؟

www.shia.ir

<http://www.imamsadiq.org>

ص: ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على أشرف رسله وخاتم أنبيائه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «ثلاثة تخرق الحجب، وتنتهي إلى ما بين يدي الله: صرير أقلام العلماء، ووطء أقدام المجاهدين، وصوت مغازل المحصنات»^(١).

لا شك أن هذا الحديث من جوامع الكلم التي أدلى به خير البشر، فالفقره الأولى تدل على أن العلم والثقافه ركن مهم من أركان المجتمع، كما أن الفقره الثانيه ترشدنا إلى أن الجهاد هو الركن الثاني للمجتمع الإسلامى المزدهر، والفقره الثالثه تدلنا على أن العمل المقرون بالعفاف ركن ثالث، وبهذه الأركان الثلاثه يكون المجتمع قد سار على طريق الرقى والتقدم.

ومن المعلوم أن القلم الذى أضفى عليه هذا الوصف، وأعطيت له هذه القيمه، هو القلم الذى يحل مشكله من مشاكل المجتمع، أو يدعم عقيدته جاء بها الكتاب أو السنه، أو تُردّ به عاديه الأعداء، وتحصن عقائد الشعب وأفكاره، إلى غير ذلك من الآثار الحسنه.

ولو أن القلم لم يتحمل واحده من هذه المسؤوليات، وإنما كتب شيئاً للانتفاع بالمال أو لكسب المنصب والمقام، فليس له قيمه عند الله ورسوله.

ص: ٧

وعلى ضوء ذلك فقد توخينا أن تكون الرسائل والمقالات في هذه الموسوعة، سائره على هذا المنهج، وموصوفه بالصفات المذكوره، خدمه للحق وإظهاراً له وإزهاقاً للباطل.

وهذا هو الجزء السابع من هذه الموسوعة نقدمه إلى القراء الكرام آملين أن يتحفونا بآراءهم ويرشدونا إلى الأخطاء.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «أحبّ إخواني من أهدى إليّ عيوبى» و ما قاله إلّا تعليماً لشيئته ورؤاد منهجه، صلوات الله عليه.

نرجو من الله سبحانه أن يجرى الحق على ألسنتنا وأقلامنا، وأن يصوننا عن اقتفاء الباطل ونشره وتعليمه، إنّه سميع الدعاء.

والله من وراء القصد

جعفر السبحانى

قم المقدسه، مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٣ محرم الحرام ١٤٣٢ هـ.

ص: ٨

١. التجسيم والتشبيه في منهج ابن تيميه
٢. حركه البارى ونزوله عند ابن تيميه
٣. الجبهه والمكان لله سبحانه عند ابن تيميه
٤. نظره إلى تكلمه سبحانه في منهج ابن تيميه
٥. عقائد شاذة ناييه لابن تيميه
٦. العصمه وحقيقتها وآثارها
٧. الأحكام الشرعيه أطفاف في الأحكام العقليه
٨. في الرؤيه ومعنى الإله
٩. البداء في الكتاب والسنة
١٠. التبرك في الكتاب والسنة
١١. التوسل في الكتاب والسنة
١٢. الاحتفال بيوم الغدير أو سلمان العوده تواب عواد
١٣. القرضاوى وحرمة التسميه بعبد المسيح
١٤. محسن بن على بين الحقيقه والخيال

نبدأ هذا الفصل بطرح بعض أفكار ابن تيميه وعقائده ودراستها ومناقشتها والرد عليها على ضوء الكتاب والسنة والعقل.

١ التجسيم والتشبيه فى منهج ابن تيميه

إشاره

نزلت الشرائع السماويه على تنزيه الله سبحانه عن كونه جسماً أو جسمانياً مشابهاً لمخلوقاته إلى غير ذلك مما يعد من آثار المادّه.

غير أنّ احتكاك بعض الأقوام ممن نزلت عليهم الشرائع بالوثنيين صار سبباً لميلهم إلى التجسيم والتشبيه، وعلى رأسهم قوم بنى إسرائيل.

ويدلّ على ذلك شواهد، منها:

١. طلبهم من موسى عليه السلام الإله المجسم

إنّ نبي الله موسى عليه السلام بعد ما عبر بنى إسرائيل البحر ونزلوا إلى الضفّه الأخرى منه، رأوا أنّ أقواماً يعبدون أصناماً، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً مثل ما لهؤلاء آلهه، لكى يعبدونها، فكأنهم فكّروا أنّ عباده الإله غير المرئى أمر غير مفيد، فيجب أن يُعبد الله سبحانه بصوره موجود مجسم، وهذا ما يحكيه قوله سبحانه:

(وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

تَجْهَلُونَ) (١).

فآليه تحكى أنّ النزوع إلى الوثنيه كان راسخاً في نفوسهم حتى غفلوا عن النعمة الكبرى التي شملتهم، وهي نجاتهم من فرعون، فطلبوا من موسى ما يضاد شريعته وعقيدته.

٢. طلبهم رؤيه الله تعالى

الشاهد الثاني على رسوخ فكره التجسيم عندهم، أنّهم طلبوا من موسى عليه السلام رؤيه الله سبحانه بالعين، ولولاها لم يؤمنوا به، وهذا ما يحكيه الذكر الحكيم في قوله سبحانه: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (٢).

٣. عبادتهم العجل في غياب موسى عليه السلام عنهم

الشاهد الثالث على رسوخ فكره التجسيم في أذهانهم وأنهم كانوا يميلون إلى الإله المجسم أكثر من ميلهم لما دعاهم إليه موسى عليه السلام، إغترارهم بما صنع السامريّ حيث صنع لهم عجلاً جسداً له خوار، ودعاهم لعبادته، فعكف القوم - إلا القليل منهم - على عبادته، دون أن يدور في خلد أحدهم أنّ هذا يخالف ما دعاهم إليه نبيهم موسى عليه السلام عبر السنوات الطوال، وهذا ما يحكيه الذكر الحكيم عنهم، قال سبحانه:

(وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) (٣).

وفي آيه أخرى يتضح بصراحه أنّهم اتخذوا هذا العجل إلهاً لهم، قال سبحانه:

ص: ١٢

١- . الأعراف: ١٣٨.

٢- . البقره: ٥٥.

٣- . الأعراف: ١٤٨.

(فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) (١).

وهذه الحوادث التاريخية المريره على قلب موسى عليه السلام التي يذكرها القرآن الكريم، تحكى عن انحراف بنى إسرائيل عن خط التنزيه إلى خط التجسيم.

تطرق فكره التجسيم إلى النصرانية

لمّا بُعث المسيح عليه السلام إلى بنى إسرائيل ذكر بأنّه بُعث بنفس ما بعث به الكلّيم فقال: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ) (٢).

ولكن تطرقت فكره التجسيم إلى النصرانية بعد ما رفع الله المسيح عليه السلام. وكان المبدأ لذلك هو الديانة البرهمانية التي رفعت علم التثليث وقالت بالآلهه الثلاثة، أعنى:

١. برهما - الخالق.

٢. فيشنو - الواقى.

٣. سيفا - الهادم.

فالإله عند البراهمه يشبه مثلثاً ذا أضلاع ثلاثه، وكانت تلك الفكره منتشره بين الروم القاطنين فى سوريا وفلسطين وما جاورها حيث بعث المسيح عليه السلام.

فأخذ أتباعه فى القرن الثانى نفس الفكره فصبغوها بشكل آخر، فصار التثليث بالنحو التالى:

الأب، الإبن، روح القدس. وهى التى يسمونها الأقانيم الثلاثة، ينقل الأستاذ محمد فريد وجدى عن دائره معارف «لاروس»، ما يلى:

إنّ تلاميذ المسيح الأوّلين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنّه أحد الأركان الثلاثة المكوّنه لذات الخالق، و ما كان بطرس -

ص: ١٣

١- طه: ٨٨.

٢- الصف: ٦.

أحد حواريه - يعتبره إلّارجلًا موحى إليه من عند الله، أما بولس فإنه خالف عقيدته التلاميذ الأقرين لعيسى وقال: إن المسيح أرقى من إنسان وهو نموذج إنسان جديد أى عقل سام متولد من الله. (١)

ثم إن القرآن الحكيم يحكى عن أنّ النصارى قد اقتبسوا هذه الفكرة من الذين كفروا من قبل، قال سبحانه: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) . (٢)

دور الأبحار و الرهبان فى نشر فكره التجسيم

بعث النبى الخاتم صلى الله عليه و آله على تنزيهه سبحانه ورفع مقامه تعالى عن مشابهه المخلوقات، ملهماً من قوله سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (٣) غير أنّ قسماً من الأبحار والرهبان الذين استسلموا ظاهراً - ولكن بقوا على ما كانوا عليه من الديانة الموسويه أو العيسويه باطناً - أشاعوا بين المسلمين نفس الفكرة بواسطة الأحاديث والقصص التى كانوا يحكونها عن كتبهم، فأخذها السُّدج من المحدثين كحقائق صادقه واقعيه، محتجّين بما نسب إلى النبى صلى الله عليه و آله من قوله: «حدّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج».

وقد اغتر بهذه الإسرائيليات أو المسيحيات محدّثان معروفان هما: ابن خزيمه وابن منده، فقد حشدا فى كتابيهما كلّ ما يدلّ على تلك الفكرة الموروثه.

فعن الأول يقول الرازى فى تفسيره الكبير عند تفسير قوله سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) : احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآيه فى نفى كونه تعالى جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء، وحاصلاً فى المكان والجهه، وقالوا: لو كان

ص: ١٤

١- . دائره معارف القرن العشرين، ماده ثالث.

٢- . التوبه: ٣٠.

٣- . الشورى: ١١.

جسماً لكان مثلاً لسائر الأجسام فيلزم وجود الأمثال والأشباه له، وذلك باطل بصريح قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) .

ثم قال: واعلم أنّ محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سمّاه ب «التوحيد» وهو في الحقيقة كتاب الشرك، ثم وصفه بقوله: إنّه مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل. (١). ولكلامه صله، من أراد فليرجع إليه.

وكفى في حق الثاني (ابن منده) ما سنذكره عنه من قوله: إنّ لله سبحانه عرشاً يجلس عليه وهو يئط أطيط الرحل.

عقيدته أهل السنه في التنزيه

اتفق أهل السنه وعلى رأسهم أئمة الأشاعره على تنزيهه سبحانه عن مشابهه المخلوقات وقد أفاضوا الكلام في ذلك بإجمال تاره وتفصيل أخرى، وشدّد عنهم بعض الحنابله وأهل الحديث، وها نحن نذكر بعض كلماتهم ليقف القارئ على أنّ علماء المسلمين عن بكره أبيهم مجمعون على أنّه سبحانه منزّه عن مشابهه المخلوقات وعن كونه جسماً أو جسمانياً، وإليك أسماء بعض هؤلاء مع مقتطفات من أقوالهم:

١. أبو جعفر أحمد بن محمد المصري الطحاوي (٢٣٩-٣٢١ هـ) في رسالته المعروفه ب «العقيدته الطحاويه» التي أصبحت مع بعض شروحه كتاباً دراسياً في الجامعات. قال:

ولا شيء مثله، ثم قال: لا تبلغه الأحكام ولا تدركه الأفهام، ولا يشبهه (٢) الأنام. (٣).

ص: ١٥

١- . التفسير الكبير: ١٥٠/٢٧.

٢- . في شروح أخرى: يشبه.

٣- . شرح العقيدته الطحاويه لابن أبي العز: ٥٧ و ٨٤. ط، مؤسسه الرساله.

٢. أبو الثناء اللامشى الحنفى الماتريدى من علماء القرن الخامس وأوائل السادس، قال ما نصّه: وإذا ثبت أنّه تعالى ليس بجوهر فلا يتصور أن يكون جسماً أيضاً لأنّ الجسم اسم للمتركب عن الأجزاء، يقال: هذا أجسمٌ من ذلك، أى أكثر تركباً منه، وتركب الجسم بدون الجوهرية وهى الأجزاء التى لا تتجزأ، لا يتصور، ولأنّ الجسم لا يتصور إلّاعلى شكل من الأشكال، ووجوده على جميع الأشكال لا- يتصور أن يكون، إذ الفرد لا- يتصور أن يكون مطوّلاً- ومدوراً ومثلثاً ومربعاً، ووجوده على واحد من هذه الأشكال مع مساواه غيره إياه فى صفات المدح والذم لا يكون إلّابتخصيص مخصص، وذلك من أمارات الحدث، ولأنّه لو كان جسماً لوقعت المشابهة والمماثلة بينه وبين سائر الأجسام فى الجسميه، وقد قال الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١).

٣. أبو بكر الباقلانى (المتوفى ٤٠٣ هـ) فى تمهيد الأوائل، قال:

إن قال قائل: لم أنكرتم أن يكون القديم سبحانه جسماً؟ قيل له: لما قدمناه من قبل، وهو أنّ حقيقه الجسم أنّه مؤلف مجتمع بدليل قولهم: رجل جسيم، وزيد أجسم من عمرو، وعلماً بأنهم يقصرون هذه المبالغه على ضرب من ضروب التأليف فى جهه العرض والطول، ولا يوقعونها بزياده شىء من صفات الجسم سوى التأليف، فلما لم يجز أن يكون القديم مجتمعاً مؤتلفاً، وكان شيئاً واحداً، ثبت أنّه تعالى ليس بجسم. (٢)

٤. أبو المظفر الاسفرايينى (المتوفى ٤٧١ هـ)، قال:

وأن تعلم أنّ القديم سبحانه ليس بجسم ولا جوهر، لأنّ الجسم يكون فيه التأليف، والجوهر يجوز فيه التأليف والاتصال، وكل ما كان له الاتصال أو جاز عليه الاتصال يكون له حدّ ونهايه. وقد دللنا على استحاله الحدّ والنهايه على

ص: ١٦

١- . التمهيد لقواعد التوحيد: ٥٦، تحقيق عبد الحميد عبد المجيد تركى، ط. دار الغرب الإسلامى.

٢- . تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ١١١، ط. دار الكتب العلميه، تحقيق أحمد فريد المزيدي.

البارى سبحانه وتعالى وقد ذكر الله تعالى فى صفه الجسم الزيادة فقال: (وَ زَادَهُ بَسِيْطَةً فِى الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ) (١) فبيّن أنّ ما كان جسمًا جازت عليه الزيادة والنقصان ولا تجوز الزيادة والنقصان على البارى سبحانه. (٢)

٥. عمر النسفى (المتوفى ٥٣٤ هـ) فى العقيدة النسفيه، قال: والمحدث للعالم هو الله تعالى الواحد القديم القادر الحى العليم السميع البصير الشائى المرید ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر ولا مصور ولا ممدود ولا معدود ولا متبعض ولا متجز ولا متركب ولا متناه ولا يوصف بالمائيه ولا بالكيفيه ولا يتمكن فى مكان ولا يجرى عليه زمان ولا يشبهه شىء ولا يخرج من علمه وقدرته شىء. (٣)

هذه إمامه عابره على عقيدة أهل السنه فى التنزيه، فكتبهم الكلاميه والعقدية مليئه بهذه الكلمات ولا حاجه إلى نقل المزيد منها، إنّما الكلام دراسه عقيدة ابن تيميه فى مجال التنزيه، فالرجل من مواليد سنه ٦٦١ هـ وتوفى سنه ٧٢٨ هـ، فقد أحيا عقيدة أهل التجسيم والتشبيه فتاره يخفى عقيدته ويقول: لا نقول إنّ سبحانه جسم ولا نقول إنّ ليس بجسم.

ولكنه فى بعض المواضع يصرّح بأنه سبحانه جسم بالمعنى الذى اختاره للجسم وها نحن نذكر كلماته من كتبه المختلفه مشيرين إلى الكتاب وطبعته ومحققه حتى يرجع من أراد أن يحقق الموضوع عن كتب.

النص الأول: يقول فى تفسير قوله سبحانه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٤)، و تفسير قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (٥)، ما هذا نصّه:

«فإنّه لا يدلّ على نفى الصفات بوجه من الوجوه، بل ولا على نفى

ص: ١٧

١- . البقره: ٢٤٧.

٢- . التبصير فى الدين: ١٥٩، ط. عالم الكتب، تحقيق كمال يوسف الحوت.

٣- . العقيدة النسفيه: ٤، طبعه استنبول.

٤- . الشورى: ١١.

٥- . مريم: ٦٥.

ما يسميه أهل الاصطلاح جسماً بوجه من الوجوه»^(١).

ومراده من الصفات فى قوله: نفى الصفات، الصفات الخبرية التى أخبر عنها سبحانه كاليد والوجه وغيرهما، فهو يعتقد أنّ الجميع يوصف به سبحانه من غير تأويل ولا تعطيل بل بنفس المعنى اللغوى.

النص الثانى: وقال أيضاً:

«وأما ذكر التجسيم وذم المجسّمه، فهذا لا يعرف فى كلام أحد من السلف والأئمّه، كما لا يعرف فى كلامهم أيضاً القول بأنّ الله جسم أو ليس بجسم»^(٢).

النص الثالث: ويقول فى كتاب آخر له:

«وأما ما ذكره [العلامة الحلّى] من لفظ الجسم وما يتبع ذلك، فإنّ هذا اللفظ لم ينطق به فى صفات الله لا كتاب ولا سنّه، لا نفيّاً ولا إثباتاً، ولا تكلم به أحد من الصحابه والتابعين وتابعيهم، لا أهل البيت ولا غيرهم»^(٣).

إلى هنا يتضح أنّه أخفى التصريح بأنّه تعالى جسّم ، ولكن ذكر أنّ تلك القضية ليستا من كلام السلف يعنى أنّ الله جسم أو ليس بجسم، ولكنّه فى موضع من كتابه منهاج السنّه أظهر عقيدته، وهذا ما نلاحظه فى النص التالى.

النص الرابع: وقال أيضاً:

«وقد يراد بالجسم ما يشار إليه أو ما يرى أو ما تقوم به الصفات، والله تعالى يرى فى الآخرة وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم، فإن أراد بقوله:

ليس بجسم هذا المعنى قيل له هذا المعنى - الذى قصدت نفيه

ص: ١٨

١- . موافقه صحيح المنقول لصريح المعقول أو «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيميه: ١٠٠/١، طبعه دارالكتب العلميه، ط ١، بيروت - ١٤٠٥ هـ.

٢- . نفس المصدر: ١٨٩/١.

٣- . منهاج السنه النبويه: ١٩٢/٢، مؤسسه قرطبه - ١٤٠٦ هـ، ط ١، تحقيق محمد رشاد سالم.

بهذا اللفظ - معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول وأنت لم تقم دليلاً على نفيه. وأما اللفظ فبدعه نفيًا وإثباتًا فليس في الكتاب ولا السنّة، ولا قول أحد من سلف الأئمّه وأئمتها إطلاق لفظ الجسم في صفات الله، لا نفيًا ولا إثباتًا. (١)

فقد عرّف إلهه الذي يعبده بالأُمور التاليه:

١. أنه يُشار إليه.

٢. أنه يُرى

٣. أنه تقوم به الصفات فيكون مركبًا.

٤. أن له مكانًا وجهه، بدليل رفع الناس أيديهم عند الدعاء إلى الأعلى.

فالإله بهذا المعنى عنده ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول.

النص الخامس: وقال أيضاً:

«وأما القول الثالث - وهو القول الثابت عن أئمه السنه المحضه كالإمام أحمد وذويه - فلا يطلقون لفظ الجسم لا نفيًا ولا إثباتًا، لأنه ليس مأثورًا لا في كتاب ولا سنّه، ولا أثر من أحد من الصحابه والتابعين لهم بإحسان، ولا غيرهم من أئمه المسلمين، فصار من البدع المذمومه». (٢)

النص السادس: وقال أيضاً:

«وليس في كتاب اللّهم، ولا سنّه رسوله، ولا قول أحد من سلف الأئمّه وأئمتها أنه ليس بجسم، وأنّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً». (٣)

هذه كلماته التي نقلناها بنص من كتبه المشهوره، ودع عنك ما ذكره في

ص: ١٩

١- . منهاج السنه: ١٣٤/٢-١٣٥.

٢- . منهاج السنه: ٢٢٤/٢-٢٢٥.

٣- . بيان تلبيس الجهميه: ١٠١/١. مطبعه الحكومه، مكه المكرمه، ١٣٩٢ هـ، ط ١، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

ولكن ما ندرى ما ذا يريد بقوله: ثابت بصحيح المنقول، فهل يعنى الذكر الحكيم؟ فما اختاره يضاذه تماماً حيث يقول: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ، فلو كان سبحانه جسمًا يلزم أن يكون له طول وعرض وارتفاع، وبالتالي يكون مركبًا من أجزاء محتاجًا في تحقّقه إلى كلّ جزء. هذا ما يقوله صحيح المنقول.

وأما ما نسبه إلى صريح المعقول فهو أيضًا يضاذ ما ذكره تماماً كذلك إذ لو كان جسمًا لاحتاج إلى مكان، فالمكان إما أن يكون قديمًا فيكون إلهاً ثانياً، وإن كان حادثاً أحدثه سبحانه، فأين كان هو قبل إحداث هذا المكان؟

وأما رفع الناس أيديهم عند الدعاء فلا يعنى أنه سبحانه في السماء وإنما يريدون إفهام رفعه مقام الله سبحانه برفعهم أيديهم؛ مضافاً إلى أن البركات تنزل من السماء، قال سبحانه: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ) (١)، وسيأتى الكلام فيه، فانتظر.

وأما ما نسبه إلى السلف - فالسلف برىء منه براءه يوسف ممياً اتهم به - فيكفي أن نذكر كلام البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»، قال: احتج أهل السنّة على أنه سبحانه ليس في مكان بالحديث النبوي التالي، قال صلى الله عليه وآله: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» فإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان. (٢)

وهناك كلمات كثيره من أهل الحديث لا يسعها المقام.

إجابته عن سؤال

ربما نسمع من الكثير من أتباع الرجل قولهم: أنه سبحانه جسم لا - كالأجسام، نظير قولنا: شيء لا - كالأشياء، فكما أن الثاني صحيح، فالأول صحيح أيضاً.

ص: ٢٠

١- . الذاريات: ٢٢.

٢- . الأسماء و الصفات: ٤٠٠، باب ما جاء في العرش والكرسى.

والجواب عنه واضح، وهو أنّ الشيء لا يدل على خصوصيه خاصّه بل يدل على نفس الوجود والتحقق، فلا مانع من أن يقال: أنّه شيء لا كالأشياء، أى له وجود لا كوجود الأشياء.

وأما الجسم فيدل على خصوصيه مقومه له، وهو كونه ذا عرض وطول وارتفاع، فالقول بأنّه جسم يلازم ثبوت هذه الصفات، فتعقيبه ب: لا كالأجسام ينفي هذه الخصوصيات، فيكون الكلام حاملاً للتناقض.

كلام ابن تيميه فى العقيدة الواسطيه

إنّ ابن تيميه قد بدأ بنشر أفكاره الشاذّة لأول مرّه فى رسالته فى العقيدة الواسطيه - أعنى: الرسالة التاسعه من مجموعته الرسائل الكبرى - ووصف فيها البارى سبحانه بالعباره التاليه:

«تواتر عن رسوله (صلى الله عليه وسلم) وأجمع عليه سلف الأمّة من أنّه سبحانه فوق سماواته، على عرشه، على خلقه» (١).

ومعنى العبارة أنّه سبحانه:

١. فوق السماوات.

٢. جالس على عرشه.

٣. فى مكان مرتفع عن السماوات والأرض.

وليس لهذه الجمل معنى سوى أنّه كملك جالس على السرير فى مكان مرتفع ينظر إلى العالم تحته.

نعم استند هو فى كلامه هذا بما نقله ابن منده فى توحيده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«ويحك أتدرى ما الله، إنّ عرشه على سماواته وأرضيه - وأشار هكذا بأصابعه

ص: ٢١

١- . مجموعته الرسائل الكبرى، الرسالة التاسعه: ٤٠١/١.

- مثل القبه عليها، وإنه ليئط أطيط الرحل بالراكب» (١).

وكأنه سبحانه جسم كبير فوق الكبر له ثقل على العرش، وهو يئط كما يئط الرحل حينما يجلس عليه الإنسان الثقيل.

وللأسف فإنّ هذا الحديث قد ورد كثيراً في كتب الحديث، فقد نقله أبو داود في سننه برقم ٤٧٢٦، وابن خزيمة في توحيده برقم ١٤٧، وابن أبي عاصم في السنه، ص ٥٧٥، وابن أبي حاتم في تفسير سورة البقره برقم ٢٢٣.

ولا شك أنّ هذا الحديث وأمثاله من الإسرائيليات التي تطرقت إلى كتب الحديث، هو من الآثار السلبيه لمنع كتابه الحديث النبوي في القرن الأوّل وشيء من الثاني، حتى تداركه الدوانيقي عام ١٤٣ هـ.

ثمّ إنّ ابن تيميه لما رأى أنّ كلامه يستلزم أن يكون سبحانه جسماً كالأجسام حاول التهرّب عن ذلك بوجه أوقعه - أيضاً - في المحذور، حيث جمع مصطلحات الحكماء والمتكلمين في الجسم وقال:

لفظ الجسم فيه إجمال، فقد يراد به:

١. المركب الذي أجزاءه مفزقه فجمعت.

٢. أو ما يقبل التفريق أو الانفصال.

٣. أو المركب من ماده وصوره.

٤. أو المركب من الأجزاء المفردة التي تسمى الجواهر المفردة. وقال: واللّه تعالى منزّه عن ذلك كله.

ثم قال: وقد يراد بالجسم:

٥. ما يُشار إليه، أو ما يُرى، أو ما تقوم به الصفات، واللّه تعالى يُرى في الآخرة، وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم، فإن أراد [العلامة الحلّي] بقوله: ليس بجسم هذا المعنى قيل له: هذا

ص: ٢٢

١- . توحيد ابن منده: ٤٢٩، طبعه مؤسسه المعارف، بيروت.

المعنى ثابت لله ولم يقم دليل على نفيه.(١)

يلاحظ عليه: أنّ الجسم من المفاهيم الواضحة عند العرف وليس مشتركاً بين هذه المعانى التى أخذها من الفلاسفة والمتكلمين، فالصحابه عندما سمعوا قوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) (٢) أو قوله سبحانه: (وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ كَأَجْسَامِهِمْ) (٣) لم يخطر ببال أحد منهم أى واحد من المعانى المذكوره حتى المعنى الأخير الذى اختاره وقال عنه: «هذا المعنى ثابت لله ولم يقم دليل على نفيه».

فالجسم عند العرب الأقحاح عامّه ما جاء نموذجه فى نفس الآيتين نظير:

طالوت فى الآيه الأولى، والمنافقين فى الآيه الثانية. فكلّ شىء كان كهذين النموذجين فهو جسم، والذى يجمع الجميع هو اشتماله على الطول والعرض والعمق، فلو قلنا - العياد بالله - أنه سبحانه جسم، فلا محيص من اشتماله على ما اشتملت عليه سائر الأجسام من الأبعاد الثلاثة.

ثمّ إنّه كرر ما ذكره هنا فى مقام آخر.(٤) ولا حاجة لنقله.

كما إنّه تفسر أيضاً فى تفسير المكان وقال: قد يراد بالمكان:

١. ما يحوى الشىء ويحيط به.

٢. ما يستقر الشىء عليه بحيث يكون محتاجاً إليه.

٣. قد يراد به ما كان الشىء فوقه وإن لم يكن محتاجاً إليه.

٤. وقد يراد به ما فوق العالم وإن لم يكن شيئاً موجوداً.

ثم نفى ما ذكره من المعانى للمكان واختار المعنى التالى:

هو سبحانه فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، وهذا المعنى حق،

ص: ٢٣

١- . منهاج السنه النبويه: ١٣٤/٢-١٣٥.

٢- . البقره: ٢٤٧.

٣- . المنافقون: ٤.

٤- . لاحظ منهاج السنه النبويه: ١٩٨/٢-٢٠٠.

سواء سميت ذلك مكاناً أم لم تُسم. (١).

يلاحظ عليه أولاً: أنه ليس للمكان إلامعنى واحد وهو كون شىء فى شىء، وإحاطه شىء لشىء، ولذلك يفسره أهل اللغة بقولهم: المكان موضع كون الشىء، فلو كان لله سبحانه مكان فليس إلابهذا المعنى، دون المعانى التى أخذها من مصطلحات الحكماء والمتكلمين، الذين لهم مصطلحات خاصه فى المفاهيم لا صلها بمصطلحات العامه.

وثانياً: ماذا يريد من قوله: إنه «على عرشه»؟ إذ عندئذ يتوجه إليه السؤال الثانى: ماذا يريد من قوله: إن ذاته سبحانه لا تخلو من أن تكون مماسه للعرش، أو غير مماسه؟

فعلى الثانى تكون ذاته سبحانه منزهه عن المكان لأن المكان عباره عن كون شىء فى شىء. لكنّه يكون ذا جهه وهو كونه فوق العرش يشار إليه فقد اثبت لله الجهه التى هى من خصائص الأمور الماديه.

وإن كانت مماسه (على الأول) فيكون محتاجاً إليه. ولعمر القارئ إن صرف الحبر والقلم فى نقد هذه الأفكار الرديئه تضييع للمال والعمر، ولكن اغترار المتظاهرين بالسلفيه بابن تيميه، أالجأنى إلى دراسه هذه المواضيع. وسيأتى الكلام حول المكان والجهه لله فى رساله الثالثه.

موقف أهل البيت عليهم السلام من فكره التجسيم

تقدم أن ابن تيميه ذكر فى كلماته أنه لم يرد عن أهل البيت عليهم السلام ما يدل على عدم كونه جسماً، ولكنّه لبعده عنهم وما يبدو من كلماته من النصب والعداء الذى يكنه لهم، فإنه لم يراجع كلماتهم، فصار يرمى الكلام على عواهنه من غير دليل.

وقد وقف الأصم والأبكم فضلاً عن العلماء على أن التوحيد والتنزيه من

ص: ٢٤

شعار أئمه أهل البيت عليهم السلام كما أنّ التشبيه والجبر من شعار الأمويين، وها نحن ننقل شيئاً قليلاً من كلمات أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه:

«ما وحدّه من كيفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه».(١)

روى الصدوق بإسناده إلى أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور قال:

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً خطبه بعد العصر، قال فيها:

«الحمد لله الذي لا يموت، ولا تنقضى عجائبه، لأنه كل يوم في شأن، من إحداث بديع لم يكن، الذي لم يولد فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبحاً ماثلاً، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً، الذي ليست له في أوليته نهاية، ولا في آخريته حدّ ولا غاية، الذي لم يسبقه وقت، ولم يتقدمه زمان، ولم يتعاوره زياده ولا نقصان، ولم يوصف بأين ولا مكان».(٢)

فأى كلمه أوضح في نفى التشبيه والتجسيم من قوله عليه السلام: «ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبحاً ماثلاً».

وأى جملة أوضح في نفى المكان من قوله: «ولم يوصف بأين ولا مكان».

ثم إن ابن تيمية صار بصدّد تصحيح حديث عبد الله بن خليفة الظاهر في التجسيم على ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده عن عبد الله بن خليفة قال: جاءت امرأه إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، قال: فعظم الرب عزّ وجلّ وقال: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) إنه ليقعد عليه جل وعزّ فما

ص: ٢٥

١- نهج البلاغه، الخطبه ١٨٦.

٢- توحيد الصدوق: ٣١.

يفضل منه إلّاقيد أربع أصابع وإنّ له أطيّطاً كأطيّط الرجل إذا رُكب. (١) فقال ردّاً على العلامه الحلى حيث نقل الحديث فقال: فهذا لا أعرف له قائلاً ولا ناقلاً ولكن روى في حديث عبد الله بن خليفه أنّه: ما يفضل من العرش أربع أصابع، يُروى بالنفى تاره ويُروى بالإثبات، والحديث قد طعن فيه غير واحد من المحدّثين كالإسماعيلي وابن الجوزى، ومن الناس من ذكر له شواهد وقوّاه.

ولفظ النفي لا- يرد عليه شيء فإن مثل هذا اللفظ يرد لعموم النفي كقول النبي صلى الله عليه و آله: «ما فى السماء موضع أربع أصابع إلّاوملك قائم أو قاعد أو راعع أو ساجد»، أى ما فيها موضع. (٢)

يلاحظ عليه: أنّ الوارد فى كتاب السنّه أى كتاب إمام مذهبه أحمد بن حنبل الذى نقله عنه ولده عبد الله هو الإثبات: ما يفضل منه إلّاقيد أربع أصابع - ومعنى ذلك أنّ العرش يمتلأ بوجوده سبحانه ويبقى منه أربعة أصابع خالياً - وما احتمله من النفي للفرار عن المعنى الذى يضحك الثكلى، وما استشهد به من الحديث أعنى قوله: «ما فى السموات موضع أربع أصابع إلّاوملك...» يفارق المقام، فإنّ الاستثناء فيه بعد أربع أصابع وفى المقام قبله.

وعلى كلتا صورتين فالحديث ظاهر فى التجسيم سواء امتلأ العرش بوجوده أو بقى منه أربع أصابع.

وعلى كلّ تقدير فآفه المشبهه لا تنتهى بما ذكرنا فإنّهم أخذوا التشبيه من اليهود.

يقول الشهرستانى: وزادوا فى الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأكثرها مقتبسه من اليهود، فإنّ التشبيه فيهم طباع، حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكه، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وإنّ العرش ليئط من تحته كأطيّط الرجل الحديد (الجديد)، وأنّه ليفضل من كل

ص: ٢٤

١- . السنّه: ٣٠٥/١ برقم ٥٩٣.

٢- . منهاج السنه: ٦٢٩/٢.

ولو أراد الباحث تنظيم العقيدة الإسلامية عما عليه المشبهه من حمل الصفات الخبرية في الكتاب والسنة على ظاهرها لأصبحت العقيدة الإسلامية عقيدة الزنادقة، وإن كنت في شك فلاحظ ما ذكره الشهرستاني، قال:

وأما ما ورد في التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجىء والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها، أعنى ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام، وكذلك ما ورد في الأخبار من الصوره وغيرها في قوله عليه الصلاه والسلام: «خلق آدم على صوره الرحمن»، وقوله: «حتى يضع الجبار قدمه في النار» وقوله: «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن»، وقوله: «ختم طينه آدم بيده أربعين صباحاً»، وقوله: «وضع يده أو كفّه على كتفى»، وقوله: «حتى وجدت برد أنامله على كتفى» إلى غير ذلك؛ أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام. (٢)

إن الصفات الخبرية هي التي أوجدت فكره التشبيه والتجسيم عند بعض السلفيين، والمراد بها ما أخبر عنه سبحانه دون أن يدل عليه العقل من كونه مستويّاً على عرشه، أو أنّ له الوجه واليدين، والجنب والمجىء والإتيان والفوق.

ثم إن السلف في تفسير الصفات الخبرية على مذاهب:

١. منهم من يثبت الصفات الخبرية كاليدين والوجه ويقولون هذه الصفات وردت في الشرع، فبالغوا في إثبات الصفات إلى حدّ التشبيه بصفات المحدثات.

قال الشهرستاني (المتوفى ٥٥٤٨هـ): إن جماعه من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا لا بد من إجرائها على ظاهرها فوقوا في التشبيه الصرف، ولقد كان التشبيه صرفاً خالصاً في اليهود.... (٣)

ص: ٢٧

١- الملل والنحل: ١٢١/١، دار المعرفه، بيروت - ١٤١٦ هـ.

٢- الملل والنحل: ١٢١/١.

٣- الملل والنحل: ١٠٥/١.

٢. ومنهم من اكتفى بتلاوتها من دون أن يحقّقوا معانيها، ونسب ذلك إلى مالك بن أنس لما سُئِلَ عن الاستواء على العرش، قال: الاستواء معلوم، والكيفيه مجهوله، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه، ونسب ذلك إلى أحمد بن حنبل وسفيان الثوري وداود بن علي الإصفهاني. (١)

٣. ومنهم من أول الظواهر كي يخرجوا عن مغبه التشبيه والتجسيم، فقالوا: إنّ المراد من اليد قدرته ونعمته إلى غير ذلك من وجوه التأويل.

وعلى ذلك فالسلف إمّا مبتدعه وهم الذين يجرون الصفات الخبريه على ظاهرها، وإمّا معطله الذين يمرّون على الآيات ويتلونها دون أن يتفكّروا في حقائقها، أو مؤوّله يحملون الآيه على خلاف ظواهرها من دون قرينه في نفس الآيه.

وأما العلماء الواعون فهم برآء من التشبيه والتعطيل والتأويل، وإنّما يفرقون بين الظهور الإفرادي والظهور الجملي؟ وإنّما يحتاج إلى التأويل إذا أخذنا بالظهور الحرفي أو الإفرادي، وأمّا لو أخذنا بالظهور الجملي فنحن في غنى عنه، إذ تصوير الجمل عندئذٍ ظاهره في المعاني الكنائيه أو المجازيه، فالحجّه هو الثاني دون الأول، والآيات عندهم ظاهره في معانيها التصديقيه من دون حاجه إلى التأويل، وهي بين مجاز وكنايه واستعاره، وأمّا تفصيل ذلك ففي مجال آخر، وقد أوضحنا حاله في كتابنا الإنصاف. (٢)

وعلى كل تقدير فابن تيميه من الطائفه الأولى، وهو إمام المدافعين عن بيضه أهل التشبيه وشيخ اسلام أهل التجسيم ممّن سبقه من الكراميه وجهله المحدّثين الذين أخذوا بالظواهر ونسبوا إلى الله سبحانه وأحيوا بذلك عقيدته اليهود في الله سبحانه.

ص: ٢٨

١- الملل والنحل: ١٠٥/١.

٢- الإنصاف: ٣٥٩-٣٥٢/٣.

من الأمور التي يصرّ عليها ابن تيميه، تجويز الحركة والانتقال والنزول لله سبحانه، بل إنه يقول فوق ذلك بأنه ينزل وينتقل من مكان إلى آخر، وأنه لا مانع من ثبوت ذلك لله سبحانه، بل يدعى أنّ عليه أئمه السلف!!

هذا ما يدّعيه ابن تيميه في غير واحد من كتبه، وهانحن ننقل شيئاً من كلماته، ليّضح للقارئ موقف الرجل من هذا الأمر.

كتب بشر المريسي الجهني كتاباً في التوحيد ونقضه عثمان بن سعيد الدارمي المجسم، وقد نقل ابن تيميه شيئاً من كتاب النقض مرتضياً به وإليك ما نقله: أمّا دعواك (بشر المريسي) أنّ تفسير القيوم: الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك، فلا يقبل منك هذا التفسير إلّا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو عن بعض أصحابه أو التابعين، لأنّ الحي القيوم يفعل ما يشاء، ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأنّ أماره ما بين الحي والميت، التحرك كل حي متحرك لا محاله، وكل ميت غير متحرك لا

ويقول ابن تيميه أيضاً: إنّ جمهور أهل السنّه يقولون: إنّ ينزل ولا يخلو منه العرش، كما نُقل مثل ذلك عن إسحاق بن راهويه وحمّاد بن زيد وغيرهما ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدّد (٢).

وقال في «الموافق»: وأئمة السنّه والحديث على إثبات النوعين، وهو الذي ذكره عنهم من نقل مذهبهم، كحرب الكرمانى وعثمان بن سعيد الدارمى وغيرهما، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة، وأنّ ذلك هو مذهب أئمة السنّه والحديث من المتقدمين والمتأخرين، وذكر حرب الكرمانى أنّه قول من لقيه من أئمة السنّه، كأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبدالله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور، وقال عثمان بن سعيد وغيره: إنّ الحركة من لوازم الحياه، فكلّ حى متحرك، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهميه نفاه الصفات، الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم (٣).

هذه الكلمات تكفى في بيان نظريه الرجل، وأنّه يثبت لله سبحانه ما هو من صفات الأجسام، وسيوافيك في آخر المقال أنّه جسّد عقيدته في نزوله سبحانه عن العرش، بنزوله درجه من درج المنبر إلى درجه أخرى، وقبل دراسه هذه النظرية ومناقشتها، نقدّم أموراً:

ص: ٣٠

- ١- . موافقه صحيح المنقول لصريح العقول (درء التعارض): ١/٣٣٣. نشر دار الكتب العلميه، بيروت - ١٤٠٥ هـ. ما نقله من المريسي وما ردّ به عليه فهو من مصاديق: ضعف الطالب والمطلوب، فليس معنى القيوم هو الذى لا يزول عن مكانه، بل معناه القائم بنفسه في مقابل الممكن القائم بغيره، وأما ما ردّ به فهو من الفضاحه بمكان ولا يحتاج إلى نقد وردّ!!
- ٢- . منهاج السنّه: ٢/٦٣٨، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.
- ٣- . الموافق: ١/٣٠٩.

الأول: تعريف الحركة

عرّفت الحركة بتعاريف مختلفه أصحّها وأسدّها هو أنّ الحركة: عبارة عن خروج الشيء من القوّه إلى الفعل على سبيل التدرّج.

والقوّه عبارة عن الاستعداد، ووجوده المستعدله يلانزم خروجه عن القوّه إلى الفعل، فهذا النوع من التعريف يشمل كلّ أنواع الحركة الجوهرية والعرضية، أمّا الأولى فإنّ نواه البرتقال تنطوي على قابليه خاصّه، وهى قابليه أن تكون شجره فى المستقبل، فإذا وقعت تحت التراب تحولت تلك القابليه إلى الفعلية وبالتدرّج تخرج من القوّه إلى الفعل.

هذا فى الحركة الجوهرية، أمّا الحركة العرضية فمنها الحركة فى الأين التى نسمّيها بالحركة الانتقاليه إلى مكان آخر، فهى أيضاً داخله فى التعريف، ففى الجسم قابليه لأن ينتقل من مكان إلى مكان، فإذا أخذ بالحركة فقد صحّ أن تتحول تلك القوّه والقابليه إلى الفعلية، سواء أكان ذلك بسبب عامل داخلى أو خارجى.

هذه هى الحركة وأقسامها.

الثانى: وجود الإمكان فى المتحرّك

إذا كانت الحركة هى الخروج من القوّه إلى الفعل، فلانزم ذلك إمكان وجود الشيء المترقّب فى المتحرّك. ومن المعلوم أنّ واجب الوجود برىء عن الإمكان فهو فعلية محضه لا- ينسجم مع الإمكان. كيف يمكن أن يقال: إنّ فى واجب الوجود، قوه ناقصه تتكامل بالخروج عنها إلى الفعلية، وهو كمال مطلق وغنى من عامه الجهات.

الثالث: ما هى الغايه من الحركة ؟

إنّ الحركة لا بدّ لها من غايه، فما هى الغايه فى حركة البارى ؟ فهل هى الحركة من النقص إلى الكمال أو من الكمال إلى النقص ؟ أو لا هذا ولا ذاك ؟

أما الأول فيلازم وجود النقص في الله سبحانه مع أنه الغنى المطلق والكمال التام .

وأما الثاني فهو يلازم خروج الواجب من الكمال المطلق إلى النقص (الكمال النسبي).

وأما الثالث فهو يلازم العبث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

هذه تحليلات فلسفيه تعرضنا لها في هذا المقام لمن له مقدره علميه على فهم هذه الأمور، وهناك أمر آخر هو:

الرابع: إنَّ السبب لذهاب ابن تيميه وأسلافه المجسِّمه إلى إثبات الحركة والنزول لله سبحانه هو ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريره عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «يُنزَّلُ ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له، مَنْ يسألنى فأعطيه، مَنْ يستغفرنى فأغفر له»^(١).

وعن هذا الحديث تثار تساؤلات، منها:

أولاً: أنَّ الله سبحانه هو الغفور الرحيم، وأنه أقرب إلينا من جبل الوريد، فأى حاجه إلى نزول الرب الجليل من عرشه إلى سماء الدنيا وندائه بقوله: مَنْ يدعوني فأستجيب له. وهو القائل عزَّ اسمه: (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٢).

والقائل أيضاً: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣).

والقائل أيضاً: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ

ص: ٣٢

١- . صحيح البخارى: ٨/٧١، باب الدعاء نصف الليل برقم ٦٣٢١؛ صحيح مسلم: ٢/١٧٥، باب الترغيب فى الدعاء.

٢- . المائدة: ٣٩.

٣- . المائدة: ٧٤.

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا (١)، إلى غير ذلك من الآيات التي تكشف عن سعه رحمته لعموم عباده.

كما أنه سبحانه وعد عباده بأنه يستجيب دعاء من دعاه ويقول: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٢)، إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على قرب المغفرة من المستغفرين، والإجابة من الله سبحانه للسائلين آناء الليل والنهار، فأى حاحه إلى نزول الرب الجليل من عرشه الكريم إلى السماء الدنيا وندائه بقوله: «من يدعوني فاستجب له»!؟

ثانياً: تعالى ربنا عن النزول والصعود والمجىء والذهاب والحركة والانتقال وسائر العوارض والحوادث التي تُفضى إلى الجسميه والتخيّر، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ومن هنا صار هذا الحديث وأشباهه، سبباً لذهاب الحشويه إلى التجسيم والسلفيه إلى التشبيه.

ثالثاً: أنّ لانزم ما ذكره أن يكون الله سبحانه مستمراً طوال النهار والليل في النزول والصعود وذلك لتعاقب الليل والنهار، فربما يكون نصف النهار في بلد هو نصف الليل في بلد آخر، أو أوّل النهار في بلد هو أوّل الليل في بلد آخر، وكلّ بلد له نصف ليل، فحينئذٍ يلزم أن يكون سبحانه طول الليل والنهار بين النزول والصعود، إذ معنى ذلك أنه يتحرك في عامه الليل وعامه النهار التي تكون ليلاً في بلد آخر وهو كما ترى.

رابعاً: أي فائده في هذا النداء الذي لا يسمعه أي ابن أنثى حتى يرغب في الدعاء!؟

ومن العجيب أنه نسبه إلى أئمه السلف، ولكنّ السلف والخلف بريئان من

ص: ٣٣

١- الزمر: ٥٣.

٢- غافر: ٦٠.

هذه النسبه؛ وذلك لأنهم يتلون كتاب الله ليل نهار وهو يقول: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١) وإذا أثبتوا لله الحركه والنزول والصعود، فقد جعلوا لله مثلاً وشبيهاً.

ومن يرجع إلى كلمات علماء الإسلام الواعين من السلف والخلف يجد أنهم متفقون على تنزيهه سبحانه من أوصاف الجسم والجسمانيات وأنهم أولوا الحديث المروى عن أبي هريره.

يقول الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ما هذا نصّه: استدللّ به من أثبت الجبهه وقال هى جبهه العلو، وأنكر ذلك الجمهور؛ لأنّ القول بذلك يُفضى إلى التحيز، تعالى الله عن ذلك. وقد اختلف فى معنى النزول على أقوال.... ثم قال:

وقد حكى أبو بكر بن فورك أنّ بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أى ينزل ملكاً، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأعرس عن أبي حويره وأبى سعيد بلفظ: «إنّ الله يمهل حتى يمضى شطر الليل ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع فيستجاب له..» ثم قال: وبهذا يرتفع الإشكال.

ثم نقل عن البيضاوى أنّه قال: ولما ثبت بالقواطع أنّه سبحانه منزّه عن الجسميه والتميز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه. (٢)

نعم ربّما يتمسك المجسمه بقوله سبحانه: (وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (٣).

ولكن الناظر فى آيات تلك السوره يقف على أنّه سبحانه يصوّر هول القيامه ورعبها ويقول قبل هذه الآيه: (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) (٤) ثم يقول بعدها

ص: ٣٤

١- . الشورى: ١١.

٢- . فتح البارى: ٣/٣٠.

٣- . الفجر: ٢٢.

٤- . الفجر: ٢١.

(وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أُنَى لَهُ الذُّكْرَى) (١). فَإِنَّ الْمُرَادَ مِنْ مَجِيءِ جَهَنَّمَ إِبْرَازَهَا لِلْعَصَاةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى) (٢) فَالْمُرَادُ مِنْ مَجِيئِهِ سَبْحَانَهُ هُوَ ظُهُور قُدْرَتِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ وَسَطْوَعِ شَوْكَتِهِ، وَكَثِيرًا مَا يُقَالُ: جَاءَ آلُ فُلَانٍ، وَيُرَادُ تَسْلُطُهُمْ وَسَيْطَرَّتْهُمْ عَلَى الْبِلَادِ.

وَفِي الْكَشَافِ: هُوَ تَمَثِيلٌ لظُهُور آيَاتِ اقْتِدَارِهِ وَتَبْيِينٌ آثَارِ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، مَثَلَتْ حَالَهُ فِي ذَلِكَ بِحَالِ الْمَلِكِ إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ ظَهَرَ بِحَضُورِهِ مِنْ آثَارِ الْهَيْبَةِ وَالسِّيَاسَةِ مَا لَا يَظْهَرُ بِحَضُورِ عَسَاكِرِهِ كُلِّهَا وَوُزَرَائِهِ وَخَوَاصِهِ عَنْ بَكْرِهِ أَبِيهِمْ (٣).

وَعَلَى مَا ذَكَرْنَا فَالْمُرَادُ بِمَجِيئِهِ تَعَالَى مَجِيءُ أَمْرِهِ قَالَ تَعَالَى: (وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) (٤)، وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْوَجْهَ بَعْضُ التَّأْيِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ) (٥) إِذَا انْضَمَّ إِلَى قَوْلِهِ: (هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ) (٦) وَعَلَيْهِ فَهَنَّاكَ مِضَافٌ مَحْذُوفٌ وَالتَّقْدِيرُ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ، أَوْ نَسَبَهُ الْمَجِيءُ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنَ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ (٧).

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ تَيْمِيَّةٍ وَمَنْ لَفَّ لَفَهُ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الَّذِينَ هُمْ أَعْدَالُ الْكِتَابِ وَقِرْنَائِهِ، حَتَّى يَعْرِفُوا مَكَانَهُ الْحَدِيثَ مِنَ الصَّحَّةِ وَالسَّقْمِ.

رَوَى يَعْقُوبُ بْنُ جَعْفَرِ الْجَعْفَرِيِّ عَنِ الْإِمَامِ مُوسَى الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ذَكَرَ عِنْدَهُ قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَنْزِلُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَنْزَلَ، إِنَّمَا مَنْظَرُهُ فِي الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ سَوَاءً، لَمْ

ص: ٣٥

١- . الفجر: ٢٣.

٢- . النازعات: ٣٦.

٣- . الكشاف: ٣/٣٣٧.

٤- . الانفطار: ١٩.

٥- . البقرة: ٢١٠.

٦- . النحل: ٣٣.

٧- . الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٨٤.

يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج بل يُحتاج إليه، وهو ذو الطول، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

أما قول الواصفين: إنه تبارك وتعالى ينزل فإتما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زياده، وكل متحرّك محتاج إلى من يحركه أو يتحرّك به، فظن بالله الظنون فهلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّوه بنقص أو زياده أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود، فإنّ الله جلّ عن صفه الواصفين و نعت الناعتين وتوهم المتوهمين، (وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَ تَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) (١). (٢)

وفي الختام: نقول إن الرجل صرّح بمذهبه وهو على منبر الشام، يقول الرّحاله ابن بطوطه: وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيميه كبير الشام يتكلم في فنون، إلما أنّ في عقله شيئاً. وكان أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التعظيم، ويعظّمهم على المنبر، وتكلم مرّه بأمر أنكره الفقهاء... ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر بإشخاصه إلى القاهره، وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر، وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي، وقال: «إنّ هذا الرجل قال كذا وكذا» وعدّد ما أنكر على ابن تيميه، وأحضر العقود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة.

قال قاضي القضاة لابن تيميه: ما تقول؟ قال: لا إله إلا الله، فأعاد عليه فأجاب عليه بمثل قوله: فأمر الملك الناصر بسجنه، فسجن أعواماً، وصنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه «البحر المحيط» في نحو أربعين مجلداً.

ثمّ إنّ أمّه تعرضت للملك الناصر، وشكت إليه فأمر بإطلاقه إلى أن وقع منه ذلك ثانيه، وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة، وهو يعظ الناس على منبر

ص: ٣٦

١- . الشعراء: ٢١٧-٢١٩.

٢- . التوحيد للصدوق: ١٨٣، كتاب التوحيد، باب نفى المكان والزمان والحركة عنه تعالى، الحديث ١٨.

الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: (إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كَنْزُولِي هَذَا) ونزل درجة من درجة المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء، وأنكر ما تكلم به، فقامت العائنه إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً. (١)

وربما يحاول بعض المتعصبين، أن ينفي حضور ابن بطوطة في ذلك العام في دمشق، لكنّه غفل عن أنّ النقل لا ينحصر به، بل نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في موسوعته الدرر الكامنه (٢)، وهذا يدلّ على أنّ الخبر كان منتشرًا يوم ذاك في البلد.

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (٣).

ص: ٣٧

-
- ١- . الرحله لابن بطوطة: ١١٢، طبعه دار الكتب العلميه.
 - ٢- . الدرر الكامنه لابن حجر العسقلاني: ١٥٤/١.
 - ٣- . النجم: ٣٠.

اتفق علماء الإسلام - عدا بعض المحدثين - على أنه سبحانه منزّه عن الجبهه والمكان، وقد برهنوا على ذلك ببراهين واضحه، نذكر بعضها:

١. أن الجبهه أو المكان لو كانا قديمين للزم تعدّد القدماء، ولو كانا حادثين ليلزم أن يكون سبحانه محلاً للحوادث، حيث لم يكن ذا مكان ولا ذا جهه ثم وصف بهما.

٢. أنّ الله سبحانه غنى بالذات، فكونه ذا جهه أو ذا مكان، يلازم حاجته إليهما، فينقلب الغنى فقيراً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٣. أنّ كلّ ما هو في جهه إمّا جسم أو جسماني، وكلّ منهما ممكن بل حادث، فكيف يوصف بهما سبحانه وتعالى؟

وهذه البراهين مبثوثة ومشروحه في الكتب الكلاميه والعقديه، ونحن في غنى عن أن نأتى بكلمات العلماء أو أن نشرحها.

هذه هي البراهين العقليه التي تفسّر لنا قوله سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١)، فلو كان في جهه أو مكان، يكون له ملايين الأمثال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإذا رجعنا إلى كلمات أئمه أهل البيت عليهم السلام - الذين ينزهون الباري أشدّ

التنزيه - نجد أنهم يصفونه بنفى الجبهه والمكان، وكلام الإمام على عليه السلام خير شاهد على ذلك، حيث قال عليه السلام في خطبه له: مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ : كَيْفَ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ : «أَيْنَ» فَقَدْ حَيَّرَهُ».(١)

وقال أيضاً: «لَا يَشْعَلُهُ شَأْنٌ ، وَلَا يُعَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ».(٢)

وقال في خطبه أخرى له: «ولا أن الأشياء تحويه، فتقله أو تهويه، أو أن شيئاً يحمله، فيميله أو يعدله! ليس في الأشياء بواجب، ولا عنها بخارج».(٣)

وروى الصدوق بإسناده عن سليمان بن مهران قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: هل يجوز أن نقول: إن الله في مكان؟ فقال: «سبحان الله وتعالى عن ذلك، إنه لو كان في مكان لكان محدثاً، لأن الكائن في مكان محتاج إلى المكان، والاحتياج من صفات المحدث لا من صفات القديم».(٤)

وروى أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركه ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً».(٥)

إلى غير ذلك من الكلمات الواردة في الجوامع الحديثيه المعتميره.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى عقيدته ابن تيميه من خلال ما ورد في كتبه.

١. قال في «منهاج السنه»: وجمهور السلف على أن الله فوق العالم، وأن

ص: ٣٩

١- . نهج البلاغه: الخطبه: ١٥٢.

٢- . نهج البلاغه: الخطبه ١٧٨.

٣- . نهج البلاغه، الخطبه ١٨٦.

٤- . توحيد الصدوق: ١٧٨، كتاب التوحيد، باب نفى المكان والزمان والحركه عنه تعالى، الحديث رقم ١١.

٥- . توحيد الصدوق، ١٨٤، كتاب التوحيد، باب نفى المكان والزمان والحركه عنه تعالى، الحديث رقم ٢٠.

أحدهم لا يلفظ بلفظ الجبهة، فهم يعتقدون بقلوبهم، ويقولون بألسنتهم: ربهم فوق. (١)

٢. وقال في «بيان تلبيس الجهميه»: والله تعالى قد أخبر عن فرعون أنه طلب أن يصعد ليطلع إلى إله موسى، فلو لم يكن موسى أخبر أن الله فوق لم يقصد ذلك، فإنه لو لم يكن مقرراً به فإذا لم يخبره موسى به لم يكن إثبات العلو لا منه ولا من موسى عليه السلام، ثم قال: فموسى صدق محمداً في أن ربه فوق، وفرعون كذب موسى في أن ربه فوق. فالمقرنون بذلك متبعون لموسى ولمحمد، والمكذبون بذلك موافقون لفرعون. (٢)

والعجب أنه يستدل بطلب فرعون من هامان لينى له صرحاً ليصعد عليه ويطلع إلى إله موسى، فهل يكون طلبه دليلاً على أن الله في السماء؟! ومن أين له أن موسى قد أخبر فرعون، بل أن طلبه مبنى على توهمه أن إله موسى جسم مادى فيما أنه ليس في الأرض فلا بد أن يكون في السماء، فطلب من وزيره أن يجعل له صرحاً ليطلع إلى إله موسى.

ولعمر القارئ أن هذا النوع من الاستدلال يكشف عن عجز المستدل حيث يتشبه بهذا النوع من التسويلات.

يقول المحقق الدواني في شرح العقائد العضديه: ولا بن تيميه أبى العباس أحمد وأصحابه ميل عظيم إلى إثبات الجبهة ومبالغه في القدح في نفيها، ورأيت في بعض تصانيفه: أنه لا فرق عند بديهيه العقل بين أن يقال: هو معدوم، أو يقال:

طلبتة في جميع الأمكنه فلم أجده، ونسب النافين إلى التضليل.

٣. وقال في «العقيدة الواسطيه»: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وآله وأجمع عليه سلف الأمم،

ص: ٤٠

١- . منهاج السنه النبويه: ١/٢٦٢.

٢- . بيان تلبيس الجهميه: ١/٥٢٦.

من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، على على خلقه، وهو معهم سبحانه أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْتَجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (١) وليس معنى قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) : أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجهه اللغه، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأئمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آيه من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته. (٢)

يلاحظ عليه: أن كلامه صريح في أن الله سبحانه واقع في جهه وهي فوق السماوات، مستقر على عرشه، مستعل على خلقه، فهو مهما أراد أن ينكر عقيدته بأن الله سبحانه في جهه، فلا يتسنى له ذلك.

ثم إنه لَمَّا لاحظ التعارض بين عقيدته - أعنى: أن الله سبحانه مستقر على عرشه، بائن عن خلقه - وقوله سبحانه: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) حاول أن يجمع بين الآيتين، بتفسير المعية بالمعية العلمية، حيث إنه سبحانه في العرش مع أنه مطلع على أعمال عباده.

أقول: وليس هذا إلّا تأويلاً للكتاب العزيز وتفسيراً بالرأى حيث إن عقيدته بأن الله فوق السماوات صارت سبباً لتفسير الآيه بما مرّ. إن ابن تيميه كثيراً ما يرد على الجهميه بتأويلهم آيات الصفات ولكنه وقع بنفس ما يردّ به عليهم.

هَبْ أَنَّهُ صَحَّ تَأْوِيلُهُ سُبْحَانَهُ: (وَهُوَ مَعَكُمْ) بِالْمَعِيَةِ، فِيمَاذَا يَفْسُرُ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ:

ص: ٤١

١- . الحديد: ٤.

٢- . مجموعه الرسائل الكبرى لابن تيميه: ١/٤٠٠-٤٠١؛ العقيدة الواسطية، الرسالة التاسعة، طبعه محمد علي صبيح.

(ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١)؟! فَإِنَّ الْآيَةَ صَرِيحَةٌ فِي حُضُورِهِ سُبْحَانَهُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ وَهُوَ رَابِعُهُمْ، وَبَيْنَ الْخَمْسَةِ وَهُوَ سَادِسُهُمْ، لَا أَنَّهُ مُسْتَقَرٌّ فِي عَرْشِهِ يَنْظُرُ إِلَى مَا دُونَهُ فَيَعْلَمُ بِمَا يَجْرِي بَيْنَ الْعِبَادِ.

ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ لَمَّا لَمْ يَتَوَقَّعْ لَتَفْسِيرِ الْمَعْنَى، تَصَوَّرَ أَنَّ الْقَوْلَ بِالْمَعْنَى يَسْتَلْزِمُ الْحُلُولَ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْحُلُولَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ كَفَرٍ بَوَاحٍ، لَا- يَتَكَلَّمُ بِهِ الْمُتَشَرِّعُ الْمُؤْمِنُ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِالْمَعْنَى، الْمَعْنَى الْقِيَوْمِيَّةُ فَهُوَ مَعَ كَوْنِهِ خَارِجاً عَنِ مَخْلُوقَاتِهِ لَكِنْ لَا بِنَحْوِ تَنْقَطْعِ صِلَتِهِ بِهِمْ، بَلْ هُوَ مَعَ كَوْنِهِ مَوْجُوداً بِنَفْسِهِ، لَكِنْ عَالَمُ الْإِمْكَانِ قَائِمٌ بِهِ قِيَامَ صَدُورِ لَا قِيَامِ حُلُولِ.

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَصَوِّرَ ذَلِكَ بِتَصْوِيرِ أَدْنَى فَلْنَذَكُرْ هَذَا الْمَثَالَ:

إِنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ مَعَ عُلُوقِهَا وَاسْتِقْلَالِهَا، لَكِنَّ الصُّورَ الْإِبْدَاعِيَّةَ الَّتِي تَخْلُقُهَا فِي عَالَمِهَا قَائِمَةٌ بِهَا، فَلَا الصُّورَ دَاخِلَهُ فِي النَّفْسِ، وَلَا النَّفْسَ مَنْقُطَعَةً عَنْهَا، بِشَهَادَةِ أَنَّ النَّفْسَ لَوْ ذَهَلَتْ عَنِ الصُّورِ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ، فَمَنْ قَالَ بِالْمَعْنَى - تَبَعاً لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ - إِنَّمَا يَرِيدُ الْمَعْنَى الْقِيَوْمِيَّةَ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرِ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايِلَةٍ». (٢)

ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ لَمَّا وَقَفَ عَلَى كَلَامِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَأْنِهِ سُبْحَانَهُ مَعَ الْمَخْلُوقَاتِ، حَاوَلَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يَذْكَرَ اسْمَهُ، يَقُولُ مُخَاطَباً خَصْمَهُ: فَأَنْتَ تَقُولُ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي الْعَالَمِ وَلَا خَارِجٌ عَنْهُ وَلَا مَبَايِنٌ لَهُ وَلَا مُحَايِثٌ (مُجَانِبٌ) لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَقْرُبُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَبْعُدُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ النَّفْسِ الَّتِي لَوْ عُرِضَ عَلَى الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ جُزِمَتْ جُزْماً قَاطِعاً أَنَّ هَذَا بَاطِلٌ

ص: ٤٢

١- . المجادلة: ٧.

٢- . نهج البلاغه، الخطبه ١.

وأن وجود مثل هذا ممتنع، وكان جزمها ببطلان هذا أقوى من جزمها ببطلان كونه فوق العالم وليس بجسم. (١)

ويقول في موضع آخر: وأما الأحكام الكليه فهي عقليه فحكم الفطره بأن كل موجودين إما متحايثان (متجانبان) وإما متباينان، وبأن ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه لا يكون إلامعدوماً. وأنه يمتنع وجود ما هو كذلك. (٢)

يلاحظ عليه أولاً: أن قوله: «بأن جزم الفطره ببطلان القول بأنه سبحانه ليس بداخل في العالم ولا خارج عنه، أقوى من جزمها ببطلان كونه فوق العالم وليس بجسم» يدل على أن كلا القولين عنده باطل، ولكن الأول أظهر بطلاناً من الثاني.

فأين قوله: بأن سلف الأئمه اتفقوا على أنه فوق العالم، وأنه ليس لنا أن نصفه بأنه ليس بجسم، إذ لم يرد في الكتاب والسنة؟!

وثانياً: أن قوله: «ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه لا يكون إلامعدوماً»، يدل على أنه يتصور أنه سبحانه جسم، إذ من المعلوم أن الجسم إذا لم يكن داخل العالم ولا خارجه يكون معدوماً.

وأما إذا قلنا: بأنه سبحانه فوق أن يكون جسماً أو جسمانياً، وأن سنخ وجوده أعلى وأنبل من أن يكون مادّه أو مادياً، جوهرًا أو عرضاً، أو ينال حقيقته العقل، فمثل هذا أعلى من أن يوصف بأنه في خارج العالم أو داخل العالم، إذ الخارج والداخل ظرف للأموال الجسميه، وما هو غير مماثل له فلا يوصف بالداخل ولا بالخارج.

ثم إن الرجل يصرح بأن جعفر بن محمد عليهما السلام من أئمه الدين، ويقول: قد استفاض عن جعفر الصادق أنه سئل عن القرآن أخالق هو أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنّه كلام الله، وهذا مما اقتدى به الإمام أحمد في المحنه،

ص: ٤٣

١- . منهاج السنه النبويه: ١٤٧/٢.

٢- . منهاج السنه النبويه: ١٤٩/٢.

فإن جعفر بن محمد من أئمة الدين باتفاق أهل السنه. (١)

فإذا كانت هذه مكانه الإمام الصادق عليه السلام فهو وآبائه الأقدمون بدأ من على عليه السلام إلى أن ينتهي بأبيه الباقر عليه السلام كلهم من أئمة الدين، فلماذا لم يرجع إلى شيء من أحاديثهم حول تنزيهه سبحانه عن المكان والجهه؟! فهذه خطب الإمام على عليه السلام وأحاديث العتره، وهى واضحه فى تنزيه الله سبحانه عن شوائب المادّه والمادّيات وعن الجهه والمكان.

قال الإمام على عليه السلام: «الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعمائه العادون، ولا يؤدى حقه المجتهدون، الذى لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذى ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود... - إلى أن قال عليه السلام: - فمن وصف الله سبحانه (بصفه زائده على ذاته) فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنه، وغير كلّ شيء لا بمزايله». (٢)

وقال الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان، ولا يحلّ فى مكان، ما يكون من نجوى ثلاثه إلهو رابعهم، ولا خمسه إلهو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلهو معهم أينما كانوا ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلهو الكبير المتعال». (٣)

ص: ٤٤

١- منهاج السنه النبويه: ٢٤٥/٢.

٢- نهج البلاغه، الخطبه ١.

٣- التوحيد للصدوق: ١٧٩، كتاب التوحيد، باب نفى المكان والزمان والحركه عنه تعالى، الحديث ١٢.

وفى النهايه أنّ الرجل متأثر بالأحاديث التى أدخلتها مستسلمه أهل الكتاب فى الأحاديث الإسلاميه وأنت تقرأ كثيراً منها فى توحيد ابن خزيمه وابن منده وغيرهما.

والجدير بالذكر، أنّ ابن تيميه كأنه يسلم بأن كثيراً من هذه الأحاديث يوافق التوراه، ولكن بما أنّ النبى صلى الله عليه وآله لم يردّه فيكون دليلاً عنده على صحه غير المردود، قال: إنّ المشركين من العرب لم تكن تنازع فيه كما كانت تنازع فى المعاد، مع أنّ التوراه مملوءه من ذلك ولم ينكره الرسول صلى الله عليه وآله على اليهود كما أنكر عليهم ما حرّفوه وما وصفوا به الرب من النقائص، كقولهم: (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) (١)و (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) (٢)، ونحو ذلك. (٣)

وفى موضع آخر: وقد علم أنّ التوراه مملوءه بإثبات الصفات التى تسميها النفاه تجسيماً، ومع ذلك فلم ينكر رسول الله ولا أصحابه على اليهود شيئاً من ذلك ولا قالوا: أنتم تجسمون. (٤)

وكفى فى ردّ ما يخبره الأخبار فى باب المعارف قوله سبحانه: (وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (٥) أى ما وصفوه حق وصفه وما عرفوه حق معرفته.

أقول: إنّ موقف القرآن من التوراه - فى أغلب الموارد - موقف النفى حيث يصرّح فى غير واحد من آياته بأنّها محرّفه وكذلك يصفها بأنّها أمنيّه، قال سبحانه:

(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (٦)

ص: ٤٥

١- . آل عمران: ١٨١

٢- . المائده: ٦٤.

٣- . منهاج السنه النبويه: ١٥٢/٢.

٤- . منهاج السنّه: ٢٥١/٢، الطبعه القديمه.

٥- . الزمر: ٦٧.

٦- . البقره: ٧٩.

فالآيه صريحه فى أنّ الأخبار كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، وأنهم يتكسبون بفعلهم هذا، وليس هذا الكتاب المزوّر إلّا التوراه المحرّفه، وكذلك ما يوصف بالكتب السماويه الوارده فى العهدين، وهذا المقدار كافٍ فى عدم جواز الاعتماد على ما ورد فى الكتب الموصوفه بالسماويه فى باب المعارف خصوصاً ما يرجع إلى صفات الله سبحانه من التجسيم والتشبيه والحركه والنزول، والتمكّن من المكان.

كيف نعتمد على كتاب وصف بكونه ممّا أنزل على موسى وهو يذكر مصارعه الرب مع يعقوب إلى نهايه الفجر فى خيمته؟! يقول: ثم قام فى تلك الليله وأخذ امرأته وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعبر مخاضه يبوق، أخذهم وأجازهم الوادى وأجاز ما كان له. فبقى يعقوب وحده، وصارعه إنساناً حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنّه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه. فانخلع حُقّ فخذه يعقوب فى مصارعه معه. وقال: أطلقنى لأنّه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركنى. فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يُدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل. (١)

هذه هى التوراه التى كتبها أيدي الأخبار، ليتكسبوا بها فى الدنيا وهى مليئه بنزول الرب وحركته وجسمانيته، وغير ذلك ممّا لا يليق أن يكتب ويسطر!!

وقد افتخر أحد المحاضرين فى قناه المستقله، بأن ابن تيميه حلّ مشكله تدور فى أذهان الإلهيين، وهى أنّهم يقولون: إنّ الله سبحانه لا- فى داخل العالم ولا- فى خارجه، وعندئذٍ يطرح هذا السؤال: إذا لم يكن لا فى داخل العالم ولا فى خارجه، فكيف يكون موجوداً؟ فقد حلّ ابن تيميه المشكله بقوله: إنّ الله على عرشه خارج هذا العالم. هذا ما تطرّق له المحاضر فى تلك القناه الفضائيه...

غير أنّه غفل عن أنّ السؤال عن مكان الله سبحانه وأنّه هل هو فى هذا العالم

ص: ٤٦

١- . الكتاب المقدس، الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين.

أو خارجه، يساوق تسليم كونه جسمًا متحيزًا، ومن المعلوم أنّ المتحيز لا يفارق الحيز، فلا بد أن يكون له مكان وهو إمّا داخل العالم أو خارجه، وهذا يكشف عن أنّهم لم يعرفوا الله حق قدره، وصوّروه موجوداً مادياً، فطلبوا مكاناً له. وزعموا أنّه إذا لم يكن داخل العالم فهو في خارج العالم وليس هو إلّا فوق السماوات.

ولكن الباري سبحانه بما أنّه ليس كمثله شيء ليس جسمًا ولا جسمانيًا، فلا معنى أن نطلب له مكاناً داخل العالم أو خارجه.

على أنّ خارج العالم إذا لم يكن أمراً مادياً فهو مساوق عند المحاضر للعدم، فيعود السؤال أيضاً: كيف يكون موجوداً في عالم معدوم؟

ثم أين كان سبحانه قبل أن يخلق هذا العالم؟ فإن قال: خارج هذا العالم، فيقال له: إنّ الخارج لا يتصور إلّا مع وجود الداخل، والمفروض أنّه لم يخلق الداخل حتى يتصور له خارج، ويكون فيه.

وحقيقه الكلام: أنّ البحث في أنّه سبحانه في داخل هذا العالم أو خارجه أو ليس فيهما، كلّ ذلك مبنى على تصويره سبحانه موجوداً مادياً، فيتطلب أنّه إمّا في داخل العالم أو خارجه لا في غيرهما.

وأما على القول بأنّ وجوده أرفع من أن يحيطه مكان أو يحده زمان، فهو قد خلقهما، فعندئذٍ يسقط السؤال عن مكانه في داخل العالم أو خارجه أو لا هذا ولا ذاك، بل هو موجود قويم قائم بنفسه والكون قائم به نظير قيام الصور العلميّه بالنفس، وعندئذٍ فهو في نفس العالم لكن لا بالحلول والممازجه وفي خارج هذا العالم لكن لا بالمباينه، فلا يمكن للإنسان الغور في كنه وجوده كما قال القائل:

فيك يا أعجوبه الكون غدا الفكر كليلاً

كلّما قدم فكري في ك شبراً فرّ ميلاً

وبذلك تقف على قيمه كلام ابن تيميه حيث يقول: ولم يقل أحد من سلف الأئمّه ولا من الصحابه والتابعين إنّ الله ليس في السماء، ولا إنّ الله ليس على العرش، ولا إنّ الله في كل مكان، ولا إنّ جميع الأمكنه بالنسبه إليه سواء، ولا إنّ الله داخل العالم ولا

خارجة، ولا متصل ولا منفصل، ولا إنَّه لا تجوز الإشارة الحسيَّة إليه بالأصابع ونحوها. (١)

أخبار الآحاد هي المصدر عنده للعقائد

إنَّ جذور فكره التجسيم والتشبيه التي استولت على فكر ابن تيميه ومقلَّديه في العصر الحاضر هي أنَّهم يعتمدون في الأصول والفروع على أخبار الآحاد، وقد انعقد مؤتمر قبل سنين في المدينة المنورة وكان موضوعه: دراسته حجَّيه أخبار الآحاد في الأصول والفروع، وقد قُدم إلى المؤتمر حوالي ثمانين مقالاً كلُّها تؤيد حجَّيه خبر الآحاد في الأصول، ولم يدر في خلد واحد منهم، أنَّ المقصود الأسنى في العقائد هو تحصيل اليقين، ومن المعلوم أنَّ أخبار الآحاد لا توجب علماً ولا يقيناً، نعم هي حجَّه في باب الفروع لأنَّ المقصود فيها هو تطبيق العمل على مضمون الخبر، سواء أفاد يقيناً أو ظناً أولاً وهذا ولا ذاك، وهو أمر ممكن.

إنَّ أخبار الآحاد التي يعتمد عليها هؤلاء في الأصول والمعارف أكثرها مدسوسة وموضوعه من قبل مستسلمه أهل الكتاب أو الوضاعين والكذابين الذين كانوا يتاجرون بوضع الأحاديث، وقد أدخلوها في الأحاديث الإسلاميه ونشروها بين المحدثين واغترَّ بها السدج منهم، فتصوَّروها حقائق راهنه، وحيكت الأسانيد بشكل لا يظهر تدخل الأخبار والرهبان في وضع هذه الأحاديث. ودونها أصحاب الصحاح والسنن وجمعها ابن خزيمة وابن منده في كتابيهما.

هؤلاء المجسِّمه الذين يصورون الله تعالى أنَّه في السماء ينظر إلى ما دونه من الخلائق يستدلُّون بحديث الجاربه، على ما رواه مسلم في صحيحه، التي سألتها رسول الله: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله...

ص: ٤٨

١- الرسالة الحمويه الكبرى في مجموعه الرسائل الكبرى : ص ٤٨٩، ٤١٩.

قال صلى الله عليه وآله [لسيدها]: «اعتقها فإنها مؤمنه». (١)

إن الاحتجاج بهذه الروايه مشكل من جهتين:

الأولى: أن السيره المستمره لرسول الله صلى الله عليه وآله في دعوته الناس للإسلام هو أخذ الاعتراف بالشهادتين، ولم يرد أنه سأل أحداً - غير هذه الجاربه - عن الله ومكانه وصفاته، فلماذا حُصّت هذه الجاربه التي كانت بعيده عن الإسلام، بهذا السؤال المشكل!؟

الثانيه: أن هذه الروايه رويت بشكل آخر أيضاً، فهذا هو مالك يرويها في الموطأ بالشكل التالي: أن رسول الله قال لها: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ فقالت:

نعم، قال: أتشهدين أنني رسول الله؟ قالت: نعم. (٢)

ورواها أحمد بالنحو التالي: قال: جاء رجل من الأنصار بأمه سوداء، فقال: يا رسول الله: أن علي رقبه مؤمنه، فإن كنت ترى هذه مؤمنه فاعتقها، فقال لها رسول الله: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم، قال: أتشهدين أنني رسول الله؟ قالت:

نعم، قال: تؤمنين بالبعث بعد الموت؟ قالت: نعم، قال: اعتقها. (٣)

وللعلماه كمال الدين أحمد البياضى الحنفى كلام حول هذه الروايه نذكر عصارته: وأنه مأوّل لمخالفته القواطع العقلية والنقلية، إذ لا- يتجاوز عن الظاهر إلّا لضروره، فإن حجج الله تعالى تتعاضد ولا تتضاد،... إلى أن قال: إنها كانت أعجميه لا تقدر أن تفصح عمّا فى ضميرها من اعتقاد التوحيد بالعبارة فتعرف بالإشاره أنّ معبودها إله السماء، فإنهم كانوا يسمّون الله إله السماء، كما دلّ السؤال والاكتفاء بتلك الإشاره. (٤)

وبهذا يسقط الاستدلال بظاهر حديث الجاربه على كونه سبحانه فى السماء.

ص: ٤٩

١- صحيح مسلم: ٧١/٢؛ سنن أبى داود: ٢١١/١، الحديث رقم ٩٣٠.

٢- الموطأ: ١٤٥/١، كتاب العتاقه والولاء، باب ما يجوز من العتق.

٣- مسند أحمد: ٤٥١/٣.

٤- إشارات المرام من عبارات الإمام: ١٩٩-٢٠٠.

والعجب أن ابن تيميه كلما يذكر شيئاً مما يدلّ على التجسيم والتشبيه والحركه والنزول ينسبه إلى السلف قاطبه، وكأنّ السلف عنده يتلخّص في مبتدعه السلفيين وأما الآخرون فكأنّهم ليسوا من الأُمَّه ولا من سلفهم، حتى أنه يرمى المفكرين من المسلمين - كما مام الحرمين والغزالي - في كتابيه منهاج السنه والموافقه بأنهما أشد كفرةً من اليهود والنصارى! فلو كان هؤلاء المفكرون أشد كفرةً من أهل الكتاب فعلى الإسلام السلام!!

بقى الكلام فيما يستند إليه المجسّمه وهو أنّ كل إنسان يتوجّه إلى السماء حين الدعاء ويرفع إليها يديه، وكأنّ الإنسان بالفطره قائل بأنّ الله في السماء.

ولكن الإجابة عن ذلك واضحه.

أما أولاً: فبما أنّ الخيرات والبركات تنزل من السماء كما في قوله: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (١)، فلاجل ذلك يتوجّه إلى السماء وترفع الأيدي إليها.

وثانياً: أنّ الإنسان بهذا العمل يجسّد علو مقامه سبحانه ورفعته.

ابن تيميه وجلوسه سبحانه على العرش

لا شك أنّ الجلوس والقعود من صفات الإنسان أو الموجود الحيّ، من غير فرق بين أن يكون الجلوس تربعاً، أو على ركبتيه، وهذا كالتحيز، من صفات المادّه والمادى، والموجود المنزّه عنهما لا يوصف بالجلوس.

ومع ذلك فإنّ جلوس الله ينسبه ابن تيميه إلى أهل السنّه حيث قال في تفسير قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (٢): الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقه، لا على المجاز. (٣)

ص: ٥٠

١- . الذاريات: ٢٢.

٢- . طه: ٥.

٣- . مجموع الفتاوى: ٥١٩/٥.

وقال فى كتابه بيان تلبس الجهميه: إن العرش فى اللغة السرير بالنسبه إلى ما فوقه، وكالسقف إلى ما تحته، فإذا كان القرآن قد جعل لله عرشاً، وليس هو بالنسبه إليه كالسقف، علم أنه بالنسبه إليه كالسرير بالنسبه إلى غيره، وذلك يقتضى أنه فوق العرش. (١)

ولا أدرى إذا كان الله سبحانه جالساً على السرير ينزل ويصعد، فما معنى قوله سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ، بل إنه عندئذ أصبح ذا أمثال كثيره وعديده.

وقد جمع ابن قيم الجوزي آراء أستاذه ابن تيميه فى قصيدته النونية، المليئه بالتجسيم، وأن الله بزعمه فوق سماواته، على عرشه، وأنه ينزل ويهبط ويصعد.

وإليك بعض أبيات قصيدته هذه التى أخذ فيها يستهزأ بعقيدته التنزيه:

فأسرّ قول معطل ومكذب فى قالب التنزيه للرحمن

إذ قال ليس بداخل فينا ولا هو خارج عن جملة الأكوان

بل قال ليس ببائن عنها ولا فيها ولا هو عينها بيان

كلا ولا فوق السماوات العلى والعرش من رب ولا رحمان

بل حظه من ربه حظ الثرى منه وحظ قواعد البيان

لو كان فوق العرش كان كهذه أجسام سبحان العظيم الشأن (٢)

ترى أنه كيف يستهزأ بعقائد المسلمين فى هذه الأبيات.

وقد فسّر المجسمه المقام المحمود فى قوله سبحانه: (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) (٣) بإقعاد النبى صلى الله عليه وآله على العرش فى جنبه.

وقد نسب ابن القيم لآبى الحسن الدارقطنى الأبيات التالیه:

حديث الشفاعة عن أحمد إلى أحمد المصطفى نسند

وجاء حديث بإقعاده على العرش أيضاً فلا نجحده

ص: ٥١

٢- . السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل: ٣٥.

٣- . الإسراء: ٧٩.

أمرُوا الحديث على وجهه ولا تدخلوا فيه ما يفسده

ولا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يقعهده(١)

فالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله - عندهم - يجلس جنب الله وهو فى عرشه.

وسيوافيك الكلام فيه فى المقال الخامس(٢)، فانتظر.

ص: ٥٢

١- . لاحظ بدائع الفوائد لابن القيم: ٣٩/٤.

٢- . لاحظ صفحه ٦٨ من هذا الجزء.

إشاره

اتفق المسلمون - تبعاً للكتاب والسنة - على كونه سبحانه متكلماً، واختلفوا في كَيْفِيَّتِهِ، ويعدّ وصف التكلم لله سبحانه من الصفات الخبرية حيث أخبر عنه سبحانه في الذكر الحكيم ولولاه لما صحّ لنا وصفه به لأنّ أسماءه وصفاته توقيفيه.

قال سبحانه: (وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (١) وقال: (وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ) (٢).

إنّما الكلام في تفسير حقيقته تكلمه سبحانه فهناك أقوال للمسلمين مع اتّفاقهم على تنزيهه سبحانه عن كونه متكلماً بحرف وصوت، قائمين بذاته كتكلم الإنسان بهما، وإليك النظريات المعروفة:

نظريه المعتزله

ذهبت المعتزله إلى أنّ كلامه تعالى أصوات وحروف ليست قائمه بذاته تعالى، بل يخلقها في غيره، وتكلمه في الحقيقه من صفات الفعل لا من صفات الذات نظير كونه رازقاً ومنعماً.

ص: ٥٣

١- النساء: ١٦٤.

٢- الشورى: ٥١.

قال القاضي عبد الجبار: حقيقه الكلام هي الحروف المنظومه والأصوات المقطعه، وهذا كما يكون سبحانه منعماً بنعمه توجد في غيره ورازقاً برزق يوجد في غيره، وهكذا يكون متكلماً بإيجاد الكلام في غيره، وليس من شرط الفاعل أن يحلّ عليه الفعل. (١)

هذه النظرية وإن كانت صحيحه لكنّها إنّما تتمّ إذا كان المخاطب شخصاً خاصاً كتكليمه موسى أو تكليمه أحداً من الأنبياء بالطرق الثلاثه حيث قال:

١. (إِلَّا وَحِيًّا).

٢. (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ).

٣. (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا).

وأما إذا كان المخاطب عموم الناس من الأولين والآخرين، فلا بدّ أن يفسيّر بوجه آخر وهو أنّ كلامه هو الفعل المنبئ عن جماله، المظهر لكماله، كما سيوافيك.

نظريه الأشاعره

ذهبت الأشاعره إلى أنّ التكلم من الصفات الذاتيه كالعلم والقدرة، هذا من جانب ومن جانب آخر صاروا بصدد تنزيهه سبحانه عن قيام الأصوات والحروف بذاته، فاختروا هنا مذهباً باسم الكلام النفسى وقالوا: إنّه غير العلم والإرادة. وصار أبو الحسن الأشعري إلى أنّ حقيقه الكلام معنى قائم بذات المتكلم وإنّما هو القول لذى يجده العاقل فى نفسه ويجيله فى خلدّه، وفى تسميه الحروف التى فى اللسان كلاماً حقيقياً تردّد، أهو على سبيل الحقيقه أم على سبيل المجاز؟ وإن كان على طريق الحقيقه فإطلاق الكلام عليه وعلى النطق النفسى بالاشتراك اللفظى. (٢)

ترى أنّ الأشعري يرى أنّ واقع الكلام ليس قائماً بالحروف والأصوات وأنّ

ص: ٥٤

١- شرح الأصول الخمسه للقاضي عبد الجبار: ٥٢٨، و شرح المواقف للسيد الشريف: ٤٩٥.

٢- الشهرستاني، نهايه الاقدام فى علم الكلام، ص ٣٢٠، طبعه اكسفورد، ١٩٣٤.

حقيقته هي المعانى التى يردّها الإنسان فى خلده ويجيله وبهذا المعنى فسّر كلامه سبحانه وأسماء بالكلام النفسى.

ولسنا فى صدد نقد عقيدة الأشعرى فى المقام، لكن نشير إلى نكته بأنّ ما ذكره من قيام المعانى والمفاهيم بذاته - على فرض تسليمه - يوجب رجوع وصف التكلّم إلى العلم، إذ ليس للعلم الحصولى حقيقته وراء قيام المفاهيم المتصوّره بالذات، فلا يكون وصفاً لغير ذلك.

على أنّ قيام المفاهيم المجرّده بذاته سبحانه لا يخلو عن إشكال واضح مبين فى محلّه.

وإنّما ذكرنا المذهبين (المعتزله والأشاعره) لأجل الإشاره إلى أنّ المسلمين قاطبه - وإن اختلفوا فى حقيقه التكلّم - ولكن اتفقوا على تنزيهه سبحانه بقيام الحروف والأصوات بذاته. أمّا المعتزله فذهبوا إلى إيجاد سبحانه الحروف والأصوات فى الشجر وغيره، وأمّا الأشاعره فلم يعيروا لهما قيمه، وإنّما ركّزوا على الكلام النفسى الباطنى القائم بالذات.

نظريه الإماميه

إنّ مشاهير الإماميه قسّموا كلامه إلى قسمين:

١. ما إذا كان المخاطب فرداً معيّناً فتكلّمه سبحانه هو ما أشار إليه فى سوره الشورى بأنّه سبحانه: إمّا يوحى إليه أو يكلمه من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فقد أشار بقوله: (إِلَّا وَحْيًا) إلى الكلام الملقى فى روع الأنبياء بسرعه وخفاء من دون توسط ملك، وأشار بقوله: (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) إلى الكلام المسموع لموسى فى البقعه المباركه من الشجره. قال سبحانه: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ

أَلْعَالَمِينَ) (١). وأشار بقوله: (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) إلى الإلقاء الذي يتوسط فيه ملك الوحي.

وأما إذا كان المخاطب عامه الناس في عامه الأجيال والأعصار فيفسر كلامه بصورة أخرى يسمعه كل الناس سماعاً عقلياً وسمعاً يضيف على الإنسان التعرّف على كمال الله سبحانه، وهذا ما سنشرحه تالياً.

لا شك أنّ الكلام في أنظار عامه الناس هو الحروف والأصوات الصادره من المتكلم القائم به وهو يحصل من تموج الهواء واهتزازه بحيث إذا زالت الأمواج زال الكلام معه، ولكن الإنسان يتوسّع في إطلاقه، فيطلقه على كل فعل من أفعال المتكلم إذا أفاد نفس الأثر الذي كان يفيدته الكلام اللفظي.

فالكلام وإن وضع يوم وضع للأصوات والحروف المتتابعه الكاشفه عمّا يقوم في ضمير المتكلم من المعاني إلّا أنّه لو وجد هناك شيء يفيد ما تفيدته الأصوات والحروف المتتابعه بنحو أعلى وأتمّ، لصحّت تسميته كلاماً أو كلمه وهذا الشيء الذي يمكن أن يقوم مقام الكلام اللفظي هو فعل الفاعل الذي يليق أن يسمّى بالكلام الفعلي، ففعل كل فاعل يكشف عن مدى ما يكتنفه الفاعل من العلم والقدرة والعظمه والكمال، غير أنّ دلالة الألفاظ على السرائر والضمائر وضعيه، ودلاله الأفعال والآثار على ما عليه الفاعل من العظمه تكوينيه.

ويمكن أن يستدلّ على هذا القسم من الكلام ببعض الآيات. يقول سبحانه:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) (٢). ترى أنّه سبحانه يصف المسيح بكونه كلمته، لأنّ تولده بلا لقاح يعرب عن قدره خالقه، وهكذا كلّ ما في الكون من الذره إلى المجرّه، فالجميع كلامه ولسانه في مقام الفعل يتكلّم بلسان

ص: ٥٦

١- القصص: ٣٠.

٢- النساء: ١٧١.

الحال، ويدل على عظمه الخالق وسعه علمه واحاطه قدرته بكل شيء.

يقول الإمام على عليه السلام: «يقول لما أراد كونه: كن، فيكون، لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع. إنّما كلامه سبحانه فعل منه، أنشأ ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً».(١)

وقد نسب إليه هذان البيتان:

أترعم أتك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر

فكلّ ما في صحيفه الكون من الموجودات الإمكانية كلماته، وتخبر عمّا في المبدأ من كمال وجمال وعلم وقدره.

نظريه ابن تيميه

هذه نظره عابره إلى آراء المسلمين في وصف كونه سبحانه متكلماً وقد عرفت اتّفاقهم على تنزيهه من وصفه بالتكلم، بمعنى قيام الحروف والأصوات بذاته، وحان حين البحث عن عقيدته ابن تيميه وسلفه.

وحاصل كلامه: أنّه سبحانه لم يزل متكلماً وأنّ نوع التكلم قديم، ولكن مصاديقه حادثه نظير ما يقول الحكماء في العالم في بعض الأنواع بأنّ النوع قديم والمصاديق غير قديمه. وعلى كلّ تقدير فالحروف والأصوات قائمه بذاته ولا تفارق العلم والإرادة والكرامه، فالجميع من صفات الذات، وإليك نصوص كلامه من كتبه.

١. قال في «منهاج السنه»: وسابعها: قول من يقول: إنّهُ لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يقوم به وهو متكلم بصوت يسمع، وإنّ نوع الكلام قديم وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديماً. وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنّه، وبالجملة

ص: ٥٧

أهل السنه والجماعه أهل الحديث.(١)

٢. وقال فى «الموافقه»: وإذا قال السلف والأئمه إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء فقد أثبتوا أنه لم يتجدد له كونه متكلماً، بل نفس تكلمه بمشيئته قديم، وإن كان يتكلم شيئاً بعد شيء، فتعاقب الكلام لا يقتضى حدوث نوعه، إلا إذا وجب تناهى المقدورات والمرادات.(٢)

٣. وقال: فحينئذٍ فيكون الحق هو القول الآخر وهو أنه لم يزل متكلماً بحروف متعاقبه لا مجتمعه.(٣)

وقال أيضاً: وقد يقول هؤلاء إنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء، ولم يزل متكلماً بمعنى أنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء.(٤)

وقال أيضاً: وفى الصحيح إذا تكلم الله بالوحى، سمع أهل السماوات كجرّ السلسله على الصفوان، فقلوه: «إذا تكلم الله بالوحى سمع» يدل على أنه يتكلم به حين يسمعون. وذلك ينفى كونه أزلياً، وأيضاً فما يكون كجرّ السلسله على الصفا يكون شيئاً بعد شيء، والمسبوق بغيره لا يكون أزلياً.(٥)

وقال أيضاً: وجمهور المسلمين يقولون إن القرآن العربى كلام الله وقد تكلم الله به بحرف وصوت، فقالوا: إن الحروف والأصوات قديمه الأعيان، أو الحروف بلا- أصوات، وأن الباء والسين والميم مع تعاقبها فى ذاتها فهى أزلية الأعيان لم تزل ولا تزال، كما بسطت الكلام على أقوال الناس فى القرآن فى موضع آخر.(٦)

حصيله كلامه عبارته عن الأمور التاليه:

ص: ٥٨

- ١- . منهاج السنه: ٣٦٢/٢.
- ٢- . موافقه صحيح المنقول لصريح المعقول: ٢٧٨/٢، دارالكتب العلميه، بيروت - ١٤١٧ هـ.
- ٣- . نفس المصدر: ١٢٧/٤.
- ٤- . مجموع الفتاوى: ١٥٠/٦، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى، مكتبه ابن تيميه، الطبعة الثانيه.
- ٥- . مجموع الفتاوى: ٢٣٤/٦.
- ٦- . مجموع الفتاوى: ٥٥٦/٥-٥٥٧.

١. إنَّ تكلمه سبحانه من صفات ذاته كالعلم والقدرة، فيجب أن يكون قائماً بذاته لا قائماً بفعله وليس كالرزق والنعمة، حتى يقوم بفعله، فإذا أنعم يصير منعماً وإذا رزق يصير رازقاً، بل تكلمه ككونه عالماً وقادراً.

٢. إذا كان تكلمه قائماً بالذات وداخلاً فيها، يجب أن يكون قديماً كقدم علمه وقدرته ولا يكون حادثاً.

٣. وبما أنَّ التكلم سنخ وجوده التدرج، وحقيقته قائمه به أيضاً، فلا بدَّ أن يكون نوع التكلم قديماً وافراده حادثاً، نظير قول الحكماء من الأغارقة أنَّ النفس الإنسانية قديم بالنوع وإن كانت مصاديقه حادثه.

٤. إنَّ ما ذكره عقيدة جمهور المسلمين، وكأنَّ المسلمين عنده هم جماعه أهل الحديث فقط.

يلاحظ على ما ذكره أولاً: بأنه إذا كان التكلم الذى واقع وجوده الحدوث والتجدد، قائماً بالذات ونابعاً عنها، فلازم ذلك، حدوث الذات، لأنَّ حدوث الجزء يلازم حدوث الكل، إلماً أن يرجع التكلّم إلى صفة الفعل، كما عليه العدليه من المعتزله والشيعة.

وثانياً: إنَّ القول بأنَّ نوع التكلم قديم ومصاديقه حادثه يستلزم قدم الكلام فيكون الهاً ثانياً كما فى كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما مرّ. إلماً أن يكون التكلم جزء الذات فيكون قديماً بقدمها.

وثالثاً: كيف ينسب مختاره إلى جمهور المسلمين، مع أنَّ جمهور المسلمين هم الأشاعره والماتريديه والإماميه والمعتزله، والجميع يتبرأون من تلك النسبه.

بل هم بُرآء منها براءه يوسف ممّا اتهم به. وهذا هو الإمام الاسفرائينى شيخ الأشاعره فى عصره يقول: إننا نعلم أنَّ كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، لأنَّ الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدّم والتأخر، وذلك مستحيل على القادر

ورابعاً: لو كان تكلمه سبحانه مع كل فرد من المكلفين بالحروف والأصوات، فلا- يكون أسرع الحاسبين بل أبطأهم مع أنه سبحانه يقول: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) . (٢)

وخامساً: إن ما زعمه في كيفية تكلمه سبحانه يتفق تماماً مع ما ورد في التوراه في قصه آدم وحواء عند أكلهما من الشجره، فقد جاء فيها ما هذا نصه:

«ورأت المرأة أن الشجره طيبه للأكل ومتعه للعيون وأن الشجره شهيه للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأتت أيضاً زوجها الذى معها، فأكل فانفتحت أعينهما فعرفا أنهما عريانان، فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر، فسمعا وقع خطى الرب الإله، وهو يتمشى في الجنه عند نسيم النهار، فاختماً الإنسان وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين أشجار الجنه، فنادى الرب الإله الإنسان وقال له: أين أنت؟ قال: إني سمعت وقع خطاك في الجنه، فخفت لأنى عريان فاختمت. قال:

فمن أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجره التى أمرتك أن لا- تأكل منها؟ فقال الإنسان: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتني من الشجره فأكلت...» (٣)

وبذلك تقف على قيمه كلام الشهرستاني فى الملل والنحل حيث يقول:

«زادت المشبهه فى الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوا إلى النبى - عليه الصلاه والسلام - وأكثرها مقتبس من اليهود فإن التشبيه فيهم طباع حتى قالوا:

اشتكت عيناه فعادته الملائكه، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه... وزادوا على التشبيه قولهم فى القرآن: إن الحروف والأصوات والرقوم المكتوبه قديمه أزليه، وقالوا: لا يعقل كلام ليس بحروف ولا كلم. (٤)

ص: ٦٠

١- . التبصير فى الدين: ١٦٧، تحقيق كمال يوسف الحوت، طبعه عالم الكتب، بيروت.

٢- . الأنعام: ٦٢.

٣- . التوراه، سفر التكوين، الفصل الثالث، الفقرات رقم ٦-١٣.

٤- . الملل والنحل للشهرستاني: ١٠٦/١، نشر دار المعرفه، بيروت.

استدلّ ابن تيميه على أنّ تكلمه سبحانه بحرف وصوت بروايه جابر بن عبد الله التي أشار إليها البخاري في كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم إشاره إجماليه وقال: «ورحل جابر بن عبد الله مسيره شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد». (١)

وأما ما هو هذا الحديث فقد نقله في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) فقال: ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي يقول: يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعيد كما يسمعه من قريب: أنا الملك أنا الديان. (٢) ترى أنه ينقله بتمريض حيث يقول: «ويذكر عن جابر» الظاهر في عدم جزمه بالصحة. نعم نقله في «الأدب المفرد» بلا لفظ: (ويذكر)، قال:

عن ابن عقيل أنّ جابر بن عبد الله حدّثه أنّه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي فابتعت بعيراً فشددت إليه رحلي شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثت إليه أنّ جابراً بالباب فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم فخرج فاعتقني، قلت: حديث بلغني لم أسمع، خشيت أن أموت أو تموت. قال: سمعت النبي يقول: يحشر الله العباد أو الناس عراه غرلاً -بُهماً، قلنا: ما بُهماً؟ قال: ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بعيد (أحسبه قال: كما يسمعه من قريب): أنا الملك. (٣)

ص: ٦١

١- . صحيح البخاري: ج ١، رقم ١٩، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم.

٢- . صحيح البخاري برقم ٧٤٨٠.

٣- . الأدب المفرد: ٣٢٦، الباب ٤٤٢ باب المعانقه برقم ٩٧٣.

يلاحظ على الاستدلال أولاً: أنه لا شك أن صحيح البخارى أصح من كتاب «الأدب المفرد» وقد نقله فيه بصيغته التمريض، وهذا يدل على عدم جزمه فلا يعادل ما فى «الصحيح» ما نقله فى «الأدب المفرد».

وثانياً: أن الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب التوحيد، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى: يقول الله يا آدم ويقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. (١) فقوله: «فينادى» يقرأ على وجهين: بصيغته المعلوم فيكون المنادى هو الله ويصير كالشاهد على مذهب ابن تيميه، وبصيغته المجهول: «فينادى بصوت» فيكون نائب فاعله هو آدم، ومع هذا الاحتمال لا يمكن أن يستدل بمثل هذا الحديث على عقيدته يطلب فيها العلم.

ثالثاً: أن البخارى أخرجه فى كتاب أحاديث الأنبياء عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى باللفظ التالى: يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك، فيقول: أخرج بعث النار.... (٢)

فقد ورد فيه: يقول الله تعالى مكان «فينادى بصوت» فصار الحديث مردداً بين التعبيرين ولا دلالة فى التعبير الثانى على مراده إذ هو نظير قوله سبحانه: (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) (٣)

فتلخص مما ذكرنا أن الحديث لا يمكن الاحتجاج به من جهات:

أولاً: رواه البخارى فى كتاب التوحيد عن جابر عن عبد الله بن أنيس بصيغته التمريض.

وثانياً: رواه البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد عن أبى سعيد الخدرى بلفظ:

فينادى، الذى يُحتمل فيه وجهان: صيغته المعلوم وصيغته المجهول.

ص: ٦٢

١- . صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) برقم ٧٤٨٣.

٢- . صحيح البخارى، كتاب حديث الأنبياء، برقم ٣٣٤٨.

٣- . المائدة: ١١٩.

قال ابن حجر: «فِينَادَى» مضبوطاً للأ- كثر بكسر الدال، وفي روايه أبى ذر بفتحها على البناء للمجهول، ولا- محذور فى روايه الجمهور فَإِنَّ قرينه قوله: «إِنَّ الله يَأْمُرُكَ» تدل على أَنَّ المنادى ملك يأمره الله بأن ينادى بذلك. (١)

وثالثاً: رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى - أيضاً - فى كتاب حديث الأنبياء بلفظ: يقول الله تعالى، دون لفظ: ينادى بصوت. ومع هذا الاضطراب هل يصح لعالم أن يستدل بمثله على أصل من أصول الدين.

ورابعاً: أَنَّ معنى قوله: فينادى بصوت: أنه يوجد النداء يوم القيامة ويسمعه من قرب ومن بعد لا- أنه يتكلم بذاته بالحروف والأصوات ومثل هذا الاستعمال كثير فلا فرق بين أن يقول «نادى» أو يقول «قال»، فالجميع من صفات الفعل.

وخامساً: إذا دلّ العقل الحصيف الذى عرفنا به الله سبحانه وتعالى على امتناع قيام الحوادث بذاته لا يعتد بخبر الواحد وان بلغ من الصحه ما بلغ إذا كان على خلاف ما يحكم به العقل الحصيف الذى هو من حجج الله سبحانه.

وللمحقق الكوثرى فى نقد هذا كلام نذكره بنصه:

قال: وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسى شيخ المنذرى فى رساله خاصّه فى تبين بطلان الروايات فى ذلك زياده على ما يوجهه الدليل العقلى القاضى بتزيه الله عن حلول الحوادث فيه سبحانه، وإن أجاز ذلك الشيخ الحرّانى (ابن تيميه) تبعاً لابن ملكا اليهودى الفيلسوف المتمسلم، حتى اجترأ على أن يزعم أن اللفظ حادث شخصاً قديم نوعاً يعنى أن اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثاً حتماً، لكن ما من لفظ إلا وقبله لفظ صادر منه إلى ما لا أول له فيكون قديماً بالنوع... إلى أن قال: ولم يدر المسكين بطلان القول بحلول الحوادث فى الله جلّ شأنه وأنّ القول بحوادث لا أول لها هذيان، لأنّ الحركه انتقال من حاله إلى حاله فهى تقتضى بحسب ماهيتها كونها مسبوقه بالغير، والأزل ينافى كونه مسبوqاً

ص: ٦٣

بالغير، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالاً. (١)

استدلال بحديث آخر

روى البخارى قال: وقال مسروق عن ابن مسعود: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئاً. (٢)

فنقله ابو داود بلفظ آخر وقال: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجّر السلسله على الصفا. (٣)

وقد زعم المستدل أنّ الصوت لله سبحانه، ولكن ظاهر الحديث الذى نقله أبو داود أنّ الصوت للسماء حيث إنّ المسموع لأهل السماء هو قوله: «للسماء صلصلة».

أضف إلى ذلك أنّ الاستدلال بحديث أعرض عن ذيله البخارى فى صحيحه وتفرد بنقله أبو داود أمر مرفوض جداً، فإنّ معرفه العقائد لا تخضع لخبر واحد.

إنّ الله تعالى مستغن عن أن يستعين فى كلامه بالحروف والأصوات وإلا يكون فقيراً كالإنسان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ولذلك اشتهر بين المحققين أنّ من وصف الله تعالى بمعنى من معانى البشر فقد كفر.

وفى نهايه المقال نذكر ما ذكره الخطيب البغدادي حيث قال: يُرد الحديث الصحيح الإسناد لأمر:

أن يخالف القرآن، أو السنه المتواتره، أو العقل، لأنّ الشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول. (٤)

ص: ٦٤

١- مقالات الكوثري: ١٢٤، طبعه عام ١٤١٤ هـ، المكتبه الأزهرية للتراث.

٢- صحيح البخارى، باب قول الله تعالى: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ) برقم: ٧٤٨٠.

٣- سنن أبي داود: ٤٢١/٢، كتاب السنه، باب فى الشفاعه، الحديث رقم ٤٧٣٨، دار الفكر - ١٤١٠ هـ.

٤- الفقيه والمتفقه: ١٣٢/١.

ومن المعلوم أنّ هذه الأحاديث على خلاف العقل الحصيف ومن أوضح مصاديق تشبيه الخالق بالمخلوق، غير أنّ اغترار بعض الحنابلة - و على رأسهم ابن تيميه - بالتعبد بالأحاديث جرّهم إلى تلك المغبّه، وإلّا فالموحد الذي يعتمد على النصوص القرآنيه أوّلاً والنبويه ثانياً وحكم العقل الحصيف ثالثاً لا يحوم حول هذه الأحاديث ولا يقيم لها قيمه.

ذاته سبحانه ليست محلّاً للحوادث

إنّ نظريه ابن تيميه في تكلمه سبحانه، وقوله: إنّ الصوت والحروف قائمان بذاته، تستلزم أنّ ذاته تكون محلّاً للحوادث، ولم يقل به أحد من أئمه السلف إلّا الكراميه، وقد استدللّ المحقّقون على امتناع كون ذاته محلّاً للحوادث بوجه نأتى بها إجمالاً:

١. إنّ حدوث الحوادث في ذاته يدلّ على انفعاله، والانفعال من شؤون الممكن لا الواجب، كما هو واضح.

٢. إنّ المقتضى للحدث إن كان ذاته كان أزلياً وهو خلاف الفرض، وإن كان غيره، كان الواجب مفتقراً إلى الغير.

٣. إن كان الحادث صفة كمال استحاله خلو الذات عنها، وإن كان صفة نقص استحاله اتّصاف الذات بها. (١)

وقد أوضح سيف الدين الآمدى الوجه الثالث في كتابه «غايه المرام» وقال ما هذا نصّه: فالرأى الحق والسبيل الصدق والأقرب إلى التحقيق أن يقال: لو جاز قيام الحوادث به لم يخل عند اتّصافه بها إمّا أن توجب له نقصاً، أو كمالاً، أو لا نقص ولا كمال.

ص: ٦٥

لا جائز أن يقال بكونها غير موجبه للكمال ولا النقصان، فإنَّ وجود الشيء بالنسبه إلى نفسه أشرف له من عدمه، إلى أن قال:

ولا- جائز أن يقال: إنَّها موجبه لكمالها، وإلَّا لوجب قدمها لضروره أن لا يكون البارئ ناقصاً محتاجاً إلى ناحيه كمال في حال عدمها.

فبقي أن يكون اتصافه بها ممتماً يوجب القول بنقصه بالنسبه إلى حاله قبل أن يتَّصف بها، وبالنسبه إلى ما لم يتَّصف بها من الموجودات، ومحال أن يكون الخالق مشروفاً أو ناقصاً بالنسبه إلى المخلوق، ولا من جهه ما. (١)

وقال الاسفرائيني: إنَّ الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته؛ لأنَّ ما كان محللاً للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل منها كان محدثاً مثلها؛ ولهذا قال الخليل عليه السلام: (لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ) (٢) بين به أن من حلَّ به من المعاني ما يغيره من حال إلى حال كان محدثاً لا يصح أن يكون إلهاً. (٣)

وبذلك ظهر أن ابن تيميه قد أحيا منهج الكراميه لا منهج السلف الصالح ولا من تبعهم بإحسان، والله هو الهادي.

ص: ٦٦

١- . غايه المرام في علم الكلام: ١٩١-١٩٢.

٢- . الأنعام: ٧٦.

٣- . التبصير في الدين: ١٦٠-١٦١.

إن القول بتجسيم الله سبحانه وحركته ونزوله وتكلمه بصوت، الذي تبناه ابن تيمية وإن كان قولاً غريباً بعيداً عن الكتاب والسنة ودلائل العقل، إلا أن للرجل عقائد أخرى أغرب من ذلك، نذكر منها نماذج ثلاثة:

١. استقرار الله على العرش وإمكان استقراره على ظهر بعوضه.

٢. إقعاد النبي صلى الله عليه وآله جنبه سبحانه في العرش.

٣. فناء النار والعذاب، عن أهل النار.

أمّا الأول: فيقول: ولو شاء لاستقرّ على ظهر بعوضه، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السماوات والأرض، فكيف تنكر أيها النفاج أن عرشه يقله. (١)

إن ابن تيمية قد اعتقد أن الله عز وجل جسم وأن له استقراراً وأنه مع عظمته وكبره يستطيع أن يستقر على ظهر بعوضه، أفصح في عصرنا هذا الذي غلب على أهله التعقل أكثر من التعبد، الدعوه إلى الاعتقاد برب يستطيع أن تحمله بعوضه، وهو في نفس الوقت أكبر من العرش، وهذا العرش أكبر من السماوات والأرض؟! فوالله إن نشر هذه الأفكار السخيفه في هذه الأيام يورث ابتعاد الناس عن الدين، والعزوف إلى الماديّه.

وأما الثاني: - أعنى: إقعاد الله النبي جنبه على العرش - فقد قال الحافظ أبو

ص: ٦٧

وقرأت في كتاب لأحمد بن تيميه - هذا الذي عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش -: إن الله تعالى يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكاناً يقعد فيه معه رسول الله صلى الله عليه وآله. (١)

إن النسخة المطبوعه من التفسير خاليه من هذا المطلب (٢)، قال الزاهد الكوثري في تعليقه على (السيف الصقيل): وقد أخبرني مصحح طبعه في مطبوعه السعاده أنه استفظعها جداً، فحذفها عند الطبع، لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجاني أن أسجل ذلك هنا استدراكاً لما كان منه ونصيحه للمسلمين. (٣)

وقد مرّ في الفصل الثالث ما نسبته ابن القيم إلى أبي الحسن الدارقطني من الأبيات التي تضمنت هذه الأسطوره.

وأما الثالث: - أعنى قوله بقاء النار - فقد قال ما نصّه:

وفي المسند للطبراني ذكر فيه أنه ينبت فيها الجرجير، وحينئذ فيحتج على فنائها بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابه، مع أن القائلين ببقائها ليس معهم كتاب ولا سنّه ولا أقوال الصحابه. (٤)

وقد نسب القول بقاء النار إلى السلف أيضاً، ونقل هذا عن عمر وابن مسعود وأبي هريره وأبي سعيد وغيرهم.

وفيما ادّعه رد لصريح القرآن والسنة، فقد قال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ

ص: ٤٨

١- تفسير النهر الماد: ٢٥٤/١، تفسير آيه الكرسي.

٢- وقد نقل هذه فقره تقى الدين أبو بكر الحصني الدمشقي (المتوفى ٨٢٩هـ) عن أبي حيان النحوي الأندلسي في تفسيره المسمى بالنهر الماد، في كتابه: «دفع شبه من شبه وتمرد»: ٤٧/١-٤٨، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

٣- السيف الصقيل ردّ ابن زفيل للسبكي: ٩٧، طبعه مكتبه زهران؛ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي: ١٢٣، تحقيق حسن السقاف، طبعه الأردن، ١٤١٢هـ؛ كشف الظنون لحاجي خليفة: ١٤٣٨/٢.

٤- الردّ على من قال بقاء الجنة والنار: ٦٧.

وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَاءَ وَلَا نَصِيرًا. (١).

وقد رد عليه الكثير من علماء الإسلام، فهذا المناوى يقول: إِنَّ الْجَنَّةَ أَبَدِيَّةٌ لَا تَفْنَى وَالنَّارَ مِثْلَهَا، وَزَعَمَ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ أَنَّهَا فَانِيَتَانِ لِأَنَّهُمَا حَادِثَتَانِ، وَلَمْ يَتَابِعْهُ أَحَدٌ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ بَلْ كَفَرُوا بِهِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى إِفْنَاءِ النَّارِ دُونَ الْجَنَّةِ، وَأَطَالَ ابْنُ الْقَيْمِ كَشِيخَهُ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ فِي الْإِنْتِصَارِ لَهُ فِي عَدَّةِ كَرَارِيْسٍ، وَقَدْ صَارَ بِذَلِكَ أَقْرَبَ إِلَى الْكُفْرِ مِنْهُ إِلَى الْإِيمَانِ لِمَخَالَفَتِهِ نَصَّ الْقُرْآنِ، وَخَتَمَ بِذَلِكَ كِتَابَهُ الَّذِي فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ. (٢).

وقال الشيخ سلامه القضاعى العزامى الشافعى: وبينما تراه - يعنى: ابن تيميه - يسب جهماً والجهميه، إذا بك تراه يأخذ بقوله فى أن النار تبنى وأن أهلها ليسوا خالدين فيها أبداً. (٣).

وقال أبو بكر الحصينى الدمشقى (٧٥٢-٨٢٩هـ): واعلم أنه انتقد عليه زعمه:

أن النار تبنى ، وأن الله تعالى يفتنيها، وأنه جعل لها أمداً تنتهى إليه وتبنى ، ويزول عذابها. وهو مطالب أين قال الله عز وجل ؟ وأين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصح عنه ؟ (٤).

ويكفى فى بطلان هذه العقيدة قوله سبحانه فى أهل الجحيم: (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ). (٥).

وقال سبحانه: (مَا أُوْاهِمُ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا). (٦).

وقال: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا). (٧).

ص: ٦٩

- ١- . الأحزاب: ٦٤ و ٦٥.
- ٢- . فيض القدير: ٣٤١/٦.
- ٣- . فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان: ١٣٥.
- ٤- . دفع الشبهة عن الرسول والرسالة: ١١٦، طبعه ١٤١٨ هـ، القاهرة؛ دفع شبه من شبه وتمرد للحصنى: ٥٨/١، طبعه المكتبة الأزهرية للتراث، فى . مصر، والعنوانان هما لكتاب واحد.
- ٥- . الحج: ٢٢.
- ٦- . الإسراء: ٩٧.
- ٧- . الفرقان: ٦٥.

لماذا نبحث عن العصمه ؟

ليست (العصمه)، من المسائل الخلافية التي عفا عليها الزمن والتي يجب أن تُترك إلى غيرها من المسائل، بل (العصمه) من الأمور التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالثقافة والحياه الإسلاميه الحاضره، لأنّ بحث (العصمه) بحث فيما يضمن سلامه هذه الثقافه واستقامتها، وبالتالي يضمن مطابقه حياتنا الحاضره لما أنزل الله من تشريع وما ترك نبيه العظيم صلى الله عليه و آله من سنّه.

فكما تشترط (العصمه) في النبي الذي يوحى إليه، ضماناً لسلامه تبليغه، وإلّا لما وثق الناس بكلامه، ولما اطمأّنوا إلى إخباره وحديثه، كذلك لابد من اشتراط هذه الصفه في من يحمل إلى الأجيال المتلاحقه هذا التشريع الإلهي ويكون امتداداً للنبوه في وظائفها ومسؤولياتها، حفاظاً على الدين من تحريف المحرفين، وإبطال المبطلين، وتشكيك المشكّكين.

إنّ أسوأ داء أصاب الشرائع السابقه هو أنّ أتباعها أخذوا أحكام أنبيائهم بعد غيابهم من كلّ من هب ودبّ، فكان التحريف - الذي تحدّث عنه الكتاب العزيز

فى ثلاثة مواضع (١) - وكان الضلال، وكان الضياع.

إنّ بحث العصمه لا- يعنى إلما التعريف بالطريق الأفضل، لتلقى الشريعة الإلهيه على نقاوتها وأصالتها، ومن هنا يكون طرح هذه المسأله على بساط البحث ضروره يقتضيها الواجب على كل مسلم بأن يتلقى دينه من أكثر الطرق اطمئناناً.

العصمه فى اللغة

العصمه فى اللغة بمعنى المنع، ويطلق على ما يعتصم به الإنسان ويمنع به نفسه عن الوقوع فيما يكره.

ومنه قولهم: اعتصم فلان بالجبل إذا امتنع به، ومنه سميت العصم وهى وعول الجبال لامتناعها بها.

قال سبحانه: (سَيَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) (٢) أى التجأ إلى الجبل زاعماً أنه يمنعه من الماء، وأجيب بأنه: لا مانع من أمره سبحانه إلا من رحم. (٣)

العصمه فى مصطلح المتكلمين

فى مصطلح أهل الكلام تعنى العصمه: التوفيق واللفظ والاعتصام عن الذنوب والغلط فى دين الله، وهى تفضل من الله على من علم أنه يتمسك بعصمته. (٤)

وبعبارة أخرى: العصمه لطف من الله إلى المكلف يمنع منه وقوع المعصيه

ص: ٧١

١- . لاحظ: البقره: ٧٥؛ النساء: ٤٦؛ المائده: ١٣.

٢- . هود: ٤٣.

٣- . أوائل المقالات: ١١١.

٤- . شرح عقائد الصدوق، ٦٠.

وترك الطاعة مع قدرته عليهما.(١)

ويقرب من هذين التعريفين، ما عرّفه غير واحد من علماء الكلام.(٢)

وهذه التعاريف توقفتنا على حقيقة العصمه، وأنها ليست أمراً اكتسابياً، بل هي موهبه من الله سبحانه لمن فيه قابليه ذلك الفيض وتلك الموهبه، وهذا ممّا لا بحث فيه، وإنّما الكلام هو في منشأ هذه العصمه، وبعبارة أخرى: من أي مقوله هي ؟

العصمه من مقوله العلم الرادع

الحق أنّ العصمه نوع من العلم يفاض منه سبحانه على من اختاره الله سبحانه فيمنعه عن ارتكاب المعصيه أو الوقوع في الخطأ، بل ويردعه عن التفكير في كلّ ذلك، فضلاً عن العمل، وذلك أثر العلم وخاصيته، فإنّ العلم النافع والحكمه البالغه يوجبان تنزّه صاحبهما عن الوقوع في مهالك الرذائل، والتلوّث بأقذار المعاصي، وذلك ممّا نشاهده في رجال العلم والحكمه من أهل الدين والتقوى، غير أنّ سببيه (العلم العادي) سببيه غاليه لا دائميّه.

وإن شئت قلت: هو مقتض للتنزّه عن المعاصي، كما هو شأن سائر الأسباب الموجوده في عالم الماده، وعلى ذلك فكلّ متلبس بالكمال، يحجزه ذلك الكمال عن النقص، ويصونه عن الخطأ حسب قوته وشدته.

هذا هو شأن (العلم) وأثره، غير أنّ القوى الشعوريه والغريزيه الأخرى ربّما توجب مغلوبيه (العلم) وتنفي أثره، أو توجب ضعفه، فصاحب ملكه التقوى - مثلاً - مادام يشعر بتلك الفضيله ويخضع لتلك الملكه فهو لا يميل إلى الشهوه غير المرضيه، وإنّما توجب أن يجرى صاحبها على مقتضى تقواه، غير أنّ اشتعال نار الشهوه، ربما أوجب تغلب الشهوه على ذلك الشعور الديني، فلا يلبث دون أن

ص: ٧٢

١- . النكت الاعتقاديّه: ٤٥.

٢- . لاحظ تعاليق أوائل المقالات: ٣٠.

يرتكب مالا- ترتضيه التقوى، وعلى هذا النمط يكون حال سائر الأسباب الشعورية في الإنسان فهو لا يجيد عن حكم سبب ومقتضاه مادام ذلك السبب قائماً على قدم وساق، ومادام الإنسان يخضع له ويعيش في جَوْه إلّا إذا غلبته سائر القوى البشريه الأخرى، فهناك يسقط تأثير السبب المغلوب، وينساق الإنسان مع مقتضى السبب الغالب.

نعم شتان بين (العلم العادي) الذي يحجز صاحبه عن ارتكاب الرذائل و (العلم المفاض من الله سبحانه إلى أوليائه)، فإن العلم المفاض سبب علمي غير مغلوب البتة، ولو كان من قبيل ما هو متعارف من أقسام الوعي والعلم، ومن الأنواع المألوفه من الشعور والإدراك، لتسرب إليه التخلف، فهذا العلم الذي يصون حامله عن ارتكاب المعاصي والخطايا، يغير سائر العلوم والإدراكات العاديه المألوفه التي تحصل بالاكْتساب والتعلم، ولعله إلى ذلك يشير سبحانه بقوله: (وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ) (١).

فإن قوله: (وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ) بقرينه عطفه على نزول الكتاب والحكمه، يفيد أن للنبي علماً مفاضاً منه سبحانه مضافاً إلى العلم والحكمه اللذين أنزلا عليه.

ويؤيده أن مورد الآيه هو قضاء النبي صلى الله عليه و آله في الحوادث الواقعه والدعاوى التي يقضى فيها النبي بعلمه الخاص، وليس في ذلك شيء من الكتاب والحكمه.

من كل هذا تبين أن هذه الموهبه الإلهيه التي نسميها بالعصمه نوع من العلم والشعور يغير سائر أنواع العلم في أنه غير مغلوب لشيء من القوى الشعوريه، بل هو الغالب القاهر على سائر القوى المستخدمه إياه، ولأجل ذلك فإن العصمه - بهذا المعنى - تصون صاحبها، وتمنعه من الوقوع في المعاصي، بل والتفكر فيها، وقد ورد في الروايات والأخبار أن للنبي والإمام روحاً تسدده، وتعصمه عن

ص: ٧٣

ومِمَّا يقرب كون العصمه من مقوله العلم هو أنه ربما يبلغ العلم فى الأفراد العاديين مرتبه يوجب إيجاد العصمه فى آحاد الناس فى بعض الموارد، ولذلك لا يمسّ الإنسان العاقل بيده الأسلاك الكهربائيه ولا يلقى بنفسه أمام السياره المتحركه، لعلمه بأن فى ذلك هلاكه وموته.

فلو بلغ علم الإنسان فى جميع المجالات إلى هذه المرحله لصار معصوماً ومصوناً من كلّ المعاصى، وعاد مثلاً لقوله سبحانه: (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) .(٢)

العصمه لا تسلب الاختيار عن صاحبها

ومِمَّا يجب التنبيه عليه هو أنّ صاحب العصمه - مع ماله من تلك الموهبه الإلهيه العظيمه - قادر على ارتكاب المعصيه وإن كان لا يختارها، وهذا يعنى أنّ العلم الإلهى المذكور لا يوجب سلب الاختيار عن صاحبه.

وإن شئت قلت: إنّ صاحب العصمه وإن كانت لا تصدر منه المعصيه قط إلى آخر عمره، إلّا أنّ عدم الصدور ليس بمعنى كونه مجبوراً على الترك، ومضطراً إلى الطاعه بل (المعصوم) قادر على كلا الطرفين: الفعل والترك، ويختار الطاعه على المعصيه بإرادته واختياره، وسنوضح ذلك بالمثال التالى:

لا شك أنّ قدرته سبحانه عامه تشمل قدرته على القبائح كقدرته على الحسن، غير أنّه لا يصدر منه القبيح قط فى زمن من الأزمان، ولأجل ذلك نرى عموميه قدرته لكلّ شىء، ونرى فى جانبه عدم صدور القبيح منه سبحانه، إذ لو لم يقدر على القبيح لما صح قولنا: إنه على كلّ شىء قدير.

ونظيره المعصوم المصون من القبائح فهو يعصم نفسه طيله حياته من أى

١- . لاحظ الكافى: ٢٧٣/١، والميزان: ٨٠/٥.

٢- . التكاثر: ٧-٥.

قبيح وإن كان قادراً على الإتيان به، وقد نصّ بذلك علماءنا الأعلام.

فقد قال المفيد: وليست العصمة مانعه من قدره على القبيح، ولا مضطره للمعصوم إلى الحسن ولا ملجئه له إليه، بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعلها بعبد من عبيده لم تؤثر معه معصية له. وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك، بل هم الصفوة والأخيار.

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) (١).

وقال سبحانه: (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ) (٢).

وقال سبحانه: (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) (٣).

موقف الشيعة من العصمة

يجد المتتبع في الأبحاث الكلامية: إن الشيعة الإمامية أشدّ الفرق التصاقاً بالعصمة، وأكثر الطوائف الإسلامية تنزيهاً للأنبياء عن وصمه النقص والذنب والخطأ، ويلاحظ ذلك من السبر في الأقاويل المنقولة حول عصمة الأنبياء من الفرق الإسلامية.

فالمعتزلة جوّزوا الصغائر على الأنبياء، وذهبت الأشاعرة، والحشوية إلى أنه يجوز عليهم الصغائر والكبائر إلا الكفر والكذب.

وقال «الإمامية»: إنه يجب عصمتهم عن الذنوب كلها صغيرة كانت أو كبيرة، وهناك أقوال أخر تظهر من ملاحظته الكتب الكلامية. (٤)

ص: ٧٥

١- . الأنبياء: ١٠١.

٢- . الدخان: ٣٢.

٣- . ص: ٤٧. ولاحظ شرح عقائد الصدوق: ٦.

٤- . كشف المراد: ٢١٧؛ و دلائل الصدق: ٣٦٨/١.

قد استدلَّت الشيعة عن بكره أبيهم بآيه التطهير، أعنى: قوله سبحانه: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١) على عصمه أهل البيت النبوى الطاهر.

وقد أفاض المفسِّرون حول الآيه وأتوا ببيانات شافيه فى وجه دلالة الآيه على عصمه أهل البيت، كما نقلوا الروايات الموضحة للمراد منها، يقف عليها كلٌّ من راجع تفاسير الفريقين.

غير أنّ هناك جماعه من العلماء قد اعتنوا بشرح هذه الآيه عناية خاصه، وقاموا بتفسيرها بأكمل الوجوه وأفردوا لذلك تأليف ورسائل نشير - فيما وقفنا عليه - إلى ما يلى:

١. «السحاب المطير فى تفسير آيه التطهير» للسيد القاضى نور الله بن الشريف الحسينى المرعشى (الشهيد عام ١٠١٩ هـ). (٢).
٢. «تطهير التطهير» تأليف العلامة بهاء الدين محمد بن حسن الاصفهانى الشهير بالفاضل الهندى (المتوفى عام ١٣٣٥ هـ)، وقد بحث فيه عن آيه التطهير وكتبه رداً على من فسرها بغير معناها ومفادها من العامه.
٣. «شرح تطهير التطهير» كتبه العلامة السيد عبد الباقي الحسينى شرحاً لما كتبه الفاضل الهندى الأنف الذكر.
٤. «إذهاب الرجس عن حظيره القدس» للعلامه الشيخ عبد الكريم بن محمد طاهر القمى، كتبه فى رد اعتراضات أوردها بعضهم على «تطهير التطهير» للفاضل الهندى.

وله أيضاً كتاب: «الصور المنطبعة» الذى بحث فيه عن إثبات العصمه للأئمه

ص: ٧٦

١- .الأحزاب: ٣٣.

٢- .الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/٤٦٩.

وهذه الكتب الأربعة الأخرى توجد في مجموعته موجوده في مكتبه آيه الله العظمى الكلبايگاني في دار القرآن الكريم، في قم المقدسه. (1)

5. «تفسير آيه التّطهير»، وهي رساله فارسيه من تأليف الشيخ إسماعيل بن زين العابدين الملقب بمصباح قد أثبت فيها: أنّ أهل البيت مطهرون من كلّ رجس دنيوي. (2)

6. «التنوير في ترجمه رساله آيه التّطهير» التي ألفها القاضي نور الله الشهيد، ترجمها إلى اللغه الأردويه السيد حسن عباس الموسوي النيسابوري الكنتوري منشئ (دفتر الشهيد) طبع الأصل مع تذييل في كل صفحه بالهند عام ١٣٤١هـ. (3)

7. «جلاء الضمير في حل مشكلات آيه التّطهير» للشيخ محمد علي بن محمد تقى البحراني طبع في بمبئي بالمطبعه المظفريه عام ١٣٢٥هـ. (4)

8. «أقطاب الدوائر» التي ألفها العلامة «عبد الحسين بن مصطفى» أحد علماء الإماميه في القرن الثاني عشر، ألفه لأحد أمراء عصره «بهمن ميرزا» ولم نعث على ترجمته غير أنه يعد من طبقه تلاميذ العلامة المجلسي قدس سره وربّما يعبر عنه بالفاضل المجلسي، وقد فرغ من الكتاب في شهر رجب عام (١١٣٨هـ). ولم نعث على حياته، غير أنّ له شرحاً على «الباب الحادي عشر» وقد أشار فيه إلى الكتاب المزبور.

وقد قمنا بطبع هذا الكتاب خدمه لأهل بيت رساله، ويرى الباحث عن الحقيقه فيه عمقاً في البحث وسعه اطلاع في الموضوع، فهو بحجمه الصغير ينبئ عن مكانه المؤلف المرموقه بحبه وولائه ونضاله في الدفاع عن حريم التشيع، ولم

١- . لاحظ فهرس مخطوطات مكتبه السيد الكلبايگاني: ٤٢-٥٢.

٢- . الذريعه إلى تصانيف الشيعه: ٣٢٦/٢.

٣- . الذريعه إلى تصانيف الشيعه: ١٥٠/١٢.

٤- . الذريعه إلى تصانيف الشيعه: ١٢٤/٥.

نقف على أزيد من نسخه، ولعلها بخط المؤلف نفسه.

وقد كانت في مكتبه آية الله الوالد المرحوم الشيخ محمد حسين السبحاني قدس سره الذي استوهبها من صديقه العالم التقى الشيخ حسين «النمروري» الذي كان مولعاً بجمع الكتب المخطوطة ومهتماً بها، رحمهما الله ورحم الماضين من علمائنا.

هذا وقد وفق الله سبحانه الفاضل المحقق الشيخ علي الفاضل القائيني النجفي صاحب «معجم مؤلفي الشيعة» لأن يكرس اهتمامه في استنساخ هذه الرسالة النفيسة وتحقيقها، وتخريج مصادرها، والتعليق عليها بما لا بد منه في فهم المراد، ومقابله النصوص الواردة فيها مع أصولها الحديثية والقرآنية، فجاءت الرسالة هذه رسالة كافلة لإثبات ما يتوخاه مؤلفها، فشكر الله مساعي المؤلف والمعلق عليها، ولهما الشكر الجزيل منّا ومن كل قارئ يحمل بين جنبيه الود والولاء الخالص لآل الرسول عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

جعفر السبحاني

قم - ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ.

ص: ٧٨

ألطف فى الأحكام العقلية

اشتهر بين المتكلمين - وتبعهم الأصوليون - أنّ الأحكام الشرعية ألطف فى الأحكام العقلية، وربّما يُعبر عن ذلك بتعبيرين آخرين:

١. الأحكام السمعيه ألطف فى الأحكام العقلية.

٢. الواجبات الشرعية ألطف فى الواجبات العقلية.

وقد اختلفت كلمه القائلين فى تفسير القاعده، وبالتالى فى الموارد التى استدل بها عليها، وإليك بعض ما عثرنا عليه فى كلا المقامين:

وقبل بيان التفاسير المختلفه للقاعده نلفت نظر القارئ على نكته، وهى أنّ اللطف عباره عما يقرب إلى الطاعه ويبعد عن المعصيه فلا بدّ من حفظ هذا المعيار فى تفسير القاعده، ولو فقد التفسير ذلك الملاك لكان غير صحيح، وإليك التفاسير:

١. صيروره الإنسان مستعداً لامثال الأحكام العقلية

العقل مستقل على إتيان أمور كردّ الأمانه ومجازاه الإحسان بالإحسان، كما أنّه مستقل بلزوم تركّ أمور كخيانه الأمانه ومجازاه الإحسان بالإساءه، مستقل بذلك مع قطع النظر عن حكم الشرع، ويحثُّ العقلُ على تطبيق الحياه عليها بحكم أنّ

الحاكم بذلك هو العقل العملى.

ولكن الاستمرار على أداء الواجبات العقلية وهكذا على ترك المناهى العقلية رهن وجود ملكه طاعه فى الإنسان تحته على الطاعه وتمنعه عن الانهزام أمام القوى الجامحه للنفس الأماره، كخيانه الأمانه مثلاً.

هذا من جانب ومن جانب آخر أن بعته الأنبياء بين الناس لا تنفك عن برنامج عملى فيه فرائض ومحرمات، فهم يحثون الناس على فعل الأولى، وترك الثانية مقروناً بالوعد والوعيد.

ومما لا شك فيه: امتثال التكاليف الشرعية يحدث فى الإنسان ملكه الطاعه، وعندئذ يسهل له أيضاً فعل الواجبات وترك المنهيات العقلية أيضاً، وبذلك تصبح الأحكام الشرعية أظافاً فى الواجبات العقلية لكون الاستمرار على الأحكام العقلية رهن ملكه قويه تتولد فى الإنسان ضمن امتثال تكاليف شرعية، وتجعل الإنسان مطيعاً للأوامر والنواهى من غير فرق بين السمعيه والعقلية.

وبهذا المعنى فسر القاعده المحقق الطوسى حيث قال فى مسأله «وجوب بعته الأنبياء»:

وهى واجبه لاشتمالها على اللطف فى التكاليف العقلية، وأوضحها العلامه الحلى بأن الإنسان إذا كان مواظباً على فعل الواجبات السمعيه وترك المناهى الشرعيه كان من فعل الواجبات العقلية والانتهاه من المناهى العقلية أقرب. (١)

يقول الفاضل القوشجى: بأن الإنسان إذا كان واقفاً على التكاليف بحسب الشرع كان أقرب من فعل الواجبات العقلية وترك منهياتها. (٢)

أقول: ما ذكره من أن امتثال الفرائض الشرعيه يُرسخ فى النفس ملكه الطاعه، وبالتالي يكون الإنسان ممثلاً للأحكام العقلية أيضاً - وإن كان صحيحاً - ومحققاً

ص: ٨٠

١- . كشف المراد: ١٥٤، ط مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام.

٢- . شرح التجريد: ٣٥٨.

لمعنى اللطف، فيكون التكليف الشرعى مقرباً للطاعة، أى طاعه الأحكام العقلية والابتعاد عن مخالفتها، لكن الكلام فى مورد آخر، وهو أنّ تعليل لزوم بعثه الأنبياء بهذا الوجه لا يخلو من بعد، لأنّ الأحكام العقلية لا تتجاوز عدد الأنامل، فلزوم بعثه الأنبياء عبر القرون مع البرامج الهائلة لهذا الغرض القليل، أمر بعيد جداً. نعم يمكن أن يكون هذا من فوائدها ولذلك قال القوشجى: لا يخفى ما فى هذا من البعد فالأقرب أن يحال وجه وجوب البعثه إلى ما بينه آنفاً من اشتمالها على فوائد(١).

أقول: ذكر المحقق الطوسى فوائد تسعه فى مسأله «حسن بعثه الأنبياء» وذكر هذه القاعده فى مسأله «وجوب بعثه الأنبياء» وما ذكره من الفوائد التسعه فى حسن البعثه يكفى فى إثبات وجوبها أيضاً من دون حاجه إلى تلك القاعده التى هى شىء قليل بالنسبه إلى وجوب البعثه.

٢. باعته على معرفه المعبود

إنّ شكر المنعم ممّا يستقل به العقل، إذ فى تركه وجود الضرر المحتمل الذى يستقل العقل أيضاً على دفعه، و شكر المنعم رهن معرفته بما له من الصفات الجماليه والجلاليه، والعمل بالتكاليف الشرعيه التى جاء بها الأنبياء: يبعث الإنسان على معرفه المنعم.

وبهذا الوجه عللوا وجوب البعثه، يقول الفاضل المقداد فى ذلك الصدد: إنّ التكاليف السمعيه أطاف فى التكاليف العقلية، أى مقربه إليها فإننا نعلم ضروره أنّ الإنسان إذا واطب على فعل الصلاه والصوم دعاه ذلك إلى العلم بالله تعالى وصفاته ويعلم أنّ العباده هل هى لائقه به أو لا وكلّ لطف واجب.(٢)

ويقول أيضاً فى كتاب آخر: إنّ العبادات متلقاه من النبيين ولا شك أنّ

ص: ٨١

١- شرح التجريد: ٣٥٨.

٢- إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ١٤٧، الطبعة الأولى.

المواظبه عليها باعته على معرفه المعبود الواجبه عقلاً فيكون لطفاً فيها(١).

واللطف بالمعنى المصطلح موجود فى هذا التفسير فإن معرفه المنعم من الأحكام العقلية، والعمل بالأحكام الشرعيه ينتهى إلى معرفه المعبود المطلوبه عقلاً إلا أنه يلاحظ على هذا التفسير بما ذكرناه فى التفسير الأول، فإنّ تعليل وجوب بعثه الأنبياء عليهم السلام بهذا الطريق بعيد، لأنه يرجع إلى أنّ فى بعثه الأنبياء فائده خاصه وهى معرفه المعبود الواجبه عقلاً، ومن المعلوم أنّ هذه الغايه لوحدها لا يمكن أن تكون عله غايه لبعثه الأنبياء عليهم السلام، نعم يمكن أن تكون من فوائدها الكثيره.

اللهم إلا أن يقال: إنّ الغايه من التكليف السمعيه هى معرفه الله سبحانه، كما قال: (وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٢)، ولا مانع من أن تكون هنا غايات طويله أخرى لها، إلا أنّ الغايه القصوى هو معرفته سبحانه.

٣. تأكيد العقليات

لاشك أنّ العقل مستقل ياتيان المحاسن من الأفعال وترك القبائح منها، فإذا ورد فى الشرع ما يؤكد على ذلك فيكون سبباً لتأكيد ما يدعو إليه العقل، وهذا هو الذى يستفاد من كلام صدر الدين الشيخ محمود الحمصى الرازى يقول فى مبحث حسن البعته: وقد قيل فيما يتصور أن يكون غرضاً فى البعته [هو] تأكيد العقليات لو علم الله تعالى أنّ المكلفين عند تأكيدهم ودعائهم يختارون من الطاعات ما لا يختارونه مع فقد دعائهم، أو يجتنبون عن القبائح ما لا يجتنبون عن فقد دعائهم.(٣)

ص: ٨٢

١- اللوامع الإلهيه: ٢٣١، الطبعة الثانيه.

٢- الذاريات: ٥٦.

٣- المنقذ من التقليد: ١/٣٧٤. وانظر: شرح التجريد للمحقق الشعرانى: ٤٦٠.

واللطف بالمعنى المصطلح متحقق في هذه الصورة، لأنّ السمعيات تقرب إلى الإنسان امتثال ما يحكم به العقل - قبل الشرع - من إتيان المحاسن وترك القبائح فإنّ الشرع يوعده، وإيعاده يبعث الإنسان إلى محاسن الإحسان ويصده عن قبائحها.

٤. محصله للقرب

القرب إلى الله سبحانه وتعالى من أفضل الفرائض عند العقل، إذ هو كمال للنفس ولا كمال فوقه وهذا هو الذي يحكم به العقل، ولكنه غير واقف على ما يحصل به القرب.

وبعبارة أخرى: العقل يدرك الكبرى وهي لزوم تحصيل القرب ولكن لا يعرف الصغرى أى بماذا يحصل ذلك الكمال النفساني، إلّا من طريق الشرع حيث إنّ الأحكام الشرعية واجباتها ومستحباتها، وهكذا مكروهات الشرع ومنهياته تولّد في النفس الإنسانيه القرب من مركز الكمال ومعدنه، فلذلك تكون الأحكام الشرعية أطفافاً في الأحكام العقلية.

روى أبان بن تغلب، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث: «أنّ الله جلّ جلاله قال: ما يتقرّب إلىّ عبد من عبادى بشيء أحبّ إلىّ ممّا افترضت عليه، وإنّه ليتقرّب إلىّ بالنافله حتى أحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعته الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتّه، وإن سألتني أعطيتّه».(١)

وإن شئت قلت: العقل يحكم بتحصيل ما يقرب من الله سبحانه والابتعاد عما يورث البعد عنه، غير أنّه لا يعرف المقرّب والمبعد، فالأحكام الشرعية التي أتى بها الأنبياء توضح له الطريق وتبين له ما هو المقرّب وما هو المبعد.(٢)

ص: ٨٣

١- الوسائل: ٣، الباب ١٧ من أبواب أعداد الفرائض، الحديث ٣.

٢- بحر الفوائد للمحقّق الآشتياني في تعليقه على الفوائد للشيخ الأنصاري: ٢/١٥٥. ذكره بصوره أحد المحتملات للقاعده، وإن لم يرتضه.

إلّا أنّ تسميه ذلك لطفاً بالمعنى المصطلح مشكل، إذ ليس فيه شيء يقرب من الطاعة ويبعد من المعصية، غاية الأمر أنّ الشرع يرفع الجهل عمّا يقرب. نعم هو لطف بالمعنى العام.

٥. الكشف عن المصالح والمفاسد

لاشك - عند العدلي - أنّ الأحكام الشرعية بأسرها مبنية على المصالح والمفاسد في نفس المأمور به، وشذ من اكتفى في المورد بوجود المصلحة في الأمر، فإنّ مواضعها قليلة جداً، ولكن مناطات الأحكام قد تكون معلومه، وأخرى مجهوله، وعلى كل تقدير فلصيانته فعل الشارع عن اللغو لا محيص من القول بتبعيه الأحكام للمصالح والمفاسد الكامنه في المتعلق، قال سبحانه: (إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاءِ و المُنكرِ) (١) هذا من جانب.

ومن جانب آخر إن العقل يحثّ على تحصيل المصالح والمفاسد، غير أنّه لا يمكنه أن يحدد مواضعها. فإذا حكم الشارع بوجود شيء ونهى عن شيء آخر فقد أظهر للعقل ما يتبغىه من التعرّف على المصالح والمفاسد، فيكون حكم الشارع أظافاً في الحكم العقلي. (٢)

يرد عليه: أنّه ليس لطفاً بالمعنى المصطلح، بل هو لطف بالمعنى العام.

وحقيقه الكلام: أنّ القاعده يمكن أن تكون صحيحه في عامه الموارد الخمسه الّتي مرّ تفصيلها، دون أن تختصّ بمورد دون غيره، بشرط أن يريد من اللطف المعنى الأعم وهو استعانه العقل بالشرع، وعندئذ يصلح أن يقال:

إنّ العقل مع أنّه حجّه في باب المعارف، ولكنّه غير مستغن عن السمع حتّى في تلك المواضع، ولولا هدايه الوحي الإلهي المنزّل على الأنبياء الإلهيين وخلفائهم المعصومين في ذلك المجال، لما استطاع العقل من تسلّق قمه

ص: ٨٤

١- . العنكبوت: ٤٥.

٢- . بحر الفوائد: ٢/١٥٤، بتوضيح منا.

المعارف.

هذا فى مجال المعارف، وأما دوره فى مجال العبادات والعقود والإيقاعات وغيرها فهو قليل جداً.

إن القيم الإنسانيه وإن كانت هى الغايه المنشوده للحكيم ولكن معطيات العقل فى ذلك المقام ليست متوفره حتى يستغنى بها العقل عما ورد فى الشرع، والذي يوضح ذلك هو المقارنه بين الأخلاق اليونانيه التى سار على ضوئها أمثال ابن مسكويه، وبعده الغزالي وما جاء به الوحي الإلهي وشرحه أولياؤه المعصومون.

كل ذلك يكشف أن الشرع هو العماد الأكبر للعقل فى كثير من المجالات، وإن كان له دور كبير فى مواضع تخصه.

جعفر السبحاني

صبيحه يوم الأحد السادس والعشرين

من شهر جمادى الآخره

عام ١٤٢٩ هـ

ص: ٨٥

٨ فى الرؤيه ومعنى الإله

الأستاذ الفاضل على محيى الدين على القره داغى المحترم

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

تسَلَّمنا بيد التكریم كتاب «معنى لا- إله إلا الله» للإمام بدر الدين الزركشى، وقد لاحظنا أنكم قد بذلتم جهوداً كبيره لإحياء الكتاب من خلال تعاليتكم القيمه.

شكر الله مساعيتكم فى سبيل إحياء آثار السلف ومآثر المسلمين.

ومما لفت نظرنا قولكم فى ص ١٤٨، حول الاستدلال على إثبات الرؤيه لله سبحانه يوم القيامه بقوله تعالى: (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) (١) وفسرتم هاتين الآيتين بقولكم: أى تنظر هذه الوجوه الضاحكه الصافيه فى الجنه إلى وجه الله تعالى.

وقد استغربت من هذا التفسير، فإن ما جاء هنا عبارته عن أربع آيات على وجه اللف والنشر المرتب:

(وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) يقابلها: (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ)

(إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) يقابلها: (تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)

فبالإمعان فى الجزء الثانى يرتفع الإبهام عن معنى الجزء الأول.

فإن معنى الجملة الثانیه أنهم ينتظرون العذاب الكاسر لظهورهم، ومثل هذا

ص: ٨٦

الظن لا ينفك عن الانتظار، فتكون قرينه على أن المراد من الجملة الأولى: أن أصحاب الوجوه المشرقة ينتظرون رحمته الواسعه.

ولو حملت الجملة الثانيه على الرؤيه خرجت الجملة عن التقابل.

ويمكن رفع الإبهام عن قوله سبحانه: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) بالإمعان فى قوله سبحانه فى سورة «عبس»:

(وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ) (يَقَابِلُهَا): (ضاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ)

(وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا عَبْرَةٌ) (يَقَابِلُهَا): (تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ)

فقوله سبحانه: (ضاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) بمنزله قوله سبحانه: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ).

فالجميع يهدف إلى معنى واحد وهو أن مصير الكافرين إلى عذاب الله سبحانه ومصير المؤمنين إلى رحمته الواسعه، فالطائفه الأولى ذات وجوه غبره، والطائفه الثانيه ذات وجوه مستبشره، وقد فضّلنا الكلام فى هذا الموضوع فى الرساله التى نهديها إليكم فلاحظوا الصفحه ٦٦ إلى - ٦٨.

وقد بعثنا إليكم رساله «رؤيه الله سبحانه فى الكتاب والسنة» عسى أن تكون خير وسيله للحوار.

لقد ذكرتم الأقوال الكثيره فى معنى الإله، والاختلاف هذا فى معنى الإله قائم بين اللغويين والمفسرين على قدم وساق، ولكن لنا نظريه أخرى نظرناها عليكم، وهى: أنه لا فرق بين «الإله» ولفظ الجلاله، فى المعنى، إلّا أن الثانى علم، والأول مفهوم كلى.

ويؤيد ذلك بعض الآيات كقوله سبحانه: (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (١) فإن مقتضى المعنيه أن يراد من لفظ الإله نفس ما أريد من لفظ الجلاله لكن بتفاوت أن أحدهما علم والآخر كلى. وليست هذه الآيه هى

ص: ٨٧

الوحيد في استظهار تلك النظرية، بل هناك آيات أخرى يمكن استنباطها منها.

وبعبارة أخرى: إنّ هنا اسماً عاماً وهو «إله» ويجمع على «آله»، واسماً خاصاً وهو «الله» ولا يجمع أبداً، ويرادفه في الفارسيه «خدا» وفي التركيّه «تارى» وفي الانجليزيه «گاد»؛ غير أنّ الاسم العام والخاص في اللغه الفارسيه واحد وهو «خدا» ويعلم المراد منه بالقرينه، غير أنّ «خداوند» لا يطلق إلهام على الاسم الخاص، وأمّا «گاد» في اللغه الانجليزيه فكلمة أُريد منه الاسم العام كتب على صورته «god»، وأمّا إذا أُريد الاسم الخاص فيأتى على صورته «God»، وبذلك يشخص المراد منه.

فهل عندكم ما يؤيد هذه النظرية؟!

وفي الختام أرجو لكم وللمن حولكم من الأساتذه الأعزاء خير الدنيا والآخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٥ ربيع الثاني ١٤٣٠ هـ. ق

ص: ٨٨

البداء من المسائل الشائكة لمن لم يتدبر فيه، ومن المسائل الواضحة لمن تدبر وأمعن النظر فيه، ولم تنزل الشيعة منذ قرون في قفص الاتهام لأجل الاعتقاد بالبداء، وذلك لجمود المخالف على ظاهر اللفظ الذي هو بمعنى الظهور بعد الخفاء، فإذا قلنا: «بدا لله» يتوهم منه أنه ظهر له بعدما خفى، ومن المعلوم أن وصف الحق تعالى به على حد الكفر، لإحاطه علمه سبحانه بعامة الأمور والحوادث قبل وجودها وحينه وبعده، قال سبحانه: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (١).

ولكن بعد ما قام الباحث بتفسير البداء ثبوتاً وإثباتاً، وأثبت: أن هذا التعبير من باب المشاكلة على حد قوله سبحانه: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٢) حتى نقل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «بدا لله في الأبرص والأقرع والأكمه»، فعندئذ يرجع المخالف عن رأيه ويؤمن بالبداء شيئاً فشيئاً على نحو

ص: ٨٩

١- . الحديد: ٢٢.

٢- . الأنفال: ٣٠.

يدعن بأنه عقيدته كل مسلم آمن بالله وكتابه ورسوله وحديثه، كما اتفق ذلك لي في مناظره مع أحد علماء أهل السنه في طهران عند تنظيم القانون الأساسى للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه.

قد مرَّ أنّ الشيعة لم تزل في قفص الاتهام منذ قرون ويشهد على ذلك ما ذكره الشيخ الطوسى فى التبيان، حيث حكى عن البلخى (المتوفى عام ٣١٧هـ)، قوله فى هذا المضمار: قال قوم ليس ممن يُعتبرون، ولكنهم من الأئمة على حال أنّ الأئمة المنصوص عليهم - بزعمهم - مفوض إليهم نسخ القرآن وتدييره، وتجاوز بعضهم حتى خرج من الدين بقوله: إنّ النسخ قد يجوز على وجه البداء، وهو أن يأمر الله عزوجلّ عندهم بالشىء ولا يبدو له، ثم يبدو له فيغيره، ولا يريد فى وقت أمره به [وله]، أن يغيره هو ويبدله وينسخه، لأنّه عندهم لا يعلم الشىء حتى يكون، إلّا ما يقدره فيعلمه علم تقدير، وتعجرفوا فزعموا أنّ ما نزل بالمدينه ناسخ لما نزل بمكه. (١)

هذا كلام البلخى الذى هو من أئمة المعتزله.

وكلامه يعرب عن أنّه تبع ظاهر حرفيه البداء ولم يرجع فيه إلى المصادر الشيعيه أو روايه مرويه عن أئمتهم، ولذلك قال الشيخ الطوسى بعد كلامه:

وأظنّ أنّه عنى بهذا أصحابنا الإماميه، لأنّه ليس فى الأئمة من يقول بالنصّ على الأئمة عليهم السلام سواهم. فإن كان عناهم فجميع ما حكاه عنهم باطل وكذب عليهم، لأنّهم لا يجوزون النسخ على أحد من الأئمة عليهم السلام، ولا أحد منهم يقول بحدوث العلم. (٢)

وتبعه فى ذلك أبو الحسن الأشعري فى مقالات الإسلاميين (٣)، وفخر الدين

ص: ٩٠

١- . التبيان: ١٣/١-١٤، ط النجف عام ١٣٧٦ هـ.

٢- . التبيان: ١٣/١-١٤.

٣- . مقالات الإسلاميين: ١٠٧، ١٠٩، ١١٩.

الرازي في تفسيره(١)، وتلخيص المحصل(٢)، ومن المعاصرين الشيخ أبو زهره المصري(٣)، إلى غير ذلك من كُتّاب مغفلين الذين صدّروا في تقييم عقائد الشيعة من كتب المخالفين.

ولو أنّهم رجعوا إلى كتب أعلام الطائفة، لآمنوا بالبداء وندموا على ما فعلوا، ولكن ربّما لا ينفعهم الندم.

فرفع الغشاء عن وجه الحقيقة رهن الكلام في البداء ثبوتاً وإثباتاً على وجه الإيجاز، وقد قمنا بالتفصيل في محاضراتنا الكلامية، وأفرده بالتأليف بعض الأعزّه - حفظه الله -.

١. البداء ثبوتاً

ويراد من البداء ثبوتاً، أنّ للإنسان أن يُبدّل ما كتب وقُدّر له، بأعماله الصالحة أو الطالحة، إذ ليس ما قُدّر، تقديراً محتوماً غير قابل للتغيير والتبديل، خلافاً لليهود حيث قالت باستحاله تعلق مشيئه الله بغير ما جرى به قلم التقدير، وقد تبلورت تلك العقيدة في كلامهم (يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ) قال سبحانه حاكياً عنهم:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَارْتَبُوا بِمَا قَالُوا يَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) (٤).

إنّ كثيراً من المفسّرين وإن فسّروا الآية بالعطاء والسعة في الرزق، ولكن أئمة أهل البيت عليهم السلام فسّروا قولهم: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ)، بالفراغ من الأمر(٥)، ورتّبوا على

ص: ٩١

١- . مفاتيح الغيب: ١٠/١٤٥ في تفسير الآية ٥٩ من سورة النساء.

٢- . تلخيص المحصل: ٤٢٠.

٣- . الإمام الصادق عليه السلام: ٢٣٨-٢٣٩.

٤- . المائدة: ٦٤.

٥- . تفسير البرهان: ١/٤٨٦، الحديث ٣.

ذلك امتناع نسخ الأحكام وتغيير المصير والمقدّر.

وقد ردّ سبحانه عليهم بأنّه: (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١)، وأنّه يزيد وينقص من العمر (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٢).

وقد دلّ غير واحد من الآيات على أنّ مصير الإنسان فيما يرجع إلى السعادة والشقاء في الحياه الدنيويه والأخرويّه بيده، فالكفر بأنعم الله يُزيلها، والشكر لها، يزيدّها، يقول سبحانه: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعْتَبِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (٣)، وقد تضافر هذا المضمون في سائر الآيات (٤).

وبكلمه جامع: أنّ ما قُدر وقُضى بين ما يكون تقديراً قطعياً، وقضاء حتمياً، فهذا لا يُبدّل بأى عمل، وهذا النوع من التقدير لا يرجع إلى سعادة الإنسان وشقائه، كتقديره سبحانه بأنّ (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (٥)، وأنّه سبحانه (يُخِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) (٦)، وأنّ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (٧)، إلى غير ذلك من الأمور المحتومه التي لا تُبدل ولا تتغيّر.

وبين ما يكون تقديراً معلقاً قابلاً للتبديل حسب ما يقوم به الإنسان من العمل في حياته الدنيويه (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (٨).

والبدء بهذا المعنى مذهب كلّ مسلم آمن بالله ورسوله وكتابه. أمّا الآيات فقد عرفت بعضها وأشرنا إلى البعض الآخر في الهامش.

ص: ٩٢

- ١- . فاطر: ١.
- ٢- . فاطر: ١١.
- ٣- . الانعام: ٥٣.
- ٤- . لاحظ: الرعد: ١١؛ والأعراف: ٥٦.
- ٥- . آل عمران: ١٨٥.
- ٦- . يس: ٧٨.
- ٧- . الزلزله: ٧-٨.
- ٨- . الرعد: ٣٩.

وأما الروايات فيكفيك ما رواه السيوطي في «الدر المنثور» عن علي عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقد سأله الإمام عن تفسير قوله: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ) فقال الرسول صلى الله عليه وآله: «لَأَقْرَنَّ عَيْنَكَ بتفسيرها ولَأَقْرَنَّ أُمَّتِي بعدى بتفسيرها: الصدقه على وجهها وبزّ الوالدين واصطناع المعروف، يحوّل الشقاء سعادته، ويزيد في العمر، ويقى مصارع السوء».(١)

والروايات بهذا المضمون كثيره يقف عليها من تتبع الجوامع الحديثيه.

والبداء بهذا المعنى، أصل تربويّ يبعث في الإنسان روح العزيمه على إصلاح حاله في المستقبل، إذا كانت سيئه فيما مضى، وكأنّه مصباح جاء ينور الطريق له، ليسلك طريق الصلاح، بعدما كان سالكاً طريق الهلاك.

فالقائل بالبداء وأنّ في مقدّرتّه تبديل ما قدّر بعمله الصالح، إنسان راج يبعثه رجاؤه إلى العمل الصالح، ملبياً قوله سبحانه: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) (٢)؛ والمنكر للبداء بهذا المعنى آيس من سعادته وغفرانه، يستمر في عصيانه وغلوائه إلى أخريات عمره ويلقى الله سبحانه ضالاً خاسراً، فأى الفريقين أحق بالأمن يا ترى؟!

هذا في البداء ثبوتاً، وإليك الكلام في البداء إثباتاً.

٢. البداء إثباتاً

إشاره

المراد من وقوع البداء إثباتاً هو إمكان إخبار النبي أو الولي عن حادث في المستقبل لوجود المقتضى له ولكنه لم يقع لأجل وجود المانع عن تأثير المقتضى، فيكون المخبر صادقاً في إخباره لوجوده في لوح المحو والإثبات، غير أنّ النبي - حسب المصالح - لم يكن واقفاً على المانع الذي يمنع عن تأثير المقتضى.

ص: ٩٣

١- . الدر المنثور: ٤/٦٦١.

٢- . الزمر: ٥٣.

توضيح ذلك: أن لله سبحانه في مقام علمه الفعلى لوحين:

١. اللوح المحفوظ الذى لا يتطرق إليه التغير، وقد أشار إليه سبحانه بقوله:

(ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (١).

٢. لوح المحو والإثبات فيكتب فيه التقدير الأول، وهو وإن كان بظاهره مطلقاً وظاهراً في الاستمرار إلا أنه مشروط بشروط فإذا تغيرت الشروط انتهى أمر التقدير الأول وحان وقت التقدير الثانى، وإلى هذا اللوح أشار سبحانه بقوله:

(يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (٢).

ومثل هذا التغير فى التقدير لا يمس كرامه العلم الإلهى الأزلى أبداً، ثم إنَّ النبىَّ ربّما يطّلع على المقتضى للشىء دون العله التامه لوقوعه، فيخبر استناداً إلى المقتضى مع عدم الوقوف على العله التامه التى من أجزاءها عدم المانع من تأثير المقتضى.

فإخباره يستند إلى وجود المقتضى للشىء، وأما عدم وقوعه فلاستناده إلى وجود المانع من تأثير المقتضى. كل ذلك إذا اتصل بلوح المحو والإثبات، ولما ذكرنا نظائر فى الكتاب والسنة:

١. إخبار يونس عن نزول العذاب

أخبر يونس عليه السلام قومه بنزول العذاب، ثم ترك القوم وكان فى وعده هذا صادقاً، إذ رآه مكتوباً فى ذلك اللوح، ولكن لم يطّلع على وجود المانع وهو إنباه القوم عن غيهم وعصيانهم. قال سبحانه: (فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) (٣).

ص: ٩٤

١- . الحديد: ٢٢.

٢- . الرعد: ٣٩.

٣- . يونس: ٩٨.

وإن أردت أن تتضح لك حقيقة البدء في مقام الإثبات، فاستظهر حاله من النسخ في الشريعة، فإن النسخ في التكوين نظير النسخ في التشريع.

يقول المحقق الداماد: البدء منزلته في التكوين منزله النسخ في التشريع، فما في الأمر التشريعي والأحكام التكليفية فهو نسخ وفي الأمر التكويني والمكوّنات الزمانية بدء، فالنسخ كأنه بدء تشريعي، والبدء كأنه نسخ تكويني، ولا بدء في القضاء ولا بالنسبة إلى جناب القدس الحق.. وكما أنّ حقيقة النسخ عند التحقيق انتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره، لا رفعه وارتفاعه عن وعاء الواقع، فكذلك حقيقة البدء انبتات(١) استمرار الأمر التكويني وانتهاء اتصال الإفاضه(٢).

٢. إخبار موسى بثلاثين ليلة في الميقات

ذكر المفسّرون أنه سبحانه واعد موسى ثلاثين ليلة فقضاها موسى عليه السلام، فلما تمّ الميقات استاك بلحاء شجره، فأمره الله تعالى أن يكمل بعشر. قال سبحانه:

(وَإِعْدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (٣).

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في تفسير الآية: إنّ موسى قال لقومه: إنّ ربّي وعدني ثلاثين ليلة أن ألقاه واخلف هارون فيكم، فلما فصل موسى إلى ربّه زاده الله عشرًا، فكانت فتنهم في العشر التي زاده الله(٤).

إنّ هنا إخبارين:

١. إخبار بالمكث في الميقات ثلاثين ليلة.

٢. إخبار بأنّه يمكث أربعين ليلة.

ص: ٩٥

١- . الانقطاع.

٢- . نبراس الضياء: ٥٦.

٣- . الأعراف: ١٤٢.

٤- . الدر المنثور: ٣/٣٣٥.

وكان موسى صادقاً في كلا الإخبارين حيث كان الخبر الأول مستنداً إلى جهات تقتضى إقامه ثلاثين ليله، وكان هذا الإخبار مقيداً في الواقع بقيد لم يكن موسى مطلعاً عليه وكان الله سبحانه عالماً به، وهو أن مكث ثلاثين ليله مشروط بعدم طروء ملاك آخر يقتضى أن يكون الوقوف أزيد من ثلاثين.

هذا بعض ما وقع فيه البداء الذي أخبر عنه سبحانه في كتابه، وأمّا الروايات فحدّث عنها ولا حرج:

١. مرّ يهودىّ بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: السام عليك، فقال النبي صلى الله عليه وآله له: «وعليك»، فقال أصحابه: إنّما سلّم عليك بالموت، فقال: الموت عليك؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «وكذلك رددت»، ثمّ قال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه: «إنّ هذا اليهودى يعضّه أسود في قفاه فيقتله».

قال: فذهب اليهودى فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله، ثمّ لم يلبث أن انصرف.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ضعه»، فوضع الحطب فإذا أسود في جوف الحطب عاض على عود، فقال صلى الله عليه وآله: «يا يهودىّ ما عملت اليوم؟» قال: ما عملت عملاً - إلّا حطبي هذا حملته فجئت به، وكان معى كعكتان فأكلت واحده وتصدّقت بواحدة على مسكين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بها دفع الله عنه»، وقال: «إنّ الصدقه تدفع ميتة السوء عن الإنسان».(١)

٢. أنّ المسيح مرّ بقوم مجليين، فقال: ما لهؤلاء؟ قيل: يا روح الله فلانه بنت فلانه تُهدى إلى فلان في ليلته هذه، فقال: يُجلّبون اليوم ويبيكون غداً، فقال قائل منهم: ولمّ يا رسول الله؟ قال: لأنّ صاحبتهم ميتة في ليلتها هذه، فلما أصبحوا وجدوها على حالها، ليس بها شيء، فقالوا: يا روح الله إنّ التي أخبرتنا أمس أنّها ميتة لم تمت، فدخل المسيح دارها فقال: ما صنعت ليلتك هذه؟ قالت: لم أصنع شيئاً إلّا وكنّت أصنعه فيما مضى، إنّ كان يعترينا سائل في كلّ ليله جمعه فننيله ما نقوته إلى مثلها. فقال المسيح: تنحّ عن مجلسك، فإذا تحت ثيابها أفعى مثل

ص: ٩٤

جذعه، عاصَّ على ذنبه، فقال عليه السلام: بما صنعت، صرف عنك هذا.(١)

أقول: إنَّ الإخبارات الصادره من الأنبياء لأجل اتّصالهم باللوح الثانى الذى فى معرض التغيّر والتبدّل كثيره مبثوثة فى الكتب، فيخبرون لمصالح حسب ما يقتضى المقتضى مع احتمال تغيّرها حسب توفر الشروط وعدمها أو الموانع وعدمها.

إطلاق البداء على الله سبحانه

لاشك أن إطلاق البداء على الله سبحانه بالمعنى اللغوى غير صحيح، لكن وصفه سبحانه به من باب المشاكله، وهو باب واسع فى كلام العرب، فإنَّه سبحانه يعبر عن فعل نفسه فى بعض الموارد بما يعبر به الناس عن فعلهم، وما ذلك إلا لأجل المشاكله الظاهرية بين الفعلين، وإليك نماذج من هذا النوع من الاستعمال:

يقول سبحانه: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) (٢).

ويقول: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٣).

وقال عز من قائل: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٤).

وقال عز اسمه: (وَقِيلَ الْيَوْمَ نُنَسِّئُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) (٥).

إذ لا شك أنَّه سبحانه لا يخدع ولا يمكر ولا ينسى، لأنَّها من صفات الإنسان الضعيف، ولكنَّه سبحانه وصف أفعاله بما وصف به أفعال الإنسان من باب المشاكله، والجميع كناية عن إبطال خدعهم ومكرهم وحرمانهم من مغفره الله سبحانه وبالتالى عن جنته ونعيمها.

وعلى ضوء ذلك فلا غرو فى أن نعبر عن فعله بما نعبر عن أفعالنا، إذا كان

ص: ٩٧

١- . بحار الأنوار: ٩٤/٤.

٢- . النساء: ١٤٢.

٣- . آل عمران: ٥٤.

٤- . الأنفال: ٣٠.

٥- . الجاثية: ٣٤.

التعبير مقروناً بالقرينه الداله على المراد، فإذا ظهر الشيء بعد الخفاء فيما أنه بقاء بالنسبه إلينا، فوصف فعله سبحانه به أيضاً من باب المشاكلة، وإلاً فهو فى الحقيقه بقاء من الله للناس ولكنه يتوسّع كما يتوسّع فى غيره من الألفاظ ويقال: بقاء لله تمشياً مع ما فى حسابان الناس وأذهانهم وقياس أمره سبحانه بأمرهم، ولا غرو فى ذلك إذا كانت هناك قرينه على المجاز والمشاكلة.

والذى يرشدك إلى صحّحه هذا النوع من الاستعمال وروده فى كلام النبى الأعظم صلى الله عليه وآله الذى رواه البخارى فى صحيحه قال: «بدا لله سبحانه فى الأبرص والأقرع والأعمى أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قدّرنى الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أى المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال:

البقر - هو شك فى ذلك أنّ الأبرص والأقرع، قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر:

البقر - فأعطى ناقه عشاء، فقال: يبارك الله لك فيها.

وأتى الأقرع، فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا، قد قدّرنى الناس، قال: فمسحه، فذهب، وأعطى شعراً حسناً، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقره حاملاً، وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: يرد الله إليّ بصرى، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فردّ الله إليه بصره. قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاه والداً. فأنج هذا وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

ثمّ إنّه أتى الأبرص فى صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين تقطعت بى الحبال فى سفرى، فلابلاغ اليوم إلبالله ثم بك، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيداً أتبلغ عليه فى سفرى؛ فقال له: إنّ الحقوق كثيره.

فقال له: كأننى أعرفك ألم تكن أبرص يقدّرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر؟ فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع فى صورته وهىته فقال له مثل ما قال لهذا، فردّ عليه مثلما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى فى صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بى الحبال فى سفرى، فلاباغ اليوم إلبالله، ثم بك، أسألك بالذى ردّ عليك بصرك، شاه أتبلغ بها فى سفرى؛ فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصرى، وفقيراً فقد أغنانى، فخذ ما شئت، فوالله لأجحدك اليوم بشىء أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتكم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبك». (١)

هذا هو كلام الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وقد استعمل لفظ البداء فى حقّه سبحانه، ومن الطبيعى أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله لم يستعمل هذا اللفظ فى معناه اللغوى لاستلزامه - و العياذ بالله - الجهل على الله سبحانه، بل استعمله فى معنى آخر لمناسبه بينه وبين المعنى اللغوى.

وعلى ضوء ذلك فلا- غرو فى أن نعبر عن فعله بما نعبر به عن أفعالنا، إذا كان التعبير مقروناً بالقرينه الداله على المراد، فإذا ظهر الشىء بعد الخفاء، فما أنه بداء بالنسبه إلينا نوصف فعله سبحانه به أيضاً وفقاً للمشاكله، وإلّا فهو - فى الحقيقه - بداء من الله للناس، ولكنه يتوسع كما يتوسع فى غيره من الألفاظ، ويقال: بدا لله تمشياً مع ما فى حسابان الناس وأذهانهم وقياس أمره سبحانه بأمرهم، ولا غرو فى ذلك إذا كانت هناك قرينه على المجاز والمشاكله.

وبذلك يعلم أنّ النزاع فى البداء أمر لفظى لامعنوى، وأنّ الفريقين متفقان على البداء ثبوتاً وإثباتاً، والذى صار سبباً لإنكار البداء وطعن الشيعة به هو تصوّر أنّ المراد منه هو الظهور بعد الخفاء، وقد عرفت أنّ المراد هو الإظهار بعد الإخفاء، وأنّ إطلاق البداء فى المقام من باب المشاكله.

ص: ٩٩

١- . صحيح البخارى: ١٧٢/٤، كتاب الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع فى بنى إسرائيل.

لا- يشك ذو مسكه في أنّ التقريب بين المذاهب الإسلامية وقادتها وأتباعها، هو بغية كلّ مسلم عارف بما يسودهم من الظن السيئ والتباعد بينهم، وأنّ أعداء الإسلام على سعي حثيث، في زرع العداة والتباغض بين أبناء الأئمة الواحد، وإغراء طائفه على طائفه أخرى بصور مختلفه، وبين ظهرانهم آذان صاغية للنعرات الجاهليه، كما أنّ بينهم أقلاماً مستأجره تلعب بحبل الأعداء لإشعال نار الفتنة بين الإخوه، الذين تجمعهم وتربطهم أمور شتى من الإيمان بالله ورسله وكتبه وخاتم أنبيائه وسنته وشريعته إلى غير ذلك من أواصر الوحده.

والطريق الوحيد لتقريب الخطى بين الإخوه هو الدعوه إلى الأخذ بالمشتركات، وتبيين أنّ ما يوحد المسلمين على اختلاف فرقهم أكثر ممّا يفرقهم ويشتتهم، فاللازم هو التأكيد على أواصر الوحده، والإغماض عما يسبب الفرقة، خصوصاً إذا كانت المفترقات مسائل كلاميه أو فروعاً فقهيه ممّا لا تمتّ إلى الإيمان والكفر بصله.

ولأجل أن نجسّد كيفية الدعوه إلى الوحده الإسلاميه نضع أمام القارئ الكريم (سنيّاً كان أم شيعياً) رساله التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وآله الذي هو من الأصول

المشتركة بين عامه المذاهب الإسلاميه، عسى أن نسكت الصوت المخالف لهذا الأمر الذي دعا إليه الكتاب والسنة، ونساهم في تعزيز الروابط بين المسلمين، حتى يصبح الجميع في كل موطن وموقف إخوة متحايين متمسكين بحبل الوحده، الذي أرشد إليه سبحانه بقوله عز من قائل: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) (١).

إن من ينطلق من الكتاب والسنة وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام والسيره الرائجه بين المسلمين لا يخالف في أمر التبرك قدر شعره، وإنما يخالف فيه ويناقش في مشروعيته، من يأبى التحرر من أسر تقليد بعض من لم يمعن النظر في هذه المصادر، ولم يرزق التوفيق في التبرك بآثار النبي، الذي يعبر عن غايه مودته وتوقيره وتعظيمه صلى الله عليه وآله.

التبرك لغة

التبرك مأخوذ من «برك» وله معنيان:

- الثبات والدوام، كما يقال: وبارك على محمد وعلى آل محمد، أى أثبت وأدم ما آتيتهم من التشرىف والكرامه.
- الزياده والنمو. (٢) ويناسب المعنى الثانى قوله تعالى: (وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ) (٣)، وقوله سبحانه: (الَّذى بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (٤).

ويقال فى المثل: بارك الله الشىء وبارك فيه وعليه. ففى الموارد المشار إليها، خير مكنون يزيد وينمو على مر الزمان. ويقصده المتبرك.

ص: ١٠١

١- . آل عمران: ١٠٣.

٢- . مقاييس اللغة: ١/٢٢٧؛ النهايه فى غريب الحديث: ١/١٢٠.

٣- . الأنعام: ١٥٥.

٤- . الإسراء: ١.

التبرك اصطلاحاً هو طلب ثبوت الخير الإلهي في الشيء (١).

وعلى هذا فالمتبرك بالقرآن وبالأثار المتبقية عن الأنبياء والأئمة، يطلب الخير الإلهي، لا بمعنى أنها تحمل خيراً في ذاتها وإنما يتوسل بها لطلب الخير من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا فالأحرى أن يعدّ التبرك من فروع التوسل، فكلّ خير من الأثر المتبرك به فإنما هو من الله سبحانه وهو المذى أعطاه هذا الأثر، فطلب الخير منه طلب خير من الله وهو كعمله ذات وجهين، فهو يطلب الخير من الأثر ظاهراً ولكن يطلبه من الله حقيقه، لأنّ ما للسبب من الأثر هو من الله سبحانه وليس منه بالذات، وهنا كلمه قيمه لبعض الأعلام نأتى بنصّها:

إنّ التبرك ليس إلتوسلاً إلى الله تعالى بذلك المتبرك به، سواء أكان أثراً أو مكاناً أو شخصاً.

أمّا الأعيان فلاعتقاد فضلها وقربها من الله سبحانه وتعالى مع اعتقاد عجزها عن جلب خير أو دفع شر إلتايدن الله.

وأمّا الأثار فلائها منسوبه إلى تلك الأعيان فهي مشرفه بشرفها ومكرمه ومعظمه ومحبوبه لأجلها.

وأمّا الأمكنه فلا- فضل لها لذاتها من حيث هي أمكنه، وإنما لما يحلّ فيها ويقع من خير وبرّ، كالصلاه والصيام وجميع أنواع العبادات ممّا يقوم به عباد الله الصالحون، إذ تنتزل فيها الرحمات وتحضرها الملائكه وتغشّيهما السكينه، وهذه هي البركه التي تطلب من الله في الأماكن المقصوده لذلك.

وهذه البركه تطلب بالتعرض لها في أماكنها، بالتوجه إلى الله تعالى ودعائه واستغفاره، وتذكر ما وقع في تلك الأماكن من حوادث عظيمه ومناسبات كريمه

ص: ١٠٢

تحرك النفوس وتبعث فيها الهمة والنشاط للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح. (١)

إذا عرفت ذلك فلنذكر النصوص الدالة على جواز التبرك بين الأمم السالفة، والأمة الإسلامية.

١. التبرك في الأمم السالفة

يظهر من الآيات والروايات أن التبرك بآثار الأنبياء كان رسماً شائعاً عند الأمم السالفة، فكانوا يطلبون الخير تارة من الأسباب الطبيعية، وأخرى من الأسباب غير الطبيعية.

وبعبارة أخرى: أن الخير في كلا الموردين بيد الله تعالى لقوله تعالى: (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) (٢)، ولكنه ينزل ضمن أسباب خاصه، تارة عادية طبيعية، وأخرى على خلاف العادة، وطالب الخير تارة يقصده من القسم الأول وأخرى من الثاني والسيره جاريه على هذا في أكثر الأمم.

ذكر صاحب تاريخ الخميس في خلافة «المتقى لله» القصة التاليه: في سنه إحدى وثلاثين وثلاثمائة أرسل ملك الروم يطلب منه - المتقى لله - منديلاً زعم أن المسيح مسح به وجهه، فصارت صورته وجهه فيه، وكان هذا المنديل في كنيسة الرهبان، وأرسل ملك الروم يقول: إن أرسلت هذا المنديل لك عشره آلاف أسير من المسلمين.

فأحضر المتقى لله الفقهاء واستفتاهم فقالوا: أرسل إليهم هذا المنديل، ففعل وأطلق الأسراء. (٣)

وما نقله الديرابكري يكشف عن وجود التبرك عند المسيحيين وقد ورثوا الفكره عن آبائهم وأجدادهم.

ص: ١٠٣

١- مفاهيم يجب أن تصحح للسيد محمد بن علوي المالكي الحسيني: ٢١٩، الطبعة العاشرة.

٢- آل عمران: ٢٦.

٣- تاريخ الخميس: ٢/٣٥٢.

وقد ورد لفظه «بارك» ومشتقاتها كثيراً في الكتاب المقدس ومنه: «بركه هارون وبنيه لبنى إسرائيل» (عد ٢٣:٦-٢٧) وقد بارك المسيح تلاميذه قبل أن يصعد. (انجيل لوقا: ٢٤:٥٠، ٥١). (١)

٢. التبرك في القرآن الكريم

وقد ذكر القرآن الكريم التبرك في العديد من الآيات نذكرها تباعاً:

١. هذا هو نبي الله يعقوب الذي تبرك بقميص يوسف، قال تعالى حاكياً عن يوسف: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيْرًا وَأُنْتِنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) (٢). ثم قال تعالى: (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٣).

فالله سبحانه هو الذي جدد بصر يعقوب بعدما كُفَّ، لكن بسبب خاص وهو قميص ولده يوسف.

وأما ما هي الصلة بين القميص المنسوج من القطن وإعادة البصر إلى يعقوب فغير معلوم لنا، وعلى كل تقدير فللقميص وإرادة يوسف مدخلية في إعادة البصر بإذن من الله سبحانه.

٢. تبرك بنى إسرائيل بصندوق العهد، أى التابوت، والتابوت هو الصندوق الذي صنعه موسى عليه السلام بأمر الله تعالى وقد وصفه في قاموس الكتاب المقدس بأن طوله كان ذراعين ونصفاً وعرضه ذراعاً ونصفاً وارتفاعه ذراعاً ونصفاً، وكان فى التابوت، الوعاء الذى يحتوى على المنّ، وعصا هارون التى أفرخت، ولوحا العهد وكان عليهما وصايا الله العشر المكتوبه. (٤)

ص: ١٠٤

١- قاموس الكتاب المقدس: ١٧١.

٢- يوسف: ٩٣.

٣- يوسف: ٩٦.

٤- قاموس الكتاب المقدس: ٢٠٩.

ويصفه سبحانه بقوله: (فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) (١).

قال الطبرسي: إنّ التابوت كان [هو] الذي أنزله الله على أم موسى فوضعت فيه ابنتها وألقته في البحر وكان في بني إسرائيل معظماً يتبرّكون به، فلما حضر موسى الوفاة، وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة، وأودعه عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم، وبنو إسرائيل في عزّ وشرف ما دام فيهم (٢).

وقال السيوطي: كان في التابوت عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ولوحان من التوراه والمنّ وكلمه الفرج «لا إله إلا الله الحليم الكريم، وسبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين» (٣).

وعلى كل تقدير فقد كان بنو إسرائيل يتبرّكون به ويحملونه عند مواجهه الأعداء فينتصرون، وكفى في قداسه التابوت أنه سبحانه يقول: (تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) وقصه التابوت وكيفيه غلبه العمالقه على بني إسرائيل وأخذ التابوت منهم، مذكوره في التفاسير، والله سبحانه وعدهم بأنهم لو قاتلوا مع ملكهم طالوت، يسترجع إليهم التابوت وتحمله الملائكة إليهم يقول: (إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) (٤)، أي أن آيه ملك (طالوت) هو أنه يحارب الأعداء ويسترجع التابوت الذي تحمله الملائكة فيرونه بنو إسرائيل عياناً (٥).

ص: ١٠٥

١- البقره: ٢٤٨.

٢- مجمع البيان: ١/٦١٤، ط. بيروت.

٣- الدر المنثور: ١/٧٧٨.

٤- البقره: ٢٤٨.

٥- مجمع البيان: ١/٦١٥.

٣. التبرّك بأصحاب الكهف، فعندما يذكر الله سبحانه وتعالى أصحاب الكهف والرقيم في سورة الكهف يتبدى بيان قصتهم بالآيه التاسعه ويختمها بالآيه ٢٦.

وقد نزلت هذه الآيات لتشدد قلوب المؤمنين وثبت الإيمان فيها، وذلك بالوقوف على مصير أصحاب الكهف الذين تركوا متاع الحياه الدنيا وزينتها وهجروا مجتمعهم الغارق في الوثنيه والتجأوا إلى كهف ضيق موحش من أجل أن تبقى قلوبهم عامره بالعقیده الصحيحه، متوهّجه بحراره الإيمان.

فلما علم سبحانه صدقهم وثباتهم في طريق التوحيد شملتهم عنايه الله تبارك وتعالى فالتجأوا إلى الكهف، فأطبق الله سبحانه على آذانهم فناموا سنين طويله، وبذلك خلصوا من مكائد الملك وأعوانه الذين كانوا يروّجون الوثنيه ويحاربون الموحّدين، فلما بعثهم الله سبحانه بعد مضي ثلاثه قرون وانكشف أمرهم للناس، وثبت أنّ وعد الله حق حيث إنّ إيقاظهم الذي يشبه البعث والإحياء بعد إنامتهم التي تُشبه الموت، أقوى دليل على قدرته سبحانه على أن يبعث الناس يوم القيامة ثم إنه بعدما تبين ما هو الغرض من إنامتهم وإيقاظهم أماتهم الله سبحانه واختلف الناس في حقهم وفي شأنهم، فذهب فريق منهم إلى إغلاق باب الكهف وسترهم عن أعين الناس وجعلهم وراء البنيان وإلى هذا يشير قوله سبحانه: (ابْتُئُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا) ١، والقائلون بذلك هم الأقلية الوثنيه، أرادوا بذلك أن يخفوا أمرهم لكي ينسأه الناس ولا يتحدثون به، وقالوا - تحقيراً بشأنهم -: (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) ٢، وقال الفريق الآخر، أي: (الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ) ٣، أي على أمر القائلين بالاقتراح الأول: (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) ٤ تتعبدون فيه لله سبحانه تبركاً بتبريتهم، وهذا يدل على أمرين:

١. جواز بناء المساجد على قبور الأولياء.

٢. جواز التبرك بتربه القبور، لأن القرآن يذكر ذلك من دون ردّ واعتراض، بل يظهر منه التأييد والموافقه.

تبرك الصحابه بآثار النبي صلى الله عليه و آله

اشاره

ذكر أصحاب السير والتاريخ تبرك الصحابه بأنواع متعدده من آثار النبي صلى الله عليه و آله نظير: «التبرك بماء وضوئه، وبريقه، وبنخامته، وبدمه، وبشعره، وبسؤره، وبطعامه، وبأظافره، ولباسه، وبأوانيّه، وبما لمسه، وبمصلاه»، هذا ما جاء فى الموسوعه الفقيهيه الكويتيه: ٧٠/١٠-٧١، ولكن الموارد أوسع مما ذكر هناك، ولأجل الإشاره إلى شىء منها، نذكر بعض النصوص:

١. التبرك بماء وضوئه صلى الله عليه و آله

أرسلت قريش عروه بن مسعود الثقفى ليمثلها فى صلح الحديبيه مع رسول الله صلى الله عليه و آله، وكلمه رسول الله بنحو ما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً وبعدما تمت المذاكره بين الطرفين قام عروه من عند رسول الله صلى الله عليه و آله وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ، إلّا ابتدروا وضوءه، ولا يتبصق بوضوءه، ولا يسقط من شعره شىء إلّا أخذوه. فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إننى قد جئت كثيرى فى ملكه، وقيصر فى ملكه، والنجاشى فى ملكه، وإنى والله ما رأيت ملكاً فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشىء أبداً، فزوا رأيكم. (١)

ص: ١٠٧

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٣/٣٢٨.

٢. التبرّك بقدحه

أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى حازم، عن سهل بن سعد، أنه قال: فأقبل النبى صلى الله عليه وآله يومئذ حتّى جلس فى سقيفه بنى ساعده هو وأصحابه، ثم قال: اسقنا يا سهل، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه [وقال أبو حازم] فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبدالعزيز بعد ذلك فوهبه له. (١)

٣. التبرّك بسؤره

روى أحمد بن حنبل عن أبى صالح، عن أم هانى أنّ النبى صلى الله عليه وآله دخل عليها يوم الفتح، فأتته بشراب، فشرب منه، ثم فضلت منه فضله، فناولها فشربته، ثم قالت: يا رسول الله، لقد فعلت شيئاً ما أدرى يوافقك أم لا؟ قال: «وما ذاك يا أم هانى؟»، قالت: كنت صائمه فكرهت أن أرد فضلك فشربته، قال: «تطوعاً أو فريضه؟» قالت: قلت: بل تطوعاً، قال: «فإنّ الصائم المتطوع بالخيار إن شاء صام، وإن شاء أفطر» (٢).

٤. التبرّك بمنبره

سأل عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: سألته عن الرجل يمسّ منبر النبى صلى الله عليه وآله ويتبرّك بمسّه، ويقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، أو نحو ذلك، يريد بذلك التقرب إلى الله جلّ وعزّ، فقال: «لا بأس بذلك» (٣).

وعلق محقق كتاب (العلل ومعرفه الرجال) على هذا الحديث وقال: أمّا مسّ منبر النبى صلى الله عليه وآله فقد أثبت ابن تيميه - فى الجواب الباهر لزوار المقابر - فعله عن ابن عمر، دون غيره من الصحابه، وروى أبو بكر بن أبى شيبه فى المصنّف (٤/١٢١)

ص: ١٠٨

١- . فتح البارى: ١٠/٩٨، برقم ٥٦٨٧.

٢- . مسند أحمد: ١٠/٣٩١، برقم ٢٧٤٥٤. ط. دار الفكر، بيروت.

٣- . العلل ومعرفه الرجال: ٢/٤٩٢، برقم ٣٢٤٣.

عن زيد بن الحباب قال حدّثني أبو مودود قال: حدّثني يزيد بن عبد الملك بن قسيط، قال: رأيت نَفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رُمانه المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا، قال: ورأيت يزيد يفعل ذلك».

وقال الكرمانى حول قول عمر: عندما جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولولا أنّي رأيت النبي يقبلك ما قبلتك: «وأما تقبيل الأماكن الشريفه على قصد التبرّك وكذلك تقبيل أيدي الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصد والنيه، وقد سأل أبو هريره الحسن رضى الله عنه أن يكشف له المكان الذى قبله رسول الله صلى الله عليه وآله وهو سرته فقبله تبرّكاً بآثاره وذريته صلى الله عليه وآله، وقد كان ثابت البناني لا يدع يد أنس رضى الله عنه حتّى يقبلها ويقول: يد مسّت يد رسول الله، وقال أيضاً: وأخبرني الحافظ أبو سعيد ابن العلاءي قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزه قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ ان الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وآله وتقبيل منبره فقال: لا بأس بذلك، قال: فأريناه للشيخ تقي الدين بن تيميه، فصار يتعجّب من ذلك ويقول: عجيب أحمد عندى جليل يقوله هذا كلامه أو معنى كلامه. وقال: وأى عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنّه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذى غسله به، وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابه وكيف بآثار الأنبياء عليهم السلام؟! ولقد أحسن مجنون ليلي حيث يقول:

أمّر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا(1)

ص: ١٠٩

٥. التبرك بالدينير التي لمسها النبي صلى الله عليه وآله

أخرج أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: كنت مع النبي في سفر - إلى أن قال: - وكنت على جمل فاعتلّ قال: فالحقني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا في آخر الناس قال: فقال: «مالك يا جابر؟» قال: قلت اعتلّ بعيري، قال: فأخذ بذنبه ثم زجره قال:

فما زلت إنما أنا في أول الناس يهمني رأسه فلما دنونا من المدينة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما فعل الجمل؟» قلت: هو ذا، قال: «فبعنيه» قلت: لا بل هو لك، قال: «بعنيه» قال: قلت: هو لك، قال: «لا، قد أخذته بأوقيه، اركبه فإذا قدمت فائتنا به» قال: فلما قدمت المدينة جئت به فقال: «يا بلال زن أوقيه وزده قيراطاً» قال:

قلت: هذا قيراط زادنيه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يفارقني أبداً حتى أموت قال: فجعلته في كيس فلم يزل عني حتى جاء أهل الشام يوم الحره فأخذوه فيما أخذوا. (١)

٦. التبرك بالعصا التي أعطاها النبي صلى الله عليه وآله

روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن أنيس في حديث فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله فرآني فقال: «أفلح الوجه». قال: قلت: قتلته يا رسول الله قال:

«صاقت». قال: ثم قام معي رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل في بيته فأعطاني عصاً فقال:

«أمسك هذه عندك، يا عبد الله بن أنيس». قال: فخرجت بها على الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني أن أمسكها، قالوا: أو لا- ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت:

يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آيه بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخضّرون يومئذ يوم القيامة». فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فصبت معه في كفته ثم دفنا جميعاً. (٢)

ص: ١١٠

١- . مسند أحمد: ٥١/٥٢-٥١ برقم ١٤٣٨٣.

٢- . مسند أحمد: ٤٣١/٥ برقم ١٦٠٤٧.

٧. التبرك بقميص النبي صلى الله عليه وآله

روى ابن عبد البر فى ترجمه فاطمه بنت أسد بن هاشم، قال: أسلمتُ وهاجرتُ إلى المدينه وتوفيت بها، وقال الزبير: هى أول هاشميه ولدت لهاشمى.

قال: وقد أسلمت وهاجرت إلى الله ورسوله وماتت بالمدينه فى حياه النبي صلى الله عليه وآله وشهدتها رسول الله صلى الله عليه وآله. قال أبو عمر: روى سعدان بن الوليد السابرى، عن عطاء ابن أبي رباح، عن ابن عباس قال: لما ماتت فاطمه أم على بن أبى طالب ألبسها رسول الله صلى الله عليه وآله قميصه واضطجع معها فى قبرها فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرّ بى منها، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنه واضطجعت معها ليهون عليها»^(١).

٨. التبرك بالبرده المهداه

إشاره

قدم كعب بن زهير على الرسول صلى الله عليه وآله وأنشد قصيدته اللاميه المعروفه التى مستهلها:

بانث سعاد فقلبى اليوم مبتول متيم إثرها لم يُفد مكبول

وجاء فيها قوله:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آله حذباء محمول

أنبت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول

إن الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول

قال الديار بكرى: رمى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله برده كانت عليه، وأن معاويه بذل له فيها عشره آلاف مثقال، فقال: ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً، فلما مات كعب بعث معاويه إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم. قال: وهى البرده التى عند السلاطين إلى اليوم.^(٢)

ص: ١١١

١- الإصابه: ٤/٣٦٨؛ والاستيعاب بهامش الاصابه: ٤/٣٧٠.

٢- تاريخ الخميس: ٢/١٣١.

روى مسلم عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبه رسول الله صلى الله عليه وآله كانت عند عائشه، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي صلى الله عليه وآله يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى ونستشفى بها. (١)

٩. التبرك بالقبر الشريف

أخرج الحاكم فى مستدركه عن داود بن أبى صالح، قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته وقال: أتدرى ما تصنع؟ قال:

نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه فقال: جئت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم آت الحجر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه (يعنى البخارى ومسلم) (٢).

وروى السمهودى عن أبى الجوزاء قال: قُحطَ أهلُ المدينه قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشه، فقالت: فانظروا قبر النبى صلى الله عليه وآله فاجعلوا منه كُوءً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقوف، ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشبُ وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق.

قال الزين المراغى: واعلم أن فتح الكُوء عند الجِدْب سُنَّةُ أهل المدينه حتى الآن، يفتحون كوه فى سفل قبه الحجره: أى القبه الزرقاء المقدسه من جهه القبلة، وإن كان السقف حائلاً بين القبر الشريف وبين السماء.

قلت: وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصوره

ص: ١١٢

١- . صحيح مسلم: برقم ٢٠٦٩، باب النهى عن لبس الحرير، كتاب اللباس والزينه.

٢- . مستدرك الحاكم: ٤/١١٥، كتاب الفتن والملاحم.

المحيطة بالحجره، والاجتماع هناك، والله أعلم. (١)

وروى البخارى: لَمَّا حضرت الوفاه عمر بن الخطاب، قال لابنه عبدالله: انطلق إلى أم المؤمنين عائشه، فقل: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، قال: فاستأذن وسلم، ثم دخل عليها وهي تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه.

فقلت: كنت أريده لنفسى ولأثرته اليوم على نفسى، فلما أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيء أهم من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملوني ثم سلّموا ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لى فادفوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين. (٢)

١٠. التبرّك بالمواضع التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وآله

أخرج البخارى عن مولى بن عقبه قال: رأيت سالم بن عبدالله يتحرى أماكن من الطريق فيصلّى فيها ويحدّث أنّ أباه كان يصلّى فيها، وأنّه رأى النّبى صلى الله عليه وآله يصلّى فى تلك الأمكنه، وحدثنى نافع عن ابن عمر أنّه كان يصلّى فى تلك الأمكنه، وسألت سالمًا فلا أعلمه إلّا وافق نافعًا فى الأمكنه كلها إلّا أنّهما اختلفا فى مسجد بشرف الروحاء. (٣)

١١. التبرّك بخاتم النبى صلى الله عليه وآله

روى عبدالرزاق عن معمر، قال: أخرج إلينا عبدالله بن محمد (بن) عقيل خاتمًا نقشه تمثال، وأخبرنا أنّ النبى صلى الله عليه وآله لبسه مرّة أو مرّتين، قال: فغسله بعض من

ص: ١١٣

١- . وفاء الوفا: ١/٥٦٠.

٢- . صحيح البخارى: برقم ١٣٩٢، كتاب الجنائز.

٣- . صحيح البخارى: برقم ٤٨٣، باب المواضع التي صلى فيها النبى صلى الله عليه وآله.

١٢. التبرك بالمسح واللمس

كانت الصحابه يطلبون من النبي صلى الله عليه وآله أن يمسح على رؤوسهم ويبارك لهم، ومن هؤلاء زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي، قال ابن حجر: فدخل زياد منزل ميمونه أم المؤمنين وكانت خالته... فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنه ابن أختي، فدعاه فوضع يده على رأسه ثم حدرها على طرف أنفه، فكان بنو هلال يقولون: ما زلنا نعرف البركه في وجه زياد.

ثم قال ابن حجر: وذكر ابن سعد القصة مطوله عن هشام بن الكلبي... وقال الشاعر لعلي بن زياد المذكور:

يا ابن الذي مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير عند المسجد

ما زال ذاك النور في عرينه حتى تبوأ بيته في ملحد (٢)

هذه اثنا عشر مورداً تبرك فيها الصحابه ولم يعترض عليه أحد وكانوا يتلقون التبرك بأنه غير مناف للتوحيد الذي بعث لأجله النبي صلى الله عليه وآله والموارد كثيره نكتفي بهذا المقدار، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتابين التاليين فقد بلغا الغايه:

١. «تبرك الصحابه بأثار النبي والصالحين» للعلامة المحقق والمؤرخ الخبير محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود المكي، طبع الكتاب في القاهره، مطبعه المدنى، عام ١٣٨٥ هـ. ق.

٢. «التبرك» بقلم المحقق الخبير آيه الله على الأحمدى الميانجى (١٣٤٤ - ١٤٢١ هـ)، فقد تتبع قدس سره في كتابه هذا - وبنحو يثير الإعجاب حقاً - المسأله من جميع أبعادها التاريخيه والحديثيه و...، وأثبت بما لا مزيد عليه وبنحو لا يدع للترديد أو الشكّ مجالاً في أنّ سيره المسلمين عامه والصحابه والتابعين خاصه

ص: ١١٤

١- . المصنف لعبدالرزاق الصنعاني: ١/٣٤٧.

٢- . الإصابه: ١/٥٣٩-٥٤٠، رقم الترجمة ٢٨٥٦.

كانت قائمه على التبرك بآثار النبي والصالحين.

التبرك في روايات أهل البيت عليهم السلام

إشاره

قد ذكرنا فيما مضى التبرك في السنه النبويه ومصادر التاريخ، والآن نذكر ما ورد عن أئمه أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله، وهم أعلم بما فيه.

١. التبرك باسم الله جل وعلا

روى الإمام الحسن بن على العسكري، عن آبائه، عن على عليهم السلام - فى حديث - أن رجلاً قال له: إن رأيت أن تعرّفنى ذنبى الذى امتحنت به فى هذا المجلس، فقال: «تركك حين جلست أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثنى عن الله عزّوجلّ أنّه قال: كلّ أمر ذى بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتّر»^(١).

٢. التبرك بالقرآن الكريم

روى الكلينى بسنده عن ابن القدّاح، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: البيت الذى يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزوجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكه وتهجره الشياطين، ويضىء لأهل السماء كما تضىء الكواكب لأهل الأرض، وإنّ البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عزوجل فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكه وتحضره الشياطين»^(٢).

ص: ١١٥

١- . تفسير الإمام العسكري: ٢٤/٧ و ٢٥؛ الوسائل: (كتاب الصلاه)، الباب ١٧ من أبواب الذكر، الحديث ٤.

٢- . أصول الكافى: ٢/٦١١، كتاب فضل القرآن.

٣. التبرك بماء وضوء النبي صلى الله عليه وآله

روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، عن الإمام الرضا عليه السلام قال:

«سمعت أبي يحدث عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول في قبّه من آدم وقد رأيت بلاّ الحبشيّ وقد خرج من عنده ومعه فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله فابتدره الناس، فمن أصاب منه شيئاً تمسّح به وجهه، ومن لم يُصب منه شيئاً أخذ من يدي صاحبه فمسح به وجهه، وكذلك فعل بفضل وضوء أمير المؤمنين عليه السلام». (١)

٤. التبرك بقبر النبي صلى الله عليه وآله

روى الكليني بسنده عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن موسى، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقف على قبر النبي صلى الله عليه وآله فيسلم عليه ويشهد له بالبلاغ، ويدعو بما حضره، ثم يسند ظهره إلى العروه الخضراء الدقيقه العرض ممّا يلي القبر، ويلتزم بالقبر ويسند ظهره إلى القبر، ويستقبل القبلة فيقول: «اللهم إليك أُلجأت ظهري، وإلى قبر نبيك محمد صلى الله عليه وآله عبدك ورسولك أسندت ظهري، والقبلة التي رضيت لمحمد صلى الله عليه وآله استقبلت، اللهم إني أصبحت لا أملك لنفسي خيراً ما أرجوه، ولا أدفع عنها شرّاً ما أحذر عليها، وأصبحت الأمور بيدك فلا فقير أفقر منّي، ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير، اللهم ارددني منك بخير فإنّه لا رادّ لفضلك، اللهم إني أعوذ بك من أن تبدل اسمي، أو تغير جسمي، أو تزيل نعمتك عندي، اللهم كرمني بالتقوى، وجملني بالنعم، وأعمرني بالعافية، وارزقني شكر العافية». (٢)

وروى الكليني - أيضاً - عن ابن فضال قال: رأيت أبا الحسن (الرضا) عليه السلام وهو يريد أن يودّع للخروج إلى العمرة فأتى القبر من موضع رأس رسول الله صلى الله عليه وآله بعد

ص: ١١٤

١- . عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٢٧؛ بحار الأنوار: ١٧/٣٣، برقم ١٥.

٢- . الوسائل: ١٤، (كتاب الحج)، الباب ٦ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٢.

المغرب فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ولزق بالقبر، ثم أتى المنبر، وانصرف حتى أتى القبر فقام إلى جانبه يصلي، وألصق منكبه الأيسر بالقبر قريباً من الأستوانه التي دون الأستوانه المخلقه التي عند رأس النبي صلى الله عليه وآله فصلّى ست ركعات - أو ثماني ركعات - في نعليه. (١)

وروى الكليني بسنده عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فائت المنبر فامسح بيدك وخذ برمانيته، وهما السفلاوان، وامسح عينيك ووجهك به فإنه يقال: إنه شفاء للعين، وقم عنده فاحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما بين قبري ومنبري روضه من رياض الجنّه، ومنبري على ترعه من ترع الجنّه - والترعه هي الباب الصغير - ثم تأتي مقام النبي صلى الله عليه وآله فتصلي فيه ما بدا لك». (٢)

شبهه القائلين بحرمه التبرّك

لما وقف القائل بمنع التبرّك على هذه الروايات الهائلة الحاكيه عن تبرّك الصحابه بآثار النبي صلى الله عليه وآله، حاول أن يتخلص من ذلك بالوجهين التاليين:

الأول: التبرّك مخصوص بآثار النبي صلى الله عليه وآله في حال حياته لا بعد رحيله (٣).

ولسائل أن يسأل القائل: هل كان التبرّك بآثار النبي صلى الله عليه وآله في حال حياته أمراً عبادياً يتقرّب به إلى الله سبحانه أو كان عملاً عادياً - لا عبادياً - نظير

ص: ١١٧

١- . الوسائل: ١٤، كتاب الحج، الباب ١٥ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٣.

٢- . الوسائل: ١٤، كتاب الحج، الباب ٧ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ١.

٣- . التبرّك والتوسل والصلح مع العدو الصهيوني: ٤٠. والقائل عبدالعزيز بن باز مفتي السعودية سابقاً.

الأعمال التي يقوم بها الناس حسب فطرتهم؟ فعلى الأول يكون التبرّك عندئذٍ شركاً يعدّ نوع عباده للغير فلا يجوز للنبي أن يقَرّه فيسكت عنه أو أن يدعمه بدفع العصا وغيرها، كيف وقد وصف سبحانه الشرك بأنّه ظلمٌ عظيم؟ قال سبحانه مخاطباً لنبيّه: (لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) (١) وعلى هذا فلا محيص من ردّ هذا الفرض.

وعلى الثاني أي كون التبرّك أمراً عادياً يطلب المتبرك الخير من مورده كما يطلب الخير من سائر الأمور فلا يصحّ تخصيص الجواز بآثار النبي، لأنّ المفروض أنّه خارج عن إطار العبادة وداخل تحت الأمور العاديّة.

إنّ التبرّك بآثار الأولياء والعلماء والأخيار أمر فطري للناس، ولذلك تبرّكت بنو إسرائيل بتابوت موسى، كما تبرّك الموحّدون بأصحاب الكهف ببناء المسجد على قبورهم والعبادة فيه، وقد مرّ أن إمام الحنابلة أحمد بن حنبل تبرّك بماء غسل فيه قميص الشافعي (٢) وقد جاء في بعض الروايات أنّ في سؤر المؤمن شفاء. (٣)

ونقل بعض الثقات أنّه شارك في ضيافته أقمها الشيخ عبدالعزيز بن باز لجماعه من العلماء وهو منهم ورأى بأم عينيه أنّ أصحاب المفتى في نهايه الأمر تسابقوا إلى سؤر طعامه، أفيصحّ بعد ذلك تخصيص التبرّك بآثار النبي؟!

الثاني: أنّ التبرّك يختصّ بما مسّ جسده الشريف.

إنّ التبرّك بما مسّ جسده عليه السلام من ماء وضوء أو عرق أو شعر، فهذا معروف وجائز عند الصحابه لما في ذلك من الخير والبركه. وهذا قد أقرّه النبي دون ما لم يمسّ جسده. (٤)

وعلق محقق كتاب الإمام أحمد باسم «العلل ومعرفه الرجال» فقال في

ص: ١١٨

١- . الزمر: ٦٥.

٢- . مرّ ص: ٧٩.

٣- . الوسائل: ٢٥، الباب ١٨ من أبواب الأشربه المباحه، الحديث ١.

٤- . التبرّك والتوسل والصلح مع العدو الصهيوني: ٤٠.

الهامش: وأن هذا كان لما كان منبره الذى لامس جسده الشريف، أما الآن فقد تغير، لا يقال بمشروعته مسه تبركاً به. (١)

يلاحظ عليه أولاً: أن تخصيص التبرك بالآثار مسها جسد النبي المطهر لا يخلو من وجهين:

١. إن لجسده المطهر تأثيراً فى نشوء الخير وزيادة النعمة. وهذا الوجه مرفوض بما عليه علماء السنه وبالأخص فقهاء الحنابلة، لأنهم ينكرون أى مؤثر فى العالم سوى الله تبارك وتعالى وشعارهم فى هذا الموضوع قول القائل:

ومن يقل بالطبع أو بالعله فذاك كفر عند أهل المله

فعلى هذا الأصل فليس لجسده المطهر أى تأثير فى وجود الخير وزيادة النعمة، وإلا يلزم الاعتقاد بمؤثر سوى الله سبحانه، ولو كان التأثير ظلياً وتابعاً لمشيئته سبحانه فإنهم ينفون ذلك كله.

٢. نفى القول بالتأثير لكن تبرك الصحابه كان فى خصوص ما مس جسده الشريف لا غير. لكن هذا الوجه مردود بنص التاريخ، وذلك:

أولاً: أن فاطمه الزهراء بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله التى طهرها الله سبحانه فى كتابه وقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (٢)، وأناط سبحانه رضاه وغضبه برضا فاطمه وغضبها فقال النبي صلى الله عليه وآله:

«فاطمه بضعه منى فمن أغضبها فقد أغضبني» (٣).

وفى روايه أخرى، أن غضب الزهراء عليها السلام ورضاها يوجب غضب الله سبحانه ورضاه، فقال:

ص: ١١٩

١- . العلل ومعرفه الرجال: ٢/٤٩٤.

٢- . الأحزاب: ٣٣.

٣- . صحيح البخارى: ٢١٠/٤، دار الفكر، بيروت؛ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى: ٧/٨٤.

«يا فاطمه إنَّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» (١).

إنَّها عليها السلام تبركت بتراب قبر أبيها ووضعت شيئاً منه على عينها وقالت:

ماذا على مَنْ شمَّ تربه أحمد ألاً يشم مدى الزمان غوالياً

صُبت على مصائب لو أنَّها صُبت على الأيام صرن ليالياً (٢).

والتراب الذى أخذته بنت النبي لم يمَسَّ جسد النبي صلى الله عليه وآله، إذ لم تأخذه من تراب داخل القبر الذى مَسَّ جسده، بل أخذته من تراب ظاهر القبر الذى يوارى به الميت.

وهذا هو مضيّف النبي أبو أيوب الأنصارى حيث جعل خدّه على تراب قبر النبي صلى الله عليه وآله متبرّكاً به أيّام كانت الحكومه بيد الأمويين وعلى رأسهم مروان بن الحكم (٣).

وهؤلاء هم صحابه النبي صلى الله عليه وآله كانوا يتبرّكون بالصلاه فى أماكن صلى فيها النبي، ومن المعلوم أنّ تلك الأماكن لم تكن مسقّفه أو مفروشه بالحُصير والبوارى، بل كانت أراضٍ مكشوفه صلى فيها النبي صلى الله عليه وآله، فمن المعلوم أنّ الأمطار والرياح والعواصف تفرّق ترابها إلى نقاط بعيدة وترسل غبار الأماكن الأخرى إليها.

إنَّه سبحانه أمر حجّاج بيته الحرام بالصلاه فى مقام إبراهيم عليه السلام فقال:

(وَ اتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِيًّا) (٤) وليس المقام إلّا جزءاً من المسجد الحرام، ولكنَّه سبحانه أمر بالصلاه فيه وما هذا إلّا للتبرّك به، والمقام الموجود حالياً وحتى الموجود فى القرون السابقه لم يكن ممّا مسّه جسد بطل التوحيد.

ص: ١٢٠

١- . مستدرک الحاکم: ١٥٤/٣؛ مجمع الزوائد: ٢٠٣/٩، وقد استدرک الحاکم فى كتابه الأحاديث الصحيحه حسب شروط البخارى ومسلم ولكن لم يخرجاه. وعلى ذلك فهذا الحديث صحيح عند الشيخين وهو متفق عليه.

٢- . المغنى لابن قدامه: ٢/٤١١.

٣- . مرّ ص ٨٢.

٤- . البقره: ١٢٥.

وَمَنْ قرأ تبرّك الصحابه بآثار النبي يقف على أنّ تلك المحاوله ليست إلّالرأى مسبق ودعماً للمذهب ولم تكن هذه المحاوله وما تقدّمها فى خلد أى صحابى يتبرّك بآثار النبي صلى الله عليه و آله.

وثانياً: أنّ كثيراً من الأعمال التى يمارسها المسلمون فى الحرمين الشريفين من تقبيل الضريح والجدران والأبواب وأركان البيت وغير ذلك كله تجسيد منهم لحبّ الله وحبّ رسوله الذى أمر سبحانه به فى قوله: (إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُضَوِّنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (١).

وأمر فى آيه أخرى بتوقير النبي صلى الله عليه و آله إلى جانب الإيمان به ونصرته واتباعه وقال: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢)، والمراد من التعزير هو تكريمه وتوقيره، وبما أنّ يد المحبين لا تصل إلى يد النبي صلى الله عليه و آله حتّى يقبلونها، يقبلون ما له، به صلّه، وهذه هى العاده السائده بين العقلاء فيقبل الولد ما ورثه من الآباء من ألبسه وكتب وأقلام وتصاوير، وكأنّ منطق الجميع منطق مجنون ليلى العامريه:

أمر على الديار ديار ليلى أقتل ذا الجدار وذا الجدارا

وماحب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا(٣)

وقد عدّ البيهقى محبه النبي من شعب الإيمان(٤)، كما عقد مسلم فى صحيحه باباً باسم توقيره صلى الله عليه و آله وترك إكثار سؤاله عمّا لا ضروره إليه(٥).

ص: ١٢١

١- . التوبه: ٢٤.

٢- . الأعراف: ١٥٧.

٣- . مرّ مصدر البيتين ص ٧٩.

٤- . شعب الإيمان: ٢/١٢٩.

٥- . صحيح مسلم: كتاب الفضائل، الباب ٣٧.

والعجب أن أتباع ابن تيميه - الذي يعدّ التبرّك بآثار النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله بدعه - كانوا يتبرّكون بالماء الذي فضل من غسله، يقول تلميذه ابن كثير في حوادث سنة ٧٢٨هـ: شرب جماعه الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعه بقيه الصدر الذي غُسل به، ودفع في الخيط - الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل - مائه وخمسون درهماً، وقيل: إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائه درهماً، وحصل في الجنازه ضجيج وبكاء كثير وتضرع، وختمت له ختمات كثيره بالصالحيه وبالبلد، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيره ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون، ورويت له منامات صالحه ورثاه جماعه بقصائد جمّه. (١)

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات

تمت الرساله بيد العبد الفقير

إلى الله الغنى، عشيه يوم السبت

ثاني شهر محرم الحرام من شهور عام ١٤٣١ هـ

ص: ١٢٢

١- . البدايه والنهايه: ١٤٢/١٤-١٤٣.

التوسّل: مأخوذ من مادّه «وسل» بمعنى التقرب من الشخص. و «الوسيله» ما يتقرب به إلى الغير، والجمع «الوسائل»، وفي الحديث: «اللهم آت محمداً الوسيله»، قيل: هي الشفاعة يوم القيامة، وقيل: هي منزله من منازل الجنة. (١)

وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتبعوا إليه الوسيله، قال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٢).

والآيه تدلّ بوضوح على أنّ تقرب المؤمن إلى الله سبحانه رهن تحصيل الوسيله أو الوسائل حتّى يتقرب بها إليه سبحانه، ويكون في النهايه من المفلحين.

وأما ما هي الوسيله؟ فالآيه ساكته عن ذلك، نعم ذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما يتمكن أن يتقرب به، فقال: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْإِيْمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذُرْوَةُ الْإِسْلَامِ؛ وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ؛ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمَلَّةُ؛ وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ؛ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ؛ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا

ص: ١٢٣

١- انظر: لسان العرب: ١١/٧٢٥؛ النهايه لابن الأثير: ٥/١٨٥.

٢- المائدة: ٣٥.

يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَيَزْحَضَانِ الذَّنْبَ ؛ وَصِلَهُ الرَّحِمَ فَإِنَّهَا مَثْرَاهُ فِي الْمَالِ ، وَمَنْسَأُهُ فِي الْأَجْلِ ؛ وَصَدَقَهُ السَّرَّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ ؛ وَصَدَقَهُ الْعَلَانِيَةَ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ؛ وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ «(١)».

وفي خطبه أخرى يقول عليه السلام في ذكر النبي صلى الله عليه وآله: «فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَهُ ، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً . اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ ، وَاجْزِهِ مُضْعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ (النَّاسِ) بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنَزَلَهُ ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ «(٢)».

أنواع الوسائل

إشاره

قد أشار الإمام علي عليه السلام في كلامه إلى بعض الوسائل، ومن أنواع الوسائل الاهتمام بالنوافل، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ جَل جلاله قال: ما يُتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لِيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يُبْطِشُ بِهَا، إِنْ دَعَانِي أُجِبْتَهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطِيْتَهُ»(٣).

ومن الواضح أنه لا يصلح كل عمل أن يتقرب به الإنسان إلى الله سبحانه، وإنما يصلح بعملٍ قد ورد في الشريعة الأمر بالتوسل به والتقرب به إلى الله، وهذا ما نبهته تالياً:

الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته

إنه سبحانه وتعالى يأمرنا أن ندعوه بأسمائه فيقول: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

ص: ١٢٤

١- . نهج البلاغه: الخطبه ١١٠.

٢- . نهج البلاغه: الخطبه ١٠٥.

٣- . الكافي: ٢/٢٦٣ ح ٨؛ الوسائل: ج ٢، الباب ١٧ من أبواب أعداد الفرائض، الحديث ٦.

وقد وردت أسماءه الحسنی فی الذكر الحكيم والسنة النبويه، وهی بین ما هو وصف للذات كقولنا: عالم وقادر، أو وصف للفعل كقولنا: خالق ورازق، و بین ما هی أوصاف الجمال كقولنا: سمیع بصیر، أو أوصاف الجلال كقولنا: قدوس، فیصح لمن یرید التقرب إلى الله أن یقول: یا الله، یا رحمن، یا رحیم، یا خالق السماوات والأرض، یا غافر الذنوب، یا رازق الطفل الصغیر.. فلا شك أن دعاءه سبحانه بهذه الأوصاف یبعث رحمته ومغفرته إلى الداعین ویوجب قضاء حوائجهم.

أخرج الترمذی عن عبد الله بن بريدة الأسلمی، عن أبيه قال: سمع النبی صلی الله علیه و آله رجلاً یدعو ویقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم یلد ولم یولد ولم یکن له كفواً أحد، قال فقال:

«والذي نفسی بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل أعطى» (٢).

وقد كان الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام يفتتحان دعاءهما باسمه العظيم الأعظم، على النحو التالي: «اللهم إني أسألك باسمك العظيم الأعظم الأعزّ الأجل الأكرم العذی إذا دُعيتَ به على مغالق السماء للفتح بالرحمة انفتحت، وإذا دُعيتَ به على مضايق أبواب الأرض للفرج انفرجت، وإذا دُعيتَ به على العسر لليسر تيسرت» (٣).

الثاني: التوسل بالقرآن الكريم

إنّ للقرآن الكريم منزله رفيعه عند الله سبحانه، وهو من الوسائل التي يمكن

ص: ١٢٥

١- الأعراف: ١٨٠.

٢- سنن الترمذی (الجامع الصحيح): ٥/٥١٥، الحديث: ٣٤٧٥.

٣- مصباح المتهجد: ٣٧٤.

للعبء أن يتقرب بها إليه سبحانه من خلال تلاوته، روى أحمد بن حنبل بسنده عن عمران بن حصين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اقرأوا القرآن واسألوا الله تبارك وتعالى به، قبل أن يجيء قوم يسألون به الناس» (١).

وروى حريز بن عبد الله السجستاني عن الإمام الباقر عليه السلام أن من أعمال ليلة القدر أن تأخذ المصحف في ثلاث ليال من شهر رمضان وتنشره وتضعه بين يديك وتقول: اللهم إني أسألك بكتابك المنزل وما فيه، وفيه اسمك الأَكْبَرُ وأسمائك الحسنی وما يخاف ويرجى أن تجعلني من عتقائك من النار. (٢).

الثالث: التوسل بالأعمال الصالحة

قلما يتفق لمؤمن أن لا يقوم بعمل صالح بعيد عن الرياء والسمعه عبر حياته فيمكن أن يتوسل بعمله الصالح ثم يدعو الله تعالى أن يقضى حاجته به.

ولأجل ذلك نرى أن نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو الله سبحانه حينما يشتغل بعمل صالح كرفع قواعد البيت الحرام كما يحكى عنه سبحانه ويقول: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (٣).

فقد طلب عليه السلام من الله سبحانه أموراً أربعة حينما كان يرفع قواعد البيت كما هو ظاهر لمن تأمل في تلك الآية الكريمة.

كما أنه عز وجل يذكر دعاء آخر للمؤمنين فيقول سبحانه: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

ص: ١٢٦

١- . مسند أحمد: ٤/٤٤٥.

٢- . إقبال الأعمال: ١/٣٤٦.

٣- . البقره: ١٢٧-١٢٨.

إِنَّا آمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ (١) فهاهم قد طلبوا من الله سبحانه غفرانَ ذنوبهم وصيانتهم من العذاب بعدما أظهروا الإيمان وقالوا: (رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا...).

وقد ورد هذا النوع من التوسل في الأحاديث الشريفه نذكر نموذجاً منه:

أخرج البخارى عن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «بينما ثلاثه نفر ممّن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنّ الله يا هؤلاء لا ينجيكم إلّا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنّه قد صدق فيه.

فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنّه كان لى أجير يعمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وأنى عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أنى اشتريت منه بقرأ وأنه أتانى يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها.

فقال لى: إنّما لى عندك فرق من أرز. فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق، فساقتها. فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخره.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنّه كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليله بلبن غنم لى، فأبطأت عليهما ليله فجئت وقد رقدا، وأهلى و عيالى يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا بشربتهما، فلم أزل انتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخره حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنّه كان لى ابنه عم من أحب الناس إلى وإتى راودتها عن نفسها فأبت إلّا أن آتيتها بمائه دينار، فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها

ص: ١٢٧

فدفعتها إليها فأمكننتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقامت وتركت المائة دينار. فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا» (١).

الرابع: التوسل بدعاء الأخ المؤمن

إن التوسل بدعاء الأخ المؤمن من الوسائل التي أمر بها الكتاب والسنة، ويمكن استظهار ذلك من خلال أن حمله العرش يستغفرون للمؤمنين، قال سبحانه: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) (٢)، فلولا أن دعاء الغير مقرون بالاستجابة لما قام حمله العرش بالاستغفار لمن آمن.

وفي ضوء هذا فقد روى أن النبي صلى الله عليه وآله طلب من الأمة أن يسألوا الله سبحانه أن يرزقه الوسيلة.

أخرج مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلوة صلي الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى إلا لعباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» (٣).

وفي روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام إشارات إلى ذلك، روى الحسين بن سعيد الأهوازي بسنده عن أبي بصير، قال: أمر أبو جعفر عليه السلام غلاماً له وقال: «يا بني اذهب

ص: ١٢٨

١- . صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، الحديث ٣٤٦٥؛ وكتاب البيوع، الحديث ٢٢١٥؛ مجمع البيان: ٣/٤٥٢ في تفسير الآية ٩ من سورة الكهف؛ نور الثقلين: ٣/٢٤٩، في تفسير نفس الآية.

٢- . غافر: ٧.

٣- . صحيح مسلم: ٢/٤، كتاب الصلاة، الحديث ٣٨٤/٧٣٥.

إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فصل ركعتين ثم قل: اللهم اغفر لعلى بن الحسين خطيئته يوم الدين، ثم قال للغلام: اذهب فأنت حر لوجه الله»(١).

وروى الإربلى عن على بن محمد الحجاج قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام: أنا فى خدمتك وأصابنى عله فى رجلى ولا أقدر على النهوض والقيام بما يجب، فإن رأيت أن تدعو الله أن يكشف علتى ويعينى على القيام بما يجب علىّ وأداء الأمانة فى ذلك ويجعلنى من تقصيرى من غير تعمد منى، وتضييع ما لا أتعلمه من نسيان يصيبنى فى حلّ ويوسّع علىّ وتدعو لى بالثبات على دينه الذى ارتضاه لنبىه عليه السلام.

فوقّع: «كشف الله عنك وعن أبيك، قال: وكان بأبى عله ولم أكتب فيها فدعا له ابتداء»(٢).

الخامس: التوسل بدعاء النبى صلى الله عليه وآله فى حياته

التوسل بدعاء النبى الأعظم صلى الله عليه وآله فى حال حياته ممّا اتفقت عليه كلمات العلماء ولم يختلف فيه أحد. ويظهر من القرآن الكريم وجود هذا النوع من التوسل فى الأمم السالفة بشهادته أن إخوه يوسف بعدما تبين خطأهم طلبوا من أبيهم الاستغفار لهم، فقالوا: (يا أبانا اسئغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) (٣) وقد استجاب لهم أبوهم يعقوب وقال: (سوف أستغفر لكم ربى إنه هيو الغفور الرحيم) (٤). فإذا كان التوسل بدعاء الأخ المؤمن أمراً راجحاً مرجو الاستجابة فالتوسل بدعاء النبى الطاهر أولى بذلك.

ولذلك نرى أنه سبحانه يحثّ الذين ظلموا أنفسهم (بالعصيان) على أن

ص: ١٢٩

١- . بحار الأنوار: ٤٦/٩٢، الحديث ٧٩.

٢- . كشف الغمه: ٣/٢٥١.

٣- . يوسف: ٩٧.

٤- . يوسف: ٩٨.

يتوسلوا بدعاء النبي صلى الله عليه وآله واستغفاره، ويقول سبحانه: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (١).

وفى آيه أخرى يندد بالمنافقين بأنهم إذا خوطبوا بالذهاب إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ليستغفر لهم أعرضوا عن ذلك وصدوا تكبراً، قال سبحانه: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (٢).

إلى هنا تم بيان أنواع التوسلات التي لم يظهر فيها خلاف، وأمّا الأنواع الأخرى التي ظهر فيها الاختلاف من زمان ابن تيميه، فإليك بيانها:

السادس: التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله

التوسل بدعاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله رهن ثبوت أمرين:

١. كونه حياً يُرزق عند ربه.

٢. وجود الصلة بينه وبين المتوسل.

أمّا الأمر الأوّل: فيكفي في ثبوت الحياه البرزخيه ما دل على حياه الشهداء بعد رحيلهم من الدنيا، فإذا كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فنبى الشهداء أولى بها.

أمّا حياه الشهداء فالذكر الحكيم صريح في ذلك الأمر، قال سبحانه: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٣).

وليست هذه هي الآيه وحده في الموضوع، بل يدل على ذلك غير واحده

ص: ١٣٠

١- النساء: ٦٤.

٢- المنافقون: ٥.

٣- آل عمران: ١٦٩-١٧٠.

١. قال سبحانه: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) (١).

والخطاب في قوله: (ادْخُلِ) متوجه لمن جاء من أقصى المدينة وخاطب قومه بقوله: (اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَ هُمْ مُّهْتَدُونَ) (٢)وبعد ما أتم كلامه ودعا الناس إلى الإيمان برسول المسيح، قام قومه بضربه ورجمه حتى مات فعند ذلك خاطبه سبحانه بقوله: (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فقال الرجل: (يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) ، فالاستدلال مركّز على تبين المراد من الجنة؟ هل هي جنه المأوى التي يدخل فيها الإنسان المؤمن بعد الحشر والنشر؟ أو المراد منها الجنة البرزخية التي يتنعم فيها العباد الصالحون بعد موتهم إلى يوم القيامة، فتكون الآيه شاهداً لاستمرار الحياه بعد الرحيل عن هذه الدنيا.

ومما نلفت إليه نظر القارئ هو أنّ الحياه البرزخيه تعمّ المؤمن والكافر، غايه الأمر المؤمن منعم فيها والكافر معذب، يقول سبحانه في حق الفراعنه: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (٣).

إنّ القول بأنّ الموت إبطال للإنسان ولا يبقى بعد الموت منه شيء عقيدته مادّيه يصرّ عليها حماه الماده في عصرنا هذا، حيث يعتقدون بأنّ الموت نهايه وجود الإنسان ولا يبقى بعد الموت منه شيء، والقرآن الكريم يرفض تلك العقيدته قائلاً بأنّ الموت فناء للجسم العذى هو بمنزله الثوب للروح، وأمّا الروح فهي التي يأخذها ملك الموت وتبقى عند الله تبارك وتعالى، وهذه الحقيقه قد أشار إليها سبحانه في جواب نفاه المعاد بقولهم: (أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي

ص: ١٣١

١- . يس: ٢٦-٢٧.

٢- . يس: ٢٠-٢١.

٣- . غافر: ٤٦.

خَلَقَ جَدِيدًا (١) فَأَجَابَهُمْ سَبْحَانَهُ بِأَمْرَيْنِ:

١. (بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ) .

٢. (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (٢).

فَقَوْلُهُ سَبْحَانَهُ: (يَتَوَفَّاكُم) بِمَعْنَى: يَأْخُذُكُمْ. فَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ تَدلُّ عَلَى أَنَّ الْبَاقِيَ فِي الْأَرْضِ الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ نَفَاهُ الْمَعَادِ وَزَعَمُوا امْتِنَاعَهُ بِحُجَّةٍ تَفْرُقُهُ وَتَبْعَثُ أَجْزَاءَ بَدَنِهِ، غَيْرَ وَاقِعِ الْإِنْسَانِ وَأَنَّ هُنَا وَاقِعًا ثَابِتًا لَا يَضِلُّ وَلَا يُنْسَى بَلْ يَأْخُذُهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَيَبْقَى عِنْدَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَهُوَ رُوحُهُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا سَبْحَانَهُ بَعْدَ إِتْمَامِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بِقَوْلِهِ: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (٣).

وَحَصِيلَةُ الْكَلَامِ: أَنَّ الْآيَةَ لَا تَصْلُحُ جَوَابًا لِشِبْهِهِ الْمُنْكَرِينَ إِلَّا بِالْقَوْلِ بِأَنَّ الضَّالَّ فِي الْأَرْضِ، غَيْرَ الْبَاقِيَ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّ الرَّمِيمَ فِيهَا شَيْءٌ مُنْفَصِلٌ عَنِ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ، إِذْ أَنَّ حَقِيقَتَهُ هِيَ الَّتِي يَأْخُذُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ. وَهِيَ بَاقِيَةٌ عِنْدَ اللَّهِ إِلَى رُجُوعِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ تُؤَيِّدُ ذَلِكَ حَيْثُ عَقَدَ الْبُخَارِيُّ بِأَبًا بِاسْمِ «بَابِ الْمَيْتِ يَسْمَعُ خَفَقَ النَّعَالِ» فَرَوَى فِيهِ عَنِ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وَضَعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلِكٌ فَأَقْعَدَاهُ... الخ» (٤).

وَبِمَا أَنَّ بَحْوثَنَا تَدُورُ حَوْلَ دَلَالَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُتَضَافِرَةِ، اقْتَصَرْنَا فِي إِثْبَاتِ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ - وَهُوَ بَقَاءُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ - عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ، وَقَدْ أَقَامَ الْمُحَقِّقُونَ عَلَى تَجَرُّدِ رُوحِ الْإِنْسَانِ وَبَقَائِهَا، بِرَاهِينٍ عِلْمِيَّةٍ مُتَقَنَةٍ، وَمَنْ أَرَادَ التَّفْصِيلَ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهَا. (٥)

ص: ١٣٢

١- . السجده: ١٠.

٢- . السجده: ١١.

٣- . المؤمنون: ١٤.

٤- . صحيح البخارى: ٣١٦، كتاب الجنائز، الحديث رقم ١٣٣٨.

٥- . لاحظ شرح الإشارات: ٢/٢٩٢، الأسفار لصدر المتألهين: ٣/٤٤٥ و ٨/٢٦٠-٣٠٣.

وأَمَّا الأمر الثاني أعنى: وجود الصلّه بين من يعيش على وجه البسيطة وبين الأرواح، فَإِنَّ من أنكر التوسّل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله ربّما يسلّم بالأمر الأوّل وأنّ النبي صلى الله عليه وآله حيّ بحياه برزخيه بعد رحيله، ولكن ربّما ينكر الصلّه بيننا وبين عالم الأرواح، ويصرّ على الانقطاع، بينما القرآن الكريم يدلّ بوضوح على وجود الصلّه بيننا وبينهم بشهادته أنّ نبيّن كريمين - أعنى: صالحاً وشعيباً - قد خاطبا قومهما بعد هلا-كهم، فلو كانت الصلّه منتفيه فما معنى تكلمهما مع قومهما بعد هلاكهم!؟

أمّا نبي الله صالح عليه السلام فقد حكى القرآن تكلمه مع قومه بعد هلا-كهم بقوله سبحانه: (فَأَخَذْتُهُمْ الرّجفة فأصمّ ببحوا في دارهم جاثمين) (١) فالآية صريحه في هلا-ك قومه، وموتهم عن آخرهم، وبعد ذلك يحكى تكلم النبي صالح عليه السلام معهم، ويقول: (فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالته ربّي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) (٢).

إنّ «الفاء» في قوله: (فتولّى) دالّ على وجود الترتيب بين هلا-كهم وتكلم نبيهم معهم، فلولا-وجود الصلّه فما معنى قوله: (يا قوم لقد أبلغتكم) ، حتّى أنّ قوله: (و لكن لا تحبون الناصحين) (٣) حاكي عن أنّ أرواحهم قد بلغت من الخبث حتّى أنّهم لا يحبون النبي عليه السلام بعد هلاكهم أيضاً.

ونقل نظير ذلك الخطاب في قصه شعيب عليه السلام، قال سبحانه: (فَأَخَذْتُهُم الرّجفة فأصمّ ببحوا في دارهم جاثمين) (٤)، ثم يحكى فعل شعيب بقوله: (فتولّى عنهم) ٥ أي تولّى شعيب عن قومه، ومع ذلك خاطبهم بقوله: (يا قوم لقد أبلغتكم رسالته ربّي

ص: ١٣٣

١- . الأعراف: ٧٨.

٢- . الأعراف: ٧٩.

٣- . الأعراف: ٧٩.

٤- . الأعراف: ٩١.

وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (١).

تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ الْهَالِكِينَ مِنْ قَرِيْشٍ

لَمَّا قَتَلَ صَنَادِيدَ قَرِيْشٍ وَرُؤَسَاءَهُمْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرَمِيهِمْ فِي الْقَلْبِ وَيَبْلُغُ عِدَّتَهُمْ ٢٤ رَجُلًا فَقَذَفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرِ خَبِيثٍ مَخْبَثٍ، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى شَفَةِ الرُّكِيِّ، فَجَعَلَ يَنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، أَيَسَّرَكُمُ أَنْكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وَاللَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ». (٢).

وَالعَجَبُ أَنَّ الْوَصِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا خَاطَبَ النَّاكِثِينَ بَعْدَ مَا قَتَلُوا فِي الْجَمَلِ، حَيْثُ لَمَّا انْجَلَّتِ الْحَرْبُ فِي الْبَصْرَةِ وَقَتَلَ طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ وَحَمَلَتْ عَائِشَةُ إِلَى قَصْرِ بَنِي خَلْفِ بْنِ خَلْفٍ رَكِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ، وَعَمَّيَّارُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَمْشِي مَعَ رِكَابِهِ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الْقَتْلَى يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ سَارَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى كَعْبِ بْنِ سُوْرِ الْقَاضِي وَهُوَ مَجْدُلٌ بَيْنَ الْقَتْلَى وَفِي عُنُقِهِ الْمَصْحَفَ فَقَالَ نَحْوَ الْمَصْحَفِ وَضَعُوهُ فِي مَوَاضِعِ الطَّهَارَةِ ثُمَّ قَالَ أَجْلِسُوا إِلَيَّ كَعْبًا فَأَجْلِسْ وَرَأْسَهُ يَنْخَفِضُ إِلَى الْأَرْضِ فَقَالَ: «يَا كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتَ مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ حَقًّا؟»، ثُمَّ قَالَ: «أَضِجَعُوا كَعْبًا»، فَتَجَاوَزَهُ.

فَمَرَّ فَرَأَى طَلْحَةَ صَرِيحًا فَقَالَ: أَجْلِسُوا طَلْحَةَ فَأَجْلِسْ فَخَاطَبَهُ بِمِثْلِ مَا خَاطَبَ بِهِ كَعْبًا.

فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ رَجُلٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كَلَامُكَ، هَذِهِ الْهَامُ قَدْ صَدِيتُ لَا تَسْمَعُ لَكَ كَلَامًا وَلَا تَرُدُّ جَوَابًا! فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لَيْسَمَعَانِ كَلَامِي كَمَا تَسْمَعُ

ص: ١٣٤

١- .الأعراف: ٩٣.

٢- . صحيح البخارى: ٩٧١، كتاب المغازى، الحديث رقم ٣٩٧٦.

أصحاب القلب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أذن لهما في الجواب لرأيت عجباً». (١)

كيف يمكن لنا إنكار الصلوة بيننا وبين النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون ليلاً ونهاراً يسلمون عليه مخاطبين له بقولهم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

حتى أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عندما زار بقيع الغرقد خاطب أهل القبور بقوله:

«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً - مؤجلون - وإنما إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». (٢)

سيره المسلمين بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله

من أمعن النظر في ما نُقل عن سيره المسلمين بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله يقف على أن التوسل بدعاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله كانت سيرتهم المستمرة، وإليك نماذج من سيره الصحابه الكرام:

١. روى البخارى: أقبل أبو بكر على فرسه من مسكنه بالسنع، حتى نزل ودخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشه، فتميم النبي صلى الله عليه وآله وهو مسجى ببرد حبره فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله ثم بكى . فقال: بأبي أنت يا نبي الله! لا يجمع الله عليك موتتين. أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متها. (٣)

٢. وجاء في سيره ابن هشام: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت عائشه، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موته أبداً. (٤)

ص: ١٣٥

١- . الجمل والنصره للشيخ المفيد: ٣٩٢.

٢- . صحيح مسلم: ٣/٦٣، كتاب الجنائز؛ وانظر صفحه ٤٤١ برقم ٢١٤٤. ط. دار الفكر.

٣- . صحيح البخارى: ٢٩٤، كتاب الجنائز، ١٢٤١-١٢٤٢.

٤- . سيره ابن هشام: ٤/٦٥٦؛ ولاحظ الروض الأنف: ٤/٢٦٠.

٣. وروى الحلبي في سيرته أنه قال: «بأبي أنت وأمي»، وتكلم كلاماً بليغاً، سكن به نفوس المسلمين وثبت جأشهم (١).

٤. وجاء في سيره زيني دحلان: دخل أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله فأكبّ عليه وكشف الثوب عن وجهه، وقال: طبت حياً وميتاً، وانقطع لموتك ما لم ينقطع للأنبياء قبلك، فعظمت عن الصفه وجللت عن البكاء، ولو أنّ موتك كان اختيارياً لجدنا لموتك بالنفوس، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن على بالك (٢).

أقول: لو أنّ الصلّه بين النبي صلى الله عليه وآله والأحياء كانت مقطوعه، فما معنى مخاطبه أبي بكر للنبي صلى الله عليه وآله بالعبارات التي مرّت عليك!؟

ولو لم يكن التوسّل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله فما معنى قوله: اذكرني يا محمد عند ربك، ولنكن على بالك!؟

٥. قال أمير المؤمنين على عليه السلام - عندما ولى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله -: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء - إلى أن قال: - بأبي أنت وأمي! اذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك! (٣)

٦. ذكر غير واحد من المؤرخين بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي أنه قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي صلى الله عليه وآله و آله فزرتهم وجلست بحدائهم، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل إنّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (٤)، وإني جئتك مستغفراً ربك من ذنوبي، مستشفعاً بك، وفي روايه: وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم بكى وأنشأ يقول:

ص: ١٣٦

١- . سيره الحلبي: ٣/٣٩٢.

٢- . سيره زيني دحلان في هامش سيره الحلبي: ٣/٣٩١.

٣- . نهج البلاغه، قسم الخطب، الخطبه ٢٣٥.

٤- . النساء: ٦٤.

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف.

فرقدت فرأيت النبي صلى الله عليه وآله في نومي وهو يقول: ألحق الرجل فبشره بأن الله قد غفر له بشفاعتي. فاستيقظت فخرجت أطلبه، فلم أجده. (١)

أقول: إن الأعرابي أدرك بسلامه فطرته أن الآيه الكريمة التي تدعو المسلمين إلى المجيء إلى النبي صلى الله عليه وآله حتى يطلبوا منه الاستغفار لهم، ليست خاصه بحياه النبي صلى الله عليه وآله بل تعم الحياه الأخرويه، فلأجل ذلك قام يطلب من النبي صلى الله عليه وآله أن يستغفر له.

وقد ذكر المؤرخون قضايا كثيره من المسلمين - من الصحابه والتابعين إلى غيرهم - كانوا يتوسلون بدعاء النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله، وقد ذكر السهودي شيئاً كثيراً من هذه القصص والآثار، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابه وفاء الوفا. (٢)

ولعل هؤلاء فهموا جواز التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله من قوله تعالى:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا).

وقد أوضح السبكي دلالة الآيه على جواز التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله في حالتي حياته وبعد رحيله؛ فقال في الباب الخامس: في تقرير كون الزيارة قربه، وذلك بالكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس: أما الكتاب فقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)، ثم قال [بعد مقدمه]: فقد ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكوره في الآيه [يعنى: المجيء، واستغفار المؤمنين، واستغفار الرسول صلى الله عليه وآله لهم]، حاصله لمن

ص: ١٣٧

١- . مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢/٤٠٨؛ المواهب اللدنيه: ٤/٥٨٣؛ وفاء الوفا: ٤/١٣٦١؛ شفاء السقام: ١٥١، ط. مصر،

١٤١٩ هـ وغيرها.

٢- . وفاء الوفا: ٤/١٣٥٤-١٣٦٣.

يجيء إليه صلى الله عليه وآله مستغفراً في حياته وبعد مماته.

والآية وإن وردت في أقوام معينين في حاله الحياه، فتعمّ بعموم العله كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياه وبعد الموت.

ولذلك فهم العلماء من الآيه العموم في الحاليتين، واستحبوا لمن أتى إلى قبره صلى الله عليه وآله أن يتلوا هذه الآيه، ويستغفر الله تعالى.

وحكايه العتبى في ذلك مشهوره، وقد حكاها المصنّفون في المناسك من جميع المذاهب، والمؤرّخون، وكلهم استحسوها ورأوها من آداب الزائر، وما ينبغي أن يفعله، وقد ذكرناها في آخر الباب الثالث. (1)

ونقل السمهودى عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن موسى بن النعمان فى كتابه «مصباح الظلام» أنّ الحافظ أبى نصير السمعانى ذكر فيما روينا عنه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: قدم علينا أعرابى بعدما دفنا رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاثه أيام فرمى بنفسه على قبر النبى صلى الله عليه وآله وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله، قلتَ فسمعنا قولك، ووعيتَ عن الله سبحانه، وما وعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) وقد ظلمتُ وجئتُك تستغفر لى، فنودى من القبر: أنه قد غفر لك.

ونقله السمهودى أيضاً بسند آخر عن الإمام على عليه السلام. (2)

ولا منافاه بين النقلين لإمكان التعدد، وعلى فرض الوحده فأحد النقلين اقتصر والآخر أسهب، فنقل القصة كامله.

وهذا هو القاضى عياض بن موسى الأندلسى فى كتابه: «الشفاه بتعريف حقوق المصطفى» ذكر مناظره أبى جعفر المنصور مع إمام دار الهجرة مالك، يقول: ناظر

ص: ١٣٨

١- . شفاء السقام: ١٨١-١٨٣، وانظر أيضاً الصفحه: ١٥١.

٢- . وفاء الوفا: ٤/١٣٦١.

أبو جعفر - أمير المؤمنين - مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) (١) وذم قوماً فقال: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) (٢).

وأن حرمة ميتاً كحرمة حياً، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيله أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى إلى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله، قال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) (٣).

ونحن نجد في هذه المناظره التي نقلت بسند صحيح (٤)، دلاله واضحه على حياه النبي صلى الله عليه وآله ووجود الصله بينه وبين الزائر له، وأن قوله سبحانه: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) تختص برسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وبعد رحلته.

إلى غير ذلك من قصص الصحابه والتابعين والتي تثبت شمول الآيه لكلتا الحالتين.

ص: ١٣٩

١- الحجرات: ٢.

٢- الحجرات: ٤.

٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢/٩٢-٩٣.

٤- يقول المحققون لكتاب الشفا وفي هذا الحديث رد على من قال بأن استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزياره أمر منكر لم يقل به أحد إلا في حكاية مفتراه على الإمام مالك يعنى هذه القصة وقد أوردها المؤلف له القاضي عياض - ولله الحمد - بسند صحيح وذكر أنه تلقاها من عدّه من ثقات مشايخه فهذا مذهب مالك وأحمد والشافعي رضي الله عنهم في استحباب استقبال القبر الشريف في الدعاء وهو مسطر في كتبهم.

قد ورث المتأخرون عن ابن تيميه ووارث منهجه (محمد بن عبدالوهاب) شبهات يطرحونها لإغواء السذج من الناس، وهى شبهات واهيه لا تعتمد على دليل رصين، وإليك تحليلها.

الأولى: البرزخ مانع من الاتصال

قالوا: إنَّ الحياه البرزخيه حياه لا- يعلمها إلاالله تعالى، فهى حياه مستقله تؤمن بها ولا نعلم ماهيتها، وإنَّ بين الأحياء والأموات حاجزاً يمنع الاتصال فيما بينهم قطعياً، وعلى هذا يستحيل الاتصال لا ذاتاً ولا صفاتاً وأنه سبحانه يقول: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (١)، والبرزخ معناه الحاجز الذى يحول دون اتصال هؤلاء بهؤلاء. (٢)

أقول: إنَّ البرزخ فى اللغه هو الحاجز بين الشيئين، لا بمعنى انقطاع الصله بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، ومن فسّره بهذا المعنى فإنما قام بذلك لدعم مذهبه، فالمراد من البرزخ هو المانع من رجوع الناس إلى حياتهم الدنيويه، ويدل على ذلك أنه سبحانه ذكر وجود البرزخ بعد ما ذكر تمنى العصاه الرجوع إلى الدنيا، قال سبحانه: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحْيَادَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) (٣).

فقوله: «كلا» ردع لتمنى رجوعهم، يعنى لا يستجاب دعاؤهم، ثم عاد سبحانه يؤكد بقوله: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى حائل مانع من الرجوع إلى الدنيا إلى يوم يبعثون.

وأما ما ذكره المانع من أن الحياه البرزخيه حياه لا يعلمها إلاالله، فهو لا صله له

ص: ١٤٠

١- المؤمنون: ١٠٠.

٢- التوصل إلى حقيقه التوسل: ٢٦٧.

٣- المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

بموضوع البحث، ولكنه لو أمعن النظر في الآيات الناظرة إلى الحياه البرزخيه لوقف على بعض خصوصياتها.

الشبهه الثانيه: امتناع إسماع الموتى

قالوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) (١)، وقال سبحانه:

(إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) (٢)، وقال تعالى: (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (٣).

والرسول صلى الله عليه و آله بعد أن توفاه الله هو من الموتى ومن أهل القبور، فثبت أنه لا يسمع دعاء أحد من أهل الدنيا وإن كان هو والأنبياء، لا يُبْلُونَ لأن الله قد حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولكنهم أجساد بلا أرواح وهم أموات. (٤)

أقول: من أمعن النظر في هذه الآيات وما جاء بعدها وقبلها من الآيات الكريمة يقف على أن المراد نفي الانتفاع لا نفي الاستماع، بشهاده أن المشرك يسمع ولا ينتفع، فالموتى أيضاً يسمعون ولا ينتفعون، وإلا لاختل التشبيه، فإن أحد طرفيه يسمع ولا ينتفع فيجب أن يكون الطرف الآخر كذلك بمعنى أن المشركين والموتى سيان يسمعون ولا ينتفعون.

وقد بلغ مفاد الآيه أعلى حدّ من الظهور فقد فسّر ابن قيم الجوزيه تلميذ ابن تيميه الآيات على نحو ما ذكرنا، وإليك نص كلامه: أمّا قوله تعالى: (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) فسياق الآيه يدلّ على أن المراد منها أن الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعه إسماعاً ينتفع به، كما أن مَنْ في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعاً ينتفعون به، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئاً البتّه، كيف وقد أخبر النبي صلى الله عليه و آله أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين وأخبر أن قتلى

ص: ١٤١

١- . الروم: ٥٢.

٢- . النمل: ٨٠.

٣- . فاطر: ٢٢.

٤- . التوصل إلى حقيقه التوصل: ٢٦٧.

بدر سمعوا كلامه وخطابه، وشرع السلام عليهم بصيغه الخطاب للحاضر الذى يسمع، وأخبر أنّ من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام.

هذه الآيه نظير قوله: (إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) (١).

وقد يقال: نفى إسماع الصم مع نفى إسماع الموتى يدل على أنّ المراد عدم أهليه كل منهما للسمع وأنّ قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان إسماعها ممتنعاً بمنزله خطاب الميت والأصم وهذا حق ولكن لا ينفى إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توييح وتقريع بواسطة تعلّقها بالأبدان فى وقت ما، فهذا غير الإسماع المنفى، والله أعلم. (٢)

الشبهه الثالثه: انقطاع عمل الإنسان

قالوا: إنّ الرسول صلى الله عليه و آله قد انقطع عمله بوفاته، فلم يعد يتحرك أبداً فضلاً عن أن يحرك لسانه بالاستغفار أو غيره فهو على ضجعتة من يوم أن دفن إلى يومنا هذا إلى يوم القيامة.

أمّا أن يسمع أو يتكلم أو يصدر عنه أى عمل فلا. وقد انقطع عمله نهائياً كما قال هو عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقه جاريه وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له». ولا شك أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله يشمل هذا الحديث. لأنّه من بنى آدم، وقد قضى الله عليه بالموت والتحق بالرفيق الأعلى. (٣)

وعلى هامش هذه الشبهه نقول: إنّ مَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى إِثْبَاتِ مَا يَتَبَنَاهُ، سِوَاءَ أَكَانَ حَقًّا أَمْ بَاطِلًا فَهُوَ يَتَمَسَّكُ بِكُلِّ شَيْءٍ، سِوَاءَ أَكَانَتْ لَهُ دَلَالَةٌ عَلَى رَأْيِهِ أَمْ لَا.

ص: ١٤٢

١- النمل: ٨٠.

٢- الروح لابن القيم: ٤٥-٤٦.

٣- التوصل إلى حقيقه التوصل: ٢٦٧.

فأى دلالة لهذا الحديث على انقطاع الصلة، إذ غاية ما يدل عليه أن الإنسان لا ينتفع بعمله شخصياً بعد ما انتقل إلى البرزخ إلا عن ثلاث، فليس له عمل مباشر ينتفع به إلا هذه الثلاث، وأمّا أنه لا يتمكّن من التكلم والجواب والاستغفار في حق الغير فلا دلالة للحديث عليه.

ثم كيف يقول إنّ الأموات في الحياه البرزخيه غير قادرين على التكلم مع أنه سبحانه ينقل عن الشهداء أنّهم يتكلمون حيث يقول: (وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَ فَضْلِهِ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) (١).

وهذا هو ناصر رسل عيسى عليه السلام فعندما قتل ودخل الجنة قال: (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) (٢).

الشبهه الرابعه: التوسل بدعاء الأنبياء شرك

هذه الشبهه قررها مفتى السعوديه (ابن باز)، إذ قال في رساله له إلى أحد علماء الإماميه: وأمّا دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثه بهم والنذر لهم ونحو ذلك فهو الشرك الأكبر، وهو الذي كان يفعله كفار قريش مع أصنامهم وأوثانهم، وهكذا بقيه المشركين يقصدون بذلك أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه زلفى، ولم يعتقدوا أنها هي التي تقضى حاجاتهم وتشفى مرضاهم وتنصرهم على عدوهم، كما بين سبحانه ذلك عنهم في قوله: (وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (٣) فردّ عليهم سبحانه بقوله: (قُلْ أَ تَسُبُّونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا

ص: ١٤٣

١- . آل عمران: ١٧٠-١٧١.

٢- . يس: ٢٦-٢٧.

٣- . يونس: ١٨.

ونظير ذلك ما ذكره ابن تيميه في الفتاوى (٢).

وجوابنا عن هذه الشبهه يأتي ضمن أمور:

١. كيف يمكن أن يكون عملاً واحداً في حال حياه المدعو نفس التوحيد، وبعد رحلته يكون الشرك بعينه!؟

فإن طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وآله بعد رحلته هو نفس طلب الدعاء منه حال حياته، فكيف يمكن أن يكون الثاني موصوفاً بالتوحيد ويكون الأول موصوفاً بالشرك، مع أن ماهيه الطلب في كلتا الحالتين لم تتغير، واعتقاد الطالب بحق النبي في كلا- الموضوعين ستيان، غايه الأمر لو لم نقل بحياه المدعو أو عدم وجود الصله يكون الطلب أمراً لغواً لا شركاً وحراماً. وهذه النكته لو وقف عليها المستدل ومن يقتفى أثره لرجع عن دليله إذا كان إنساناً واعياً ومنصفاً.

٢. إن عطف عمل المسلمين بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله على عمل المشركين في دعاء الأصنام والأوثان قياس باطل، وذلك أن المشركين كانوا يعتقدون بالوهيه الأصنام وأنها تضرّ وتنفع في غير واحد من المقامات بشهادته قوله سبحانه:

(وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) (٣)، وقوله تعالى: (وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ) (٤)، وقوله عزوجل: (وَ مِنْ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) (٥) فالعز والنصر في الحروب بيد الأصنام حسب اعتقادهم، وأنها أنداد لله سبحانه في قضاء الحوائج ورفع الملمات، إلى غير ذلك من صفات الله سبحانه.

ص: ١٤٤

١- . يونس: ١٨.

٢- . الفتاوى: ١/١٥٧.

٣- . مريم: ٨١.

٤- . يس: ٧٤.

٥- . البقره: ١٦٥.

فأين هذا من دعاء المسلمين فإنهم يطلبون من النبي صلى الله عليه وآله الدعاء والشفاعة من دون أن يعتقدوا بأن النصر والعزّه بيده صلى الله عليه وآله أو أنه ند لله سبحانه؟!

فتشبيّه عمل المسلمين بعمل المشركين تعسّف واضح، لا يصدر إلّا عن المتعصب لما تربى عليه.

٣. ثم إنّه حاول التقريب بين عمل المشركين والمسلمين قائلاً: بأنّ الكفّار لم يقصدوا من آلهتهم أنّهم يشفون مرضاهم أو يقضون حوائجهم وإنّما أرادوا منهم أن يقربونهم من الله زلفى كما فى الآية المباركه. (١)

يلاحظ عليه: كيف يقول أنّهم لم يقصدوا من آلهتهم شفاء المرضى وقضاء الحوائج، مع أنّه سبحانه ينقل عنهم قولهم بأنّ العز والنصر بيد الآلهه، بل كانوا يتجاوزون هذا الحد ويعتقدون بالأنداد.

نعم كان المشركون فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله ربّما يخفون عقيدتهم ويتظاهرون بأنّ عبادتهم للأصنام ليست إلّا وسيله ليقربونهم إلى الله زلفى فقط، ولكن ما تظاهروا به كان كذباً وفريه فضحها الذكر الحكيم وقال: (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (٢).

حيث كانوا كاذبين فى حصر وجه عبادتهم للأصنام على تقريبتهم إلى الله زلفى، بل هم كانوا يعبدونها لأجل أنّ مصيرهم فى الحياه وفى الحروب بيد هذه الأصنام والآلهه، ومن أمعن النظر فى الآيات النازله فى حق المشركين يقف على أنّهم كانوا يعتقدون فيهم نفس ما يعتقدّه المسلمون فى الله سبحانه.

٤. أفصح أن نجعل الجميع فى صف واحد؛ من يسوّى بين الأصنام ورب العالمين، ويقول: (إِذْ نُسُوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (٣) ويصورها ندّاً لله سبحانه، ومنّ يعبد الله سبحانه ولا يرى له ندّاً ولا مثلاً ويتلوا كل يوم وليله قوله سبحانه: (قُلْ

ص: ١٤٥

١- التبرك والتوسل والصلح مع العدو الصهيونى: ٤٣.

٢- الزمر: ٣.

٣- الشعراء: ٩٨.

اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدَأُ بِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١).

٥. وقد روى ابن هشام في سيرته أنّ عمرو بن لُحَيٍّ كان أول من أدخل الوثنيه إلى مكة ونواحيها، فقد رأى في سفره إلى البلقاء من أراضي الشام أناساً يعبدون الأوثان، وعندما سألهم عما يفعلون بقوله: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم:

أفلاتعطوني منها صنماً، فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له هُبَلٌ، فقدم به مكة، فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

فمع هذه القصة والآيات التي تلونها عليك كيف يقول الشيخ: بأنهم لم يعتقدوا بأن آلهتهم هي التي تقضى حاجاتهم وتشفي مرضاهم وتنصرهم على عدوهم؟! (٢)

الشبهه الخامسه: أن دعاء النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله بدعه

قالوا: لو كان طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وآله أمراً جائزاً لسبق إليه الصحابه لأنهم أعلم بحلاله وحرامه. (٣)

يلاحظ عليه: أن البدعه عبارته عما لم يكن له أصل في الكتاب والسنة، وقد عرفت دلالتها فيها، وقد مرّت سيره الصحابه والتابعين في ذلك المجال. فكيف يوصف هذا العمل بكونه بدعه.

ص: ١٤٦

١- آل عمران: ٢٦.

٢- التبرك والتوسل والصلح مع العدو الصهيوني: ١٥٠.

٣- المصدر نفسه: ٥٩. وهذا النوع من الدليل عندهم يُستدل به في كل مورد يروونه حراماً، أو بدعه أو شركاً، ولا يختص بمورد واحد.

كان القسم السابق هو التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله ومن المعلوم أنّ التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله في حياته أو بعد رحيله ليس إلّالأجل أنّه دعاء روح طاهره ونفس كريمه وشخصيه مثاليه وهو أفضل الخلائق ففي الحقيقه ليس الدعاء بما هو دعاء، وسيله، وإّما الوسيله هي الدعاء النابع عن تلك الشخصيه الإلهيه التي كرمها الله وعظّمها ورفع مقامها وقال عنها: (وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) (١) وأمر المسلمين بتكريمه وتعزيزه حيث قال: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوْهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢).

فإذا كان رصيد استجابته الدعاء، هو الشخصيه الفذه المثاليه للداعي، ومنزلته عند الله فأولى أن يتوسل بها كما يتوسل بدعائها، فمن اعترف بجواز الثاني ومنع الأولى فقد فرق بين أمرين متلازمين.

ونحن نغض النظر عمّا ذكرنا من الدليل، ونذكر ما ورد في السنّه النبويه من التوسل بذاته وشخصه بطريق صحيح وقد أقرّ بصحّته الأقطاب من أهل الحديث:

توسل الضرير بشخص النبي صلى الله عليه وآله

أخرج الترمذى، وابن ماجه، وأحمد بأسانيد صحيحه عن عثمان بن حنيف أنّه قال: إنّ رجلاً ضريراً أتى النبي فقال: أدع الله أن يعافيني فقال صلى الله عليه وآله: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير».

قال: فإدعاه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضؤه ويصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمه، يا محمد إنّي أتوجه بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى، اللهم شفّعه فيّ».

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتّى دخل علينا كأن لم

ص: ١٤٧

١- . الحشر: ٤.

٢- . الأعراف: ١٥٧.

يكن به ضراً (١).

والاستدلال بالحديث رهن صحة السند أولاً، وتماميه الدلالة ثانياً. أما صحة السند فقد اعترف الأقطاب بصحته:

١. قال الترمذى: هذا حديث حق، حسن، صحيح.

٢. وقال ابن ماجه: هذا حديث صحيح.

٣. وقال ابن تيميه: قد روى الترمذى حديثاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وآله أنه علم رجلاً أن يدعو ويقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك، وروى النسائي نحو هذا الدعاء (٢).

٤. ورواه الحاكم فى المستدرک وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين (٣).

٥. وقال الرفاعى: لا شك أنّ هذا الحديث صحيح مشهور (٤) وأبو جعفر الوارد فى السند هو أبو جعفر الخطمى، كما فى بعض الأسانيد. إلى هنا تبين صحة سند الحديث فلم يبق لمشكك شك ولا لمريب ريب.

وأما الدلالة فإليك بيانها:

إنّ الحديث يدل بوضوح على أنّ الأعمى توسّل بذات النبي بتعليم منه صلى الله عليه وآله، والأعمى وإن طلب الدعاء من النبي الأكرم فى بدء الأمر إلّا أنّ النبي علّمه دعاء تضمّن التوسّل بذات النبي، وهذا هو المهم فى تبين معنى الحديث.

وبعبارة ثانية: أنّ الذى لا ينكر عند الإمعان فى الحديث أمران:

الأول: أنّ الرجل طلب من النبي صلى الله عليه وآله الدعاء ولم يظهر منه توسّل بذات النبي.

الثانى: أنّ الدعاء الذى علّمه النبي، تضمّن التوسّل بذات النبي بالصراحة

ص: ١٤٨

١- سنن الترمذى: الصحيح كتاب الدعوات، الباب ١١٩، برقم ٣٥٧٨؛ سنن ابن ماجه: ١/٤٤١ برقم ١٣٨٥؛ مسند أحمد: ٤/١٣٨

إلى غير ذلك من المصادر.

٢- مجمع الرسائل والمسائل: ١/١٣.

٣- المستدرک: ١/٣١٣.

٤- التوصل إلى حقيقه التوسل: ١٥٨.

التامة، فيكون ذلك دليلاً على جواز التوسّل بالذات.

وإليك الجمل والعبارات الصريحة في بيان المقصود:

١. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوجِّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ

إِنَّ كَلِمَةَ «بِنَبِيِّكَ» مُتَعَلِّقَةٌ بِفَعْلَيْنِ هُمَا «أَسْأَلُكَ» وَ «أَتُوجِّهُ إِلَيْكَ»، وَالْمُرَادُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَفْسُهُ الْقُدْسِيَّةَ وَشَخْصِيَّتَهُ الْكَرِيمَةَ لَا دَعَاؤَهُ.

وَتَقْدِيرُ كَلِمَةِ «دَعَاءٍ» قَبْلَ لَفْظِ «بِنَبِيِّكَ» حَتَّى يَكُونَ الْمُرَادُ هُوَ «أَسْأَلُكَ بِدَعَاءِ نَبِيِّكَ أَوْ أَتُوجِّهُ إِلَيْكَ بِدَعَاءِ نَبِيِّكَ» تَحْكَمُ وَتَقْدِيرُ بَلَا دَلِيلٍ، وَتَأْوِيلُ بَدُونِ مَبْرَرٍ، وَلَوْ أَنَّ مُحَدِّثًا ارْتَكَبَ مِثْلَهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ لَرَمَوْهُ بِالْجَهْمِيَّةِ وَالْقَدْرِيَّةِ.

٢. مُحَمَّدُ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ

لَكَى يَتَّضِحُ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ السُّؤَالُ مِنَ اللَّهِ بِوَسْطَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَشَخْصِيَّتِهِ فَقَدْ جَاءَتْ بَعْدَ كَلِمَةِ «بِنَبِيِّكَ» جَمَلُهُ «مُحَمَّدُ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ» لَكَى يَتَّضِحُ نَوْعُ التَّوَسُّلِ وَالتَّوَسُّلُ بِهِ بِأَكْثَرِ مَا يُمْكِنُ.

٣. يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتُوجِّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي

إِنَّ جَمَلَهُ «يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتُوجِّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي» تَدَلُّ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الضَّرِيرَ - حَسْبَ تَعْلِيمِ الرَّسُولِ - اتَّخَذَ النَّبِيَّ نَفْسَهُ، وَسِيلَهُ فِي دَعَائِهِ، أَيْ أَنَّهُ تَوَسَّلَ بِذَاتِ النَّبِيِّ لَا بِدَعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

٤. وَشَفَّعَهُ فِيَّ

إِنَّ قَوْلَهُ «وَشَفَّعَهُ فِيَّ» مَعْنَاهُ: يَا رَبِّ اجْعَلِ النَّبِيَّ شَفِيعِي، وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ فِي حَقِّي، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ تَقَبُّلُ دَعَائِهِ فِي حَقِّي؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ دَعَا بِنَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ مَعْنَى هَذِهِ الْجَمَلَةِ: اسْتَجِبْ دَعَائِهِ فِي حَقِّي.

ولو كان هناك دعاء من النبي لذكره الراوى؛ إذ ليس دعائه صلى الله عليه وآله من الأمور غير المهمّة حتى يتسامح الراوى فى حقّه.

وحتى لو فرضنا أنّ معناه «تقبّل دعاءه فى حقّى» فلا يضر ذلك بالمقصود أيضاً؛ إذ يكون على هذا الفرض هناك دعاء: دعاء الرسول ولم يُنقل لفظه، والدعاء الذى علّمه الرسول للضرير، وقد جاء فيه التصريح بالتوسّل بذات النبي وشخصه وصفاته، وليس لنا التصرّف فى الدعاء الذى علّمه الرسول للضرير، بحجّه أنّه كان هناك للرسول دعاء.

لقد أورد هذا الحديث النسائى والبيهقى والطبرانى والترمذى والحاكم فى مستدرّكه، ولكن الترمذى والحاكم ذكرا جملة «اللهم شفّعه فيه» بدل «وشفّعه فىّ».

وهنا كلمه للدكتور عبدالملك السعدى نأتى بنصّها: وقد ظهر فى الآونه الأخيره أناس ينكرون التوسل بالذات مطلقاً، سواء كان صاحبها حيّاً أو ميتاً، وقد أولوا حديث الأعمى وقالوا: إنّ الأعمى لم يتوسّل، ولم يأمره النبي صلى الله عليه وآله به بل قال له: صلّ ركعتين ثم اطلب منى أن أدعو لك، ففعل.

وأنت يا أخى عليك أن تقرأ نص الحديث هل يحتمل هذا التأويل، وهل فيه هذا المدعى؟ أم أنّه أخذ يطلب من الله مستشفعاً بالنبي صلى الله عليه وآله ولم يدع له صلى الله عليه وآله. ولو أراد منه ذلك لاستجاب له أول مره حيث طلب منه الدعاء بالكشف عن بصره فأبى إلّا أن يصلّى ويتولّى الأعمى بنفسه الدعاء. (١)

الثامن: التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله

إنّ الصحابى الجليل عثمان بن حنيف فهم من الحديث السابق أنّ التوسّل

ص: ١٥٠

١- البدعه فى مفهومها الإسلامى: ٤٦، ط بغداد.

بذات النبي وشخصه يعم حياته ومماته، ولذلك علمه لبعض أصحاب الحَاجه، وقد عمل به من تعلم وكان ناجحاً في قضاء حاجته.

روى الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (المتوفى ٣٦٠هـ) عن أبي أمامه بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف، أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه في حاجه له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأ فتوضأ، ثم ائت المسجد فصلّ فيه ركعتين ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضى لي حاجتي» فتذكر حاجتك ورح إليّ حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه، فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان رضى الله عنه، فأجلسه معه على الطنفسه، فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت الساعه، وقال: ما كانت لك من حاجه فاذا ذكرها.

ثم إنَّ الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكنني شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أفتصبر؟ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شقّ عليّ.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: ائت الميضأ فتوضأ ثم صلّ ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات.

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط (١).

إنَّ الاستدلال بالحديث رهن صحه السند وصحه الدلاله.

ص: ١٥١

١- المعجم الكبير: ٩/١٦-١٧، باب ما أُسند إلى عثمان بن حنيف، برقم ٨٣١٠ والمعجم الصغير له أيضاً: ١/١٨٣-١٨٤.

أما الثاني فقد تبين مما ذكرناه في الروايه السابقه، فإن المتن والمضمون في كليهما واحد.

وأما السند فقد ناقش فيه مؤلف «التوصل إلى حقيقه التوصل» وقال: إن في سند هذا الحديث رجلاً اسمه روح بن صلاح وقد ضعّفه الجمهور، وابن عدى وقال ابن يونس: يروى أحاديث منكره. (١)

أقول: لعل المناقش لم يرجع إلى مصدر الحديث، وإنما نقله عن مصدر ثانوى وفيه روح بن صلاح، وإليك نص الطبرانى فى معجمه الكبير قال: حدثنا طاهر بن عيسى بن قريش المصرى المقرى: حدثنا أصبغ بن الفرّج: حدثنا ابن وهب عن أبى سعيد المكى، عن روح بن القاسم، عن أبى جعفر الخطمى المدنى، عن أبى أمامه بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف (٢).

ورواه البيهقى بالسند التالى:

أخبرنا أبو سعيد عبدالملك بن أبى عثمان الزاهد رحمه الله: أنبأنا الإمام أبو بكر محمد بن على بن الشاشى القفال، قال: أنبأنا أبو عروبه: حدثنا العباس بن الفرّج:

حدثنا إسماعيل بن شبيب: حدثنا أبى عن روح بن القاسم، عن أبى جعفر المدنى... إلى آخر السند. (٣)

وأنت ترى أنه ليس فى طريق الروايه روح بن صلاح بل هو روح بن القاسم، والكاتب صرح بأن الروايه رواها الطبرانى والبيهقى، وهذا يعرب عن أن الكاتب لم يرجع إلى المصدرين، وإنما اعتمد على نقول الآخرين.

نحن نفترض أنه ورد فى سند الروايه روح بن صلاح، ولكن ما ذكره من أن الجمهور ضعّفوه أمر لا تصدّقه المعاجم فيما بين أيدينا، وإنما ضعّفه ابن عدى، وفى الوقت نفسه وثّقه ابن حبان والحاكم وقال الذهبى: روح بن صلاح المصرى

ص: ١٥٢

١- . التوصل إلى حقيقه التوصل: ٢٣٧.

٢- . المعجم الكبير: ٩/١٧؛ وفى المعجم الصغير له أصبغ بن الفرّج مكان أصبغ بن فرح.

٣- . دلائل النبوه: ٦/١٦٨.

يقال له ابن سيّابه ضعفه ابن عدى، يكتنى أبا الحارث، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات، وقال الحاكم: ثقّه مأمون. (١)

التاسع: التوسّل بحق الصالحين وحرمتهم ومنزلتهم

إنّ من التوسّلات الرائجة بين المسلمين، التوسّل بحق النّبى ومن سبقه من الأنبياء، ومن المعلوم أنّه ليس لأحد على الله حق إلّما جعله الله سبحانه حقّاً على ذمته لهم تفضّلاً وتكريماً قال سبحانه: (وَ كَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (٢).

روى الطبرانى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنّه لَمّا ماتت فاطمه بنت أسد أمّ على - رضى الله عنها - دخل عليها رسول الله فجلس عند رأسها فقال: «رحمك الله يا أمّى، كنتِ أمّى بعد أمّى تجوعين وتشبعينى، وتعرين وتكسينى، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطمعيني، تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة».

ثم أمر أن تغسل ثلاثاً ثلاثاً فلَمّا بلغ الماء الذى فيه الكافور سكبّه رسول الله بيده، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقها، ثم دعا رسول الله أسامه بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلماً أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلَمّا بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده، فلَمّا فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه وقال: «الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت، اغفر لأمّى فاطمه بنت أسد ولقنها حبتها، ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى، فإنّك أرحم الراحمين» وكبر عليها أربعاً وأدخلها اللحد والعباس وأبو بكر.

والاستدلال بالروايه يتوقف على تماميه الروايه سنداً ومضموناً.

أمّا المضمون فلا مجال للخدشه فيه، وأمّا السند فصحيح، رجاله كلّهم ثقات؛ لا يغمز فى حقّ أحد منهم، نعم فيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم؛ وقد

ص: ١٥٣

١- . ميزان الاعتدال: ٢/٨٥ برقم ٢٨٠١.

٢- . الروم: ٤٧.

عرفت كلام الذهبى فيه (١).

وقد رواه أئمة الحديث وأساتذته، وإليك أسماء من وقفنا على روايتهم:

١ - رواه الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى فى المعجم الأوسط ص ٣٥٦-٣٥٧.

٢ - رواه أبو نعيم عن طريق الطبرانى فى حليه الأولياء: ٣/١٢١.

٣ - رواه الحاكم فى مستدركه: ٣/١٠٨ وهو لا يروى فى هذا الكتاب إلا الصحيح على شرط الشيخين البخارى ومسلم.

٤ - رواه ابن عبد البرّ فى الاستيعاب على هامش الإصابه: ٤/٣٨٢.

٥ - نقله الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ٢/١١٨ برقم ٧.

٦ - رواه الحافظ نور الدين الهيثمى (المتوفى ٧٠٨هـ) فى معجم الزوائد ومنبع الفوائد: ٩/٢٥٦-٢٥٧، وقال: ورواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم.

٧ - رواه المتقى الهندى فى كنز العمال: ١٣/٦٣٦ برقم ٣٧٦٠٨.

وأما التوسيل بحقّ الأولياء والشخصيات الإلهية ففى أدعيه أئمه أهل البيت عليهم السلام نماذج من أدعيه التوسّل، وهى كثيره وموزعه فى الصحيفه العلويه (٢) ودعاء عرفه (٣) والصحيفه السجديه (٤) وغيرها من كتب الدعاء.

وفيما يلى نذكر نماذج من تلك الأدعيه:

١ - يقول الإمام علىّ أمير المؤمنين عليه السلام فى دعاء له:

«... بحقّ محمّد وآل محمّد عليك، وبحقّك العظيم عليهم أن تصلّى عليهم

ص: ١٥٤

١- . للوقوف على حال روح بن صلاح المصرى لاحظ: ميزان الاعتدال: ٢/٨٥ برقم ٢٨٠١.

٢- . وهى المجموعه التى تضم بعض أدعيه الإمام علىّ أمير المؤمنين عليه السلام جمعها الشيخ عبد الله السماهيجى.

٣- . وهو دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى عرفات، يوم عرفه.

٤- . هى بعض أدعيه الإمام زين العابدين عليه السلام.

كما أنت أهله، وأن تعطيني أفضل ما أعطيت السائلين من عبادك الماضيين من المؤمنين وأفضل ما تعطى الباقين من المؤمنين..»(١).

٢ - ويقول الإمام سيد الشهداء الحسين عليه السلام في دعاء عرفه:

«... اللهم إنا نتوجه إليك - في هذه العشيّة التي فرضتها وعظمتها - بمحمد نبيك ورسولك وخيرتك من خلقك».

٣ - ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه بمناسبة حلول شهر رمضان:

«... اللهم إني أسألك بحقّ هذا الشهر وبحقّ من تعبّد فيه»(٢).

إلى هنا تمّت بعض الأدلّة على جواز التوسّل بالشخصيات الطاهرة التي لها منزله ومكانه، وهناك روايات أخرى في هذا الصدد تركها لئلا يطول بنا الكلام؛ فإنّ الغرض الإيجاز لا الإطناب.

العاشر: التوسّل بحقّ السائلين

روى عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: «اللهم إني أسألك بحقّ السائلين عليك، وأسألك بحقّ ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سُمعاً إنما خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أن تعيذني من النار وأن تغفر ذنوبي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت»، إلّا أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك»(٣).

إنّ دلالة الحديث واضحة لا يمكن لأحدٍ التشكيك فيها، وسند الحديث صحيح ورجاله كلّهم ثقات، نعم اشتمل السند على عطية العوفى وقد وثّقه لفيف من أهل الجرح والتعديل.

قال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال ابن معين: صالح، وقال ابن حجر: عطية

ص: ١٥٥

١- . الصحيفه العلويه: ٥١.

٢- . الصحيفه السجديه: الدعاء رقم ٤٤.

٣- . سنن ابن ماجه: ١/٢٥٦ برقم ٧٧٨؛ مسند أحمد: ٣/٢١.

بن سعيد بن جنادة العوفى الجدلى الكوفى أبو الحسن صدوق، قال ابن عدى: قد روى عن جماعه من الثقات، توفى سنة إحدى عشره ومائه، قال ابن سعد: خرج عطيه مع ابن الأشعث فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم أن يعرض عليه سبّ على - إلى أن قال: - كان ثقّه، وله أحاديث صالحه، وكان أبو بكر البرّاز يعدّه فى التشيع، روى عن جلّه الناس (١).

نعم، هناك من ضعّفه لا لأنّه غير صدوق، بل لأنّه كان يتشيع، وليس تشيعه إلّا ولاؤه لعلى وأهل بيته، وهل هذا ذنب؟!!

إنّ لوضع الحديث دوافع خاصّه توجد أكثرها فى أبواب المناقب والمثالب وخصائص البلدان والقبائل، أو فيما يرجع إلى مجال العقائد، كالبدع الموروثة من اليهود والنصارى فى أبواب التجسيم والوجهه وصفات الجنه والنار، وأما مثل هذا الحديث الذى يعرب بوضوح عن أنّه كلام إنسان خائف من الله سبحانه ترتعد فرائضه من سماع عذابه فبعيد عن الوضع.

توسّل الأنبياء عليهم السلام بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

يظهر ممّا رواه البخارى ومسلم عن أبى هريره أنّ الأنبياء العظام يتوسّلون يوم القيامة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله عندما يجمع الله تعالى الأولين والآخرين فى صعيد واحد، وتدنو الشمس ويبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون...

إلى أن قال: فيأتى الأنبياء محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فأتى تحت العرش فأقعّ ساجداً لربّي عزّ وجلّ ثم يفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمّتى يا ربّ أمّتى يا ربّ،

ص: ١٥٦

فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسى بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحميراً وكما بين مكة وبصرى»(١).

فالحديث يدل على جواز التوسل بالمقام والمنزلة لقولهم: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء...، كما أن فيه دلالة على طلب الشفاعة منه لقولهم اشفع لنا إلى ربك.

إن التوسل بالأنبياء والأولياء ليس بملاك جسمانيتهم فإنهم وغيرهم في ذلك المجال سواسية، وإنما يتوسل بهم بروحانيتهم العالیه؛ وهى محفوظة فى حال الحياه وبعد الارتحال إلى البرزخ وإلى الآخرة.

فالتفريق فى التوسل بين الحياه والممات ينشأ من نظره ماديه تعطى الأصالة للجسم والمادّه ولا تقيم للمعنى والروحانيه وزناً ولا قيمه .

فالنبى الأكرم صلى الله عليه وآله مدار الفضائل والكمالات وهو يتمتع بأروع الكرامات وكلها ترجع إلى روحانيته ومعنويته القائمه المحفوظه فى جميع الحالات.

فما هذا التفريق بين الحياه الماديه والبرزخيه والأخرويه ؟

فمن اتخذ الأنبياء والأولياء وغيرهم ممن باتوا لربهم سجداً وقياماً، أسباباً حال حياتهم أو بعد مماتهم، ووسائل لقضاء حوائجهم ووسائل لجلب الخير ودفع الشر، لم يحيدوا عمّا تهدف إليه الشريعة، ولم يتجاوزوا الخط المشروع، ولم يتعدوا مقصود الرساله النبويه وغاياتها.

فالأسباب لا يمكن إنكارها، ولا يعقل تجاهلها، ولا يتأتى جحودها؛ لأنه تعالى هو الذى خلق الأسباب والمسببات ورتب النتائج على المقدمات فمن تمسك بالأسباب فقد تمسك بما أمر الله سبحانه.

ص: ١٥٧

١- . صحيح البخارى: ٦/٨٤-٨٥؛ صحيح مسلم: ١/١٢٧-١٣٠؛ مسند أحمد: ٢/٤١٢.

إشاره

بالطيبين والطاهرين

التاريخ الصحيح يشهد على أنه جرت سيره الموحدين على التوسل بالطيبين والطاهرين عند الشدائد والأزمات، عند الجفاف وقله الأمطار، وسنوات القحط.

وهانحن نذكر هنا نماذج من هذه التوسلات التي أمضاها النبي صلى الله عليه وآله وأظهر رضاه على هذا النوع من التوسل.

١. استسقاء عبدالمطلب بالنبي صلى الله عليه وآله وهو صغير

استسقى عبدالمطلب بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو طفل رضيع حتى أنّ ابن حجر قال: إنّ أبا طالب يشير بقوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

إلى ما وقع في زمن عبدالمطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وآله معه غلام.

٢. استسقاء أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وآله وهو غلام

أخرج ابن عساكر عن أبي عرفه، قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادى، وأجذب العيال، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام - يعنى: النبي صلى الله عليه وآله - كأنه شمس دجى تجلّت عن سحابه قتماء،

وحوله أغيلمه، فأخذ النبي أبو طالب فألصق ظهره بالكعبه، ولاذ إلى الغلام وما فى السماء قرعه، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق وأغدوق، وانفجر له الوادى، وأخصب النادى والبادى، وفى ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل(١)

وقد كان استسقاء أبى طالب بالنبي وهو غلام، بل استسقاء عبد المطلب به وهو صبيّ أمراً معروفاً بين العرب، وكان شعر أبى طالب فى هذه الواقعة ممّا يحفظه أكثر الناس.

ويظهر من الروايات أنّ استسقاء أبى طالب بالنبي صلى الله عليه وآله كان موضع رضاً منه صلى الله عليه وآله فإنه بعدما بعث للرسالة استسقى للناس فجاء المطر وأخصب الوادى فقال النبي: لو كان أبو طالب حياً لقرّت عيناه، ومن ينشدنا قوله؟ فقام على عليه السلام وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل(٢)

إنّ التوسّل بالأطفال فى الاستسقاء أمر ندب إليه الشارع، قال الدكتور عبد الملك السعدى: من السنّه أن نُخرج معنا إلى الصحراء الشيوخ والصبيان والبهائم لعلّ الله يسقينا بسببهم(٣).

وهذا هو الإمام الشافعى يقول فى آداب صلاه الاستسقاء: «وأحب أن يخرج الصبيان، ويتنظفوا للاستسقاء، وكبار النساء، ومن لا هيبه منهنّ، ولا أحبّ خروج ذات الهيبه، ولا أمر بإخراج البهائم»(٤).

فما الهدف من إخراج الصبيان والنساء الطاعنات فى السن، إلّا استنزال الرحمه بهم وبقداستهم وطهارتهم؟ كل ذلك يعرب عن أنّ التوسّل بالأبرياء

ص: ١٥٩

١- . فتح البارى: ٢/٤٩٤؛ السيره الحلبيه: ١/١١٦.

٢- . إرشاد السارى: ٢/٣٣٨.

٣- . البدعه: ٤٩.

٤- . الأم: ١/٢٣٠.

والصلحاء والمعصومين مفتاح استئزال الرحمه وكأنّ المتوسّل يقول: رَبِّي وَسَيِّدِي!! الصغير معصوم من الذنب، والكبير الطاعن في السن أسيرك في أرضك، وكلتا الطائفتين أحقّ بالرحمه والمرحمه. فلاجلهم أنزل رحمتك علينا، حتى تعمّنا في ظلّهم. إنّ الساقى ربّما يسقى مساحه كبيره لأجل شجره واحده، وفي ظلّها تُسقى الأعشاب وسائر الحشائش غير المفيده.

٣ - توَسَّل الخليفه بعمّ النبي: العباس

روى البخارى فى صحيحه قال: كان عمر بن الخطاب إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وقال: اللهم إنّنا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقيننا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا، قال: فيسقون(١).

والحديث صريح فى أنّ عمر بن الخطاب توَسَّل بنفس العباس بما أنّ له من وشيجه بالنبي صلى الله عليه وآله، وتشهد على ذلك الأمور التاليه:

١. قول عمر عند الدعاء: اللهم إنّنا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقيننا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا، ومعنى ذلك أنّ الخليفه قام بالدعاء وتوسّل فى أثناء الدعاء بعمّ الرسول صلى الله عليه وآله لا بدعاء عمّه.

٢. روى ابن الأثير كيفيه الاستسقاء فقال: استسقى عمر بن الخطاب بالعباس عام الرماده لما اشتدّ القحط، فسقاهم الله تعالى به، وأخصبت الأرض، فقال عمر:

هذا والله الوسيله إلىّ والمكان منه، وقال حسان:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغيره العباس

عمّ النبي وصنو والده الذى ورث النبي بذاك دون الناس

أحى الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناد بعد الياس

ص: ١٦٠

١- . صحيح البخارى: ٢/٣٢، باب صلاه الاستسقاء.

ولمَّا سَقُوا طَفَقُوا يَتَمَسَّحُونَ بِالْعَبَّاسِ وَيَقُولُونَ هِنِيئًا لَكَ يَا سَاقِيَ الْحَرَمِينَ (١).

أيها القارئ: أمعن في قول عمر: «هذا والله الوسيله».

ويظهر من قول حسان: «سأل الإمام...»، أن المستسقى كان هو عمر، وهو الداعي وكان العباس وسيلته لإجابه الدعاء.

وربما يقال: لو كان المقصود التوسل بذات العباس لكان النبي صلى الله عليه وآله أفضل وأعلم، فلماذا لم يتوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله؟

ولكن الإجابة عنه واضحة، وذلك لأن الهدف من إخراج عم النبي صلى الله عليه وآله إلى المصلّى وضّمّه إلى الناس هو استئزال الرحمه، فكأن المصلين يقولون: ربنا إذا لم نكن مستحقين لنزول الرحمه، فإنّ عمّ النبي مستحق لها، فأنزل رحمتك إليه لتريحه من أزمه القحط والغلاء، وعندئذٍ تعمّ الرحمه غير العباس، ومن المعلوم أنّ هذا لا يتحقق إلّا بالتوسل بإنسان حيّ يكون شريكاً مع الجماعه في الصبر وفي هناء العيش ورغده لا- مثل النبيّ الراحل الخارج عن الدنيا والنازل في الآخرة، نعم يجوز التوسل بشخصه أيضاً ولكن لا بهذا الملاك بل بملاك آخر لم يكن مطروحاً لعمر في هذا المقام.

نجزت بحمد الله رسالتنا في التوسل وقد أسفرت الحقيقه عن وجهها وعلم أنّ التوسل بأنواعه العشره أمر مندوب إليه، دعا إليه الكتاب والسنة، وعمل به النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه والتابعون لهم بإحسان. واستمرت سيره على التوسل بأصنافه الماضيه، عند عامّة المسلمين.

ولا يجد المنصف فيها أي رائحه للشرك، بل روح الجميع خضوع لرب الأرباب خالق السماوات والأرض، والمتوسّلون يطلبون استجابته حوائجهم وربهم ومعبودهم ولكن من خلال التوسل بوسائل تنزل مغفرته وتثير

ص: ١٤١

رحمته.

فعلى الغيارى من علماء الإسلام التصدى للدعايات الفارغه عن الدليل، والمفوّقه لوحده المسلمين، بالنقد والرد حتّى (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ) (١)، بإذن من الله سبحانه.

نسأل الله تعالى أن ينير أبصارنا ويصلح قلوبنا ويخلص نوايانا، ويجعلنا من أنصار كتابه وسنه نبيّه، والحمد لله رب العالمين

جعفر السبحانى

قم / مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٦ ذى الحجه الحرام

من شهور عام ١٤٣٠ هـ

ص: ١٦٢

١- . الأنفال: ٤٢.

سلمان العودة تَوَّاب عَوَّاد

إنَّ سلمان العودة من رجال الوهابية المتعصِّبين، وقد سار على هذا المنهج أعواماً، غير أنَّه عدَلَ عن مواقفهِ القاسية وأصبح أحد المعتدلين وندد بالمتطرفين والتكفيريين في خطبه وكلماته، كما أظهر أنَّه يدعم موقف التقريب بين المذاهب والدعوة إلى الأُلْفه والوحده الإسلاميه، لغايه تكاتف أبناء الأُمَّه الإسلاميه وتضامنهم أمام الأعداء.

حتَّى أنَّه عندما نشرت بعض وسائل الإعلام خطاباً له ربَّما يُشَمُّ منه العنف والتطرّف، اعتذر بأنَّه خطاب قديم سجّل على الشريط وأذيع مؤخراً.

ومع ذلك كلّه فقد عاد سلمان بن فهد العودة - مجدداً - إلى ما رجع عنه، ونقض ما فتل أخيراً (كأَلَّتِي نَقَضْتُ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوِّهِ أَنْكَاتاً) (١)، وصار عمله هذا مجسّداً لاسمه «سلمان العودة»، وهذا ما نراه في مقاله الذي نشرته جريده

ص: ١٤٣

«وأعياد الأمم الكافره ترتبط بأُمور دنيويه مثل قيام دوله أو سقوطها، أو تنصيب حاكم أو تتويجه، أو زواجه، أو لحلول مناسبة زمانيه كفصل الربيع أو غير ذلك، ولليهود أعيادهم، وللنصارى أعيادهم الخاصه بهم، فمن أعياد النصارى العيد الذى يكون فى الخميس الذى يزعمون أنّ المائده أنزلت فيه على عيسى عليه السلام، وكذلك عيد ميلاد عيسى، وعيد رأس السنه «الكريسميس»، وعيد الشكر، وعيد العطاء، ويحتفلون بها الآن فى جميع البلاد الأوربيه والإمريكيه وغيرها من البلاد التى للنصرانيه فيها ظهور، وإن لم تكن نصرانيه، وللمجوس كذلك أعيادهم الخاصه بهم، مثل عيد المهرجان، وعيد النوروز وغيرها.

وللرافضه أيضاً أعيادهم، مثل عيد الغدير الذى يزعمون أنّ النبى صلى الله عليه و آله بايع فيه علياً رضى الله عنه بالخلافه».

وها نحن نلفت نظر الشيخ إلى النقاط التاليه، ولعلّه يجد لها أجوبه أو يريّح العوده الثانيه إلى صف المعتدلين، والاعتذار عمّا أبداه فى هذا المقال:

١. أنّه - عفا الله عنّا وعنه - اعتبر الاحتفال بتأسيس الدوله أو سقوطها فى يوم من أيام السنه شأن الأمم الكافره، ولكن الشيخ لم ينس ولن ينسى أنّ الدوله السعوديه شعباً وحكومته احتفلت بمرور مائه عام على تأسيس المملكه العربيه السعوديه عام ١٤١٩ هـ، وكان لهذا الاحتفال صدى فى المملكه وحضوراً واسعاً من الطبقات المختلفه، فهل الشيخ يعدّ الاحتفال بهذه المناسبه من أعياد الأمم الكافره، أو يعدّ المشايخ والعلماء الذين حضروا فيه من الكفّار؟ ياترى !!؟

٢. أنّ الشيخ عدّ اتّخاذ النصارى خميس آخر السنه عيداً من أعياد الأمم الكافره مع أنّ الأساس لهذا العيد هو دعاء نبى الله عيسى بن مريم كما حكى عنه سبحانه: (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا

ص: ١٦٤

عيداً لأولنا و آخِرنا و آيَه مِنكَ و اِرزُقنا و أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١).

وكون النصرانية من الأمم الكافرة لا يكون مبرراً لإنكار عملهم هذا الذي نرى أنّ له جذوراً في الكتاب العزيز كما عرفت.

٣. لقد عدّ عيد الغدير الذي يحتفل به الشيعة احتفالاً باهراً، من أعياد الأمم الكافرة وبذلك عطف ربع المسلمين أو ثلثهم إلى معسكر الأمم الكافرة، وهذا يدل على أن الرجل باق على مواقفه السابقة القاسية، ولو تكلم بشيء من اللين والتسامح فإنما هو لمصلحه جرّته إلى ذلك، وإلا فالرجل من حملة التكفير ودعاه العنف.

إنّ أرخص التهم بين هؤلاء هو رمى الآخرين بالكفر تاره، والشرك أخرى، والبدعه ثالثه، وكأنّ معايير الشرك والكفر فوّضت إليهم، يكفّرون من شاءوا ويصفون من شاءوا بالشرك!!

إنّ الشيعة يحتفلون باليوم الثامن عشر من ذى الحجه الحرام ويجتمعون في المساجد والمعاهد ويذكرون في هذا اليوم فضائل الإمام على عليه السلام شكراً لله على عظيم النعمه التي أعطيت لهذه الأمة.

فإذا كانت المائده السماويه التي تشبع البطن عده ساعات سبباً لاتّخاذ ذلك اليوم عيداً لأؤلّهم وآخرهم فلم لا يكون تنصيب على - أعلم الأمة وأتقاهم - للإمامه والولايه موجباً للمسرّه والفرح!؟

إنّ الشيعة لم يصدروا في عملهم هذا عن هوى وإتّما صدروا عن السنه النبويه التي أمرت باتّخاذ هذا اليوم عيداً، وأمر النبي صلى الله عليه و آله أصحابه بالتهنئه لصاحب الولايه على أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم.

إنّ ولايه على يوم الغدير، نزل بها كتاب الله المبين، وتواترت بها السنّه النبويه وتواصلت حلقات أسانيدھا منذ عهد الصحابه والتابعين إلى يومنا هذا.

ص: ١٦٥

والثابت الصحيح من السير النبويه أن رسول الله صلى الله عليه وآله أجمع الخروج إلى الحج العام العاشر من الهجرة وأذن للناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتمون به في حجته التي يقال لها حجّ الوداع، وحجّ الإسلام، وحجّ البلاغ، ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله، فلمّا قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة وصل إلى غدیر خم من الجهة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس ١٨ من ذى الحجه، نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله:

(يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) (١) وأمره أن ينصب علياً علماً للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد.

فقام صلى الله عليه وآله خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل وأسمع الجميع رافعاً صوته، فحمد الله وشهد له بالتوحيد ولنفسه بالرسالة، وقال: أستم تشهدون أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمد عبده ورسوله، وأنّ الموت حق والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من فى القبور؟!

قالوا: نشهد بذلك.

قال: اللهم اشهد.

ثم قال: أيها الناس ما أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلى مولاه، يقولها ثلاث مرات.

وقد روى حديث الغدير أمّه كبيره من الصحابه والتابعين والعلماء.

فمن الصحابه يربو عدد الرواه إلى مائه وعشرين صحابياً.

ومن التابعين إلى أربع وثمانين تابعياً.

ومن العلماء ثلاثمائة وستين عالماً.

ص: ١٦٦

وهذا الجمع الغفير من الصحابه والتابعين لهم بإحسان والعلماء وفيهم المحدثون واللغويون والأدباء والمؤرخون، يمتنع تواطؤهم على الكذب، فلو لم يوصف حديث الغدير بالتواتر، كما يدعى البعض زوراً وبهتاناً، فلن تجد مثيله في الأحاديث الإسلاميه من خلال تعدد طرقه، وكثره رواته، ووفره المصادر التي نقلته من الفريقين.

وقد نزلت في هذا اليوم آيه التبليغ أى: (بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) فاجتماع المسلمين في ذلك اليوم هو تجسيد لآيه التبليغ وتجسيد لطلب النبي صلى الله عليه وآله: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

وأما التهئنه في ذلك اليوم فقد صدرت الأمة الإسلاميه عن حديث النبي صلى الله عليه وآله فقد أمر النبي أصحابه بعد ما نزل من على المنبر بقوله: سلّموا على على بامرہ المؤمنین: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) (١). (٢)

روى المؤرخ ابن خاوندشاه (المتوفى ٩٠٣ هـ) في «روضه الصفا» في الجزء الثاني من ج ١ ص ١٧٣ بعد ذكر حديث الغدير ما ترجمته: ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وآله في خيمه تخصّه وأمر أمير المؤمنين علياً عليه السلام أن يجلس في خيمه أخرى وأمر إطباق الناس بأن يهتئوا علياً في خيمته، ولما فرغ الناس من تقديم التهئنه له عليه السلام، أمر رسول الله أمهات المؤمنين بأن يسرن إليه ويهتئنه ففعلن، وممن هنأه من الصحابه: عمر بن الخطاب، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات.

وقد روى المحقق العلامة الأمينى حديث التهئنه يوم الغدير عن ستين شخصاً.

ص: ١٦٧

١- الأعراف: ٤٣.

٢- الغدير: ١/٢٧٠. نقلاً عن كتاب الولايه في طرق الحديث، للحافظ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى.

وقد كان أئمه أهل البيت عليهم السلام كالصديق والكاظم والرضا عليهم السلام يحتفلون في ذلك اليوم، فمن أراد الاطلاع فليرجع إلى الكافي للكليني، وقد ذكر نصوص الروايات العلامه الاميني في الغدير(١).

وقد كان ذلك اليوم في القرون السابقه معروفاً بعيد غدير خم، فهذا هو ابن خلكان يقول في ترجمه المستعلى الفاطمي:

وكانت ولاده المستعلى لعشر ليال بقين من المحرم سنة ٤٦٩ هـ بالقاهره وبويع في يوم عيد غدير خم وهو الثامن عشر من ذى الحجه سنة ٤٨٧ هـ(٢).

وقال - أيضاً -: في ترجمه المستنصر: وكانت ولاده المستنصر صبيحه يوم الثلاثاء لثلاث عشره ليله بقيت من جمادى الآخره سنة عشرين وأربعمائه، وتوفى ليله الخميس لاثنتي عشره ليله بقيت من ذى الحجه سنة سبع وثمانين وأربعمائه، رحمه الله تعالى.

قلت: وهذه الليله هي ليله عيد الغدير، أعنى ليله الثامن عشر من ذى الحجه، وهو غدير خم - بضم الخاء وتشديد الميم - ورأيت جماعه كثيره يسألون عن هذه الليله متى كانت من ذى الحجه؟ وهذا المكان بين مكه والمدينه، وفيه غدير ماء، ويُقال إنه غيضة هناك ولما رجع النبي صلى الله عليه و آله من مكه، شرفها الله تعالى، عام حجه الوداع، ووصل إلى هذا المكان وآخى علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: على منى كهارون من موسى، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله(٣).

وقال المسعودى بعد ذكر حديث الغدير: وولد على رضى الله عنه وشيعته يعظّمون هذا اليوم(٤).

ص: ١٦٨

١- . الغدير: ١/١٨٥-٢٨٧.

٢- . وفيات الأعيان: ١/١٨٠، تحقيق الدكتور إحسان عباس.

٣- . وفيات الاعيان: ٥/٢٣٠-٢٣١.

٤- . التنجيم والاشراف: ٢٢١.

وقال الثعالبي: بعد أن عدّ ليله الغدير من الليالي المشهوره عند الأُمّه ما هذا لفظه: هي التي خطب رسول الله في غدير خم على أقتاب الإبل فقال في خطبته:

من كنت مولاه فعليّ مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. فالشيعة يعظّمون هذه الليله ويحيونها قياماً. (١)

إلى غير ذلك من النصوص الدالّه على اشتهار ذلك اليوم بعيد الغدير، وذكره الحفاظ والمؤرخون بهذا الوصف من دون غمز ولمز.

ففي الختام نرجو من الخطيب سلمان العوده أن يعود إلى ما رجح عنه ويعتذر عن وصف أُمّه كبيره بالكفر ويتخذ موقفاً علمياً صحيحاً تابعاً للكتاب والسنة والتاريخ الصحيح.

ص: ١٦٩

١- . ثمار القلوب: ٥١١.

قرأنا فى قسم الفتاوى فى العدد (٤٧٩) من مجله «الشريعة» الأردنية أسئلة مختلفه أجاب عنها عددٌ من الشيوخ والأساتذه - حفظهم الله تبارك وتعالى - . ومن تلك الأسئلة سؤال يتعلق بجواز تسميه الولد ب (عبد المسيح) وقد أجاب عنه الشيخ يوسف القرضاوى قائلاً: هذه التسميه حرام، حرام، حرام، أعنى: أنّ حرمتها مضاعفه ثلاث:

الأولى: أنّ كل اسم معبد لغير الله تحرم التسميه به بإجماع المسلمين.

أقول: ولنا على الشق الأول من هذه الإجابة تعليق ينبغى التنبيه عليه ينفع فى إبعاد شبهه تثار حول جواز التسميه بأسماء شاعت بين المسلمين كعبد النبى أو عبد الرسول أو غير ذلك.

ولو أنّ الشيخ وضّح معنى العبد فى مثل هذه الأسماء لما ادّعى الإجماع على حرمة، لأنّ العبوديه تطلق ويراد بها معان مختلفه ويختلف حكمها حسب اختلاف الموارد وهذا بيانه:

١. العبوديه التكوينية، وهى بهذا المعنى ناشئه من المملوكيه التكوينية التى تعمّ جميع العباد، ومنشأ المملوكيه كونه سبحانه خالقاً، والإنسان مخلوقاً.

ص: ١٧٠

فالعبودية إذا كانت رمزاً للمملوكية الناشئة من الخالقية، فهي لا تضاف إلّا إلى الله سبحانه كما يقول سبحانه: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا). (١)

وقال سبحانه حاكياً عن المسيح: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا). (٢)

٢. العبودية الوضعية الناشئة من غلبة إنسان على إنسان في الحروب، وقد أمضاها الشارع تحت شرائط معينه مذكوره في الفقه. فأمر الأسارى - الذين يقعون في الأسر بيد المسلمين - موكل إلى الحاكم الشرعى فهو مختير بين إطلاق سراحهم بلا عوض، أو بأخذ مال منهم، أو استرقاقهم.

فإذا اختار الثالث فيكون الأسير عبداً للمسلم، ولذلك ترى أن الفقهاء عقدوا باباً باسم «العبيد والإماء».

قال سبحانه: (وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٣).

تجد أنه سبحانه ينسب العبودية والإمائيه إلى الذين يملكونهم ويقول: (عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) فيضيف العبد إلى غير اسمه جلّ ذكره.

٣. العبودية بمعنى الطاعة وبها فسرّها أصحاب المعاجم. (٤)

والمعنى الثالث هو المقصود من تلك الأسماء فيسمّون أولادهم باسم عبد الرسول أى مطيع الرسول، وعبد الحسين أى مطيعه، وكلّ مسلم مطيع للرسول والأئمّه من بعده، ولا شكّ أنّه يجب إطاعه النبي صلى الله عليه وآله وأولى الأمر.

ص: ١٧١

١- . مريم: ٩٣.

٢- . مريم: ٣٠.

٣- . النور: ٣٢.

٤- . لاحظ: لسان العرب: ماده عبد، وكذلك «القاموس المحيط» فى نفس ماده.

قال سبحانه: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) .(١)

فعرّف القرآنُ النبيَّ بأَنّه مطاعٌ والمسلمين بأَنّهم مطيعون، ولا- عتب على الإنسان أن يبرز هذه المعانى من خلال تسميه أولاده وفلذات كبده بهذه الأسماء المقدّسه.

نعم المسمّى بعبد الرسول هو عبد للرسول وفي الوقت نفسه عبد لله أيضاً، ولا منافاه بين النسبتين لما عرفت من أنّ العبوديه فى الصوره الأولى هى العبوديه التكوينيّه النابعه من الخالقيه، ولكنّها فى الصوره الثانيه والثالثه ناجمه عن تشريعه سبحانه حيث جعل الغالب مولى والأسير عبداً، كما جعل النبي مطاعاً وغيره عبداً أى مطيعاً، وشتان ما بينهما وبين المعنى الأول، ولا أجد مسلماً على أديم الأرض يسمّى اسم ولده بعبد الرسول ويقصد به العبوديه التكوينيّه للرسول، وأنّما يقصد المعنى الثالث وهو كونه مطيعاً للرسول. وغايه ما يمكن أن يقال يقصد العبوديه التشريفيه والتنزليه بضرب من المجاز وتشبيهاً بالعبوديه الرائجه بين الموالى العرفيين وعبيدهم.

ص: ١٧٢

١- . النساء: ٥٩.

رساله إلى الناطق

باسم مبرّه الآل والأصحاب الشيخ محمد العوضى المحترم

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أمّا بعد؛

فقد بلغنا أنّ جنابكم تكلمتم حول محسن «السقط» وقلتم: إنّ القصة أسطوره اختلقها الشيعة، مستدلّين بأنّ الرسول صلى الله عليه و آله قد أسرّ حديثاً قبل وفاته إلى بضعتة فاطمه عليها السلام بحيث بكت في أوّله ثم ضحكت (الحديث المعروف)، وقلتم إنّ هذا الحديث مروى عن الفريقين.

وأضفتم بأنّ المحسن هو من أهل البيت وسقوطه - بمعنى وفاته - ينافى الحديث المتفق عليه من أنّ فاطمه هي أوّل أهل البيت لحوقاً بالنبي صلى الله عليه و آله.

ولكن الذى ألفت نظركم إليه هو أنّ الموضوع الذى نفيتم قد أكده أكثر من عشرين مؤرخاً ومحدثاً من أهل السنّه، وقد قام المؤرّخون المحقّقون بتنقيب الموضوع وتحقيقه، غير أنّ جنابكم لم تقفوا على جهود هؤلاء، وها نحن نذكر عصاره ما قام به أحد أقطاب التاريخ والنسب وهو السيد محمد مهدى الخرسان أحد علماء النجف الأشرف (بتصرف وتلخيص) وهو ليس فريداً فى ذلك الباب فقد قام بتحقيق الموضوع غير واحد من علمائنا الأعلام.

ص: ١٧٣

وإليك أسماء من ذكر هذا الموضوع من فضلاء السنّه:

١. أبو إسحاق إبراهيم النّظام (المتوفّى ٢٣١ هـ). قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمه يوم البيعه حتى ألقّت المحسن من بطنها. نقله عنه الصفدى فى الوافى بالوفيات: ١٧/٦، والشهرستانى فى الملل والنحل: ٧٧/١.

٢. ابن قتيبه (المتوفّى ٢٧٦ هـ). قال: إنّ محسناً فسد من زحم قنذ العدو، نقله عنه الحافظ السروى المعروف بابن شهر آشوب (المتوفّى ٥٨٨ هـ). فى كتابه «مناقب آل أبى طالب»: ٩٣٣/٣، ولكن يد الأمانه حذف هذه الجملة من معارف ابن قتيبه، كما حذف غيرها مما كشفه بعض الأعلام عنه، كالعلامه الأمينى فى غديره.

وليس ابن شهر آشوب هو الوحيد فى نقل هذه الجملة عن المعارف بل أنّ الحافظ الكنجى الشافعى نقلها عنه حيث قال: إنّ فاطمه أسقطت بعد النبى صلى الله عليه و آله ذكراً سماه رسول الله صلى الله عليه و آله محسناً، ثم قال: وهذا شىء لم يوجد عند أحد من أهل النقل إلّا عند ابن قتيبه. (١)

٣. النسابه الشيخ أبو الحسن العمرى الذى كان حياً فى (٤٢٥ هـ). قال فى كتابه المجدى - بعد ذكر اختلاف النسابين فى المحسن -: ولم يحتسبوا بمحسن لأنّه ولد ميتاً وقد روت الشيعة خبر المحسن والرفسه، ووجدت بعض كتب أهل النسب يحتوى على ذكر المحسن، ولم يذكر الرفسه من جهه أعول عليها. (٢)

٤. النسابه محمد بن أسعد بن على الحسينى الجوانى (المتوفّى ٥٨٨ هـ). قال:

وقيل درج صغيراً والصحيح أنّ فاطمه أسقطت جنيناً. (٣)

٥. كمال الدين محمد بن طلحه الشافعى (المتوفّى ٦٥٢ هـ). قال فى مطالب السؤل عند ذكر أولاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: وذكروا فيهم محسناً شقيقاً للحسن

ص: ١٧٤

١- . سنذكر مصدره تحت رقم ٦.

٢- . المجدى فى أنساب الطالبين: ١٢.

٣- . الشجره المحمديه والنسبه الهاشميه (نسخه مصوره فى مجله الموسم، ع ٣٢، سنه ١٤١٨ هـ).

٦. الحافظ محمد بن يوسف الكنجى الشافعى (المتوفى ٦٥٨ هـ.) حكى فى كتابه «كفايه الطالب» أنّ فاطمه أسقطت بعد النبى صلى الله عليه وآله ذكراً كان سماً رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً. وقد مرّ كلامه عند نقل القصة عن ابن قتيبه. (٢)

٧. الحموينى (المتوفى ٧٣٠ هـ.) ذكر القصة باسناده وقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن إلى أن قال: وأما ابنتى فإنّها سيده نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهى بضعه منى وهى...، وإنّى لَمّا رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدى، كأتى بها وقد دخل الدلّ بيتها، وانتهكت حرمتها، وغضب حقها، ومُنعت إرثها، وكُسِر جنبها، وأُسقطت جنينها. (٣)

٨. الحافظ جمال الدين المزمى فى كتابه تهذيب الكمال قال: كان لعلى من الولد المذكور... والذين لم يعقبوا محسن درج سقطاً. (٤)

٩. الحافظ الذهبى (المتوفى ٧٤٩ هـ.) قال فى كتابه «فتح المطالب فى فضل على بن أبى طالب»: إنّ المحسن سقط، نقله عنه صلاح الدين الصفدى المذكور تالياً، وذكره أيضاً فى سير أعلام النبلاء. (٥)

١٠. صلاح الدين الصفدى (المتوفى ٧٣٤ هـ.) قال فى الوافى بالوفيات:

والمحسن طرح، وحكى ذلك من كتاب شيخه الذهبى «فتح المطالب فى فضل على بن أبى طالب». (٦)

١١. التقي الفاسى الحسنى المكى (المتوفى ٨٣٢ هـ.) فى كتابه «العقد الثمين فى

ص: ١٧٥

١- . مطالب السؤل: ٦٢، الفصل ١١.

٢- . كفايه الطالب: ٤٢٣.

٣- . فرائد السمطين: ٣٤/٢.

٤- . تهذيب الكمال: ٤٧٩/٢٠.

٥- . سير أعلام النبلاء: ١٢٥/٣.

٦- . الوافى بالوفيات: ٢٨١/٢١.

تاريخ البلد الأمين» قال: ولعلى من الولد الحسن والحسين ومحسناً، ثم ذكر فى صفحه تاليه قول الحافظ المزى فى «تهذيب الكمال»: ومحسن درج سقطاً، ولم يعقب عليه بشىء. (١)

١٢. إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفى الطرابلسى (كان حياً ٨٤١هـ). قال فى المشجره التى صنعت للخليفه الناصر وكتبت لخزانه صلاح الدين ص ٩: محسن ابن فاطمه أسقط، وقيل درج صغيراً، والصحيح أنّ فاطمه أسقطت جنيهاً.

١٣. ابن الصباغ المالكى الصفاقسى (المتوفى ٨٥٥هـ). قال فى ذكر أولاد الإمام:

وذكروا أنّ فيهم محسناً شقيقاً للحسن والحسين ذكرته الشيعة وإنه كان سقطاً. (٢)

١٤. أبو الفضيل محمد الكاظم بن أبى الفتوح قال فى كتابه «النفحة العنبريه فى أنساب خير البريه» الذى ألفه سنه ٨٩١هـ.:
والمحسن وأخوه ولدا ميتين من الزهراء عليها السلام. (٣)

١٥. الصفورى الشافعى (المتوفى ٨٩٤هـ). قال: كان الحسن أول أولاد فاطمه الخمسه: الحسن والحسين والمحسن - كان سقطاً - وزينب الكبرى وزينب الصغرى. (٤)

وقال فى كتابه الآخر «المحاسن المجتمعه فى الخلفاء الأربعة» نقلاً من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر قال: وأسقطت فاطمه سقطاً سماه على محسناً (٥)، وقد حذف يد الأمانه هذه الجملة من الاستيعاب المطبوع، ولعبت بالآثار الإسلاميه فى غير واحد من الموارد.

١٦. الشيخ جمال الدين يوسف المقدسى (المتوفى ٩٠٩هـ). فى «الشجره

ص: ١٧٦

١- . العقد الثمين: ٢٠٢/٦ و ٢٠٣.

٢- . الفصول المهمه: ٥٤.

٣- . النفحة العنبريه النسخه مصوره عن نسخه المجمع العلمى العراقى.

٤- . نزّه المجالس: ٢٢٩/٢.

٥- . المحاسن المجتمعه: ١٦٤.

النبويه فى نسب خير البريه» قال: محسن قيل: سقط، وقيل: بل درج صغيراً، والصحيح أن فاطمه أسقطت جيناً. (١).

١٧. النسابه عميد الدين الذى كان حياً سنة (٩٢٩ هـ). قال: والمحسن الذى سقط. (٢).

١٨. السيد المرتضى الزبيدى (المتوفى ١٢٠٥ هـ) قال فى «تاج العروس» ماده شبر: المحسن - بتشديد السين - ذهب أكثر الإماميه من أنه كان حملاً فأسقطته فاطمه الزهراء لسته أشهر وذلك بعد وفاه النبى صلى الله عليه وآله. (٣).

١٩. الشيخ محمود بن وهيب الحنفى قال: وأما محسن فأدرج سقطاً. (٤).

٢٠. الشيخ محمد الصبان الشافعى (المتوفى ١٢٠٦ هـ). قال: وأما محسن فأدرج سقطاً. (٥).

٢١. الشيخ حسن الحمزاوى المالكى قال فى كتابه «مشارك الأنوار» الذى فرغ من تأليفه سنة ١٢٦٤ هـ: وأما محسن فأدرج سقطاً. (٦).

هذه جمله من المحدثين والنسايين والمؤرخين ذكروا حديث سقط المحسن، فكيف تكون أسطوره اختلقتها الشيعة؟!؟

فإذا أضيف إليها ما ذكره علماء الشيعة من العصور الأولى إلى العصر الحاضر رأيت أن القصة صارت ظاهره متواتره لا يشك فيها إلا من أغمض عينيه عن رؤيه الحق.

والذى نرجوه من الشيخ أن ينظر إلى هذه المصادر ولا يكون من رماه الكلام

ص: ١٧٧

١- الشجره النبويه فى نسب خير البريه: ٦٠.

٢- المشجر الكشاف: ٢٢٩.

٣- تاج العروس: ماده (شبر).

٤- جوهره الكلام فى مدح الساده الأعلام: ١٠٤.

٥- إسعاف الراغبين بهامش مشارق الأنوار للحمزاوى: ٨١.

٦- نفس المصدر.

على عواهنه.

وأما ما استدل به من أنّ القول بسقط المحسن ينافى الحديث المعروف من أنّ السیده فاطمه الزهراء علیها السلام هی أول أهل البيت لحوقاً بالنبی صلی الله علیه و آله فالجواب عنه واضح جداً - ووجدان الشيخ قاض بذلك -، لأنّ الحديث ناظرٌ إلى المتواجدين والحاضرين حول الرسول صلی الله علیه و آله وأما الجنين المستور فی ظلمات ثلاث فلا يعد من أهل البيت مادام لم يظهر إلى عالم الوجود.

والسلام علیکم وعلى کل من أحبّ الحق وترك التعصب لأجل الحق.

جعفر السبحانی

قم المقدسه - مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام

۵ شوال المکرم ۱۴۳۰ هـ.

ص: ۱۷۸

الفصل الثاني: فى الأصول والحديث والفقہ

أشاره

١. أصول الفقہ ومناهجه عبر العصور
 ٢. مصطلح «المسند» فى علوم الحديث والمسانيد فى عصر الأئمه عليهم السلام
 ٣. منهجيه نقد متن الحديث
 ٤. حجه الوداع خطب وإرشاد
 ٥. ما هو المراد من أن الأنبياء لم يورثوا؟
 ٦. رساله إلى الدكتور عبد الوهاب فى رؤيه الهلال
 ٧. شركه الاعمال فى الفقہ الإسلامى
 ٨. وقف الحلى والأثمان
 ٩. رساله فى إرث الزوجه
 ١٠. هل ترك النبي صلى الله عليه و آله من مصادر التشريع
 ١١. ادعاء تحريم الزواج المؤقت (المتعہ)
 ١٢. عدم كفايه التسميه عند الأكل
 ١٣. حرمة الاستمناء كتاباً وسنه
 ١٤. الغناء والموسيقى فى الكتاب والسنة
 ١٥. فى عدم مساواه ديه المرأه لديه الرجل
- ص: ١٧٩

عُرّف علم الأصول بالعلم بالقواعد الممهّده لاستنباط الأحكام الشرعيه، ولما كان هذا التعريف مختصاً بالموارد التي يستنبط المجتهد فيها الحكم الشرعي من الكتاب والسنة، ولا يشمل ما يستنبطه المجتهد بما يعد وظيفه فعلياً للشاك في التكليف كأصل البراءه والاحتياط وغيرهما من الأصول العمليه، أضاف المتأخرون من الأصوليين على التعريف قيداً آخر، وهو: «أوما ينتهي إليه المستنبط في مقام العمل».

وعلى كلّ تقدير فأصول الفقه في كلا الحقلين يقع في خدمه الفقه، ويوصف بالطريق الموصل إليه، فلذلك يعدّ من المبادئ التصديقيه للقواعد والمسائل الفقهيّه، ويراد من المبادئ التصديقيه القضايا التي يتوقّف التصديق بالنسب الموجوده في العلم (الفقه) عليها.

وهذا التعريف للمبادئ التصديقيه ينطبق تماماً على أصول الفقه، مثلاً قد وردت في الكتاب والسنة أوامر ونواهي، والتصديق بوجوب ما أمر به أو حرمة ما نهى عنه موقوفٌ على ثبوت المسأله الأصوليه، وهو أنّ الأمر يدلّ على الوجوب وضعاً أو عقلاً، والنهي يدلّ على الحرمة كذلك، وهكذا سائر المسائل الأصوليه التي لها دور في استنباط الأحكام الشرعيّه.

إن أبواب المفاهيم لها دور في استنباط الحكم الشرعي، فلو ثبت في علم الأصول أن الجملة الشرطية والوصفيه تدلّان على الثبوت عند الثبوت والانتفاء عند الانتفاء، تستخدم المسألة الأصولية في استنباط الحكم الشرعي الفرعي من الجمل الشرطية والوصفيه الواردة في الكتاب العزيز. ويحكم على الحكم الشرعي في قوله: «الماء إذا بلغ قدر كَرَّ لم ينجسه شيء» بالثبوت لدى ثبوت القيد والانتفاء عند انتفائه.

ونظير ذلك باب العام والمطلق فإن حجّيه عموم العام وإطلاق المطلق عند الشك في التخصيص والتقيد مسأله أصوليه يستنبط منها الحكم الشرعي الفرعي، وذلك إذا ورد عام أو مطلق وشككنا في خروج فرد أو طائفه من تحتها. إلى غير ذلك من المسائل الكثيره التي لها دور في استنباط الأحكام.

فإذا كان لعلم الأصول ذلك الشأن فلا محيص من الاهتمام به ودراسته وتدريسه وتدوينه، إلى غير ذلك ممّا يزيد في تكامل العلم وتساميه.

أصول الفقه في أحاديث العتره

لم يكن علم الأصول بمحتواه أمراً مغفولاً عنه في عصر الأئمه عليهم السلام، فقد أملى الإمام الباقر عليه السلام وأعقبه الإمام الصادق عليه السلام على أصحابهما قواعد كليه في الاستنباط، رتبها بعض الأصحاب على ترتيب مباحث أصول الفقه.

ونخصّ بالذكر الكتب الثلاثه التاليه:

١. الفصول المهمه في أصول الأئمه للمحدث الحرّ العاملي (المتوفى ١١٠٤ هـ).
٢. الأصول الأصلية للعلامة السيد عبد الله شبر الحسيني الغروي (المتوفى ١٢٤٢ هـ).
٣. أصول آل الرسول، للسيد هاشم بن زين العابدين الخوانساري الاصفهاني (المتوفى ١٣١٨ هـ).

فقد بدأ نشاط تدوين علم أصول الفقه عند الإماميه على ضوء القواعد الكلية الموجوده فى أحاديث أئمتهم عليهم السلام بالنحو التالى:

فألف يونس بن عبد الرحمن (المتوفى ٢٠٨ هـ) كتابه «اختلاف الحديث ومسائله» وهو نفس باب التعادل والترجيح فى الكتب الأصوليه.

كما ألف أبو سهل النوبختى إسماعيل بن على (٢٣٧-٣١١ هـ) كتاب الخصوص والعموم، و الأسماء والأحكام، و إبطال القياس.

إلى أن وصلت النوبه إلى الحسن بن موسى النوبختى فألف كتاب «خبر الواحد والعمل به». وهذه هى المرحله الأولى لنشوء علم أصول الفقه عند الشيعة القدماء.

وبذلك يعلم أن أئمة الشيعة عليهم السلام سبقوا غيرهم فى إملاء القواعد الأصوليه على أصحابهم، كما أن تلامذتهم شاركوا الآخرين فى حله التأليف والتصنيف.

أصول الفقه ومناهجه المختلفه

لمّا ألف الشافعى رسالته فى أصول الفقه وذاعت بين الفقهاء، عمد فقهاء أهل السنّه إلى تدوين مسائل الأصول على طريقتين: اختص المتكلمون بطريقه، وفقهاء الأحناف بطريقه أخرى.

الطريقه الأولى: طريقه المتكلمين

فقد تميّزت كتبهم بأمرين:

١. هؤلاء نظروا إلى علم الأصول نظره استقلاليه، وأنه علم برأسه، فصاروا يقتنصون قواعده من هنا وهناك من دون نظر إلى فتوى فقيه دون فقيه، وبذلك صار أصول الفقه علماً مستقلاً كسائر العلوم يخدم الفقه بما أنه من مبادئه التصديقيه، وبه توزن فتوى الفقيه فإن وافقت القاعده فقد أصاب، وإن خالفت فقد أخطأ.

٢. سياده الطابع العقلي على مؤلفاتهم الأصولية فأدخلوا فيه مسائل كلامية، كالحسن والقبح العقليين وجواز تكليف ما لا يطاق وعدمه، إلى غير ذلك من المسائل العقلية.

فما بال علم باض وفرخ بيد أهل المعقول الذين لا- يصدرن في علومهم ومعارفهم إلماعن البرهان، فلا- محاله تتسم آراء الأصوليين بالطابع العقلي.

فأول من بدأ التأليف على هذا النمط هو أبو بكر الصيرفي (المتوفى ٣٣٠هـ)، قال القفال في حقه: ما رأيت أعلم بالأصول بعد الشافعي من أبي بكر الصيرفي، له في الأصول كتاب «البيان في دلائل الأعلام على أصول الأحكام» وكتاب في الإجماع.

وقد تتابع التأليف على هذا النمط إلى أواخر القرن الثامن، فألف جمال الدين الأسنوي شيخ الإسلام ورئيس الشافعية بالديار المصرية (المتوفى ٧٧٢هـ) «نهاية السؤل في شرح منهج الوصول إلى علم الأصول» المطبوع المنتشر، وله أيضاً كتاب الزوائد وهو تلخيص للكتب الثلاثة: «المحصول» للرازي، و«الإحكام» للآمدى و«مختصر الأصول» لابن الحاجب.

ومما يجدر ذكره أن الكتب الأم لهذه الطريقة لا تتجاوز ثلاثة:

١. المعتمد لأبي الحسين البصرى (المتوفى ٤٣٦هـ).

٢. البرهان لإمام الحرمين الجوينى (المتوفى ٤٧٨هـ).

٣. المستصفي للغزالي (المتوفى ٥٠٥هـ).

وأما سائر الكتب فتمتع بالتلخيص، فقد لخص هذه الكتب الثلاثة فخر الدين الرازى (المتوفى ٦٠٦هـ) وأسماه بالمحصول، كما قام بهذا العمل وزاد على الثلاثة شيئاً أبو الحسين المعروف بالآمدى (المتوفى ٦٢١هـ) في كتابه المعروف بالإحكام في أصول الأحكام، حتى أن «منتهى السؤل والأمل في علم الأصول والجدل» لابن الحاجب (المتوفى ٦٤٣هـ) هو تلخيص لكتاب «الإحكام» للآمدى.

وقد كان هذا النوع من التأليف أى الجمع والتلخيص عملاً شائعاً بين الأصوليين فى تلك المرحلة.

الطريقة الثانية: طريقه الأحناف

هذه الطريقة على خلاف ما عليه أصحاب الطريقة الأولى حيث نظروا إلى علم أصول الفقه نظره آليه لا استقلاله، فلم يعمدوا إلى جمع مسائله وشوارده من هنا وهناك، بل عمدوا إلى جمع المسائل الفقهيه الموافقه لفتوى أبى حنيفه فانتزعوا منها قاعده أصوليه، فصارت القاعده خاضعه للفروع لا حاكمه عليها، ولذلك لا ترى فى هذا النمط من الآثار بحثاً عقلياً أو مسأله كلاميه.

وقد ظهرت هذه الطريقة فى أوائل القرن الثالث، وأول من ألف على وفقها هو عيسى بن أبان بن صدقه الحنفى (المتوفى ٢٢٠هـ). فله فى الأصول رساله مطبوعه ذكر فيها الأصول التى عليها مدار كتب أصحاب أبى حنيفه.

ثم تبعه أبو منصور الماتريدى (المتوفى ٣٣٣هـ) شيخ أهل السنه فى المشرق الإسلامى وله كتاب «مآخذ الشرائع فى الأصول» (١).

ثم تلاه أبو بكر الجصاص (المتوفى ٣٧٠هـ) وقد ألف كتاباً فى أصول الفقه باسم «أصول الجصاص» وقد تتلمذ على أبى الحسن الكرخى.

وجاء بعده أبو زيد الدبوسى السمرقندى (المتوفى ٤٣٠هـ) وقد ألف كتاب «تأسيس النظر» وهو مطبوع.

وتلاه فخر الإسلام البزدوى (المتوفى ٤٨٢هـ) فألف فى الأصول كتاب «كنز الوصول إلى معرفه الأصول» وهو كتاب سهل العبارة يعدّ أوضح كتاب ألف وفقاً لهذه الطريقه.

وتلاه شمس الأئمه السرخسى (المتوفى ٤٨٣هـ) له كتاب «تمهيد الفصول

ص: ١٨٥

١- . لاحظ كتابنا: بحوث فى الملل والنحل: ٣/١١.

وآخر من ألف على هذا النمط الحافظ النسفى (المتوفى ٧٩٠هـ.) ومن تصانيفه «منار الأنوار» و «كشف الأسرار فى شرح المنار» المطبوعان.

ولعلّ هناك من ألف على هذه الطريقة ولم نقف عليه.

الطريقة الثالثة: الجمع بين الطريقتين

لما كانت لكل من الطريقتين مزيه حيث إنّ النظره إلى أصول الفقه نظره استقلاليه والاستدلال عليها بالبرهنه تعدّ من مزايا هذه الطريقة غير أنه تعوزها الصله بين القاعده والفروع المستنبطه، فالطالب يدرس أصول الفقه كقواعد جافّه من دون أن يطبقها على مواردّها والفروع التي تترتب عليها، بخلاف الطريقة الثانيه، فإنّ الصله بين القاعده والفروع قويمه حيث إنّ القاعده تنتزع من جمع الفروع من هنا وهناك غير أنه تفقد شموليه القاعده لسائر المذاهب الفقيهيه، لأنّ المفروض أنّ القاعده منتزعه من فتوى الإمام المعين كأبى حنيفه، فكيف يمكن أن يستند إليها فقهاء سائر المذاهب؟

ولهذا حاول بعض المتأخرين الجمع بين الطريقتين بمعنى تأسيس القاعده والبرهنه عليها ثم تطبيقها على الفروع الكثيره الوارده فى الكتب الفقيهيه، وهذا نمط ثالث جدير بالتقدير، فإنّ القواعد الأصوليه كالقواعد الرياضيه لا ينتفع بها المتعلم إلّا بالتمرن وحلّ المسائل على ضوء القواعد.

وممن وفق للتأليف على هذا النمط الفقيه المعروف بابن الساعاتى (المتوفى ٦٩٤هـ.) له مصنّفات فى الفقه والأصول، منها «بديع النظام فى أصول الفقه»، جمع فيه بين طريقتى الآمدى فى كتابه «الإحكام» الذى عنى فيه بذكر القواعد دون التطبيق على الفروع، وطريقه فخر الإسلام البزدوى فى كتابه «كنز الوصول» الذى

ص: ١٨٦

عنى فيه بالشواهد الجزئية الفرعية.

وتلاه صدر الشريعة البخارى (المتوفى ٧٤٧ هـ) له كتاب «تنقيح الأصول» المطبوع وشرحه «التوضيح» المطبوع أيضاً، جمع فيه بين ثلاثه كتب من أصول البزدوى الحنفى المؤلف على الطريقه الثانيه والمحصل للرازى ومنتهى السؤل والأمل لابن الحاجب المؤلفين على طريقه المتكلمين.

إلى غير ذلك من الكتب المؤلفه على هذه الطريقه.

الطريقه الرابعه: تخريج الفروع على الأصول وتخريج الفروع على القواعد العربيه

قد تعرفت على الطرق الثلاثه فى تأليف أصول الفقه، وهناك طريقه رابعه ربّما تكون أجمل وأكمل من الطريقه الثالثه، وهى تخريج الفروع على الأصول على الطريقه الثالثه وتخريج الفروع على القواعد العربيه، وهذا هو الذى يميز هذه الطريقه عن الطريقه الثالثه، حيث خرج الفروع الفقهيّه على ضوء العلمين:

١. أصول الفقه.

٢. القواعد العربيه.

وما ألفت على هذا النمط قليل جداً، نذكر منه:

١. الكوكب الدرى للأسنوى الشافعى (المتوفى ٧٧٢ هـ).

٢. تمهيد القواعد الأصوليه، والعربيه للشهيد الثانى (المتوفى ٩٦٦ هـ).

فقد جمع الشهيد فيه بين تخريج الفروع على الأصول وتخريجها على القواعد العربيه، فذكر من القسم الأول مائه قاعده أصوليه يستنبط منها أحكام فقهيّه، كما ذكر من القسم الثانى مائه قاعده عربيه لها مدخلية تامه فى استنباط الأحكام. والكتاب جدير بالمطالعه، ومن حسن الحظ أنه طبع أخيراً فى المشهد الرضوى بتحقيق أنيق، فشكر الله مساعى القائمين بإنجاز الكتاب بصوره بهيئه.

ص: ١٨٧

إنَّ أصول الفقه لدى الأحناف - في الحقيقة - علم بالقواعد الفقهية حيث إنَّ الفقيه يضمُّ مسألة إلى مسألة ثم يُوحد بينهما وبين المسائل الأخرى وينتزع من الجميع قاعده فقهية. مثلاً إنَّ الفقيه لَمَّا وقف على أنَّ صحيح الإجاره وفاسدها يوجب الضمان ووقف أيضاً على أنَّ البيع صحيحه وفاسده يوجب الضمان، إلى غير ذلك من المسائل التي فيها مبادله مالين أو مال وانتفاع، فينتزع من الجميع قاعده فقهية كلية ويقول: «كل ما يضمن بصحيحه يضمن بفاسده» وهذا غير علم الأصول الذي يستعين الفقيه به في استنباط الحكم الشرعي، فلذلك نرى أنَّ أصحابنا الإمامية منذ العصور الأولى أَلَّفوا على طريقه المتكلمين، فطرحوا أصولاً وقواعد لها دور في استنباط الحكم الشرعي وربما ألجأتهم الظروف إلى إدخال المسائل الكلامية، وهذا النمط هو السائد على ما أَلَّفه أصحابنا الإمامية من العصور المتقدمة إلى زماننا هذا، وفي الوقت نفسه ميزوا القواعد الفقهية عن القواعد الأصولية فأَلَّفوا في ذينك الحقلين كتباً كثيرة، وها نحن نذكر بعض مَنْ أَلَّف في علم الأصول:

١. الشيخ المفيد (المتوفى ٤١٣ هـ) له كتاب «التذكرة في أصول الفقه».
٢. الشريف المرتضى (المتوفى ٤٣٦ هـ) له كتاب «الذريعة إلى أصول الشريعة». وقد قامت مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام بتحقيقه ونشره مجدداً في مجلد واحد، عام ١٤٢٩ هـ..
٣. سَلار الديلمي (المتوفى ٤٤٨ هـ) له كتاب «التقريب في أصول الفقه».
٤. الشيخ الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ) له كتاب «العدة في أصول الفقه».
٥. ابن زهره الحلبي (المتوفى ٥٥٨ هـ) له كتاب «غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع».
٦. سيد الدين الحمصي (المتوفى ٦٠٠ هـ) له كتاب «المصادر في أصول الفقه».
٧. نجم الدين المحقق الحلبي (المتوفى ٦٧٦ هـ) له كتاب «المعارج في أصول

الفقه». شكر الله مساعيهم.

إلى أن وصلت النوبة لنادره الآفاق وعلّامه العراق الحسن بن يوسف بن المطهر (المتوفى ٧٢٦ هـ). المعروف بالعلّامة الحلبي فغار في بحار هذا العلم وغاص في عبابها فأخرج لآلتها، وإليك أسماء ما صنّفه في هذا العلم على وجه الإجمال:

١. «غايه الوصول وأيضاح السبل» في شرح مختصر منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب (المتوفى ٦٤٦ هـ)، ذكره المصنّف في «خلاصه الرجال»، وقد حَقَّق في مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام وطبع الجزء الأوّل منه عام ١٤٣٠ هـ، والجزء الثاني قيد الطبع.

٢. «مبادئ الوصول إلى علم الأصول» مطبوع ذكره المصنّف لنفسه في «الخلاصه». وفي إجازته للسيد المهنا.

٣. «منتهى الوصول إلى علم الكلام والأصول» ذكره المصنّف في الخلاصه وفي إجازته للسيد المهنا، فرغ منه يوم الجمعة السادس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٦٨٧ هـ.

٤. «نهج الوصول إلى علم الأصول»، ذكره المصنّف في الخلاصه وإجازته للسيد المهنا.

٥. «نهايه الوصول إلى علم الأصول» وقد حَقَّق في مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام ونشر في خمسة أجزاء ما بين الأعوام ١٤٢٥-١٤٢٩ هـ..

٦. «تهذيب الوصول إلى علم الأصول» المطبوع المنتشر، ولم يزل هذا الكتاب موضع اهتمام منذ تأليفه إلى يومنا هذا، وتشهد على ذلك كثره الشروح والتعليق عليه التي ذكرها شيخنا المجيز آغا بزرك الطهراني (المتوفى ١٣٨٩ هـ) في كتابه «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» فقد بلغ عدد الشروح ٢٣ شرحاً، كما بلغ عدد التعليقات خمسه.

وربّما يوجد في المكتبات شروح وتعليق أخرى لم يقف عليها شيخنا

المجيز، والكتاب يتميز بالإيجاز في التعبير والرصانه في المعنى على نحو يناسب الكتب الدراسيه.

وممن قام بشرحه في عصر المؤلف أو بعد رحيله بقليل، الأخوان العالمان الكبيران والكوكبان المضيئان ابنا أخت العلامه وتلميذاه، أعنى:

١. عميد الدين ابن الأعرج: عبدالمطلب بن محمد بن علي بن محمد بن الأعرج الحسيني المعروف بالسيد عميد الدين أبو عبد الله الحلبي البغدادي (٦٨١ - ٧٥٤ هـ). ابن أخت العلامه الحلبي وتلميذه. وسمّاه «النقول في شرح تهذيب الوصول إلى علم الأصول» على ما ذكره ابن الفوطي. (١)

٢. ضياء الدين ابن الأعرج: (بعد ٦٨١ - كان حياً ٧٤٠ هـ) وسمّى الشرح ب «منيه اللبيب في شرح التهذيب»، وقد قامت اللجنة العلميه في مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام بتحقيق هذا الكتاب ونشره في جزأين.

كما أنّ الشهيد الأوّل محمد بن مكى العاملي (٧٣٣-٧٨٦ هـ) جمع بين الشرحين في كتاب سمّاه «جامع البين من فوائد الشرحين».

يقول شيخنا المجيز: جمع الشهيد فيه بين فوائدهما وزاد عليهما فوائد أخرى، ثم ينقل عن كشف الحجب: إن الشهيد ألفه في أوائل شبابه ولم يراجع المسوّد فبقيت النسخه غير منقّحه، فوجدها الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد والد الشيخ بهاء الدين (المتوفى ٩٨٤ هـ) فأصلحها في سنة ٩٤١ هـ، وقال بعد تمام الإصلاح: «ثم إنّ الشيخ الشهيد ميّز ما اختص به شرح الضياء بعلامه (ض) وما اختص به شرح العميد بعلامه (ع) وأنا تابعته في ذلك، وما كان زائداً عليهما، كتبت في أوّله لفظه (زياده) وفي آخره (هـ)، فصارت هذه النسخه مميّزه مختصات الشرحين والزائده عليهما ومختصّه بمزيد الإصلاح والتصحيح، ثم ينقل عن كشف الحجب أيضاً أنّه ظفر بحمد الله على نسخه خط الشيخ حسين بن

ص: ١٩٠

١- راجع: موسوعه طبقات الفقهاء: ١١٩/٨ برقم ٢٧٤٥.

عبدالصمد. أوله: «أحمدك اللهم على سوابغ نعمائك وأبلغ محامدك وأسألك المزيد من فضلك»^(١).

وقد حَقَّق الكتاب ونشره في جزأين مكتب الإعلام الإسلامي في قم، سنة ١٤٣٠ هـ.. وليس ما بأيديهم من النسخ ما يميِّز أحدهما عن الآخر.

ص: ١٩١

١- . الذريعة: ٤٣/٥-٤٤.

والمسانيد في عصر الأئمة عليهم السلام

يطلق «المسند» ويقع وصفاً للحديث، يقال: «حديث مسند» وهو ما اتصل اسناده من راويه إلى منتهاه. (١) ويطلق عليه المتصل وربما يفرّق بينهما بملاحظه الرفع في المسند، فهو مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله. أمّا المتصل فما اتصل سنده بسماع كل راو من رواته فمن فوقه سواء أكان مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله أم موقوفاً على التابعي. (٢)

وأخرى يطلق على الحديث المدوّن، يجمع المؤلف أحاديث صحابي في موضوعات مختلفه دون ترتيب بينها كمسند عبد الله بن العباس أو عبد الله بن مسعود أو أبي بن كعب.

يقول التهانوي: ويطلق المسند عندهم أيضاً على كتاب جمع فيه مسند كل صحابي على حده أي جمع فيه ما رواه من حديثه صحيحاً كان أو ضعيفاً واحداً فواحداً. (٣)

ص: ١٩٢

١- . تدريب الراوي: ١٤٧/١، دار الكتاب العربي؛ محاسن الاصطلاح: ٤٦-٤٧، دار الكتب العلميه.

٢- . تدريب الراوي: ٦٠.

٣- . كشف اصطلاحات الفنون: ٢/٢٤٦، دار صادر، بيروت.

قد تضافر النقل على أنه روى عن الإمام الصادق عليه السلام من مشهورى أهل العلم، أربعة آلاف إنسان، وصيّنّف من جواباته فى المسائل أربعمائه كتاب تسمى «الأصول» رواها أصحابه وأصحاب ابنه موسى الكاظم عليه السلام، يقول المحقق الحلى:

كتبت من أجوبه مسائل جعفر بن محمد عليه السلام أربعمائه مصنف لأربعمائه مصنف سمّوها أصولاً. (١)

وقال الشهيد: إنّ أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام كتب من أجوبه مسائله أربعمائه مصنّف لأربعمائه مصنّف، ودوّن من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل من أهل العراق والحجاز وخراسان والشام، وكذلك عن مولانا الباقر عليه السلام، ورجال باقى الأئمة معروفون مشهورون، أولو مصنّفات مشتهره ومباحث متكثّره، قد ذكر كثيراً منهم العامّة فى رجالهم، ونسبوا بعضهم إلى التمشك بأهل البيت عليهم السلام. (٢)

إلى غير ذلك من الكلمات المماثلة، وهذه الأصول كلّها كانت مسانيد لمؤلّفيها، حيث جمع الراوى ما سمعه من الإمام بلا واسطه أو ممن سمعه كذلك، فى أصل.

ولم يكن لهذه الأصول ترتيب خاص فى نقل الروايات حسب الكتب والأبواب وما ذلك إلّالأنّ جلّها من إملات المجالس وأجوبه المسائل النازله المختلفه، ويشهد على ذلك ما هو الموجود من هذه الأصول الستة عشر التى وقف عليها أستاذنا السيد محمد الحجّه الكوه كمرى وقام بطبعها.

وقال الشيخ بهاء الدين العاملى: قد بلغنا عن مشايخنا - قدس الله سرهم - أنّه كان من دأب أصحاب الأصول أنّهم إذا سمعوا عن أحد من الأئمة عليهم السلام حديثاً بادرُوا إلى إثباته فى أصولهم، لئلا يعرض لهم نسيان لبعضه أو كلّه بتمادى

ص: ١٩٣

١- .المعتبر: ١/٢٦.

٢- . موسوعه الشهيد الأوّل: ٢٢/١.

وقال المحقق الداماد: كان من دأب أصحاب الأصول أنهم إذا سمعوا من أحدهم عليهم السلام حديثاً بادروا إلى ضبطه في أصولهم من غير تأخير. (٢)

ومن الواضح أنّ احتمال الخطأ والغلط والسهو والنسيان في الأصل المسموع شفاهاً عن الإمام عليه السلام أو عمن سمع عنه، أقلّ منه، ممّا هو منقول عن كتاب آخر، فلاطمئنان بصدور عين الألفاظ المندرجه في الأصول أكثر والوثوق به أكد. فإذا كان مؤلف الأصل من الرجال المعتمد عليهم، الواجدين لشرائط القبول، يكون حديثه حجّجاً لا محاله وموصوفاً بالصحة. (٣)

وعلى هذا فهذه الأصول كانت مسانيد لأصحابنا في القرنين: الثاني والثالث، ولم يكن تأليف الأصول مختصاً بحياه الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام بل استمرت كتابتها على هذا النمط إلى عهد الإمام العسكري عليه السلام.

وبما أنّ ابن أبي عمير أدرك أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وعاصر الإمام موسى ابن جعفر عليه السلام والرضا عليه السلام فما أخذه من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام أو من الإمامين الهمامين يعدّ أصلاً من الأصول، وله قيمه كقيمه سائر الأصول.

لقد امتاز الرجل من بين أقرانه أنّه روى عن أئمّه أهل البيت عليهم السلام ما لم يروه عنهم غيره، حيث بلغ عدد رواياته حسب ما جمعه ولدنا الفاضل الشيخ بشير المحمدي المازندراني (٤٤٤٣) روايه، وهذا يدلّ على مكانته العلميه وولعه بحفظ آثار أئمّه أهل البيت عليهم السلام ونقلها إلى الأجيال الآتية، فالرجل حقّاً من مصاديق قول الإمام الصادق عليه السلام: اعرفوا منازل الرجال منّا على قدر روايتهم عنّا. (٤)

إنّ التعرف على شخصيه ذلك المحدّث الرفيع يتوقف على الكلام في محاور

ص: ١٩٤

١- . مشرق الشمسين: ٢٦٨.

٢- . الرواشح السماويه، الراشحه: ٩٢.

٣- . الذريعه: ١٢٦/٢.

٤- . رجال الكشي: ٩.

١. مكانته العلميه والاجتماعيه.

٢. التعرف على مشايخه الذين يعدون بالمراتب.

٣. مراسيله كمسانيده فى الحججه.

وأما الأمر الثانى أى التعرف على مشايخه، فقد قامت به لجنة التحقيق فى دار الحديث فذكروا مشايخه ومن أخذ عنه الحديث على وجه التفصيل.

وأما الثالث فالسبب لانقلاب مسانيده إلى المراسيل أنه لما تعرض للظلم والاضطهاد والتعذيب، وأُصيب بمحنة هلاك كته، لم تضعف عزيمته، بل حدث من حفظه، فأسند ما كان فى ذاكرته وأرسل غيره، وقد اشتهر أن مراسيل ابن أبى عمير كمسانيده، وهذا ما أوضحنا حاله فى كتابنا «كليات فى علم الرجال»، وأثبتنا أن الرجل ممن كان لا يروى إلا عن ثقته، وأجبنا عن النقوض التى وجهها إليه السيد المحقق الخوئى قدس سره فى «معجم رجال الحديث»^(١).

جعفر السبحانى

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ص: ١٩٥

١- . لاحظ كليات فى علم الرجال: ٢١٦ و ٢٣٤.

اشاره

الحديث هو المصدر الثاني فى حقلى العقائد والأحكام، بعد كتاب الله الكريم، وقد خصّ الله سبحانه به المسلمين دون سائر الأمم، فاهتموا بنقل ما أثر عن النبي صلى الله عليه و آله وخلفائه المعصومين عليهم السلام وتحزّوا فى نقله الدقه، وهذا أمر واضح لا ستره عليه.

ولأجل هذه المكانه قام غير واحد من الصحابه بالاهتمام بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه و آله على شكل صحف كما هو الحال فى المسانيد، إلى أن جاء دور التدوين فرتب على صورته كتب ومواضيع.

كان أمير المؤمنين على عليه السلام من السباقين لتدوين السنه النبويه فى عصره، وقد كتب ما أملاه عليه النبي صلى الله عليه و آله فى صحيفه عرفت ب «كتاب على» تاره و «بالجامعه» أخرى، وقد ورث هذه الصحيفه أبناؤه واحداً بعد الآخر، وكانوا يرجعون إليها حيناً بعد حين.

وقد توالى الاهتمام بالحديث بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه و آله عصرأ بعد عصر، وإن كان هناك تفاوت فى هذا الاهتمام حسب رغبات حكام الوقت وأهدافهم وضغوطهم على المحدثين.

وبالنظر للدور الهام للحديث عند المسلمين فقد استغله الوضاعون فراج اختلاق الحديث والتكذيب على رسول الله صلى الله عليه و آله بعد رحلته، وكان النبي صلى الله عليه و آله قد تتبأ

به من قبل فقال: «من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ بيئاً في النار».(١)

وكَلَّمَا ابْتَعَدَ النَّاسُ عَنِ عَصْرِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَثُرَ الْوَضْعُ وَالِدَسُّ فِي الْحَدِيثِ فَنَشَرَتْ سَمَاسِرَهُ الْهَوَى وَأَعْدَاءَ الدِّينِ كُلِّ غَثٍ وَسَمِينٍ بِاسْمِ الدِّينِ وَبِاسْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَتَّى أَنَّ الْغُلَاهُ مِنَ الشَّيْعَةِ أَدْخَلُوا فِي الْحَدِيثِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ولهذا وذاك قام المخلصون المتفانون في خدمه الحديث إلى وضع قواعد لتمييز الصحيح عن غيره، وركّزوا في ذلك على دراسته أسانيد الحديث فقسّموه إلى أقسام، وأسّسوا لذلك علماً باسم علم الرجال أوّلاً، والدرايه ثانياً. فالأول يبحث عن الصغرى أى حال الراوى ومكانته في نقل الحديث، والثانى يبحث في تقسيم الحديث والأحكام الطارئة عليه، وبذلك قدّموا خدمات جليله يقيّمها كل من له إلمام بالحديث.

غير أنّهم ركّزوا في تمحيص السنّه على دراسته الأسانيد وقسّموا الحديث باعتبارها إلى: الصحيح والحسن والموثّق والضعيف، كما قسّم آخرون الحديث بنفس هذا الملاك إلى الأقسام الثلاثة الأولى، والكل يركّزون في دراستهم للحديث على سنده.

غير أنّ هناك طريقتاً آخر في تمحيص السنّه قد ابتكره أئمة أهل البيت عليهم السلام وتبعهم أكابر علماء الحديث من الشيعة، ألا وهو دراسته مضمون الحديث ونقده على ضوء مقاييس قطعيه:

وليس نقد الحديث كنقد السند، فإنّ الثانى سهل لمن راجع المعاجم، ولكن الأوّل يتوقّف على الإحاطه بمعارف وعلوم كثيره، ولذلك لما سئل ابن قيم الجوزيه وقيل له: هل يمكن معرفه الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده؟ فأجاب: هذا سؤال عظيم القدر وإنّما يعلم ذلك من تضرّع في معرفه السنن

ص: ١٩٧

الصحيحه... وصار له اختصاص شديد بمعرفه السنن والآثار.(١)

وإليك الضوابط الست التي اخترناها لتمييز الصحيح عن غيره.

١. عرض الحديث على كتاب الله الكريم

لاشك أن القرآن الكريم هو المرجع الأول للمسلمين في الشريعة والعقيدة، وقد عرفه الله سبحانه بأن فيه تبياناً لكل شيء، قال سبحانه: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) (٢).

وقال سبحانه في آيه أخرى: (وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ) (٣).

فإذا كان القرآن ميزاناً للحق والباطل أولاً، ومهيماً على جميع الكتب السماوية ثانياً، فأولى به أن يكون ميزاناً للحق والباطل في حقل الحديث ومهيماً على ما ينسب إلى صاحب الشريعة المحمدية من صحيح وسقيم.

وعلى ضوء هذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ شيء لا يوافق كتاب الله فهو زخرف».(٤)

والمراد من عدم موافقه هو المخالفه، وهو واضح.

وقد أتبع المحدث الكبير الشيخ الكليني تلك الطريقة فقال في ديباجه أثره الخالد: اعلم يا أخي - أرشدك الله - أنه لا يسع أحداً تمييز شيء ممّا اختلفت الروايه فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه إلّما أطلقه العالم بقوله: «أعرضوها على كتاب الله، فما وافقه كتاب الله عزوجل فخذوه، وما خالف كتاب الله

ص: ١٩٨

١- . المنار المنيف، لابن قيم الجوزيه: ٤٣-٤٥.

٢- . النحل: ٨٩.

٣- . المائده: ٤٨.

٤- . وسائل الشيعه: ١٨، كتاب القضاء، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، الحديث ١٤.

ثم إنّ عرض الحديث على كتاب الله وإن وقع موقع نقاش عند بعض أهل السنّه، إلّا أنّ قسماً منهم وافقوا على هذا الميزان، قال الخطيب البغدادي: ولا يُقبل خبر الواحد في منافاه حكم العقل وحكم القرآن الثابت المحكم.(٢)

٢. عرض الحديث على السنّه القطعيه

السنّه القطعيه والكتاب العزيز حجتان واضحتان، غير أنّ الكتاب وحى بلفظه ومعناه والسنّه وحى بمعناها لا بلفظها، ولذلك تصلح أن تكون أيضاً معياراً لتمييز الصحيح من الباطل، وقد تبه على ذلك الإمام الصادق عليه السلام في حديث أيوب بن الحر، قال: قال عليه السلام: «كل شيء مردود إلى الكتاب والسنّه».(٣)

٣. عرض الحديث على العقل الحصيف

احتل العقل مكانه رفيعه في الإسلام، وليس المراد من العقل الأساليب والاستدلالات العقليه التي يختصّ فهمها بأصحاب الفكر والحكمه، وإنّما المراد به ما اتّفق عليه العقلاء بوحي من الفطره إذا تجردوا عن كلّ النزعات والرواسب والخلفيات. ولولا حجّيه العقل لانسدّ باب إثبات الصانع، بل ينسدّ إثبات حجّيه كلّ شريعته من الشرائع السماويه، ولذلك ركّز سبحانه على العقل في غير واحد من الآيات ربّما ناهز عددها الخمسين.

ولأهميه العقل فقد افتتح المحدّث الكبير الشيخ الكليني كتابه «الكافي» بكتاب أسماء كتاب العقل والجهل، وذكر فيه ٣٤ حديثاً، وجعل الكتاب الثاني

ص: ١٩٩

١- . الكافي: ١/٤٩.

٢- . الكفايه في علم الدرايه: ٦٠٦.

٣- . الكافي: ١/٤٩.

باسم كتاب العلم؛ وبهذا يظهر البون الشاسع بين الكافي وصحيح البخارى الذى افتتحه مؤلفه بكتاب العلم وفضله ولم يذكر عن العقل شيئاً.

وقد اقتفى ذلك المنهج محدّثو الشيعة وعلماؤهم، يقول الشيخ المفيد رحمه الله:

وكذلك إن وجدنا حديثاً يخالف العقول أطرحناه لقضيه العقل بفساده. (١)

وقال السيد المرتضى رحمه الله: كلّ خبر دلّ ظاهره على إجبار أو تشبيه أو ما جرى مجرى ذلك ممّا علمنا استحالته وجب الحكم ببطلانه، لأنّ الحكمه والدين يمنعان من الخطاب بما يحتاج إلى تكلف وتعسف شديد حتّى يحتمل الصواب. (٢)

وهل يقبل العقل الحصيف ما ذكره ابن تيميه على منبر الجامع الأموى فى دمشق يوم الجمعة خطيباً فقال: (إنّ الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولى هذا)، ونزل درجه من درج المنبر، يريهم نزول الله تعالى نزولاً حقيقياً بكل ما للنزول من لوازم، كالحركه والانتقال من العالى إلى السافل. (٣)

نعم يوجد بعض المتشدّدين من المحدّثين من ينتقد ذلك المنهج (أى عرض الحديث على العقل الحصيف)، وذلك لما ورد فى الصحيحين من الروايات الكثيره الظاهره فى الجبر والتشبيه وإثبات الجبهه حتّى نسبه التحرك إلى الله سبحانه، فإذا قبلوا هذا المنهج فعليهم برفض هذه الأحاديث.

٤. عرض الحديث على التاريخ الصحيح

التاريخ الصحيح الذى اتفق عليه أعلام المسلمين أحد المعايير لتمييز الصحيح عن السقيم.

ولكن لا نقول: إنّ كل ما ورد فى كتب السيره صحيح، وإنّما نعنى ما اتفق عليه

ص: ٢٠٠

١- . تصحيح عقائد الإماميه: ١٤٩.

٢- . الذريعه إلى أصول الشريعه: ٢/٥١٦.

٣- . رحله ابن بطوطه: ١/٥٧.

المؤرخون وكتاب السير المنصفون.

فمن رجع إلى كتب الحديث وجد أن قسماً من الأحاديث لا يصدقه التاريخ الصحيح بل يكذبه.

وهذا ما تراه في الأنموذج التالي: أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس:

كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي: يا نبي الله ثلاث أعطينهن؟ قال: نعم.

قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبه بنت أبي سفيان، أزوجكها؟ قال:

نعم.

قال: ومعاويه تجعله كاتباً بين يديك؟ قال: نعم.

قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين؟ قال: نعم.

قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وآله ما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يسأل شيئاً إلا قال نعم. (١)

إنَّ أبا سفيان أسلم - حسب الظاهر - يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، والنبي صلى الله عليه وآله قد تزوج أم حبيبه في مكة قبل الهجرة، ولذلك يقول القاضي عياض:

والمعروف أن تزويج النبي لها كان قبل الفتح والذي وقع في مسلم من هذا، غريب جداً. (٢)

٥. عرض الحديث على اتفاق الأمة

إنَّ اتفاق الأمة دليل قطعي على الصحه، وبذلك تقف على صحه ما أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» عن طريق علي بن زيد بن جدعان، عن أنس قال:

مطرت السماء برداً فقال لنا أبو طلحه: ناولوني من هذا البرد فجعل يأكل وهو صائم وذلك في رمضان، فقلت: أأأكل وأنت صائم؟! فقال: إنما هو برد نزل من

ص: ٢٠١

١- . صحيح مسلم: ٧/١٧١، باب فضائل أبي سفيان بن حرب.

٢- . إكمال المعلم بفوائد مسلم (للقاضي عياض): ٧/٥٤٦.

السماء نظهر به بطوننا وأنه ليس بطعام ولا- شراب، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك، فقال: «خذها عن عمك» (١).

أقول: إن اتفاق الأمة على أنّ الأكل والشرب مطلقاً مبطل للصوم يكفي في الحكم على هذا الحديث بالوضع والدرس، وإن صحّ سنداً.

٦. مخالفه الحديث لمسلّمات العلم

إنّ المسلّمات العلميه التي أيدتها تجربته عبر قرون وصدقها الخبراء ووسائل العلم تكون ميزاناً لنقد مضامين بعض الأحاديث. أخرج البخارى في صحيحه عن أبي هريره يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإنّ في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء (٢). ولكن العلم كشف أنّ الذباب يحمل في جناحيه الجراثيم المهلكه والمبيده، ولم نجد أحداً من العقلاء يتفوّه بخلاف ذلك.

هذه المنهجيه هي التي سرنا عليها في كتابنا «الحديث النبوي بين الروايه والدرايه» مع أنّها منهج بديع ولكنها ليست مبتكره، فقد سبقنا إليها رجال آخرون شاركناهم في نقد الحديث مضموناً في مقابل نقده سنداً، نظير:

١. نقد متون السنّه تأليف مسفر عزم الدميني.

٢. منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي لصالح الدين الأدلبي.

٣. الفوائد المقصوده في الأحاديث الشاذه المردوده للشيخ أبي الفضل الغماري.

٤. الحديث النبوي بين أهل العقل والفهم للشيخ المجاهد محمد الغزالي.

ص: ٢٠٢

١- . مشكل الآثار: ٢/٢٣٨، برقم ١٩٨٣.

٢- . صحيح البخارى: ٤/١٣٠.

٥. أضواء على السنّة المحمديه للكاتب المصرى الدكتور محمود أبو ريّه.

وقد قام غير واحد من أعلام الطائفة بدراسه هذه المنهجيه نذكر منهم ما يلي:

١. شيخ الشريعة فتح الله النمازى الاصفهانى (المتوفى ١٣٣٩ هـ) فى كتابه:

«القول الصراح فى نقد الصراح».

٢. سيد الطائفة السيد شرف الدين العاملى (المتوفى ١٣٧٧ هـ) فى كتابه: «أبو هريره» وقد بحث فيه عن سيرته ورواياته.

٣. المحقق محمد تقى التستري (المتوفى ١٤١٥ هـ) مؤلف كتاب: «الأخبار الدخيله».

٤. هاشم معروف الحسنى، مؤلف كتاب: «الموضوعات فى الآثار والأخبار».

وأخيراً ننوه إلى أمرين:

الأول: أنّ دراسه الأحاديث على ضوء هذه الضوابط ليست «رميه كل رام، وشرعه كل وارد»، بل يحتاج تطبيق هذه المنهجيه إلى تشكيل لجان تضم المختصين فى العلوم الإسلاميه حتى تنسد بذلك جميع الثغرات المحتمل حصولها إذا كان هذا العمل فردياً.

الثانى: من حُسن الحظ أنّ الفقهاء عبر القرون قاموا بدراسه الروايات الوارده حول الأحكام الشرعيه دراسه دقيقه سنداً ومضموناً، وخرجوا بنتائج باهره، إلّا أن الروايات المتعلقة بالعقائد والمعارف والتاريخ والسنن الكونيه والسيره والأخلاق بقيت بحاجه ماسّه إلى هذا النوع من الدراسه.

ولذلك أصبح ترك دراسه هذه الجوانب ذريعه للأعداء لكى يشنّوا بواسطه بعض الروايات حملات عنيفه ضد الإسلام.

هذه هديه متواضعه منى للحضار الكرام فى مؤتمر «الطرق والمناهج لدراسه الحديث» عسى أن تحظى بقبولهم، وأن تكون منهجاً متميزاً عن المناهج الأخرى.

جعفر السبحانى

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١١ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ.

ص: ٢٠٣

خطب وإرشاد

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على أشرف خلق الله وخاتم رسله محمد الأمين وعلى آله الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

أما بعد؛

بلغنا من خلال صفحات الانترنت أن وزاره الحج الموقرّه في المملكه العربيه السعوديه ستعقد - خلال أيام الحج هذا العام ١٤٢٨ هـ - ندوه إسلاميه كبرى تحت عنوان «حجه الوداع.. شعائر وقيم»، وذلك على قاعه التضامن الإسلامى فى مكه المكرمه.

ونحن إذ نثمن انعقاد مثل هذه الندوات التي تلم شمل المسلمين وتجمع كلمتهم وتوحد صفوفهم أمام الأعداء، ونعتبرها خطوة مباركه للتقريب بين المذاهب الإسلاميه، وتظاهره علميه لتلاقح الأفكار؛ لا يفوتنا المساهمه المتواضعه فى هذا المهرجان الكبير أداءً لحق رسول الله صلى الله عليه و آله وحباً له من خلال استعراض خطبه و كلماته فى حجه الوداع، آملين أن تقع موقع القبول والرضا.

جعفر السبحانى

ص: ٢٠٤

فى السنه العاشره للهجره عزم رسول الله صلى الله عليه و آله على أن يحج بيت الله الحرام فخرج لخمس بقين من ذى القعدة ووصل مكه فى اليوم الرابع من ذى الحجه. (١)

وكان رسول الله صلى الله عليه و آله قد حرّض المسلمين على الحج وقال: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضلّ الضالّ، وتعرض الحاجه» (٢).

وبعد أن أمر الله تعالى نبيه بالأذان والإعلان للحج، أمر النبي صلى الله عليه و آله المؤذنين أن يؤذّنوا بذلك بين المسلمين، وكتب إلى على بن أبى طالب عليه السلام وجنده، وإلى أبى موسى الأشعري وأتباعه فى اليمن أن يلتحقوا به صلى الله عليه و آله فى مكه المكرّمه.

والظاهر أنّ أوّل هذا الإخبار والإعلام كان فى أوائل ذى القعدة الحرام، فقد قال ابن إسحاق: فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه و آله ذو القعدة تجهّز للحج، وأمر الناس بالجهاز له. (٣)

خرج النبي الأكرم صلى الله عليه و آله من المدينه مغتسلًا متدهنًا وخرجت معه نساؤه كلّهنّ ، وتبعه جمّ غفير من المسلمين الذين حرصوا على مرافقته من المدينه ليتشرّفوا بصحبته.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «فعلم به من حضر المدينه وأهل العوالى والأعراب فاجتمعوا، فحجّ رسول الله صلى الله عليه و آله، وإنّما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون ويتبعونه، أو يصنع شيئاً فيصنعونه». (٤)

وروى عن جابر بن عبد الله الانصارى أنّه قال: فقدم المدينه بشر كثير كلّهم

ص: ٢٠٥

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٤/٢٤٨.

٢- . مسند أحمد بن حنبل: ١/٤٥٨؛ سنن ابن ماجه: ٢/٩٦٢؛ المعجم الكبير للطبرانى: ١٨/٢٩٦؛ السنن الكبرى للبيهقى: ٦/٤٦٣.

٣- . السيره النبويه لابن هشام: ٤/٢٤٨.

٤- . الكافى للكلينى: ٤/٢٤٥؛ تهذيب الاحكام: ٥/٤٥٤.

يلتمس أن يأتّم برسول الله صلى الله عليه وآله ويعمل مثل عمله. (١)

وكان المسلمون ينتظرون هذا السفر، ليتعلّموا مناسك الحج، فأى منسك أدّاه رسول الله صلى الله عليه وآله فهو من الحج الإبراهيمي، وما تركه فهو من أعمال الجاهليه الأولى.

ويتجلّى هذا التهيؤ والانتظار في رغبتهم وشوقهم واجتماعهم العظيم حتّى سلكوا طريق مكة رجالاً وركباناً، طريقاً يقرب من ألف كيلومتر ذهاباً وإياباً.

وقد اختلف المؤرخون والمحدثون في عدد المسلمين آنذاك، فمنهم من قال: إنهم كانوا مائه وعشرين ألفاً. (٢)

وقال المقرئ في وصف خطبه النبي صلى الله عليه وآله في يوم عرفه: فإنّه شهد الخطبه نحواً من أربعين ألفاً. (٣)

وقال الطبرسي: وبلغ من حجّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون. (٤)

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن أتّم الحج غادر مكة المكرمه متوجّهاً إلى المدينة في الليلة الرابعه عشره من ذى الحجه الحرام، فدخلها في الثالث والعشرين منه.

وخلال مسيرته هذه كانت له وقفات في العديد من الأماكن التي مر بها وشهدت له إلقاء الخطب الرائعه والتوجيهات التربويه والحضاريه الساميه، والإرشادات التعليميه حيث إنّه كان يجسد عملياً أهداف الحج التي أرادها الله تعالى من هذه الفريضه الإسلاميه الهامه.

وسوف نشير في هذه الرساله بالإيعاز الموجز والإشاره العابره إلى خطبه وكلماته التي ألقاها في هذه الرحله التاريخيه، وننوه إلى ما تضمنته كل منها إلى مبادئ الإسلام وأصوله ومقاصد الشريعه وأهدافها.

ص: ٢٠٦

١- . صحيح مسلم: ٢/٧٢٤؛ المغازي للمقرئ: ٢/١٠٨٨.

٢- . تذكره الخواص: ٣٠.

٣- . إمتاع الأسماع: ٢/١١٢.

٤- . الاحتجاج: ١/١٣٤.

إشاره

اختلف أصحاب السير والمؤرخون في عدد الخطب التي ألقاها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حجه الوداع.

فقد قال الحلبي في السيره: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في الحج خمس خطب:

الأولى يوم السابع من ذى الحجه بمكّه، والثانيه يوم عرفه، والثالثه يوم النحر بمنى، والرابعه يوم القَرّ (١) بمنى، والخامسه يوم النفر الأول بمنى أيضاً. (٢)

ويقول المقرئ: خطب صلى الله عليه وآله في حجته ثلاث خطب: الأولى قبل الترويه بيوم بعد الظهر بمكّه، والثانيه يوم عرفه بعرفه حين زاغت الشمس على راحلته قبل الصلاه، والثالثه يوم النحر بمنى بعد الظهر على راحلته القصواء. وقيل: بل خطب الثانيه ثاني يوم النحر.

ثم قال: وقال المحب الطبري: دلت الأحاديث على أنّ الخطب في الحج خمس: خطبه يوم السابع من ذى الحجه، وخطبه يوم عرفه، وخطبه يوم النحر، وخطبه القَرّ، وخطبه يوم النفر الأول. (٣)

ومهما كان الحال فعلينا أن نورد ما ذكرته كتب التاريخ والحديث من خطبه وكلماته صلى الله عليه وآله، وقد رتبناها حسب زمانها ومكانها، فكانت كما يلي:

١. خطبته صلى الله عليه وآله في اليوم السابع والثامن من ذى الحجه

قال الواقدي في مغازيه: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الترويه بيوم بعد الظهر بمكّه. (٤)

وقال الحاكم النيسابوري في مستدركه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان قبل الترويه

ص: ٢٠٧

١- . مراده من يوم القَرّ اليوم الحادى عشر من ذى الحجه.

٢- . السيره النبويه للحلبى: ٣/٣٣٣.

٣- . إمتاع الأسماع: ٢/١١٧.

٤- . المغازى: ٢/١١٠٠.

يوم خطب الناس فأخبرهم بمناسكهم. (١)

وجاء في صحيحه معاوية بن عمّار الطويله عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«فلَمَّا كان يوم الترويه عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلّوا بالحجّ، وهو قول الله - عزّ وجلّ - العدى أنزل على نبيّه: (فَمَا تَبِغُوا مَلَّةً - أَيْكُمْ - إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً) (٢) فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه مهلّين بالحجّ حتّى أتوا منى فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر، ثمّ غدا والناس معه». (٣)

٢. كلماته صلى الله عليه وآله في يوم عرفه

وردت لرسول الله صلى الله عليه وآله كلمات وأحاديث كثيرة خلال تواجده في يوم عرفه (التاسع من ذى الحجه) في عرفات نذكر منها:

١. جاء في التهذيب بسنده عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن محمّد بن سماعه الصيرفي، عن سماعه بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «... إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقف بعرفات فجعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته، يقفون إلى جانبها، فنحاه رسول الله صلى الله عليه وآله، ففعلوا مثل ذلك، فقال: أيّها الناس إنّّه ليس موضع أخفاف ناقتي بالموقف، ولكن هذا كلّ موقف، وأشار بيده إلى الموقف وقال: هذا كلّ موقف، فتفرّق الناس، وفعل ذلك بالمزدلفه...». (٤)

٢. وفي صحيحه معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ثمّ

ص: ٢٠٨

- ١- المستدرک علی الصحیحین: ١/٦٣٢؛ وجاء مثله في؛ السيره النبويّه لابن كثير: ٤/٣٣٧، وإمتاع الأسماع للمقريزي: ٢/١١٧-١١٨، ونيل الأوطار للشوكاني: ٣/٣٠٧، والسيره النبويّه للحلي: ٣/٢٢٧ و ٣٣٣.
- ٢- آل عمران: ٩٥.
- ٣- الكافي: ٤/٢٤٦-٢٤٧.
- ٤- تهذيب الأحكام: ٥/١٨٠؛ من لا يحضره الفقيه: ٢/٤٦٤.

غدا صلى الله عليه وآله والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفه - وهي جَمْع - ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وقريش ترجو أن تكون إفاضة من حيث كانوا يفيضون، فأنزل الله تعالى عليه: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) (١) يعنى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق: فى إفاضةهم منها ومن كان بعدهم. فلما رأت قريش أن قبه رسول الله صلى الله عليه وآله قد مضت كأنه دخل فى أنفسهم شىء للذى كانوا يرجون من الإفاضة من مكانهم، حتى انتهى إلى نمره - وهى بطن عرنه بحيال الأراك - فضرب قبه، وضرب أخبيتهم عندها، فلما زالت الشمس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه قريش، وقد اغتسل وقطع التليبه حتى وقف بالمسجد، فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم، ثم صلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم مضى إلى الموقف فوقف به، فجعل الناس يتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جنبها فنحاهما، ففعلوا مثل ذلك، فقال: أيها الناس، ليس موضع أخفاف ناقتي بالموقف، ولكن هذا كله - وأوما بيده إلى الموقف - ففترق الناس، وفعل مثل ذلك بمزدلفه، فوقف الناس حتى وقع القرص - قرص الشمس - ثم أفاض وأمر الناس بالدعة حتى انتهى إلى المزدلفه». (٢)

٣. وفى الكافى عن على بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير وصفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمارة، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مثله. (٣)

٤. وفى روايه جابر فى صحيح مسلم: وأمر بقبه من شعر تضرب له بنمره، فسار رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تشك قريش إلما أنه واقف عند المشعر الحرام، كما كانت قريش تصنع فى الجاهليه، فأجاز رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى عرفه، فوجد القبه قد ضربت له بنمره، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له فأتى

ص: ٢٠٩

١- . البقره: ١٩٩.

٢- . الكافى: ٤/٢٤٧؛ تهذيب الأحكام: ٥/٤٥٦.

٣- . الكافى: ٤/٤٦٣.

بطن الوادى، فخطب الناس... ثم أذن ثم أقام فصلّى الظهر، ثم أقام فصلّى العصر ولم يصلّ بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاه بين يديه (١) واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً. حتى غاب القرص، وأردف أسامه خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله (٢).

٥. وروى الشيخ الطوسى عن جماعه، عن أبى المفضل، عن عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن حماد الخطيب المدائنى قال: حدّثنا عثمان بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: حدّثنا عبد الله بن لهيعة، عن أبى الزبير، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: بينا النبى بعرفات، وعلّى عليه السلام تجاهه، ونحن معه، إذ أوما النبى صلى الله عليه وآله إلى على عليه السلام فقال: ادن منى يا على، فدنا منه، فقال: ضع خمسك يعنى كفك فى كفى، فأخذ بكفه، فقال: يا على خلقت أنا وأنت من شجره، أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الله الجنّة برحمته. (٣)

٦. روى الشيخ الطوسى بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ألقى كلمه بعرفه، وإن كانت هذه الكلمه جاءت فى خطبته المشهوره بالإجمال، لكن نقلها تأكيداً وتكميلاً. ثم روى أيضاً روايه أخرى تؤكد أنّ هذه الكلمه أُلقيت بمنى: أخبرنا جماعه، عن أبى المفضل قال: أخبرنا أبو جعفر محمّد بن جرير الطبرى قراءةً، وعلّى بن محمّد بن الحسن بن كاس النخعى - واللفظ له -

ص: ٢١٠

١- . فى النهايه: ١/٣٣٣ جعل جبل المشاه بين يديه: أى طريقهم الذى يسلكونه فى الرمل. وقيل: أراد صفّهم ومجتمعهم فى مشيهم تشبيهاً بجبل الرمل.

٢- . صحيح مسلم: ٢/٧٢٦؛ ونحوه فى دعائم الإسلام: ١/٣١٩.

٣- . أمالى الطوسى: ٦١١؛ عنه بحار الأنوار: ١٥/٢٠ و ج ٦٩/٦٥ ح ١٢٥؛ ورواه ابن المغازلى فى المناقب: ٩٠ و ٢٩٧؛ وعنه فى الطرائف: ١١١؛ ورواه ابن عساكر فى تاريخ مدينه دمشق: ٤٢/٦٤-٦٦.

قالا: حدّثنا أحمد بن يحيى بن زكريا الأودى الصوفى قال: حدّثنا حسن بن حسين - يعنى العرنى - قال: حدّثنى يحيى بن يعلى، عن عبد الله بن موسى التيمى، عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله فى حجّه الوداع وركبتي تمسّ ركبته يقول: «لا- ترجعوا بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، أما إن فعلتم لتعرفنّى فى ناحيه الصف». (١)

وروى البيهقى بسند ذكره عن عبد الرحمن بن يعمر الديلى قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بعرفات، فأتاه نفر من أصحابه فأمروا رجلاً فنادى: يا رسول الله كيف الحجّ، كيف الحجّ؟ قال: فأمر رجلاً فنادى: الحجّ يوم عرفه، من جاء قبل صلاه الصبح من ليله جمع فقد تمّ حجّه، أيّام منى ثلاثه: (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا- إِثْمَ عَلَيْهِ) (٢) ثم أردف رجلاً من خلفه فنادى بذلك. (٣)

٣. خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفه

فى الضحى من اليوم التاسع استقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله فى قبته التى ضُربت له بنمره قرب عرفات، وقد اغتسل وتهيأ لأداء أعمال هذا اليوم، وبعد أن زالت الشمس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من خيمته وتوجّه ليخطب فى الناس.

ففى صحيحه معاوية بن عمّار الطويله عن الإمام الصادق عليه السلام بما يتعلّق بمناسك حج رسول الله صلى الله عليه وآله وردت إشاره إلى هذه الخطبه، فقد قال عليه السلام: «فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم (ولم يذكر متن الخطبه)». (٤)

وقد وردت هذه الخطبه - مختصره - فى صحيح مسلم ومصادر أخرى حسب

ص: ٢١١

١- . أمالى الطوسى: ٥٠٣؛ عنه بحار الأنوار: ٣٢٢/٢٩٤، ونحوه فى ص ٣٦٣؛ مجمع البيان: ٩/٧٢؛ تفسير فرات: ٢٨٠.

٢- . البقره: ٢٠٣.

٣- . السنن الكبرى: ٧/٣٧٨.

٤- . الكافى: ٤/٢٤٧؛ تهذيب الأحكام: ٥/٤٥٦.

روايه جابر الطويله(١).

إن هذه الخطبه هي المشهوره والمعروفه في كتب الفريقين، وفي عالم الأدب لها شأن عظيم، لجزاله ألفاظها، وعظم معانيها.

وقد وقع كلام بينهم في مكانها وزمانها، فهل ألقاها رسول الله صلى الله عليه وآله في عرفه أو منى؟ وفي أى يوم من أيام منى؟

فبعضهم أوردوها ولم يذكر في أى مكان تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وآله، كابن شعبه الحرّاني في تحف العقول(٢)، والجاحظ في البيان والتبيين(٣)، وابن عبد ربّه الأندلسي في العقد الفريد(٤)، بل أوردوها بعنوان «خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّه الوداع».

وبعض آخر أوردوها وذكر أنّها خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفه، كابن هشام في السيره النبويه والنسائي في السنن الكبرى(٥)، ومسلم في صحيحه كما ذكرناها، ولم يذكر له صلى الله عليه وآله خطبه بمنى .

وثالث أوردوها وذكر أنّها خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله أيام منى ، كالبخاري في صحيحه عن ابن عباس، قال: إنّ رسول الله خطب الناس يوم النحر.(٦) وهكذا البغوي في مصابيح السنّه(٧)، ولم يذكر له صلى الله عليه وآله خطبه بعرفه.

وقد أوردتها الهيثمي بطرق عديده بعنوان «باب الخطب في الحجّ».(٨)

ص: ٢١٢

- ١- . صحيح مسلم: ٢/٧٢٦؛ سنن أبي داود: ٢٩٤-٢٩٦؛ سنن ابن ماجه: ٢/١٠٢٢؛ السنن الكبرى للبيهقي: ١٩-٦/١٤؛ المصنف لابن أبي شيبه: ٤/٤٢٣-٤/٤٢٦.
- ٢- . تحف العقول: ٣٠-٣٤.
- ٣- . البيان والتبيين: ٢٢٨.
- ٤- . العقد الفريد: ٤/٥٧-٥٨.
- ٥- . السيره النبويه لابن هشام: ٤/٢٥٠-٢٥٢؛ السنن الكبرى: ٢/٤٢١.
- ٦- . صحيح البخاري: ٢/٢٣١؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٤/٢٢٦٠.
- ٧- . مصابيح السنّه: ٢/٢٧٢.
- ٨- . مجمع الزوائد: ٣/٥٨٥-٥٩٩.

وروى ابن كثير روايات في خطبته يوم العيد، وذكر الخطبه الشريفه الطبرى أيضاً وابن الأثير. (١)

وفى كتر العمال والطبقات الكبرى قد وردت الخطبه بروايات مختلفه. (٢)

وروى ابن ماجه بأنّه صلى الله عليه وآله خطب في حجّه الوداع، وأخرى بأنّه خطب بعرفات، وثالثه بأنّه خطب يوم النحر بين الجمرات. (٣)

وفى بعض الروايات: نزلت هذه السوره (إِذَا جَاءَ نَصِيرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (٤) على رسول الله صلى الله عليه وآله في أوسط أيام التشريق، فعرف أنّه الوداع، فركب راحلته العضاء فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيها الناس كلّ دم كان في الجاهليه فهو هدر. (٥)

وأوردها ابن كثير مختصراً مرّه بعنوان خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفه - على روايه مسلم - وأخرى بعنوان خطبه رسول الله بمنى بروايه البخارى. (٦)

وأورد الواقدي فى المغازى بعض فقرات هذه الخطبه فى ضمن خطبه النبى صلى الله عليه وآله بمكّه يوم الفتح (٧). وكذلك المقرئى فى إمتاع الأسماع. (٨)

واعلم أنّ كلّ من ذكر متن الخطبه مطوّلاً أو مختصراً بعنوان أنّها خطبه النبى صلى الله عليه وآله فى حجّه الوداع، أو بعنوان خطبته بعرفات، أو ذكرها بعنوان أنّها

ص: ٢١٣

١- . البدايه والنهائيه: ٣/١٨٥-١٨٩؛ تاريخ الأمم والملوك: ٣/١٥٠-١٥٢؛ الكامل فى التاريخ: ٢/٣٠٢.

٢- . كتر العمال: ٥/٢٨٦-٢٩٧؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/١٨٣-١٨٦.

٣- . سنن ابن ماجه: ٢/١٠١٥-١٠١٦.

٤- . النصر: ١.

٥- . الخصال: ٤٨٦، و عنه بحار الأنوار: ٧٤/١١٨.

٦- . السيره النبويه لابن كثير: ٤/٣٨٧-٣٩٢. وانظر أيضاً؛ جمهره خطب العرب: ١/١٥٥-١٥٨ الخطبه ١٣؛ وتاريخ يعقوبى:

١٠٩/٢-١١٢؛ وشرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١/١٢٦-١٢٨؛ والسيره النبويه للحلبى: ٣/٣٢٧؛ والسنن الكبرى: ٧/١٧ و ج

١١١/٨؛ ودلائل النبوه للبيهقى: ٥/٤٤١-٤٤٢؛ وتفسير القمى: ١/١٧١؛ وبحار الأنوار: ٣٧/١١٣.

٧- . المغازى: ٢/٨٣٦.

٨- . إمتاع الأسماع: ١/٣٩٢ و ج ١١١/٢-١١٢.

خطبته صلى الله عليه وآله بمنى يوم النحر، أو أوسط أيام التشريق، فكُلُّها قريبه المفاد والمعنى.

والَّذى يبدو جلياً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطبها بعرفه، ونظراً لأهميتها وعظيم ما تضمّنته من معانٍ جليله ومطالب هامّة فقد أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله محتوياتها وفقراتها فى مناسبات ومواقف عديدة وأماكن أُخرى فى يوم النحر أو اليوم الحادى عشر، فهى تُعد بحق خطبه كامله وكلمه جامعه وأساساً متيناً لوحدّه المسلمين وتبياناً لشؤون دينهم ودنياهم.

وهى وإن اختلفت المصادر التى ذكرتها فى بعض ألفاظها، فإنّ هذا الاختلاف لا يضرّ بالمعنى والمفاد، وإليك بعض ما ورد فيها.

فبعد الحمد والثناء والاستعاذه والشهادة بالتوحيد والعبوديه والرساله قال صلى الله عليه وآله:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على العمل بطاعته؛ وأستفتح الله بالذى هو خيرٌ.

أما بعد: أيها الناس! اسمعوا منى ما أُبين لكم، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا، فى موقفى هذا.

أيها الناس! إنّ دماءكم وأعراضكم عليكم حرامٌ إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم هذا. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

فمن كانت عنده أمانه فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإنّ ربا الجاهليّه موضوع، وإنّ أوّل رباً أبدأ به ربا العباس بن عبدالمطلب؛ وإنّ دماء الجاهليّه موضوعه، وإنّ أوّل دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وإنّ ماثر الجاهليّه موضوعه غير السدانه والسقايه، والعمد قود، وشبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر وفيه مائه بعير، فمن ازداد فهو من الجاهليه.

أيها الناس! إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنّه قد رضى بأن يطاع فيما سوى ذلك فيما تحقرون من أعمالكم.

ثم قال صلى الله عليه وآله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (١) ولا- يحلّ لمؤمنٍ مالٌ أخيه إلّا عن طيب نفسٍ منه . ألا هل بلغت؟ اللهمّ اشهد، فلا ترجعنّ كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتى أهل بيتى. ألا هل بلغت؟ اللهمّ اشهد.

أيّها الناس! إنّ ربّكم واحدٌ، وإنّ أبائكم واحدٌ، كلّكم لآدم و آدم من تُرابٍ (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (٢) وليس لعربىّ على عجمىّ فضلٌ إلّا بالتقوى. ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهدُ الغائب. (٣)

ما ذكرناه هو بعض ما ورد فى هذه الخطبه النبويه القدسيه والذى يجب علينا هنا الإشاره إلى النقاط المهمه فيها، وهى:

١. حمد الله وثناؤه والاستغفار والاستعاذه والشهادتين.
٢. إيضاء عباد الله تعالى بتقواه والعمل بأوامره والتجنب عن معاصيه.
٣. حثّ المسلمين على الاستماع لكلامه وفهمه.
٤. حرمة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، وأداء الأمانه.
٥. تحريم الربا وإلغاء دماء (ثارات) الجاهليه، وإبطال مآثر الجاهليه الرثه.
٦. تثبيت بعض الأحكام والحدود والديات فى الشريعه الإسلاميه وإبلاغ الناس بها.
٧. إبطال النسب، والتذكير بحقوق النساء، والنهى عن الظلم فى الوصيه.
٨. تثبيت مبدأ الأخوه الإسلاميه.
٩. إيجاب التمسك بالثقلين.
١٠. إقرار مبدأ التفاضل بين المسلمين على أساس التقوى .

وبالإضافه إلى هذه الخطبه فقد ورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد ألقى كلمه قصيره

ص: ٢١٥

١- . الحجرات: ١٠.

٢- . الحجرات: ١٣.

٣- . تحف العقول: ٣٠-٣٤.

حين غروب الشمس وهو بعرفات، وقد أجمعت كافة المصادر التي روتها على أنه صلى الله عليه وآله دعا عشية عرفه لأُمَّته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأوحى الله تعالى إليه (١) أنني قد فعلت، إلّا ظلم بعضهم بعضاً. (٢)

كما وردت في بعض الكتب خطبه ألقاها رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفه في كرامه الحاجّ عند الله تعالى، ونحن نوردها تمييزاً للفائدة. ويظهر من صدر هذه الخطبة أنه ألقاها عشية عرفه بعدما وقف بالموقف، والحال أنّ خطبته الشهيرة ألقاها بعد الزوال ببطن عرنه، وهي مكان آخر بجنب عرفه.

ورد في دعائم الإسلام: عن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا حجّ حجّه الوداع وقف بعرفه وأقبل على الناس بوجهه وقال: «مرحباً بوفد الله - ثلاث مرّات - الذين إن سألوا أعطوا، وتخلّف نفقاتهم، ويجعل لهم في الآخرة بكلّ درهم ألف من الحسنات - ثمّ قال -: «أيّها الناس ألاّ أبشركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «إنّه إذا كانت هذه العشيّة باهى الله بأهل هذا الموقف الملائكة فيقول: يا ملائكتي أنظروا إلى عبادي وإمائي أتوني من أطراف الأرض شعثاً غبراً هل تعلمون ما يسألون؟ فيقولون: ربّنا يسألونك المغفرة، فيقول: أشهدكم أنني قد غفرت لهم، فانصرفوا من موقفهم مغفوراً لهم ما سلف». (٣)

وفي المستدرک عن القطب الراوندي في لبّ الباب، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إذا كانت عشية عرفه يقول الله لملائكته: أنظروا إلى عبادي وإمائي شعثاً غبراً جاءوني من كلّ فجّ عميق لم يروا رحمتي ولا عذابي - يعني الجنّة والنار - أشهدكم ملائكتي أنني قد غفرت لهم الحاجّ وغير الحاجّ. فلم ير يوماً أكثر عتقاء من النار من يوم

ص: ٢١٤

١- . وفي روايه أخرى: فأجابه عزوجل.

٢- . السنن الكبرى: ٥/١١٨ و ٧/٢٥٧.

٣- . دعائم الإسلام: ١/٢٩٣؛ وعنه بحار الأنوار: ٩٦/٤٩؛ ومستدرک الوسائل: ٨/٣٦؛ ورواه الشجرى في أماليه: ٣/٥٨.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أكثر من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى في عرفات، ولم يكتف بدعائه، بل راح يحث المسلمين ويحضهم على الدعاء والذكر والإنابة إلى الله تعالى.

٤. خطبته صلى الله عليه وآله يوم النحر

عُبر بعض المصنفين - منهم البخارى والنسائى - عن خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفه بخطبه يوم النحر. كما ذكر بعض المؤرخين خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى، ومفادها يقرب من خطبته بعرفه، ولكن نصوا على أنها خطبته بمنى.

من هؤلاء محمّد بن سعد فى الطبقات، قال: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: أخبرنا سعيد بن أبى عروبه، عن قتاده، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن عمرو بن خارجه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى وإنى لتحت جران ناقته، وهى تقصع بجرتها، وإن لعابها ليسيل بين كتفى، فقال: «إن الله قسم لكل إنسان نصيبه من الميراث فلا تجوز لوارث وصيته، ألا وإن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ألا - ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولّى غير مواليه رغبه عنهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وقال أيضاً: أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى، أخبرنا الوليد بن مسلم، أخبرنا هشام بن الغاز، أخبرنى نافع، عن ابن عمر: أن النبى صلى الله عليه وآله وقف يوم النحر بين الجمرات فى الحجّ التى حجّ، فقال للناس: «أى يوم هذا؟» فقالوا: يوم النحر.

قال: «فأى بلد هذا؟» قالوا: البلد الحرام. قال: «فأى شهر هذا؟» قالوا: الشهر الحرام. فقال: «هذا يوم الحجّ الأكبر، فدماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد فى هذا الشهر فى هذا اليوم». ثم قال: «هل بلغت؟» قالوا: نعم.

فطفق رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اللهم اشهد». ثم ودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع.

وروى ابن سعد مثله بسند آخر، فقال: أخبرنا خلف بن الوليد الأزدي، أخبرنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدّثني أبو مالك الأشجعي، حدّثني نبيط بن شريط الأشجعي، قال: إنني لرديف أبي في حجة الوداع إذ تكلم النبي صلى الله عليه وآله، فقامت على عجز الراحله ووضعت رجلي على عاتقي أبي، قال: فسمعتة يقول: «أي يوم أحرم؟» قالوا: هذا اليوم. قال: «فأي شهر أحرم؟» قالوا: هذا الشهر، قال: «فأي بلد أحرم؟» قالوا: هذا البلد. قال: «فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمه يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، هل بلغت؟» قالوا: اللهم نعم. قال: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد».

وقال أيضاً: أخبرنا يونس بن محمّد المؤدّب، أخبرنا ربيعة بن كلثوم بن جبر، حدّثني أبي، عن أبي غادية - رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله - قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم العقبة، قال: «يا أيها الناس إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟» قال:

قلنا: نعم، قال: «اللهم اشهد، ألا لا ترجعنّ بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

ثم إنّ ابن سعد قال: أخبرنا هاشم بن القاسم، أخبرنا عكرمة بن عمّار، حدّثني الهرماس بن زياد الباهلي قال: كنت ردف أبي يوم الأضحى ونبي الله صلى الله عليه وآله يخطب الناس على ناقته بمنى.

وقال: أخبرنا هشام أبو الوليد الطيالسي، أخبرنا عكرمة بن عمّار، أخبرنا الهرماس بن زياد قال: انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي مُردفٍ وراءه على جملٍ له، وأنا صبيّ صغير، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله يخطب الناس على ناقته العُصْبَاء يوم الأضحى بمنى. (١)

ص: ٢١٨

١- . الطبقات الكبرى: ١٨٣/٢-١٨٦؛ ونحوه في كنز العمال: ٢٩١/٥-٢٩٧.

ولا يخفى أنّ مفادها نفس مفاد الخطبه التي ذكرناها سابقاً، واستظهرنا بأنّه أوردها بعرفه، ويمكن إيرادها مرّه ثانيه بمنى.

وفى المصنّف لابن أبي شيبه بسندين عن مجاهد ومسروق أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خطبهم يوم النحر. (١)

وفى السنن الكبرى عن رجلين من بنى بكرٍ قالوا: رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب بين أوسط أيام التشريق، ونحن عند راحلته، وهى خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله التي خطب بمنى. (٢)

وقال أيضاً: أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، أنبأ أحمد بن عبيد الصفار، [حدّ] ثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله. وأخبرنا أبو نصر عمر بن عبدالعزيز بن عمر ابن قتاده النعمانيّ، أنبأ أبو عمرو وإسماعيل بن نجيد السلمي، أنبأ أبو مسلم إبراهيم ابن عبد الله البصرى، [حدّ] ثنا أبو عاصم، عن ربيعه بن عبدالرحمن بن حصن الغنويّ، حدّثنى سراء بنت نبهان - وكانت ربّه بيت في الجاهليه - قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في حجّه الوداع: «هل تدرون أيّ يوم هذا؟». قال: وهو اليوم الذي يدعون يوم الرؤوس، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا أوسط أيام التشريق، هل تدرون أيّ بلد هذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا المشعر الحرام». ثمّ قال: «إني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد هذا، ألا وإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا حتّى تلقوا ربّكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم، ألا هل بلغت» فلما قدمنا المدينه لم يلبث إلّا قليلاً - حتّى مات صلى الله عليه وآله. ثمّ قال: رواه محمّد بن بشر عن أبي عاصم بهذا الإسناد وقال: قالت: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الرؤوس. (٣)

وفى مسند أحمد بن حنبل عن أبي نصره قال: حدّثنى من سمع خطبه

ص: ٢١٩

١- المصنّف لابن أبي شيبه: ٤/٣٣٩.

٢- السنن الكبرى: ٧/٣٣٠.

٣- السنن الكبرى: ٧/٣٣٠.

النبى صلى الله عليه وآله فى وسط أيام التشريق فقال: «يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. أبلغت؟» قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر الحديث. (١)

وقد روى فى دعائم الإسلام عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، عن الإمام على عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب يوم النحر وهو يقول: «هذا يوم النج والعج .

والنج : ما تهريقون فيه من الدماء، فمن صدقت نيتته كانت أول قطره له كفارة لكل ذنب. والعج : الدعاء، فعجوا إلى الله، فوالذى نفس محمد بيده لا ينصرف من هذا الموضع أحد إلا مغفوراً له إلا صاحب كبيره مصرّاً عليها لا يحدث نفسه بالإقلاع عنها». (٢)

ويعتقد أن هذه الخطبة قد قالها صلى الله عليه وآله بمنى يوم النحر فى حجة الوداع، كما يدل على ذلك لفظه «هذا الموضع». ولكن يحتمل أن يكون قد ألقاها يوم عيد الأضحى بالمدينة المنورة فى عام من الأعوام، ومراده من «هذا الموضع» مصلى العيد ومكان الخطبة ومجمع المسلمين، ولكن روايات البيهقى صريحة فى أنه أوردتها بمنى يوم النحر فى حجة الوداع.

فقد روى البيهقى بسنده عن أبى بكره قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم النحر فقال: «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

وفيه أيضاً بسنده عن الهرماس بن زياد قال: رأيت النبى صلى الله عليه وآله وأنا صبي أردفنى أبى، يخطب الناس بمنى يوم الأضحى على راحلته.

وفيه أيضاً بسنده عن أبى أمامه: سمعت أبا أمامه يقول: سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى يوم النحر.

ص: ٢٢٠

١- . مسند أحمد بن حنبل: ٩/١٢٧؛ نيل الأوطار: ٥/٨٢، باب الخطبة أوسط أيام التشريق ح ٣.

٢- . دعائم الإسلام: ١/١٨٤؛ بحار الأنوار: ٩٦/٣٠١؛ الجعفریات: ٤٦.

وفيه أيضاً بسنده عن رافع بن عمرو المزني قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغله شهباء، وعلى يُعَبَّرُ عنه، والناس بين قائم وقاعد. (١)

وروى الصدوق بسنده عن أبي أمامه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أيها الناس إنَّه لا نبيَّ بعدى، ولا أمَّة بعدكم، ألا فاعبدوا ربَّكم، وصلُّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وحجَّوا بيت ربِّكم، وأدَّوا زكاة أموالكم طيبه بها أنفسكم، وأطيعوا ولاه أمركم تدخلوا جنَّه ربِّكم». (٢)

فهذه الرواية وإن لم تكن فيها دلالة على أنَّ هذا الكلام صدر من النبيِّ صلى الله عليه وآله في حجَّة الوداع، لكن الروايتين الأخريين تدلَّان على ذلك، فإنَّ أحمد بن حنبل في مسنده والحاكم في المستدرک قد زادا فيما رواه: يقول أبو أمامه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب الناس في حجَّة الوداع، وهو على الجدعاء واضع رجله في غراز الرحل يتناول يقول: ألا تسمعون؟ فقال رجل من آخر القوم: ما تقول؟ قال:

اعبدوا ربَّكم، إلى آخر الحديث. (٣)

٥. خطبته صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف

روى الكليني عن عدّه من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس في مسجد الخيف فقال: «نُصِّرَ اللهُ عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقهٍ غير فقيهٍ، وربّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئٍ مسلم:

إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمّه المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم

ص: ٢٢١

١- السنن الكبرى: ٧/٣٠٨؛ سنن أبي داود: ٣٠٢-٣٠٣.

٢- الخصال: ٣٢٢.

٣- مسند أحمد بن حنبل: ٨/٢٧٤؛ المستدرک على الصحيحين: ١/٥٤٧.

محيطه من ورائهم، المسلمون إخوه تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم».

ثم قال: ورواه أيضاً عن حماد بن عثمان، عن أبان، عن ابن أبي يعفور مثله، وزاد فيه: «وهم يد علي من سواهم». وذكر في حديثه أنه خطب في حجة الوداع بمنى في مسجد الخيف. (١)

ورواها الشيخ أبو عبد الله المفيد في الأمالي بسند آخر ذكره عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: خطب رسول الله يوم منى فقال... إلى آخره. (٢)

ورواها أيضاً الشيخ الصدوق عن محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن خالد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام. ورواها بسند آخر في الخصال (٣)، وأيضاً وردت في جمهره خطب العرب. (٤)

ورواها ابن ماجه في السنن بسند ذكره عن جبير بن مطعم (٥)، أنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله بالخيف من منى فقال: نصر الله - إلى أن قال -: فإن دعوتهم تحيط من ورائهم. وأما صدر الحديث فقط، فقد ذكره في ضمن أحاديث متعدده. (٦)

وقال الفيروز آبادي: رجع صلى الله عليه وآله إلى منزله بالقرب من مسجد الخيف، وخطب خطبه بليغه، بلغ صوته إلى جميع أهل الخيام في خيامهم، وهذا من جملة المعجزات النبوية. (٧)

وفي سنن أبي داود بسنده عن عبدالرحمن بن معاذ التيمي قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن بمنى ففتحت أسماعنا، حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا،

ص: ٢٢٢

١- الكافي: ١/٤٠٣.

٢- الأمالي للمفيد: ١٨٦؛ بحار الأنوار: ٢/١٤٨.

٣- الأمالي للصدوق: ٤٣١؛ الخصال: ١٤٩.

٤- جمهره خطب العرب: ١/١٥١، خطبه النبي صلى الله عليه وآله بالخيف، رقم ٥.

٥- سنن ابن ماجه: ٢/١٠١٥.

٦- سنن ابن ماجه: ١/٨٤-٨٥.

٧- سفر السعادة: ١٨١.

فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار، فوضع إصبعيه السبّابتين، ثم قال:

بحصى الخذف، ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدّم المسجد، وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد، ثم نزل الناس بعد ذلك. (١)

وفي الكافي عن محمّد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن عليّ بن الحكم، عن الحكم بن مسكين، عن رجل من قريش من أهل مكّه قال: قال سفيان الثوري:

أذهب بنا إلى جعفر بن محمّد عليه السلام قال: فذهبت معه إليه، فوجدناه قد ركب دابّته، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدّثنا بحديث خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف، قال: دعني حتى أذهب في حاجتي فأني قد ركبت فإذا جئت حدّثتك، فقال:

أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لما حدّثتني، قال: فنزل، فقال له سفيان: مر لي بدواه وقرطاس حتى أثبتته، فدعا به، ثم قال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف: «نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم تبلغه، يا أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب، فربّ حامل فقهٍ ليس بفقيه، وربّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمّه المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطه من ورائهم، المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم».

فكتبه سفيان ثمّ عرضه عليه، وركب أبو عبد الله عليه السلام. (٢)

وقد ذكر القمّي هذه الخطبة المباركة وزاد في آخرها: وصيّه النبي صلى الله عليه وآله في التمسك بالثقلين (٣)، وليس بعيد؛ لأنّه قد أمر المسلمين بالتمسك بالثقلين مرّات عديده وفي مواطن شتى .

ص: ٢٢٣

١- سنن أبي داود: ٣٠٣، ونحوه في الطبقات الكبرى: ٢/١٨٥.

٢- الكافي: ١/٤٠٣؛ بحار الأنوار: ٤٧/٣٦٥.

٣- تفسير القمّي: ٢/٤٤٧؛ بحار الأنوار: ٣٧/١١٤.

٦. خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله عند الكعبة

عندما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله حَجَّته أتى مودَّعاً للكعبة الشريفة، فلزم حلقة الباب ونادى: أيها الناس. فاجتمع من فى المسجد الحرام ومن فى السوق حوله، فخطب هذه الخطبة البليغة وذكر الفتن التى تحدث بعده والفساد الذى يتعرَّض له الناس فى أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم، وتحقَّق أشرط الساعة.

وجدير بالذكر أنّ لهذه الخطبة المباركة روايات متعدّده مختلفه فيما بينها فى بعض الألفاظ. ومشتركة فى الأكثر. فقد روى السيوطى فى الدرّ المنثور ذيل الآيه الكريمة (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) (١) وقال:

أخرج ابن مردويه، عن ابن عبّاس رضى الله عنهما قال: حجّ النّبى حجّه الوداع ثم أخذ بحلقه باب الكعبة فقال: أيها الناس ألا أخبركم بأشرط الساعة... إلى آخره. (٢)

ورواها أيضاً محبى الدين ابن العربى فى محاضره الأبرار ومسامره الأخيار مرسلأ عن عبد الله بن عباس، عن النّبى صلى الله عليه وآله (٣)

وأما فى كتب الشيعة الإماميه فرويت فى جامع الأخبار مرسله عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنه قال: حججت مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجّه الوداع، فلمّا قضى النّبى صلى الله عليه وآله ما افترض عليه من الحجّ أتى مودَّعاً للكعبة، فلزم حلقة الباب ونادى برفيع صوته: أيها الناس. فاجتمع أهل المسجد وأهل السوق، فقال: اسمعوا إنى قائل ما هو بعدى كائن إلى آخره. (٤)

وجاء فى تفسير القمى فى ذيل الآيه المباركة: (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ) قال: حدّثنى أبى، عن سليمان بن مسلم بن الخشاب، عن عبد الله بن جريج المكى، عن عطاء بن أبى رباح، عن عبد الله بن عباس قال: حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجّه

ص: ٢٢٤

١- . محمّد: ١٨.

٢- . الدرّ المنثور: ٧/٤١٢.

٣- . محاضره الأبرار ومسامره الأخيار: ١/٦٠-٦٢.

٤- . جامع الأخبار: ٣٩٥-٣٩٧؛ بحار الأنوار: ٥٢/٢٦٢.

الوداع فأخذ بحلقه باب الكعبة، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال:

«ألا أخبركم بأشراط الساعة؟» وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رحمه الله عليه، فقال: بلى يا رسول الله!

فقال صلى الله عليه وآله: «إن من أشراط الساعة إضاعه الصلوات واتباع الشهوات، والميل إلى الأهواء، وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يدوب قلب المؤمن في جوفه كما يُذاب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره».

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله!؟

قال: «أى والذى نفسى بيده، يا سلمان! إن عندها يليهم أمراء جورّة ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمه، وأمناء خونه».

فقال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله!؟

قال صلى الله عليه وآله: «أى والذى نفسى بيده يا سلمان إن عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويصدّق الكاذب، ويكذّب الصادق... إلى آخر الخطبه الشريفه».(١)

٧. خطبته صلى الله عليه وآله في غدیر خم

بعد أن أتم رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون حجّهم وقضوا مناسكهم خرجوا من مكة المكرمة في ضحى اليوم الرابع عشر من ذى الحجه الحرام متوجهين إلى المدينة المنوره، وكان موكب الرسول صلى الله عليه وآله يسير نحو المدينة منزلاً بعد منزل ومرحله بعد مرحله، حتّى مضى اليوم الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر وفى ضحى اليوم الثامن عشر وحينما بلغ الموكب الشريف قريباً من الجحفة بغدير خمّ وقد ابتعد ١٨٥ كيلومتراً عن مكة، وقبل تفرّق الحجاج فى مسيرهم

ص: ٢٢٥

١- . تفسير القمى: ٣٠٣-٢/٣٠٧، عنه بحار الأنوار: ٣٠٥-٩/٣٠٩، وتفسير البرهان: ٤/١٨٣ ذيل الآيه الكريمة (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) (محمّد: ١٨).

وذهابهم إلى أوطانهم، نادى منادى الرسول صلى الله عليه وآله: الصلاة جامعة.

فارتج الحجاج من هذا النداء، إذ لم تكن هذه الساعه زمان نزول ولم يكن هذا المكان منزلاً. وموقفاً للاستراحه، فتوقف الموكب، فلحق من كان في آخر القافله، ورجع من كان في مقدمها، فجمعوا في الحرّ الشديد ليسمعوا الخبر الهامّ، حتّى وضع كثير منهم رداءه على رأسه من حراره الشمس، ووضع البعض رداءه تحت قدميه اتقاءً للهبب الرمضاء.

فصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين صلاه الظهر، ثمّ صنعوا من أقتاب الإبل منبراً رفيعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، فصار الألوّف من البشر آذاناً صاغيه لكلامه صلى الله عليه وآله ليسمعوا وليعوا كلام خطيب الله تعالى، فرقى المنبر وفتح فمه الطيب وتكلّم بكلام بلغ فيه المسلمين ما أمره الله تعالى بتبليغه.

ونحن نورد الخطبه الشريفه عن كتاب المناقب لابن المغازلى الشافعى بسند ذكره. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الحمد لله نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذى لا هادى لمن أضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

أمّا بعد أيها الناس! فإنه لم يكن لنبى من العمر إلا نصف من (١) عمّر من قبله، وإنّ عيسى بن مريم عليه السلام لبث في قومه أربعين سنه، وإنّى قد أسرع في العشرين، ألا وإنّى يوشك أن أفارقكم، ألا وإنّى مسؤول وأنتم مسؤولون، فهل بلغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟»

فقام من كلّ ناحيه من القوم مجيب يقولون: نشهد أنّك عبد الله ورسوله، قد بلغت رسالته، وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتّى أتاك اليقين، جزاك الله عنّا خير ما جزى نبياً عن أمته.

ص: ٢٢٤

١- . فى العمده: ١٠٥ والبحار: ٣٧/١٨٤: «ما» بدل «من».

فقال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟».

قالوا: بلى. قال: «فإني أشهد أن قد صدقتكم وصدقتموني، ألا- وإني فرطكم وإنيكم تبعي، توشكون أن تردوا عليّ الحوض، فأسألكم حين تلقونني عن ثقلّي كيف خلفتموني فيهما؟»

قال: فأعيل علينا(١) ما ندرى ما الثقلان، حتى قام رجل من المهاجرين وقال:

بأبي وأمي أنت يا نبي الله ما الثقلان؟

قال صلى الله عليه وآله: «الأكبر منهما كتاب الله تعالى، سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به ولا تضلّوا، والأصغر منهما عترتي. من استقبل قبلي وأجاب دعوتي، فلا تقتلوه ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم، فإنني قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني، ناصرهما لي ناصر، وخاذلهم لي خاذل، ووليّهما لي وليّ، وعدوّهما لي عدوّ. ألا وإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تتدين بأهوائها، وتظاهر على نبوتها، وتقتل من قام بالقسط».

ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فرفعها ثم قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، ومن كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». قالها ثلاثاً(٢).

ثم توج رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بعمامته «السحاب» أمام جموع حاشده من المؤمنين بيده الشريفه فسدل طرفها على منكبه، وأمر المهاجرين والأنصار أن يسلموا على عليّ عليه السلام بإمره المؤمنين ويهتئونه بهذه الفضيله العظيمة.

ص: ٢٢٧

١- يقال: علت الضالّه أُعيل عيلاً وعيلاً فأنا عائل: إذا لم تدر أيّ وجهه تبغيها؛ عن أبي زيد، وقال الأحرر: عالني الشيء يعيلني عيلاً ومعياً: إذا أعجزك، والمراد أي: عجزنا عن فهم الثقلين.

٢- المناقب لابن المغازلي: ١٦، عنه العمدة لابن البطريق: ١٠٤؛ وبحار الأنوار: ٣٧/١٨٤ وانظر الأمالي للطوسي: ٢٢٧.

فَسَلِّمْ وَجْهَ الْمُسْلِمِينَ (١) عَلَيْهِ بِأَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا وَه. (٢)

ومن يراجع أغلب المصادر التاريخية وكتب الحديث يجد أنّ هذه الخطبة قد احتلت العديد من الصفحات، وأبرز مؤلفو كتب التاريخ وجوهها المختلفه، ومن هؤلاء الطبري الذي ألف كتاباً جمع فيه أحاديث غدیر خمّ في مجلدين ضخمين. (٣)

وقال الشيخ سليمان الحنفي القندوزي في ينابيع المودّه: حُكِيَ عن أبي المعالي الجويني الملقّب بإمام الحرمين أستاذ أبي حامد الغزالي أنه قال: رأيت مجلداً في بغداد في يد صحّاف فيه روايات خبر غدیر خمّ مكتوباً عليه المجلّد الثامن والعشرون من طرق قوله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ويتلوه المجلّد التاسع والعشرون. (٤)

ومتن الخطبة الشريفه يختلف في الروايات الحاكيه لها، وكلّها تشتمل على قول رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً هذا الجمع العظيم: «ألست أولى بكم من أنفسكم»؟ قالوا: بلى، فأخذ بضبع عليّ بن أبي طالب ورفعها حتّى رُئِيَ بياض إبطيهما، فقال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

ص: ٢٢٨

١- . أخرج الطبري في كتاب الولاية (٢١٤-٢١٦) حديثاً باسناده عن زيد بن أرقم، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال بعد خطبته تلك: معاشر الناس! قولوا: أعطيناك على ذلك عهداً، عن أنفسنا... إلى أن قال: قولوا ما قلت لكم، وسلّموا على عليّ بن أبي طالب، وقولوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا... قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا. وكان أول من صافق النبي صلى الله عليه وآله وعليّاً: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس إلى أن صلى الظهرين في وقت واحد، وامتدّ ذلك إلى أن صلى العشائين في وقت واحد وأوصلوا البيعه والمصافقه ثلاثاً.

٢- . مسند أبي داود: ٢٣؛ كنز العمال: ١٥/٤٨٢؛ الرياض النضرة: ٣/١٧٠؛ فرائد السمطين: ١/٧٥؛ الفصول المهمه: ٤١؛ السيره الحلييه: ٣/٣٤١.

٣- . البدايه والنهائيه: ١١/١٥٧.

٤- . ينابيع المودّه: ١/١١٣-١١٤.

وفى الاحتجاج وروضه الواعظين والعدد القويّه واليقين (١) ذكروا خطبه طويله جداً للنبيّ العظيم فى هذا المشهد العامّ ، وبعض المؤلفين ذكر نصّاً متوسّطاً بين القصير والطويل لهذه الخطبه؛ كابن المغازلى (المتوفّى ٤٨٣ هـ) فى المناقب كما مرّ، وابن الأثير فى أسد الغابه (٢)، والشيخ أحمد أبو الفضل بن محمّد باكثر المكيّ الشافعيّ (المتوفّى ١٠٤٧ هـ) فى وسيله المآل فى عدّ مناقب الآل (٣)، والشيخ العاملى فى ضياء العالمين عن كتاب الولايه للطبرى المؤرّخ (٤)، والمتقى الهنديّ فى كنز العمال (٥)، والحموينى فى فرائد السمطين (٦)، وابن الصبّاغ المالكيّ فى الفصول المهمّه (٧)، وابن كثير فى البدايه والنهايه (٨)، وابن حجر فى الصواعق المحرّقه (٩)، والحلبىّ فى سيره النبويه (١٠)، والهيثميّ فى مجمع الزوائد (١١)، والقرمانىّ فى أخبار الدول (١٢)، وبعض المحدّثين والرواه ذكروا فقط فقره هامّه من هذه الخطبه؛ وهى قول رسول الله صلى الله عليه و آله: من كنت مولاه فعلىّ مولاه.

وبعد إيراد هذه الخطبه قال الشاعر الشهير حسّان بن ثابت لرسول الله صلى الله عليه و آله:

ص: ٢٢٩

- ١- . الاحتجاج: ١/١٣٣-١٦٢؛ روضه الواعظين: ٨٩-١٠١؛ العدد القويّه: ١٦٩؛ اليقين: ٣٤٣-٣٤١. وراجع ما نقله العلّامه المجلسى عن واقعه الغدير فى بحار الأنوار: ٣٧/١٠٨-٣٧٣-٢٥٣.
- ٢- . أسد الغابه: ٣/٣٣-٣٤.
- ٣- . وسيله المآل فى عدّ مناقب الآل: ١١٦-١١٨.
- ٤- . قال ابن كثير فى تاريخه (ج ١١/١٤٦) فى ترجمه الطبرى: إننى رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم فى مجلدين ضخمين. انظر: الغدير للعلّامه الأمينى: ١/٤٢٤-٤٢٦.
- ٥- . كنز العمال: ١٣/١٠٤-١٠٥.
- ٦- . فرائد السمطين: ١/٦٢-٧٨.
- ٧- . الفصول المهمّه: ٤٠.
- ٨- . البدايه والنهايه: ٥/١٩٧-٥-٢٠٥ و ج ٧/٣٢٨-٣٣١.
- ٩- . الصواعق المحرّقه: ٤٢-٤٩.
- ١٠- . السيره النبويه: ٣/٣٣٦-٣٣٧.
- ١١- . مجمع الزوائد: ٩/٢٥٩.
- ١٢- . أخبار الدول: ١٠٢.

أذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهنّ . فقال صلى الله عليه وآله: قل عليّ بركه الله.

فأنشد حسان بن ثابت شعره المعروف:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمّ وسمع بالرسول مناديا

فقال: فمن مولاكم ونبيكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت نبينا ولم تلق منا في الولاية عاصيا

فقال له قم يا عليّ فإنني رضيتك من بعدى إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أتباع صدق مواليا

هناك دعا: اللهم والٍ وليه وكن للذي عادى عليّاً معاديا

وقد روى هذه الأبيات السنّة العلّامة الأميني في كتابه الغدير (١) عن اثني عشر من علماء أهل السنّة وعن اثنين وعشرين من علماء الإمامية، ونقلها عن كتاب سليمان بن قيس الهلالي والمولى محسن الفيض الكاشاني في «علم اليقين» (٢) بزيادة أبيات أربعة، وقال بعد البيت الأوّل:

وقد جاء جبريل عن أمر ربّه بأنّك معصوم فلا تك وانيا

وبلّغهم ما أنزل الله ربّهم إليك ولا تخش هناك الأعاديا

فقام به إذ ذاك رافع كفه بكفّ عليّ معلن الصوت عاليا

وزاد بعد البيت السادس:

فياربّ انصر ناصريه لنصرهم إمام هدى كالبدر يجلو الدياتيا

ثمّ قال العلّامة الأميني: والعدى يظهر للباحث أنّ حسّاناً أكمل هذه الأبيات بقصيده ضمّنها نبذاً من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام. (٣)

وفي ختام حديثنا عن هذه الخطبة الهامه ولكي نرفع ما قد يتسرب إلى نفوس البعض من الشكك فيها نذكر شيئاً عن روايتها من الصحابه والتابعين، وما أُلّف في

١- . الغدير: ٢/٦٥.

٢- . علم اليقين: ٣٤٣-٣٦١.

٣- . الغدير: ١/٧٣.

حديث الغدير، فنقول:

أولاً: روى حديث الغدير من الصحابه مائه وعشرون صحابياً، منهم:

١. أبو بكر بن أبي قحافه التيمي: (المتوفى ١٣ هـ).
٢. أبو هريره الدوسى: (المتوفى ٥٧-٥٩ هـ).
٣. أبو ليلى الأنصارى: استشهد بصفين مع الإمام على عليه السلام سنة ٣٧ هـ.
٤. أبو زينب بن عوف الأنصارى.
٥. أبو فضاله الأنصارى: بدرى استشهد بصفين مع الإمام على عليه السلام.
٦. أبو قدامه الأنصارى.
٧. أبو عمره بن عمرو بن محصن الأنصارى.
٨. أبو الهيثم بن التيهان استشهد بصفين مع الإمام على عليه السلام سنة ٣٧ هـ.
٩. أبو رافع القبطى .
١٠. أبو ذؤيب خويلد - أو خالد - ابن خالد بن محرث الهذلى.

ثانياً: ورواه أيضاً اثنان وثمانون من التابعين، نذكر منهم:

١. أبو راشد الحبرانى الشامى، اسمه اخضر، نعمان.
٢. أبو سلمه عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى المدنى (المتوفى ٩٤ هـ).
٣. أبو سليمان المؤذن.
٤. أبو صالح السمان، ذكوان المدنى (المتوفى ١٠١ هـ).
٥. أبو عنفوانه المازنى.
٦. أبو عبدالرحيم الكندى.
٧. أبو القاسم الأصبع بن نباته التميمى، الكوفى.

٨. أبو لیلی الكندی.

٩. إیاس بن نُذیر.

١٠. جمیل بن عماره.

ص: ٢٣١

ثالثاً: وقد أيده ورواه من العلماء وأعلام الحفاظ والمؤرخين ثلاثمائة وستون، نذكر منهم:

١. الحافظ أبو عيسى الترمذى (المتوفى ٢٧٩ هـ). (١).
٢. الحافظ أبو جعفر الطحاوى (المتوفى ٢٧٩ هـ). (٢).
٣. الحافظ ابن عبد البرّ القرطبي (المتوفى ٤٦٣ هـ). (٣).
٤. الفقيه أبو الحسن بن المغازلى الشافعى (المتوفى ٤٨٣ هـ). (٤).
٥. حجه الإسلام أبو حامد الغزالي (المتوفى ٥٠٥ هـ). (٥).
٦. الحافظ أبو الفرج بن الجوزى الحنبلى (المتوفى ٥٩٧ هـ).
٧. أبو المظفر سبط ابن الجوزى الحنفى (المتوفى ٦٥٤ هـ). (٦).
٨. ابن أبى الحديد المعتزلى (المتوفى ٦٥٥ هـ). (٧).
٩. الحافظ أبو عبدالله الكنجى الشافعى (المتوفى ٦٥٨ هـ). (٨).
١٠. الشيخ أبو المكارم علاء الدين السمنانى (المتوفى ٧٣٦ هـ). (٩).
١١. شمس الدين الذهبى الشافعى (المتوفى ٧٤٨ هـ). (١٠).
١٢. شمس الدين الجزرى الشافعى (المتوفى ٨٣٣ هـ). (١١).

ص: ٢٣٢

١- . سنن الترمذى: ٥/٥٩١.

٢- . مشكل الآثار: ٢/٣٠٨.

٣- . الاستيعاب: ٢/٣٧٣.

٤- . مناقب على بن أبى طالب: ٢٧ برقم ٣٩.

٥- . سر العالمين: ٢١.

٦- . تذكره الخواص: ٢٩.

٧- . شرح نهج البلاغه: ٩/١٦٦.

٨- . كفايه الطالب: ٦٠-٦١.

٩- . العروه لأهل الخلوه: ٤٢٢.

١٠- . تلخيص المستدرك: ٣/٦١٣.

١١- . أسنى المطالب: ٤٨.

١٣. الحافظ ابن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ) (١).
١٤. جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن صلاح الدين الحنفي (٢).
١٥. نور الدين الهروي التازي الحنفي (المتوفى ١٠١٤هـ) (٣).
١٦. زين الدين المناوي الشافعي (المتوفى ١٠٣١هـ) (٤).
١٧. نور الدين الحلبي الشافعي (المتوفى ١٠٤٤هـ) (٥).
١٨. السيد محمد البرزنجي الشافعي (المتوفى ١١٠٣هـ) (٦).
١٩. السيد ابن حمزه الحراني الدمشقي الحنفي (المتوفى ١١٢٠هـ) (٧).
٢٠. ميرزا محمد البدخشي (٨).
٢١. مفتي الشام العمادي الحنفي الدمشقي (المتوفى ١١٧١هـ) (٩).
٢٢. أبو العرفان الصبان الشافعي (المتوفى ١٢٠٦هـ) (١٠).
٢٣. محمود الألوسي البغدادي (المتوفى ١٢٧٠هـ) (١١).
٢٤. الشيخ محمود الحوت البيروتي الشافعي (المتوفى ١٢٧٦هـ) (١٢).
٢٥. المولوي ولي الله اللكهنوي (١٣).

ص: ٢٣٣

-
- ١- . فتح الباري: ٧/٧٤.
- ٢- . المعتصر من المختصر: ٢/٣٠١.
- ٣- . المرقاه في شرح المشكاه: ١٠/٤٦٤.
- ٤- . فيض القدير: ٦/٢١٨.
- ٥- . السيره الحلبيه: ٣/٢٧٤.
- ٦- . النواقض للروافض: الورقه ٨.
- ٧- . البيان والتعريف: ٣/٧٥.
- ٨- . نزل الأبرار: ٥٤.
- ٩- . الصلوات الفاخره: ٤٩.

- ١٠- . إسعاف الراغبين فى هامش نور الأبصار: ١٥٣.
- ١١- . روح المعانى: ٩/١٩٥.
- ١٢- . أسنى المطالب: ٤٦١.
- ١٣- . مرآه المؤمنین فى مناقب أهل بیت سید المرسلین: ٤٠.

٢٦. الحافظ المعاصر شهاب الدين الغماري المغربي. (١)

٢٧. الشيخ عبد العزيز محمد بن الصديق المغربي. (٢)

رابعاً: من ألف في حديث الغدير

وإليك قائمه بأسماء بعض من ألف في حديث الغدير واسم كتابه أو رسالته - ولا ندعى هنا أننا سنذكر كل ما ألف بهذا الصدد، لأن ذلك لا ولن يتوقف إن شاء الله تعالى :-

١. أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، الأملی، (المتوفى ٣١٠ هـ) له كتاب «الولاية في طرق حديث الغدير».
٢. أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، الحافظ المعروف بابن عقده (المتوفى ٣٣٣ هـ) له «كتاب الولاية في طرق حديث الغدير».
٣. أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم التميمي، البغدادي، المعروف بالجعابي (المتوفى سنة ٣٥٥ هـ) له كتاب «من روى حديث غدير خم».
٤. أبو طالب عبدالله بن أحمد بن زيد الأنباري، الواسطي (المتوفى ٣٥٦ هـ) له كتاب «طرق حديث الغدير».
٥. أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد الزراري (المتوفى ٣٦٨ هـ) له جزء في خطبه الغدير.
٦. أبو المفضل محمد بن عبدالله بن المطلب الشيباني (المتوفى ٣٧٢ هـ) له كتاب «من روى حديث غدير خم».
٧. الحافظ علي بن عمر الدارقطني، البغدادي (المتوفى ٣٨٥ هـ) قال الكنجي الشافعي في كفايته عند ذكر حديث الغدير: جمع الحافظ الدارقطني طرقه في جزء.

ص: ٢٣٤

١- . تشنيف الآذان: ٧٧.

٢- . مجله الموسم: ٧٤، م ٢-١٩٩٠ م، مهرجان الغدير/ لندن.

٨. الشيخ محسن بن الحسين بن أحمد النيسابوري، الخزاعي، له كتاب «حديث الغدير».
٩. علي بن عبدالرحمن بن عيسى بن عروه بن الجراح القناني (المتوفى ٤١٣ هـ) له كتاب «طرق خبر الولاية».
١٠. أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله بن إبراهيم الغضائري (المتوفى ٤١١ هـ) له كتاب «يوم الغدير».
١١. الحافظ أبو سعيد مسعود بن ناصر بن أبي زيد السجستاني (المتوفى ٤٧٧ هـ) له كتاب «الدرايه في حديث الولاية».
١٢. أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (المتوفى ٤٤٩ هـ) له كتاب «عده البصير في حجج يوم الغدير».
١٣. علي بن بلال بن معاويه بن أحمد المهلبى: له كتاب «حديث الغدير».
١٤. الشيخ منصور اللائي، الرازي، له كتاب «حديث الغدير».
١٥. الشيخ علي بن الحسن الطاطري، الكوفي: صاحب كتاب «فضائل أمير المؤمنين عليه السلام» له «كتاب الولاية».
١٦. أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني: له كتاب «دعاه الهداه إلى أداء حق الموالاته»، يذكر فيه حديث الغدير.
١٧. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى ٧٤٨ هـ) له كتاب «طرق حديث الغدير».
١٨. شمس الدين محمد بن الجزري، الدمشقي، المقرئ، الشافعي (المتوفى ٨٣٣ هـ) أفرد رساله في «إثبات تواتر حديث الغدير».
١٩. المولى عبدالله بن شاه منصور القزويني، الطوسي له: «رساله الغدير».
٢٠. السيد سبط الحسن الجايسي، الهندي، اللكهنوي: له كتاب «حديث الغدير» بالأردويه، طبع في الهند.
٢١. السيد مير حامد حسين ابن السيد محمد قلي الموسوي، الهندي،

اللكنهوى (المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ)، ذكر حديث الغدير وطرقه وتواتره ومفاده في مجلدين ضخمين في ألف وثمان صحائف. وهما من مجلدات كتابه الكبير «العبارات».

٢٢. السيد مهدي ابن السيد علي الغريفي، البحراني، النجفي (المتوفى ١٣٤٣ هـ) له كتاب «حديث الولاية في حديث الغدير».

٢٣. الحاج الشيخ عباس بن محمد رضا القمي (المتوفى ١٣٥٩ هـ).

٢٤. السيد مرتضى حسين الخطيب الفتجوري، الهندي: له كتاب تفسير التكميل في آيه (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) النازل في واقعه الغدير.

٢٥. الشيخ محمد رضا ابن الشيخ طاهر آل فرج الله، النجفي: له كتاب «الغدير في الإسلام».

٢٦. العلامة الشيخ عبد الحسين بن أحمد الأميني النجفي (المتوفى ١٣٩٠ هـ)، له: «الغدير في الكتاب والسنة والأدب» في ١١ جزءاً. (١)

هذا ما استطعنا أن نعرضه للقارئ الكريم من خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع، عسى أن نكون قد ساهمنا في رسم صورته لما بذله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهود وتضحيات في سبيل إرشاد أُمَّته وتوضيح معالم الدين الإسلامي الحنيف لأجيال الأُمَّة الإسلامية.

نسأل الله أن يوفقنا للاستئذان بسنته وأن يرزقنا شفاعته في الآخرة وزيارته في الدنيا.

والشكر لله وله الحمد على توفيقه للصالحات

جعفر السبحاني

ص: ٢٣٦

١- . يعد هذا الكتاب موسوعه شامله لكل ما يتعلّق بخطبه النبي صلى الله عليه وآله في غدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام عام حجة الوداع. وهو شامل لمناقشات تتعلّق بأسانيد الخطبه ودلالاتها وما تثبتته وتنفيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الدكتور عبدالعزيز حسن دامت معاليه

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن يديم عليكم لباس الصحه والعافيه، وعلى جميع الإخوه وأفراد العائله.

وصلتني رسالتكم عبر البريد الالكتروني ووقفت على أسئلتكم فيها، وأنتم بحمد الله تعالى عارفون بأجوبتها، غير أنكم أحببتم أن أشارككم في الإجابة عنها.

السؤال الأول:

ماذا يريد الإمام الصادق عليه السلام في الروايه التي رواها الإمام الكليني عن أبي البختری عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن العلماء ورثه الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه؟ فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين [الكافي: ١/٣٢، كتاب فضل العلم، باب صفه العلم وفضله وفضل العلماء، الحديث ٢].

الجواب: أقول: إن كشف الستر عن وجه الحقيقه رهن دراسه الحديث سنداً وامتناً.

أما السند فلا غبار عليه إلفى الراوى عن الإمام عليه السلام، أعنى أبا البخترى فهو وهب بن وهب.

قال النجاشى: وهب بن وهب بن عبدالله أبو البخترى، روى عن أبى عبدالله عليه السلام وكان كذاباً.

وقال الطوسى فى الفهرست: عامى المذهب (أى لم يكن شيعياً)، ضعيف، له كتاب.

قال ابن الغضائرى: أبو البخترى القاضى كذاب عامى، ونقل الكشى عن ابن شاذان أنه قال فيه: أكذب البريه.

ومع ذلك كيف يمكن أن يستند إلى هذه الروايه فى مقابل الآيات الناصه على أن سليمان ورث داود.

كما أن زكريا طلب من الله سبحانه أن يهب له ذريه طيبه ترثه وترث من آل يعقوب، وقال: (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا). (١)

ولا يتبادر من لفظ الإرث إلأما هو المتبادر والمعروف عند العرف.

والشاهد على أن المراد من الوراثه فى دعاء زكريا أنه قال: (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)، فلو كان المراد من الوراثه الوراثه فى النبوه صار هذا الطلب أمراً لغواً، واحتمال أن المراد هو الوراثه فى العلم لا يناسب قوله: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)، إذ ليس آل يعقوب بأجمعهم علماء فهماء كأخوه يوسف. وإلأ فهل يحتمل أن يطلب زكريا ولداً يرث ما فى إخوه يوسف من الخصال مع أن النبى يوسف عليه السلام قد وصفهم بالجهل، وقال: (هَلْ عَلَّمْتُمْ مِثْلَ بَيْتِ يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ). (٢)

ص: ٢٣٨

١- . مريم: ٥-٦.

٢- . يوسف: ٨٩.

وأما ما يرجع إلى سليمان أعنى قوله: (وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) (١) فلا يمكن حمله على الوراثة في العلم، وذلك لأنه سبحانه قد ذكر في الآية المتقدمه أنه آتاهما علماً وقال: (وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْماً وَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (٢) فبعد هذا التصريح بأن الله سبحانه وهبهما العلم فلا حاجة لتكرار ما ذكره بصراحه تامه، فتفسير قوله سبحانه: (وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) ، بالوراثة في العلم ساقط جداً، وبذلك تبين أن علم الناس على قسمين اكتسابي أو إيهابي، وليس العلم أمراً وراثياً إلهياً سبيل المجاز.

فبعد هذه الآيات الناصه على أن سنه الله سبحانه في الأنبياء وغيرهم على نمط سواء، فهم يتوارثون كغيرهم وإنما لا يتوارث أهل ملتين.

دراسه مضمون الحديث

لو افترضنا صحه سند الحديث فنقول: إن الإمعان فيه يقودنا إلى أن المقصود من قوله: «العلماء ورثه الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا- ديناراً وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم»، هو أن شأن الأنبياء ووظيفتهم هو توعيه الناس وتعليمهم بأحاديثهم وكلماتهم، وليس من شأنهم أن يتركوا للناس الدنانير والدراهم، وأين هذا من أن النبي لو مات وترك بيتاً أو فراشاً أو أموالاً لا ترثها ورثته؟!

وبعبارة أخرى: أن الحديث - لو صح - فهو بصدد بيان علاقه النبي مع أمته وأصحابه، وأنه ما ترك لهم فضه ولا ذهباً وإنما ترك لهم علماً وسنّه واضحه ليلها كنهارها، فعلى الأمة أن تأخذ بهذه الأحاديث عن طريق العلماء فمن أخذ بها خطأ وافراً. ولا علاقه لهذا الحديث بما يتركه النبي من مال إلى أزواجه وأولاده.

ص: ٢٣٩

١- . النمل: ١٦.

٢- . النمل: ١٥.

فلا يتبادر إلى ذهن أحد - مهما كان مجرداً عما جرى بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله - أنّ النبي صلى الله عليه وآله بصدد بيان حرمان ابنته فاطمه الزهراء عما تركه من بيضاء وصفراء.

والذى يدلّ على ذلك أنّ الخليفة الذى روى حديث الحرمان لم يتعرض لما تركه النبي صلى الله عليه وآله لنسائه وأزواجه وإنّما تصدّى لخصوص فدك، فلو كان الحديث صحيحاً، وكان ما تركه النبي صلى الله عليه وآله صدقه يجب عليه استرداد عامه البيوت من أزواجه وتقسيمها على مستحقي الصدقات، مع أنّا نرى أنّه تركها لهنّ .

مضافاً إلى أنّه لم يتعرض أيضاً لما كان عند على من سيف النبي صلى الله عليه وآله وخاتمه وفرسه وألبسته.

والعجب مع أنّه ادّعى أنّ الأنبياء لا يورثون، استأذن من ابنته عائشه لأن يدفن فى بيتها، مع أنّ عائشه لم تكن مالكة له، بل كان من الأموال العامه.

حتى أنّ الخليفة الثانى أيضاً استأذن عائشه فى أن يدفن فى حجرتها. كل ذلك يدلّ على أنّ الخليفين كانا على علم بأنّ عائشه مالكة لهذا البيت.

إنّ الحكم بحرمان أولاد الأنبياء من الأموال الخاصه لأبائهم نوع إهانته لهم، فأى فرق بين الأنبياء وغيرهم، فأولاد الآخريين محترمون، باقون تحت عطاء آبائهم، وأمّا أولاد الأنبياء فهم محرومون حتى من الشىء البسيط الذى يتركه الوالد!!

إنّ الذى يثير العجب أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد ذكر ذلك الحكم الإلهى - لو صحّ - لأبى بكر فقط مع أنّ اللازم أن يوجه كلامه إلى بنته التى هى وارثته بعد رحيله، فلماذا ترك صاحب الشأن وتحدّث به إلى من لا يعنيه!؟

وبذلك تتجلّى حقيقه كلام بنت المصطفى مخاطبه لأبى بكر قائله: «يا بن أبى قحافه أفى كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبى!؟ لقد جئت شيئاً فرياً. أفعلى عمد تركتم كتاب الله فنبذتموه وراء ظهوركم، وزعمتم أن لا حظوه لى ولا إرث من أبى ولا رحم بيننا؟ أفخصّيكم الله بآيه أخرج أبى منها أم هل تقولون: إنّ أهل ملتين لا يتوارثان!؟ أو لست أنا وأبى من أهل مله واحده، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن

وعمومه من أبي وابن عمي؟!».

على أنّ فذك هي ممّا كان قد وهبه النبي لفاطمه في حياته بعد أن أمره الله سبحانه بقوله: (وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) (١). ولم يكن ما تركه النبي صلى الله عليه وآله لا يورث ويكون صدقه. ويكفي في ذلك الأحاديث الواردة حول تفسير الآية.

روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلت هذه الآية (وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمه فأعطاهما فذك.

وروى أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلت (وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) أقطع رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمه فذكا. (٢)

السؤال الثاني: ما هو الوجه لتسميه الأئمة أولادهم بأسماء الصحابه ؟

الجواب: إنّ أسماء الخلفاء الثلاثة لم تكن أسماء مختصه بهم فقط، بل هي أسماء كانت شائعة ومنتشرة بين العرب قبل الإسلام وبعده، واتخاذ علي عليه السلام هذه الأسماء لأبنائه لا يكون دليلاً على حُسن العلاقة بينه وبين أصحاب الخلافة، وأنتم بإمكانكم مراجعه الكتب الرجاليه مثل كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البرّ وكتاب «أسد الغابه» لابن الأثير، لتلاحظوا الصحابه الذين كانوا يحملون أسماء أبي بكر أو عمر أو عثمان.

ونحن هنا نستعرض أسماء الأشخاص الذين يحملون اسم عمر - قبل الإسلام وبعده - من كتاب واحد فقط، وهو كتاب «أسد الغابه في معرفه الصحابه» كأنموذج لما ذكرنا: ١. عمر الأسلمي ٢. عمر الجمعي ٣. عمر بن الحكم ٤. عمر بن سالم الخزاعي ٥. عمر بن سراقه ٦. عمر بن سعد الأنماري ٧. عمر بن سعد السلمى ٨. عمر بن سفيان ٩. عمر بن أبي سلمه ١٠. عمر بن عامر السلمى ١١.

ص: ٢٤١

١- .الإسراء: ٣٦.

٢- . الدر المنثور: ٤/١٧٧، في تفسير الآية ٣٦ من سوره الإسراء.

عمر بن عبيدالله ١٢. عمر بن بكرمه ١٣. عمر بن عمرو الليثي ١٤. عمر بن عمير ١٥. عمر بن عوف ١٦. عمر بن غزبه ١٧. عمر بن لاحق ١٨. عمر بن مالك بن عقبه ١٩. عمر بن مالك الأنصاري ٢٠. عمر بن معاوية الغاضري ٢١. عمر بن يزيد ٢٢. عمر بن اليماني.

هؤلاء فقط الأشخاص الذين أورد ابن الأثير أسماءهم، وإلا فلو أضفنا التابعين الذين يحملون اسم عمر، فسوف نقطع بأدله راسخه بأن هذا الاسم وأسماء الخلفاء الآخرين هي من الأسماء المعروفة والمشتهرة عند العرب في الجاهلية والإسلام، ولا يرد في بال أحدهم هذا الادعاء على الإطلاق.

والحاصل: إن التسميه لم تحمل بعداً عقائدياً إلى عصور متأخرة، فعلى سبيل المثال نجد من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ومن بعدهم من أصحاب الأئمة عليهم السلام من يسمّى بمعاوية ويزيد و...، وكذلك تجد من سفراء الإمام الحجة عليه السلام من اسمه عثمان، وكما نجد من المخالفين لمدرسه أهل البيت: من يحمل أسماء الأئمة عليهم السلام، مما يكشف عن أن التسميه لم تكن تحمل بعداً عقائدياً.

الهدف هو التوقى من الأعداء

ولنتجاوز هذا ونقول: لو نظرنا إلى الأوضاع المزريه والتضييق الذى لحق الشيعة فى تلك الأيام، فإننا سندرك أن الأئمة المعصومين من أهل البيت: قد أُجبروا على تصرفات معيَّنه بهدف الحفاظ على الشيعة وتجنبيهم تلك الويلات، وهى تصرفات - قطعاً - جائزه شرعاً.

ومن جمله تلك التصرفات أنهم: قد وضعوا أسماء الخلفاء على أبنائهم، أو أنهم قاموا بعقد علاقات عائليه مع بعض كبار الصحابه عن طريق الزواج، حتى يقللوا من تلك الضغوطات، ولئلا تتمكن آله الظلم الأمويّه والعباسيّه من استغلال معارضه الأئمة: للخلفاء الثلاثة للضغط على شيعة أهل البيت والإمعان فى قتلهم وسحقهم، خصوصاً وأنّ المجتمع الإسلامى آنذاك كانت تسيطر البساطه

والسذاجه على أفرادہ.

وأما تخصيص ليالى محرم فليس هو أمراً تعبدياً منصوصاً من الأئمة عليهم السلام، بل هو من صنع الوعاظ وأرباب المقاتل وقد اقتصرُوا على ابرز الشهداء وأفجع المصائب، وإلما فالجميع عند الله سبحانه فى مقام عظيم ودرجه رفيعه يغبطها عليهم سائر الشهداء والصالحين.

وفى الختام بلغوا سلامنا إلى المؤمنين راجين منهم ذكرنا فى صالح دعواتهم.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

جعفر السبحانى

٢٨ صفر المظفر ١٤٣٠ هـ

ص: ٢٤٣

فضيله الأستاذ الفذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

دامت معاليه، وتواترت بيض أياديه

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وصلني - وصلكم الله - رسالتكم القيمه حول إثبات رؤيه الهلال ووقفت على ما فيها من جلائل الحقائق وأبهى النظريات، وأعجبنى ما أبدىتم من الرأى حول علم الفلك فى العصر الحديث وقلتم «بأنه بلغ من الدقه حدًا لم يبلغه فى العصور السابقه، واكتشف من العوالم الكونيه ما لم تعرفه الإنسانيه فى الماضى، ولذا فإنه من المفترض أن يستفيد منه المسلمون مما يعينهم فى أمور دينهم ودنياهم».

وداعيكم يؤيد هذه النظرية تماماً، وأن ما ورد من النهى عن التنجيم منصرف إلى القواعد الظنيه غير المفيده للعلم خصوصاً فيما يرجع إلى تشيئهم عن المغيبات من وقوع الحرب والصلح والغلاء والسيول وموت الفجأه وغير ذلك.

ويترب على هذا الأساس أنه لو اتفق المنجمون على عدم إمكان رؤيه الهلال لا- يعتد بشهاده نفر أو نفرين بل أكثر وتُحمل شهادتهم على خطأ الباصره وتوهم الرؤيه، وهنا حديث روى عن الإمام الصادق عليه السلام نقله فى المقام ربما يؤيد

ذلك الموقف.

قال الراوى قلت له: كم يجرى فى رؤيه الهلال؟ فقال: «إنّ شهر رمضان فريضه من فرائض الله فلا تؤدّوا بالتظنّى، وليست رؤيه الهلال أن يقوم عدّه فيقول واحد: قد رأيته، ويقول الآخرون: لم نره، إذا رآه واحد رآه مائه، وإذا رآه مائه رآه ألف، ولا يجرى فى رؤيه الهلال إذا لم يكن فى السماء علّه أقلّ من شهاده خمسين، وإذا كانت فى السماء علّه قبلت شهاده رجلين يدخلان ويخرجان من مصر»^(١).

وهذا يدفعا إلى الاحتياط التام فى إثبات الهلال خصوصاً إذا كانت السماء صحوه ولم يكن فيها علّه فلا يجوز للحاكم أن يحكم بدخول الشهر بشهاده أفراد قليلين، إذ لو كانوا صادقين فربما تكون شهادتهم مستنده إلى خطأ الباصره. حيث إنّ المشاهد من شدّه رغبتة إلى رؤيه الهلال ربما يتخيل أنّه رآه، كما يرى العطشان السراب ماءً .

فعلى هذا يُحتج باتّفاق الفلكيين على عدم إمكان الرؤيه على ضد من يدّعى الرؤيه عندما تكون الرؤيه حسب القواعد العلميه القطعيه غير ممكنه.

نعم لا يحتج بقولهم فى ثبوت الهلال وأنّ الليله أوّل الشهر، لأنّ الصوم والإفطار معلقان على الرؤيه، لا على العلم بوجود الهلال فى السماء، قال صلى الله عليه وآله: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته». وروى عن أئمّه أهل البيت عليهم السلام: «صم للرؤيه وأفطر للرؤيه»، فخرجنا بالنتيجه التاليه: أنّ قول الفلكيين حجه فى مورد دون مورد.

١. حجه فيما إذا اتفقوا على عدم إمكان الرؤيه وعدم تولّد القمر لأجل عدم ابتعاده عن ضوء الشمس بمقدار يخرجّه عن تحت شعاعها، ولو ادّعت الرؤيه فلا يعتدّ بها.

٢. وليس بحجّه إذا ادّعوا إمكان الرؤيه وخروجه عن تحت الشعاع ولكن لم

ص: ٢٤٥

١- . وسائل الشيعه: ٤، الباب ١١ من أبواب أحكام شهر رمضان من كتاب الصوم، الحديث ١٠.

تمكن رؤيته، مع تصدّى جماعه لاستهلال الهلال.

ثم هل الحجّه الرؤيه المباشره بالعين المجرده، أو أعمّ منه ومن الرؤيه بمساعده الأجهزه المقربه ؟

وبعباره أخرى: هل الحجّه الرؤيه بالعين غير المسلحه أو أعم منها ومن الرؤيه بالعين المسلحه ؟

يظهر من سماحتكم أنّ الحجّيه هي الأعم كما قلت في ص ١٩: المراد بالرؤيه، الرؤيه المباشره بالعين المجرده أو بمساعده الأجهزه المقربه، والمكبره كالنظارات والنواظير وأجهزه المراسد، لأنّ الرؤيه من خلال هذه الوسائل رؤيه حقيقيه، فتدخل في الرؤيه في الأحاديث. (١)

وهناك أسئله تطرح لعل عند سماحه الشيخ أجوبه شافيه لها:

١. التخيير بين الأقل والأكثر أمر لغو

إنّ لازم هذا القول هو التخيير بين الأقل والأكثر وهو أمر لغو.

توضيحه: إنّ التخيير بين الأقل والأكثر في عالم التشريع غير صحيح، لكون مثل هذا التشريع لغواً لا يصدر من الحكيم فلو قال: اغسل ثوبك من البول، تكفيك مره، ثم قال: اغسل ثوبك من البول تكفيك ثلاث مرات، فلا يصحّ أن يجعل الشارع المره الأولى مطهره وفي الوقت نفسه أن يجعل الثلاثه مطهره أيضاً، لأنّ الثوب بالغسله الأولى صار طاهراً وليس نجساً حتى يطهر بثلاث مرات. نعم يمكن استحباب الغسل ثلاثاً، لابتغاء تأكيد النظافه، ولكن لا يمكن أن تُعدّ المرات الثلاث مطهره بمعنى أنّ الثوب كان قبله نجساً وصار طاهراً بثلاث دفعات.

وهذه هي القاعده الأصوليه، فنسأل عن قولكم: «الرؤيه المباشره بالعين

ص: ٢٤٦

المجردة أو بمساعدته الأجهزه»، فهل الشارع جعل كل واحد من السببين موجبا للصوم والإفطار أو جعل واحداً منهما؟

لا- سبيل إلى الثانى حسب نظر كم، فتعين الأول فنقول: كيف يكون كل موجبا للصوم والإفطار مع أنّ الرأيه بمساعدته الأجهزه متقدمه يوماً - على الأقل - على الرأيه المجرده. فلا يبقى مجال للسبب الثانى. وعلى ضوء ذلك لا يمكن أن يجعل الشارع كلا السببين حجه مع لغويه إحدى الحجتين لتأخر الثانيه زماناً عن الحجه الأخرى دائماً.

ويمكن أن يقال: إنّ اللغويه ترتفع بأحد وجهين:

١. أنّ الرأيه المباشره بالعين المجرده للمناطق المتخلفه، والرأيه بمساعدته الأجهزه للمناطق المتحضّره.

٢. أنّ العبره بالسبب الأول راجعه للقرون السابقه ولكن الاعتبار بالسبب الثانى للعصر الحاضر.

وأنت خير بأنّ كلّاً من الوجهين لا يمكن أن ينسب إلى الشرع المقدس الذى يعم حكمه على الجميع بشكل واحد وعلى البشريه فى عامه القرون بنظر واحد.

وهذا الوجه - أى امتناع التخيير بين الأقل والأكثر - يصد الفقيه عن اعتماد الرأيه بمساعدته الأجهزه.

٢. استلزام ذلك فقهاً جديداً

أ. اتفق الفقهاء أنّه إذا نوى المكلف السفر لا يجوز له أن يقصر الصلاه حتى يغيب عنه البنيان ويخفى عنه أذان مصره، أو جدران بلده. (١)

ومن المعلوم أنّ خفاء البنيان بالعين المجرده يحصل بإبتعاد المسافر مسافه ثلاثه كيلومترات تقريباً، وأمّا بمساعدته الأجهزه ربما لا يخفى حتى مسافه

ص: ٢٤٧

١- . الخلاف للشيخ الطوسى: ٥٧٢/١، رقم المسأله: ٣٢٤، ونسبه فى الهامش إلى الأُمّ: ١٨٠/١، واللباب: ١٠٧/١، والمجموع: ٣٤٩/٤، وبدايه المجتهد: ١٦٣/١.

٢٠ كيلومتراً، فعلى القول باعتبار الرؤيه بالأجهزه المساعده يجب أن لا يفطر ولا يقصر حتى وإن بلغ ٢٠ كيلومتراً، وهو كما ترى.

وهنا تأتي أيضاً لغويه التقدير بالأقل (٣ كيلومترات) إذا كان الملاك (٢٠ كيلومتراً) حسب الفرض.

ب. الأبقار الحلوبه ذات الإنتاج الغزير ربما يرى في حليبها أجزاء صغيره من الدم القليل فيما لو نظر إليها بواسطه المجهر (الميكروسكوب)، فلو قلنا بحججه معطيات هذه الأجهزه يجب الحكم عليه بالنجاسه، للدم المرئى بالأجهزه، وهو كما ترى، لأنّ الميزان هو الرؤيه العاديه لا الرؤيه بالأجهزه.

ج. الرجل الذى أجرى عمليه جراحيه لعلاج غده البروستات، ربما يخرج مع البول بعض المنى الذى لا يشاهد بالعين المجرده، وإنّما يرى بواسطه التحاليل أو أجهزه المختبرات، فهل يحكم على هذا الرجل بالجنابه لأنّ الميزان هو خروج المنى وقد تحقّق ذلك؟

د. لون الدم طاهر باتفاق الفقهاء، بحججه أنّه ليس دماً عرفاً، ولكنه حسب التحاليل والنظر الدقيق فهو دم ضعيف.

هذه الأمثله ونظائرها تصد الفقيه من الإفتاء بمعطيات هذه الأجهزه، وإلا لاحتجنا إلى تأسيس فقه جديد.

٣. الإفطار فى شهر رمضان والصيام فى العيد

لو كانت الرؤيه بالأجهزه المساعده حجه فى إثبات أوّل الشهر يكون معنى ذلك أنّ الملاك واقعاً فى دخول الشهر تولد القمر فى السماء وابتعاده عن الشمس بدرجه خاصه يتمكن الإنسان من رؤيته بالجهاز المساعد.

بناءً على ذلك فأوّل الشهر هو وجود القمر فى السماء بالنحو الماضى، أى لو نظر إلى السماء لرؤى.

فيترب على ذلك الأمر التالى الذى لا يمكن الالتزام به وهو أنّ المسلمين

طيله أربعة عشر قرناً أظفروا فى أوّل شهر رمضان بحجه أنّهم لم يروا الهلال بالعين المجرده مع أنّه كان فى الواقع أوّل الشهر وصاموا فى يوم العيد بحجه أنّهم لم يروا الهلال فى السماء بعيونهم مع أنّه كان أوّل الشهر فى الواقع.

ونتيجه ذلك هو أنّهم أظفروا فى شهر رمضان عن عذر وصاموا أوّل شوال عن عذر أيضاً، فهل يمكن لمتفقّه - فضلاً عن الفقيه - أن يلتزم بذلك ويقول: إنّ إفطارهم وصيامهم كان على خلاف الواقع ولكنّهم كانوا معذورين؟!

فهل يمكن نسبه هذا الحكم إلى النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وأئمّه أهل البيت عليهم السلام والصحابه والتابعين؟!

فاللازم على فقهاء مكه المكرمه المشرفين على مناسك الحج وأعماله:

١. تحرى الدقه فى ثبوت الهلال إذا كان الميزان هو العين المجرده، وأن لا يعتمدوا على شهاده فرد أو فردين، بل يجمعوا الكثير من الشهود من مناطق مختلفه، لأنّ فتواهم صارت ملاكاً لعمل ملايين المسلمين، الذين يتربصون أعواماً عديده حتى يحجّوا.

٢. وإذا اعتمدوا على الرؤيه بواسطه الأجهزه فلا- يفرضوا آراءهم على غيرهم من المسلمين الذين يتبنّون رأياً آخر، كلّ ذلك مشروط بحفظ النظام والهدوء خلال أداء مراسم الحج.

شيخنا العزيز!

ورسالتنا هذه مرفقه بهديه نورانيه وتراثاً ربانياً «الصحيحه السجديه» وهى مشعل هدايه ومدرسه أخلاق وتهذيب. وهى من مطبوعات أحد دور النشر فى العربيه السعوديه.

وفيهما تجدون أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد علّم الإنسان المؤمن آداب خطابه مع رب العالمين.

وممارسه هذه الأدعيه والتدبر فى مضامينها تعرج بروح الإنسان إلى المقامات

ص: ٢٤٩

العلويه، وربما تبلغ بالإنسان درجه يصدق عليه قول الإمام على عليه السلام: «قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع، كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعت الأبواب إلى باب السلامه، وثبتت رجلاه بطمأنينه بدنه، في قرار الأمن والراحه».(1)

وفى الختام ندعو لكم بدوام الصحه والعافيه وطول العمر فى خدمه الدين الحنيف ببيانكم وخطابكم وبنانكم ويراعكم بتوفيق من البارى تعالى.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

جعفر السبحانى

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٨ شوال المكرم ١٤٢٩ هـ

ص: ٢٥٠

١- . نهج البلاغه، الخطبه رقم ٢١٥.

شركة الأبدان أو الأعمال أحد أقسام الشركة التي تعرض لها العلماء في كتبهم الفقهية، وينبغي تحرير محل النزاع، وذلك لأنَّ الشركة في الأعمال تتصوّر على وجهين:

الأول: لو أجر اثنان نفسيهما بعقد واحد وعمل واحد بأجره معينه، صحّت الشركة وكانت الأجره بينهما، أو حاز اثنان معاً مباحاً كما لو اقتلعا شجرة معاً أو اغترفا ماءً دفعه بآنيه واحده أو صادوا بشبكه واحده سمكه كان الصيد بينهما.

والظاهر أنّ هذا القسم خارج عن مصب كلماتهم كما ستوافيك.

الثاني: أن يوقعا اثنان على عمليين بشرط أن تكون أجره كلّ منهما مشتركه بينهما، سواء اتفقا في العمل كالخياطه كأن يعمل كل برأسه، وشاركاً في الأجره؛ أو اختلفا كالخياطه والنساجه، وهذا هو المبحوث في المقام.

ثم إنّ الأصحاب بين من قام بتعريف الشركة في الأعمال وبين من اكتفى في مقام التعريف بذكر الأمثله فقط، وإليك الإشاره إلى كلا القسمين:

١. قال الشيخ الطوسي: هي أن يشترك الصانعان على أنّ ما يرتفع منهما من كسبهما فهو بينهما على حسب شرطهما، سواء أكانا متّفقي الصنعه كالنجارين والخبازين، أو مختلفي الصنعه كالنجار والخباز. (١)

ص: ٢٥١

٢. وقال العلامة: هي أن يشترك اثنان فصاعداً فيما يكتسبونه بأيديهم، تساوت الصنعه أو اختلفت. (١).

٣. عرفه المصنّف بقوله: هي أن يوقعا العقد على أن تكون أجره عمل كل منهما مشتركاً بينهما، سواء اتفق عملهما كالخياطة، أو كان عمل أحدهما الخياطة والآخر النساجه.

ومن الأصحاب من اقتصر في التعريف على ذكر المثال، كالشيخ المفيد في المقنعه (٢)، والمحقق في الشرائع (٣).

هذا كله يرجع إلى أصحابنا الإماميه، وأمّا غيرهم فقد عرّفها ابن قدامه في المغنى وقال: معنى شركة الأبدان أن يشترك اثنان أو أكثر فيما يكتسبونه بأيديهم كالصنّاع يشتركون على أن يعملوا في صناعاتهم، فما رزق الله تعالى فهو بينهم. (٤).

وجاء في الموسوعه الفقهيه الكويتيه:

إنّ شركة الأعمال هي أن يتعاقد اثنان على أن يتقبلا نوعاً معيناً من العمل أو أكثر، أو غير معيّن، لكنّه عام، وتكون الأجره بينهما بنسبه معلومه، وذلك كالخياطة والصبّاغه والبناء وتركيب الأدوات الصحيه، أو كلّ ما يتقبّل فلا بدّ من التعاقد قبل التقبّل. (٥).

فما ذكره من التعاقد قبل التقبّل هو الأمر المهم في المقام، فإنّ شركة الأعمال شركة عقديه وليست شركة ملكيه التي تحصل بمزج المالين اختياراً أو بلا اختيار، فذكر هذا القيد لازم في التعاريف.

هذه هي تعاريف الفقهاء لشركة الأبدان فلندرس أقوالهم فيها.

ص: ٢٥٢

١- قواعد الأحكام: ٢/٣٢٤.

٢- المقنعه: ٦٣٢.

٣- شرائع الإسلام: ٢/١٣٠.

٤- المغنى: ٥/١١١.

٥- الموسوعه الفقهيه الكويتيه: ١٦/٣٧، ماده «شرك».

المشهور بين فقهاء الإمامية هو بطلان شركة الأعمال، وكلّ مَنْ تعرض منهم لها أفتى به.

نعم ربّما تأمل فيه بعض المتأخّرين، وسيوافيك قوله.

أمّا الصدوق فلم يذكرها في «المقنع»، وما ورد في الينابيع الفقهية^(١) عن «المقنع» من تقسيم الشركة إلى الشركة في الأموال والأبدان فإنّما هو موجود في «المقنعه» للشيخ المفيد لا في المقنع للصدوق، فليس في «المقنع» بحث عن الشركة بتاتاً.

وأول مَنْ عنونه في الكتب الفقهية هو شيخنا المفيد فقال:

والشركة لا- تصحّ إلّا في الأموال، ولا تصحّ بالأبدان والأعمال، وإذا اشترك اثنان في عمل كنساجه ثوب، أو بناء دار أو نجاره باب وما أشبه ذلك لم تصحّ شركتهما وكان لكلّ واحد منهما أجر عمله خاصّه، فإن لم يتميّز عملاهما لاختلاطهما قضى بالصلح بينهما.^(٢)

وقال السيد المرتضى: ومما انفردت به الشيعة الإمامية أنّ الشركة لا تصحّ إلّا في الأموال ولا تصحّ في الأبدان والأعمال، ومتى اشترك اثنان في عمل كصياغه عقّد ونساجه ثوب وما أشبه ذلك، لم يثبت بينهما شركة.^(٣)

وقال الشيخ في «الخلافة»: شركة الأبدان عندنا باطلة، وهي أن يشترك الصانعان على أنّ ما يرتفع لهما من كسبهما فهو بينهما على حسب شرطهما.^(٤)

وقال ابن زهره: ومَنْ شرط صحه الشركة أن تكون في مالين متجانسين، إذا خلطا اشتبه أحدهما بالآخر - إلى أن قال: - وعلى ما قلناه لا تصحّ شركة الأبدان،

ص: ٢٥٣

١- الينابيع الفقهية: ١٧/٣.

٢- المقنعه: ٦٣٢، طبع النشر الإسلامي.

٣- الانتصار: ٢٢٩.

٤- الخلافة: ٣/٣٣٠، كتاب الشركة، المسألة ٦.

وهي الاشتراك في أجره العمل. (١)

وقال ابن إدريس: لا تصح شركة الأبدان، وهي الاشتراك في أجره العمل. (٢)

وقال الكيدري: ولا تصح شركة الأبدان، وهي الاشتراك في أجره العمل. (٣)

وقال المحقق: ولا تصح الشركة بالأعمال، كالخياطة والنساجه. (٤)

وأما العلامه في القواعد فبعد أن عرّف شركة الأبدان وغيرها قال: والكل باطل. (٥)

وأنت إذا سبرت الكتب الفقهيّة لأصحابنا - بعد العلامه الحلّي - تجد القول بالبطلان أمراً مسلماً عندهم حتى أنّ السيد العاملي في «مفتاح الكرامه» نقل الإجماع المنقول على البطلان عن تسعه عشر كتاباً (٦)، ولم يظهر بينهم مخالف إلا ما نسب إلى ابن الجنيد، ولكن عبارته المنقوله في «المختلف» مبهمه تحتاج إلى مزيد تأمل.

نعم يظهر الميل إلى الصحه من المحقق الأردبيلي مطلقاً وصاحب «الحدائق» في خصوص الشركة في حيازه المباحات.

قال الأوّل: لا يظهر دليل على عدم الجواز سوى الإجماع، فإن كان فهو، وإلّا فلا مانع، فإنّه يرجع إلى الوكاله في بعض الأمور، وتمليك مال في البعض الآخر، وبذل نفس وعمل في مقابله عوض، ولا مانع منه في العقل والشرع. (٧)

وقال الثاني (أعني: صاحب الحدائق): وسبب حيازه إمّا بأن يشتركا في نصب حباله الصيد المشترك ورمي السهم المثبت له (الصيد)، فيشتركان في ملكه،

ص: ٢٥٤

١- . غنيه النزوع: ١/٢٤٣.

٢- . السرائر: ٢/٣٩٩.

٣- . إصباح الشيعه: ٢٥٩.

٤- . شرائع الإسلام: ٢/١٣٠.

٥- . قواعد الأحكام: ٢/٣٢٥.

٦- . المستمسك: ١٣/٧.

٧- . مجمع الفائده والبرهان: ١٠/١٩٣.

أو بأن يقتلعا شجره أو يغترفا ماءً دفعه، فإنه تتحقق الشركة بذلك في الجملة، إلا أنه يكون لكلّ منهما من ذلك المحاز بنسبه عمله، ويختلف ذلك بالقوه والضعف، ولو اشتبه مقدار كل واحد فطريق التخلّص، الصلح، وما كان من الحيازه على غير الوجوه المذكوره فإنه يختص كل بما حازه على الأظهر. هذا مع تميزه، لأنه في معنى شركة الأبدان، وهي جائزه على الأشهر الأظهر. (١)

ولا يخفى أنّ ما صحّحه خارج عن محل النزاع كما عرفت في صدر البحث.

وأما القسم الثاني فلو اختص كل بما حازه فهو بمعنى بطلان الشركة ولا معنى لقوله: وهي جائزه على الأشهر الأظهر.

وأما فقهاء السنه ففي الخلاف: أنّ الشافعي قال بالبطلان.

وقال أبو حنيفه: يجوز مع اتفاق الصنعه واختلافها، ولا يجوز في الاحتطاب والاحتشاش والاصطياد والاعتنام.

وقال مالك: يجوز الاشتراك مع اتفاق الصنعه ولا يجوز مع اختلافها.

وقال أحمد: يجوز الاشتراك في جميع الصنائع وفي الاحتشاش والاحتطاب والاصطياد والاعتنام. (٢)

وحاصل الأقوال: إنّ الشافعي يوافق أصحابنا في البطلان. وأما أبو حنيفه فقد خصّها بمورد الصنعه، سواء أكانت متفقه أم مختلفه ولم يجوزه في الاشتراك في المباحات العامه.

وأما مالك فخصّها بالصنعه المتفقه، وخالف أبا حنيفه في مختلفها. وأما أحمد فقال بالجواز على وجه الإطلاق.

وقال في المغني: معنى شركة الأبدان أن يشترك اثنان أو أكثر فيما يكتسبونه بأيديهم، كالصُّناع يشتركون على أن يعملوا في صناعاتهم فما رزق الله تعالى فهو

ص: ٢٥٥

١- الحدائق الناضره: ٢١/١٥٦.

٢- الخلاف: ٣/٣٣٠، كتاب الشركه، المسأله ٦.

بينهم، فإن اشتركوا فيما يكتسبون من المباح، كالحطب والحشيش والثمار المأخوذة من الجبال والمعادن والتلصص على دار الحرب، فهذا جائز. نص عليه أحمد في روايه أبي طالب، وبهذا قال مالك.

وقال أبو حنيفة: يصح في الصنائه ولا يصح في اكتساب المباح كالاكتساب والاعتناء، لأن الشركه مقتضاها الوكاله ولا تصح الوكاله في هذه الأشياء، لأن من أخذها ملكها. (١)

وقال الشافعي: شركه الأبدان كلها فاسده لأنها شركه على غير مال ولم تصح كما لو اختلفت الصناعات. (٢)

وما نقله عن الأئمه الأربعة نفس ما نقله الشيخ في «الخلافة» غير أن الشيخ خصّ قول مالك بصوره اتفاق الصنعه لا مع اختلافها، ومن المعلوم أن كتاب «المغني» يمثل فقه أحمد، فلا غرو في أن لا ينقل مذهب مالك على وجه دقيق.

وقال القرطبي: شركه الأبدان بالجملة عند أبي حنيفة والمالكيه جائزه، ومنع منها الشافعي.. إلى أن قال: ومن شرطها عند مالك اتفاق الصنعتين والمكان، وقال أبو حنيفة: تجوز مع اختلاف الصنعتين ويشترك عنده الدباغ والقصير، ولا يشتركان عند مالك. (٣)

وما نقله عن مالك مطابق لما نقله الشيخ، ومن المعلوم أن «بدايه المجتهد» تمثل مذهب مالك. وقد نقل إمام مذهبه بوجه دقيق.

نعم وافق ابن حزم الشافعي فذهب إلى عدم الجواز، وسيأتي كلامه في آخر المقال فانتظر.

هذه هي الأقوال عند الفريقتين فلندرس أدله المانعين من أصحابنا.

ص: ٢٥٦

١- . لعله ناظر إلى القاعده المعروفه: «من حاز ملك»، وفي رواياتنا: «للعين ما رأته وليد ما أخذت».

٢- . المغني: ٥/١١١.

٣- . بدايه المجتهد: ٢/٢٥٥.

استدل أصحابنا على عدم الجواز بوجوه ندرسها تالياً:

١. الإجماع على البطلان

أجمعت الطائفة على عدم الجواز، وهذا هو الظاهر من غير واحد من القائلين بالمنع: منهم: السيد المرتضى في «الانتصار»، قال: ومما انفردت به الشيعة الإمامية أن الشركة لا تصح إلّافي الأموال ولا تصح في الأبدان والأعمال.. إلى أن قال: دليلنا على صحه ما ذهبنا إليه، الإجماع المتردد. (١)

ومنهم: الشيخ في «الخلافة»، قال: دليلنا: إجماع الفرقه وأخبارهم (٢).

ومنهم: ابن إدريس فإنه بعدما شرح عدّه من الشركات وهي شركة المفوضه وشركة الوجوه وشركة الأبدان قال: وإجماعنا منعقد على فساد ذلك أجمع. (٣)

ومنهم: العلامة، قال: دليلنا: إجماع الفرقه، وخلاف ابن الجنيد غير معتد به، لانقراضه وحصول الاتفاق بعده. (٤)

ومنهم: المحقق الثاني حيث علّق على قول العلامة: «والكل باطل سوى الأول» بقوله: سوى شركة العنان، وذلك باتفاقنا. (٥)

ومنهم: الشهيد الثاني قال: ولا خلاف عندنا في بطلان شركة الأعمال إلّامن ابن الجنيد حيث أجازها مع تشاركهما في الفضل. (٦)

ومنهم المحقق الأردبيلي، قال: ولا يظهر دليل على عدم الجواز سوى

ص: ٢٥٧

١- الانتصار: ٢٢٩، تحقيق السيد محمد رضا الخراسان.

٢- الخلافة: ٣/٣٣١، المسألة ٦.

٣- السرائر: ٢/٤٠٠.

٤- المختلف: ٦/٢٣٠.

٥- جامع المقاصد: ٨/١٣.

٦- مسالك الأفهام: ٤/٣٠٧.

الإجماع، فإن كان فهو وإلا فلا مانع، فإنه يرجع إلى الوكالة في بعض الأمور، وتمليك مال في البعض الآخر، وببذل نفس وعمل في مقابل عوض، ولا مانع منه في العقل والشرع. (١)

إلى غير ذلك من الكلمات التي ورد فيها ذكر الإجماع.

يلاحظ عليه: بما حَقَّق في محله من أن الإجماع إنما يكون حجه على الحكم إذا كشف عن وجود الدليل الشرعي الواصل إلى المجمعين وغير الواصل إلينا. أو عن اشتهاار الحكم عند أصحاب الأئمة.

ومن المعلوم أن هذا القول ليس له هذا الشأن، وذلك:

أولاً: لو كان في المسألة نص بين القدماء لجاء ذكره في الفقه الرضوي الذي هو نتيجة الروايات المعتمرة مع حذف أسانيدها، أو لذكره الشيخ الصدوق في المقنع، كل ذلك يسبب الريب والشك في أن الإجماع مستند إلى الدليل.

ثانياً: أن المجمعين استدلوا وراء الإجماع بأدلة أخرى كما ستوافيك، فلو كان الحكم اتفاقياً لم يحتج إلى الاستدلال بأدلة أخرى، وذلك يقرب كون إجماع المجمعين مستنداً إلى الأدلة التي نتلوها عليك.

٢. كونها غررية

استدل الشيخ وآخرون على البطلان بنهي النبي صلى الله عليه وآله عن بيع الغرر، وهذا غرر بدلالة أن كل واحد منهما لا يدري أيكسب صاحبه شيئاً أو لا يكسب، وكم مقدار ما يكسبه؟ (٢)

وجاء في «الغنية»: ويدل على فساد هذه الشركه أيضاً أنه صلى الله عليه وآله قد نهى عن الغرر وهو حاصل فيها، لأن كل واحد من الشريكين لا يعلم أيكسب الآخر شيئاً أم لا،

ص: ٢٥٨

١- . مجمع الفائده والبرهان: ١٠/١٩٣.

٢- . الخلاف: ٢/٣٣١.

ولا يعلم مقدار ما كسبه. (١)

وقال ابن إدريس: والذى يدل على فساد ذلك كله (يعنى شركه الأبدان) نهيه عليه السلام عن الغرر، وفي هذه غرر عظيم، وهو حاصل وداخل فيها، لأن كل واحد من الشريكين لا يعلم أيكسب الآخر شيئاً أم لا، ولا يعلم مقدار ما يكسبه. (٢)

إلى غير ذلك من الأقوال التي استدلت أصحابها بهذا الحديث.

يلاحظ عليه: أن الوارد في النصوص هو النهى عن بيع الغرر، لا نفس الغرر.

وعلى فرض التسليم فيختص النهى بموارد الغرر، بمعنى الجهل بمقدار ما يكسبه الشريك الآخر دونما إذا علم ما يكسبه على وجه الإجمال، وأحيانا على وجه التفصيل. ومن حسن الحظ أن أكثر شركه الأعمال التي يعبر عنها بشركه الخدمات من هذا القبيل.

١. نفترض أن عدداً من المعلمين يؤسسون مدرسه خاصه يشاركون فيها بتدريس الطلاب الكتابه، والحساب، وتحفيظ القرآن إلى غير ذلك من الدروس.

فإن هؤلاء المعلمين يشتركون في الأجور التي يدفعها الطلاب في آخر السنه أو الفصل.

٢. وهكذا الأطباء حينما يؤسسون مستوصفاً، يعالج كل طبيب منهم المرضى حسب تخصصه، ومن ثم فهم يشتركون في المبالغ التي يدفعها المرضى إلى إداره المستوصف مقابل العلاج.

٣. ونظيره مكاتب المهندسين الذين يقومون برسم الخرائط اللازمه لبناء عماره سكنيه، فكل مهندس وخبير يرسم الخارطه حسب اختصاصه، فمنهم من يرسم الخارطه الأساسيه للبناء، والثاني يخطط لقنوات تكييف الهواء، أو لأنابيب المياه، وغيره للمجارى الصحيه، أو لتأسيس الكهرباء، وهكذا.

ص: ٢٥٩

١- الغنيه: ١/٢٦٤.

٢- السرائر: ٢/٤٠٠.

٤. ومثال آخر يتضح من خلال ملاحظه الشركه التي تقوم بتأسيس شبكه الماء فى الشوارع والأزقه، فهذه الشركه تتألف من عدد من الأخصائيين والفنيين والعمال الماهرين، فكل من هؤلاء له عمل خاص به، فهناك من يقوم بالرسم وأخذ القياسات والتخطيط، وهناك من يحفر المجارى والقنوات، وهناك من يوصل الأنابيب بعضها ببعض، وهكذا.

ففى كل هذه الأمثله يشترك العاملون فى إنجاز العمل الكبير، كل من موقعه، ومن بعد الإنجاز فهم يقتسمون الأرباح بينهم لكل منهم بحسب عمله واختصاصه بعد إخراج ما تم صرفه فى مجال عملهم.

وعلى ضوء ذلك فلو كانت هناك اتفقيه بين الشركاء فى الأرباح التي يحصلون عليها، فلا غرر فى البين، ولا ضرر، والغرر الجزئى يعفى عنه.

أضف إلى ذلك: أن الشركه فى الأعمال كانت هى الأصل فى حياه الإنسان القديم والجديد، فإن الأدوات اللازمه لإنجاز الأعمال كانت قليله، والطاقه البشريه لم تكن كافيه لإنجاز عمل كبير، فلم يكن بد من الاشتراك بالأعمال.

٥. فمثلاً- حفرالقنوات كان يقع على عاتق الاشتراك بالأعمال، حيث كان العمال يشاركون فى حفر قناه بطول ١٠ كيلومترات أو أكثر كلها تحت الأرض يتوسط بين كل ٥٠ متر فتحة لإخراج التراب وتمهيد القناه لمرور الماء.

هذه الأعمال ليست شأن عمل فرد واحد، بل هى عمل جماعه يشارك بعضهم البعض حتى يبلغوا الهدف، ولم يرد نهى عنه فى المجمامع الحديثه.

٦. وهكذا قنوات السقى المأخوذه من الأنهار الكبيره كدجله والفرات، فهى نتيجه اشتراك جماعه فى إنجاز هذا المشروع لغايه الاستفاده منه بشكل مشترك فى سقى الأراضى الزراعيه.

٧. وقد صارت الشركه فى الأعمال أمراً رائجاً فى عامه البلدان غبّ الثوره الصناعيه، يرجع إليها الفقيه وغيره من غير أن يدور فى خلداهم أنها شركه باطله، وأبسط الأمثله على ذلك هو الاستفاده من مكاتب السيارات الخاصه فى التنقل فى

داخل المدن أو خارجها، إذ ربّما تكون هذه الشركة مؤلفه من شركة الأموال والأعمال.

ويظهر من كلّ من علل فساد الشركة «بأنّ كلّ شريك لا يعلم أيكسب الآخر شيئاً أم لا، ولا يعلم مقدار ما يكسبه» أنّهم فرضوا المسألة فيما إذا عمل كلّ شريك على انفراد، دون أن يطلع أحدهما على عمل الآخر، ودون أن تكون علاقته بين العاملين، فعندئذٍ يرد التعليل من أنّ الشريك لا يعلم بما يكسبه الشريك الآخر.

وأما على الفروض التي ذكرناها أو ما هو الرائج في أيامنا الحاضرة من شركات الخدمات، فالكلّ يصب عمله في مورد واحد معيّن وكلّ يكتمل عمل الآخر، ولذلك قيّد مالك الجواز باتفاق الصنعتين والمكان خلافاً لأبي حنيفة حيث جوّز مع اختلاف الصنعتين فيشترك عنده الدباغ والقضار، ودليل مالك زيادة الغرر الذي يكون عند اختلاف الصنعتين أو اختلاف المكان. (1)

ولكن الميزان هو أن يكون العمل الجماعي عملاً يكمل بعضه بعضاً أو يرفع حاجات الشركة بشكل مترابط.

وحصيله الكلام في شركة الأعمال أنّه يجب ان يوصف بالتعاون في البر ويدخل تحت قوله سبحانه: (وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ) وعلى ذلك فلا بدّ من شمول العمومات لهذا النوع من الشركة من رعايه أمور:

١. أن تكون الشركة أمراً عرفياً ذائعاً بين الناس على نحو يعدونها من أنواع الشركات فخرج ما إذا اشتركا في نوعين من الصناعات خصوصاً إذا كانا في مكانين مختلفين لا يربط أحدهما بالآخر إلّا بالاتفاق عند إجراء الصيغه، كما إذا شارك النجار مع الخياط في المنافع، ومن المعلوم أنّ هذا النوع من الشركة غير رائج ولا يرغب فيه العقلاء إلّا الشذاذ منهم.

٢. أنّ ما ذكرنا من الامثله إنّما يحتج به إذا كانت الأجره لمجموع الافراد من

ص: ٢٤١

المهندسين والعمال وغيرهم ممن يشاركون في العمل ويكون تقسيم الأجره حسب اتفاقهم عند تأسيس الشركه، وأما إذا كانت هناك عقود متعدده حسب اختلاف ماهيه العمل فالذى يرسم الخارطة الأساسيه للبناء يعقد مستقلاً مع صاحب العمل، كما أن المخطط لقنوات تكييف الهواء يعقد أيضاً مستقلاً، وهذا يخرج عن الشركه فى الأعمال، لأنّ محور الشركه وحده العقد لا العقود.

٣. ان يكون العقد بين الأشخاص وصاحب العمل، وتكون الأجره لأنفسهم سواء أكانت الشركه تملكه أو عقديه.

وأما إذا كان طرف التعهد عنوان الشركه «كالرافدين» و«المتقين» بحيث يكون للعنوان شخصيه مستقلة فهو الذى يملك ويعقد ويشترط كما سيوافيك تفصيله هذا عند دراسه الشركات الحديثه، فيخرج أكثر هذه الأمثله عن شركه الأعمال إذ يكون طرف التعهد عندئذٍ هو نفس الأشخاص، فلا محيص عن تبين هذه الأمثله على نحو ينطبق عليه عنوان الشركه فى الأعمال.

٣. كون المعاملات توقيفيه

استدلّ غير واحد من المانعين على أنّ المعاملات توقيفيه، ولم يرد فى الشرع ما يدل على جوازها.

يقول الشيخ الطوسى: العقود الشرعيه تحتاج إلى أدله شرعيه وليس فى الشرع ما يدل على صحه هذه الشركه. (١)

وقال السيد المرتضى: إنّ معوّل القائلين بالجواز كلّها على الظنون والحسبان والرأى والاجتهاد، ومرجعنا فيما نذهب إليه فيها إلى توقيف، فما قلناه أولى. (٢)

وقد استدلّ به صاحب الجواهر، وقال فى رد استدلال القائل بالجواز بقوله

ص: ٢٦٢

١- . الخلاف: ٣/٣٣١.

٢- . الانتصار: ٢٣٠.

تعالى: (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ) (١) ما هذا نصّه: والتراضى بما لم تثبت شرعيته غير مجد، والمراد بالتجاره عن التراضى ما ثبت التكسب به شرعاً. (٢)

يلاحظ عليه: ماذا يريد من توقيفيه المعاملات، فإن لكلامه احتمالين:

١. أن الشركه فى الأعمال لم تكن موجوده فى عصر الرساله، حتى تشملها العمومات والإطلاقات، فإن أراد ذلك فهو مردود بما ذكرنا من أن الشركه فى الأعمال أصل عقلايى بُنى عليه صرح الحياه، وقد مرّ أن الحياه البدائيه للإنسان كانت مشحونه بهذا النوع من التعاون والتعاقد، وعلى هذا فالأدله العامه تشملها بلا ترديد.

نفترض أنه لم تكن موجوده فى عصر الرساله لكن الأدله تشمل كل عقد عقلايى، سواء أكان موجوداً فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله أم لا، غايه الأمر يجب أن يكون مجرداً عما حرّمه الله كالربا والغرر، والشرط المخالف لمقتضى العقد أو الكتاب والسنة.

ويؤيد ذلك أن تعليق الحكم بالوصف مستمر بالعليه، فإيجاب الوفاء بالعقود إنما هو لأجل كونه عقداً وتعهداً والتزاماً، ومن المعلوم أن نقض العهد على خلاف كرامه الإنسان، وعلى هذا فلا فرق بين العقد الرائج فى عصر الرساله والرائج بعده، لأن الموضوع لوجوب الوفاء هو العهد.

فالمعاملات إذا لم تكن منهيّاً عنها - لا موضوعاً ولا شرطاً - فهى موثيق بين المتعاملين يجب الوفاء بها، وعلى ضوء ذلك فكل عقد عقلايى ينعقد بين فردين يجب الوفاء به بشرط أن لا يكون ممّا حرّمه الله سبحانه، كما إذا كان ربوياً أو غررياً أو غير ذلك، وبالجملة فكل معاملة لم يكن فيها عنصر ممّا حرّمه الله وضعاً أو تكليفاً، جزءاً أو شرطاً، فهو واجب الوفاء.

ص: ٢٤٣

١- . النساء: ٢٩.

٢- . الجواهر: ٢٦/٢٩٦.

٢. أن الشركة في الأعمال كانت موجوده في عصر الرساله، لكن وجودها في عصرها لا يكفي إلا إذا علم رضا الشارع بهذا النوع من العقد، والظاهر أن عبارته الجواهر ناظره إلى هذا الاحتمال حيث قال: إن المراد التراضي بما شرعه الله.

يلاحظ عليه: أنه لو أُريد ذلك لانسد باب التمسك بالعمومات في الموارد المشكوكه، لأنه إذا كان الموضوع هو البيع والعقد الشرعيين أو التراضي بشيء علمت شرعيته، يصير بالعمومات من قبيل التمسك بالعام في الشبهه المصادقيه.

وقد طرح الشيخ الأنصاري إشكال صاحب الجواهر في تعريف البيع وأجاب عنه بأن الموضوع للحليه ووجوب الوفاء هو البيع والعقد العرفيان إلا ما خرج بالدليل. فتكون شرعيه الشيء عند العرف طريقاً إلى شرعيته عند الشرع، إلا إذا قام الدليل على تخلف الطريق كما في بيع الكلب والخنزير، أو سائر المحرمات.

٤. تملك المعدوم

يظهر من السيد الخوئي أن وجه البطالان هو أنها من قبيل تملك المعدوم، ولذلك فصل في المقام بين الشركة في الأجرتين اللتين تحصل لهما من عملهما وبين الشركة في نفس المنفعه؛ أما الأول فقال: لا ينبغي الإشكال في بطلانها لما تقدم غير مره من عدم الدليل على صحه تملك المعدوم فإنه ليس للإنسان أن يملك غيره ما لا يملكه بالفعل.

وأما الثاني - أعنى: الشركة في نفس المنفعه - فهو أن يملك كل منهما نصف خياطته في ذلك اليوم له، فلا وجه لبطلانها فإنها من شركة المنافع، وقد عرفت صحتها بناءً على عدم اعتبار الامتزاج (١).

يلاحظ عليه أولاً: أنه لا مانع من تملك المعدوم عند وجود المقتضى، وهو استعداد كل شريك للعمل المريح، ولذلك يصح اشتراط تملك ثمره شجره معينه

ص: ٢٦٤

١- كتاب المضاربه، تقارير لأبحاث السيد الخوئي: ٢٤٥.

عند البيع فيقول: اشترت الثوب بشرط أن تكون ثمره هذه الشجرة في الصيف لي، وما هذا إلا الوجود المقتضى للإثمار. أضف إلى ذلك: لا مانع من تملك المعدوم بشرط الوجود وهو أمر عرفي.

وثانياً: فإن أراد من تملك نصف خياطته في ذلك اليوم، تملكه قبل العمل فهو أيضاً من قبيل تملك المعدوم، وإن أراد بعده فهو خارج عن مصب البحث، لأنه منعقد على عقد الشركة مثل الاشتغال بالعمل.

٥. عدم المزج

يظهر من الحلبي أن المانع هو عدم وجود المزج بين العمليين فإنه بعد ما عرّف الشركة بقوله: أن تكون في مالين متجانسين إذا اختلطا اشتبه أحدهما بالآخر، فزعم على هذا بطلان شركة الأبدان، وذلك لعدم المزج فيها. (١)

وقال في المسالك: لأن كل واحد متميز ببدنه ومنافعه، فيختص بفوائده، كما لو اشتركا في مالين منهما متميزان. (٢)

يلاحظ عليه: أن المزج هو شرط في الشركة الملكية لا الشركة العقدية، والأساس في الثاني هو العقد، سواء أكان هناك مزج أم لا.

٦. من قبيل شركة المنافع

إن شركة الأعمال قسم من شركة المنافع وهي باطله.

يلاحظ عليه: أن بطلان شركة المنافع أول الكلام، إذ يقع السؤال عن الفرق بين تملك عمل الإنسان منفعه عمله لشخص آخر، بالإجاره تاره وبالشركة أخرى، فيجوز في الأول دون الثاني مع أنه تفكيك بلا وجه، إذ كيف يجوز تملك منفعه داره ولا يجوز تملك منفعه عمله.

ص: ٢٦٥

١- . غنيه النزوع: ١/٢٦٣.

٢- . مسالك الأفهام: ٤/٣٠٧.

على أنّ شركة الأعمال غير شركة المنافع وإن كانت النتيجة واحده.

إلى هنا تبين أنّه ليس فى المسأله دليل شرعى قاطع يعتمد عليه فى الحكم بالبطلان، وعندئذ يكون المعتمد هو العمومات والإطلاقات السالمة عن الدليل بالخلاف.

وأما أصاله الفساد التى ركن إليها صاحب الجواهر فى كلامه فهى محكومها بالدليل الاجتهادى والسيره العقلائيه عبر الزمان من دون ردع. (١)

إلى هنا ظهر أنّه لا دليل صالح يركن إليه فى الإفتاء بالبطلان، وأنّ الدليل الوحيد لتجوز هذه الشركة هو العمومات والإطلاقات أولاً، والسيره العقلائيه عبر الزمان ثانياً.

ابن حزم وبطلان شركة الأعمال

إنّ ابن حزم مؤخر الظاهريين أفتى بعدم جواز الشركة بالأبدان مطلقاً، وقال: لا تجوز الشركة بها أصلاً، لا فى دلالة، ولا فى تعليم، ولا فى خدمه، ولا فى عمل يد، ولا فى شىء من الأشياء، فإن وقعت فهى باطل لا تلزم ولكل واحد منهم أو منهما ما كسب، فإن اقتسماه وجب أن يُقضى له بأخذه.

ثم استدلل بوجوه إمّا لا صلها بالموضوع، أو لا دلالة لها. أمّا الأول، فكاتالتالى:

١. قوله تعالى: (وَ لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) (٢).

٢. قوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (٣).

٣. قول رسول الله صلى الله عليه و آله: «إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام» (٤) وفسره

ص: ٢٦٦

١- . جواهر الكلام: ٢٦/٢٩٦.

٢- . الأنعام: ١٦٤.

٣- . البقره: ٢٨٦.

٤- . سنن البيهقى: ٥/٨؛ صحيح البخارى: ١/٣٥.

بقوله: فلا يحل أن يقضى بمال مسلم أو ذمى لغيره، إلا بنص قرآن أو سنّه، وإلا فهو جور.

وأما الثانى فاستدلّ عليه بقوله تعالى: (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) (١). (٢)

أقول: أما الآية الأولى فهي ناظره إلى الأمور الأخرويه بشهاده صدرها وذيلها، أما الصدر فيقول سبحانه: (قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) ، وأما الذيل فقوله تعالى: (وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ) ، ومجموع الآيه يدلّ على أنّها بصدد بيان أنّ كلّ إنسان مسؤول عن أعماله، وهو يتحمّل وزر عمله لا غير، ولا صلّه للآيه بما إذا اتفق العاملان على أن يحفرا بئراً لإنسان مسلم يسقى منه زرعه، فليس هناك عمل سيّئ حتى يكون عليها لا على غيرها، ولا وزر تتحمّله هي لا غيرها.

وأما الآية الثانية فهي بصدد بيان أنّ لكل إنسان ما له وما عليه، وهذا لا ينافي أن يملك الإنسان ما يملك لغيره بعقد مرضى بينهما.

فتتبعه عمل كلّ إنسان له ولكن له أيضاً أن يشارك الغير فيه.

وأما الآية قول الرسول صلى الله عليه وآله فهو بصدد بيان حرمة دم المسلم وماله، ولكن أين هذا من عدم جواز أن يهب المسلم ماله بطيب النفس للغير.

وأما الآية الثالثة - وإن كان لها صلّه بالموضوع - إلا أنّ الدلاله ضعيفه، وذلك لأنّ الاستدلال إمّا بصدرها أعنى قوله سبحانه: (لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) فيلاحظ عليه بأنّ الباء فى قوله: (بِالْبَاطِلِ) للسببيه، والمراد هو الأكل بالأسباب الباطله كالرشوه والقمار والغصب. وكون الشركه فى الأعمال بطيب النفس من الأسباب الباطله، أول الكلام.

ص: ٢٦٧

١- . النساء: ٢٩.

٢- . المحلّى: ١٢٢/٨-١٢٤.

وإما بذيلها - أعنى: (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ) - فالمفروض وجود التراضي.

أدلة المجوزين من السنّة

ثم إن فقهاء السنّة استدّلوا بوجه غير ناهض لإثبات الجواز، فهؤلاء مكان أن يعتمدوا على العمومات والإطلاقات وعلى السيره العقلانيه غير المردوده من جانب الشرع استدّلوا بما روى أبو عبيده عن عبدالله بن مسعود قال: أشرك رسول الله بينى وبين عمّار وسعد بن أبي وقاص، فجاء سعد بأسيرين ولم يجيئا بشيء. (١)

فإن قلت: إن الحديث لا يدل على المطلوب، إذ ليس فيه أن هؤلاء اشتركوا فيما يغتتمونه فى الحرب ثم خاضوا فى ميادينها، إنما يدل على أن سعداً أتى بأسيرين دون الآخرين وأشرك النبي صلى الله عليه وآله بينهم.

قلت: الظاهر خلاف ما ذكر بشهادته قوله: «فجاء سعد»، فإن توسط «الفاء» حاك عن المراد من قوله: «اشرك» أى عقد الإشراف بينهم، ويشهد على ما ذكر صورته أخرى للحديث.

قال: اشرك سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود وعمّار بن ياسر فيما يغتتمونه، فأتى سعد بأسيرين ولم يأتيا بشيء، فأقرهما النبي صلى الله عليه وآله. قال أحمد:

أشرك النبي بينهم. (٢)

وأجاب عنه العلامة بوجهين:

١. الغنائم مشتركه بين الغانمين بحكم الله تعالى فكيف يصح اختصاص

ص: ٢٤٨

١- . المغنى: ٥/١١١. ولاحظ ما رواه البيهقى فى سننه: ٦/٧٩، باب الشركه فى الغنيمه؛ والدارقطنى فى سننه: ٣/٣١. والحديث ضعيف لوجود الانقطاع بين أبى عبيده وأبيه - أعنى: عبدالله بن مسعود - لأنه لا يروى عن أبيه شيئاً. لاحظ إرواء الغليل: ٥/٢٩٥؛ المحلى: ٨/١٢٢.

٢- . تذكره الفقهاء: ١٦/٣١٥. أخرجه أبو داود برقم ٣٣٨٨، وابن ماجه برقم ٢٢٨٨؛ سنن البيهقى: ٦/٧٩. والسند أيضاً مثل السابق منقطع، لأنّ أبى عبيده لا يروى عن أبيه شيئاً.

٢. لا- نسلّم أنّ سعداً أعطاهم على سبيل الوجوب، بل أراد التبرّع والوفاء بالوعد العدى لا يجب إنجازها، أمّا على سبيل اللزوم فلا. (١).

وهناك جواب آخر وهو: أنّ غنائم بدر كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله فكان له أن يدفعها إلى من شاء، فيحتمل أن يكون فعل ذلك لهذا، وذلك بشهادته قوله سبحانه:

(يَسْتُلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) (٢)، وقد فسروا الأنفال في الآيه بالغنائم التي حازها المسلمون في غزوه بدر.

نعم الأنفال في مصطلح الفقهاء هو الفىء الوارد في قوله سبحانه: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كَنْنَ اللَّهِ يَسْلُبُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَ لِإِذَى الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٣).

والأنفال في مصطلح الحديث أيضاً هي الفىء، بل أوسع من ذلك عن رؤوس الجبال وبطون الأودية و... (٤).

وفي الختام نلفت نظر القارئ إلى نكته وهي أنّ شركه الأعمال كانت في الأزمنة السابقه شركه في الأعمال فقط، دون أن تكون مقرونه بالأموال، وأمّا في العصر الحاضر فإنّ شركات الخدمات هي في الواقع تتألف من شركه الأعمال وشركه الأموال، أي أنّها مزيج منهما، وهذا ينطبق على ما ذكرناه من الأمثله فالأطباء الذين أسسوا المستوصف، فإنّ أجهزه الطبيه والأدوات واللوازم

ص: ٢٤٩

١- . تذكره الفقهاء: ١٦/٣١٥.

٢- . الأنفال: ١.

٣- . الحشر: ٧٦.

٤- . الوسائل: ٧، الباب ١ من أبواب الأنفال.

الخاصه بالفحص والعلاج كلها ملك الأطباء، فهم يعملون بواسطه هذه الأموال.

وكذلك مكاتب المهندسين، فهم يمتلكون أدوات الرسم الهندسى، ويعملون بواسطتها.

وعلى ضوء هذا فإبطال هذا النوع من الشركه بوجه غير ناهضه، أو الاحتياط فى مقام الإفتاء بعدم الجواز، يوجب شل الحياه الاجتماعيه والاقتصاديه فى المجتمعات.

وأقصى ما يمكن أن يقال هو: أنه يجب على المشاركين عقد الشركه على وجه يحدد عمل المشاركين بنحو يرفع الجهل والغرر غير المعفو من أعمالهم.

تصحيح شركه الأعمال

ثم إن غير واحد من الفقهاء لما أحس بضروره هذا النوع من الشركه صاروا إلى تصحيحها بوجه آخر، نذكر منهم:

١. المحقق الأردبيلي - فإنه قدس سره لما واجه الإجماع على البطلان - حاول التصحيح بوجه آخر وقال - كما مر - فإنه يرجع إلى الوكاله فى بعض الأمور، وتمليك مال فى البعض الآخر [فى مقابل مال آخر]، وبذل نفس وعمل فى مقابله عوض ولا مانع عنه فى العقل والشرع. (١)

٢. السيد الطباطبائى اليزدى، إذ قال: ولو أرادا الاشتراك فى ذلك صالح أحدهما الآخر نصف منفعتة المعينه أو منافعه إلى مده كذا بنصف منفعه أو منافع الآخر، أو صالحه نصف منفعتة بعوض معين وصالحه الآخر أيضاً نصف منفعتة بذلك العوض. (٢)

٣. السيد الخوئى فقد صحح شركه الأعيان عن طريق كونها شركه فى المنافع

ص: ٢٧٠

١- . مجمع الفائده والبرهان: ١٠/١٩٣.

٢- . العروه الوثقى: فصل فى أحكام الشركه، المسأله ١.

وأن يملك كلَّ منهم نصف خياطته في ذلك اليوم لصاحبه في قبال تملك صاحبه نصف خياطته في ذلك اليوم. نعم له لو كان مصبُّ الشركة هو الأُجور المحصله فلا يجوز، لأنَّه من مقوله تملك المعدوم. (1)

ولا يخفى أنَّ ما ذكره وإن كان موافقاً للاحتياط، ولكنَّه أمر لا يخطر ببال أحدٍ من المتشاركين. وكان الأولى صرف الهمه إلى تصحيحها لا- إلى إرجاعها إلى أمر مغفول عنه عند المتشاركين. على أنَّك قد عرفت الإشكال في قوله: «ولا- يجوز تملك المعدوم».

شركة الأعمال فرع من الشركات المعنويه

إلى هنا جرينا على غرار ما ذكره الأصحاب حول شركة الأعمال، إذ أنَّهم صَوَّروها بصورة شركة بسيطه بين شخصين يصبان جهودهما في عمل جزئي خاص، وهناك أمر آخر ربَّما يندفع به أكثر ما أشكل عليها، وهو: أنَّ الشركة في الأعمال من أقسام الشركة المعنويه بمعنى أنَّ الشركة - نفسها - تعتبر شخصاً اعتبارياً قانونياً يتمتع بجميع الحقوق إلَّما كان منها ملازماً لصفه الإنسان الطبيعيه ولها ذمه ماليه مستقله، فبعد إجراء أمور تعتبرها القوانين المدنيه للبلد يصبح عنوان الشركة مالِكاً لعامه الأموال والمنافع التي تدرها ويكون الأعضاء هم أصحاب الحق في الشركة، وعلى ضوء ذلك فالعمال كلهم يعملون لهذه الشخصيه الاعتباريه، ويملكون منافع أيديهم لها، لا لواحد من الشركاء ولا لاثنين منهم، بل الكل في خدمه الشركة حتى تجتمع المنافع في الشركة. نعم بمجرد قسمه الأموال تبطل الشركة ولا يبقى منها أثر.

وعلى ضوء ذلك فما أثير حولها من الإشكال فالجميع مندفع أيضاً بما

ص: ٢٧١

عرفت والذي يحتاج إلى التوضيح هو حل الإشكال الثالث. أعنى: توقيفيه المعاملات فيندفع أيضاً بوجود هذا النوع من الشخصيه الاعتباريه فى الشريعه الإسلاميه نظير:

١. بيت المال الذى له عنوان اعتبارى يملك ما يرجع إلى الدوله الإسلاميه من الأموال.

٢. الزكوات فإن المالك لها هو عنوان الفقراء لا مصاديقهم، وإنما هم مصارف لها.

٣. الخمس فإن المالك له هو مقام الإمامه والولاية كما هو الوارد فى روايه أبى على بن راشد قال: قلت لأبى الحسن الثالث عليه السلام: إننا نؤتى بالشىء، فيقال: هذا كان لأبى جعفر عليه السلام عندنا، فكيف نصنع؟ فقال: ما كان لأبى عليه السلام بسبب الإمامه فهو لى، وما كان غير ذلك فهو ميراث على كتاب الله وسننه نبيه. (١)

فإن ظاهر العبارة أن المالك للخمس هو مقام الإمامه والخلافه من رسول الله صلى الله عليه وآله. وأما الموارد فهى مصارف لا أنهم ممتلك حقيقه.

٤. الأراضي المفتوحه عنوه ملك لعنوان المسلمين الذى يصدق على الموجودين والمعدومين.

روى محمد الحلبي قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن السواد ما منزلته؟ فقال:

«هو لجميع المسلمين لمن هو اليوم، ومن يدخل فى الإسلام بعد اليوم، ولمن لم يخلق بعد» (٢).

على أنك عرفت أن توقيفيه المعاملات لا- تنسجم مع كون الإسلام ديناً خالداً وشريعته خالده إلى يوم القيامة. وقد ملأت الشركات المعنويه العالم من غير

ص: ٢٧٢

١- . الوسائل: ٧، (كتاب الخمس) الباب ٢ من أبواب الأنفال، الحديث ٦.

٢- . الوسائل: ١٧، الباب ١٨ من أبواب إحياء الموات، الحديث ١.

فرق بين البلاد الإسلاميه وغيرها.

وأما تملك المعدوم أو عدم المزج، فهما بالنسبه إلى هذه النظرية وما عليه الأصحاب في معنى شركه الأعمال على وجه سواء، وقد عرفت جوابهما.

وأما أنها من قبيل شركه المنافع فيقال: إن الشركه المعنويه لا صلها لها بشركه المنافع، فإن الشخصيه المعنويه تملك كل شيء عيناً أو منفعه حتى ولو كان ديناً، دون أن يملك أحد الشركاء منافع الشريك الآخر.

ص: ٢٧٣

يقع الكلام فى وقف الذهب والفضه تاره فيما إذا كانا بهيئه الحلى ، وأخرى فيما إذا كانا مسكوكين.

أمّا الأول: فالظاهر من العلامه فى «التذكره» عدم الخلاف فى جواز وقفهما بين الأصحاب وغيرهم، وإتّما خالف أحمد فى إحدى الروايتين عنه. قال: يصح وقف الذهب والفضه إذا كان لفائده اللبس، والإجاره، والإعاره، ولأنّه عين يمكن الانتفاع بها مع بقائها دائماً، فصَحَّ وقفها كالعقار، وبهذا قال الشافعى، وهو إحدى الروايتين عن أحمد. وفى الثانيه لا يصح، لأنّ التحلى ليس المقصد الأصلي من الأثمان فلم يصحَّ وقفها عليه كما لو وقف الدنانير والدرهم. (١)

والظاهر أنّ قوله: «فى الأثمان» تصحيف، لأنّ الكلام فى الذهب والفضه إذا كانا حليين لا فى المسكوكين.

أقول: إذا كان حدّ الوقف - أعنى: تحييس العين وتسييل المنفعه - منطبقاً على الموقوف وعُمِدَّ التحلى منفعه رائجه له مضافاً إلى إجارته وإعارته لما كان وجه للتردد فى صحته، مثلاً: ربّما يتصوّر الواقف فيما يترك من بنات وحفيدات وأسباط، بأنّ بعضاً منهنّ ربّما لا يتمكّن من التحلى فى

ص: ٢٧٤

الضيافه، فيعطف على هذه الطبقة الفقيره، فيقف الخاتم والسوار والأقراط والقلاده والخلخال عليهنّ تقريباً إلى الله سبحانه، لأنه بذلك يحفظ كرامتهنّ بين الناس، وليس وقف الحلّي عندئذ إلا كوقف الثياب والأواني والفرش والكتب والسلاح حيث يُنتفع بها كما ينتفع بالحلّي، بل ربّما إذا كانت الحلّي كثيره تنتفع بها العائله كما تنتفع بالأراضى الموقوفه، وذلك بإجارتها وغير ذلك من الطرق التي تدر نفعاً.

أمّا الثاني: أى وقف المسكوك منها، فهل يجوز وقفه بصوره الدرهم والدينار أو لا؟ ففيه وجوه بل أقوال:

١. عدم جواز الوقف

ذهب أكثر علمائنا إلى عدم جواز وقف المسكوك لعدم انطباق حدّ الوقف عليه - أعنى: حبس العين وتسهيل المنفعه - إذ لا يُنتفع بالمسكوك مع بقاء عينه.

وإليك بعض الكلمات:

قال ابن زهره: ولا يصحّ وقف الدراهم والدينانير بلا خلاف يعتدّ به، لأنّ الموقوف عليه لا ينتفع بهما مع بقاء عينهما فى يده. (١)

وهذا هو الظاهر من ابن إدريس (٢)، والكيدرى (٣) معللين عدم الجواز بنفس ما ورد فى الغنيه.

وقال العلّامة فى «القواعد»: منع الشيخ وابن إدريس وابن البراج وأكثر علمائنا من وقف الدراهم والدينانير، لأنه لا نفع يفرض لهما إلّامع إتلافها فأشبهت المأكول والمشروب، وجوّز بعض علمائنا وقفها لإمكان فرض نفع مع بقاء العين

ص: ٢٧٥

١- . غنيه النزوع: ١/٢٩٨.

٢- . السرائر: ٢/٤٨٠.

٣- . إصباح الشيعه بمصباح الشريعه: ٣٤٦.

ولهذا صحّت إعارتها. (١)

٢. جواز الوقف

قد عرفت أنّ العلامه نقل في القواعد جواز وقفهما ولم يسمّ القائل، ويظهر من الشهيد جواز وقفهما إن كان لهما منفعه حكميه، قال: ويصحّ وقف الدراهم والدنانير إن كان لهما منفعه حكميه مع بقاء عينهما كالتحلّي بهما، ونقل في المبسوط الإجماع على المنع من وقفهما إلّا ممّن شد. (٢)

وقال المحقّق الثاني: والحق أنّه إن كان لهما منفعه مقصوده عرفاً سوى الإنفاق صحّ وقفهما وإلّا فلا. (٣)

وقال الشهيد الثاني: والأقوى الجواز، لأنّ هذه المنافع (التحلّي وتزيين المجلس والضرب على سكّتها ونحو ذلك) مقصوده ولا تمنع قوه غيرها عليها. نعم لو انتفت هذه المنافع عاده في بعض الأزمان والأمكنه اتّجه القول بالمنع. (٤)

٣. التردّد وعدم الجزم بشيء

يظهر من العلامه في القواعد التردّد، قال: وفي الدراهم والدنانير إشكال.

قال الفخر في شرح العبارة: منشؤه أنّه هل يصح أن يكون لها منفعه حكميه معتبره في نظر الشارع مع بقاء عينها، أو لا؟ (٥)

إلى غير ذلك من الكلمات التي لا تخرج عن حدود هذه الأقوال

ص: ٢٧٦

١- . قواعد الأحكام: ٢/٣٩٤.

٢- . الدروس: ٢/٢٧.

٣- . جامع المقاصد: ٩/٥٨.

٤- . مسالك الأفهام: ٥/٣٢٢.

٥- . إيضاح الفوائد في مشكلات القواعد: ٢/١٩٠.

أقول: المانع عن القول بالجواز هو دوران الأمر بين حبس العين وتسييل المنفعة، فحبس العين يستلزم عدم المنفعة أو قلتها، فإن إعاره الدراهم والدينانير للعاريه والإجاره قليل، وتسييل المنفعة يستلزم البيع والشراء بهما وهو يتنافى مع حبس العين. وبما أن حبس العين أمر مسلم في ماهية الوقف، والتحلّى فائده نادره، كان الأظهر عدم جواز وقفها. إذ هنا فرق واضح بين الذهب والفضه غير المسكوكين والمسكوك منهما، فإن الأول له منافع بالتحلّى والإجاره وغير ذلك، بخلاف المسكوك إذ ليس له فائده بارزه، بل تبقى العين صامته ساكته لا ينتفع بها إلا منفعه نادره.

تصحيح وقف الأئمان مع التجاره بها

قد عرفت أن المانع المهم هو لزوم حفظ العين وإبقائها في الوقف، وهذا غير ميسر في المسكوكين إذا أُريد الانتفاع بهما بالمنفعه الرائجه كالتجاره بهما، ومع ذلك يمكن أن يقال: إن الضابطه المذكوره وإن وردت في كلام النبي صلى الله عليه وآله لكن يُحتمل كونها ناظره إلى ما هو الأغلب آنذاك، حيث إن الوقف كان يدور حول الأراضى والبساتين والآبار والعيون الجاريه إلى غير ذلك من الأمور التى تدرّ نفعاً مع بقاء عينها.

وأما إذا أمكن الانتفاع بالتصرف بالعين مع الحفاظ على ماليتها فلا وجه لعدم صحّه الوقف حينئذ، مثلاً إذا وقف سجاده على مسجد وشرط أنّها إذا صارت قديمه تباع ويشترى بثمنها سجاده أخرى، فالمنع عن هذا النوع من الوقف بحاجه إلى دليل.

ص: ٢٧٧

١- . انظر: مفاتيح الشرائع: ٣/٢٠٩؛ الأنوار اللوامع فى شرح مفاتيح الشرائع: ٣/٢٨١؛ مفتاح الكرامه: ٩/٧٥؛ المناهل: ٤٩٥؛ جواهر الكلام: ٢٨/٩٠؛ تكمله العروه الوثقى: ١/٢٠٦؛ تحرير المجله: ٧٩/٢، القسم الثالث.

وعلى هذا فلو وقف الأثمان على عائله فقيره ولكن أجاز لهم التصرف في أشخاص الأثمان لغايه التجاره بها، حتى يعود نفعها للموقوف عليهم بشرط الحفاظ على المالىه فى عامه المتبدلات والبيع والشراء.

وعلى ضوء ما ذكرنا يكون الموقوف هو المالىه السياله بين المتبدلات دون الأعيان، وعلى هذا لا يختص الجواز بالذهب والفضه المسكوكين، بل يعم الأوراق النقديه الرائجه حالياً، فلا- مانع من أن يقف الواقف مبلغاً مالياً على عائله فقيره ولكن رخص للمتولى البيع والشراء بها طول الزمان حتى تدر نفعاً للموقوف عليهم وتبقى المالىه محفوظه.

ومن حسن الحظ أنه صار هذا (وقف المالىه دون العين) من الأمور الشائعه فى عصرنا الحاضر، فالجمعيات الخيره تقوم بالمساهمه وجمع الأموال لأهداف إنسانيه لا- تورث ولا- توهب ويشترون بها الأراضى والبنيات والمدارس والمراكز الثقافيه وغيرها، فالأموال تخرج عن ملكيه المتبرعين وتنتقل إلى العنوان المذى اختاره أعضاء هذه الجمعيات لأنفسهم، فالعنوان يملك مالىه الأعيان وعينها فلهم أن يتصرفوا فى الأعيان بالبيع والشراء، وليس لهم التصرف فى مالىتها بإتلافها وهبتها وتوريثها، بل تبقى المالىه ما دامت الظروف تساعد على بقائها، وإلا فيعمل على وفق ما اتفقوا عليه فى الاتفاقية المعقوده بينهم.

وقد أوضحنا فى بحثنا فى مقدمات البيع أن المعاملات الحديثه إذا لم تكن مخالفه للأصول، تكون ممضاه من قبل الشارع، لقوله سبحانه: (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) ، أو قوله صلى الله عليه و آله: «المؤمنون عند شروطهم».

فالمفروض أن هذا النوع من الوقف أمر عقلائى له منافع بالنسبه للطبقه الموقوف عليهم، وليس مخالفاً للأصول التى بنى عليها الفقه الإسلامى فلا يحرم حلالاً ولا يحل حراماً، ولا يناقض كلام الله وسنه نبيه. فالقول بجواز هذا الوقف مطابق للأصول ورائج بين العقلاء، ولا مانع منه ظاهراً فى الشرع، والله العالم.

فلو قلنا بأن هذا النوع من تجميد الأموال بمالىتها لا بأعيانها، داخل تحت

عمومات الوقف فيكون محكوماً بحكمه وإلما يكون عقداً أو إيقاعاً مستقلاً، رائجاً بين العقلاء، وليس فيه ما يخالف الأصول المسلمة في باب المعاملات، فيكون نافذاً ولازمياً يجب العمل على وفق ما اتفقوا عليه عند إيجاد الجمعيات الخيرية، والمراكز الثقافية أو غير ذلك؛ وإذا عجزت الجمعيه عن إداره الأموال، فإن كانت قد حسبت لهذه الحاله الحرجه حساباً في قانونهم فيعمل بما اتفقوا عليه، وإلّا فيرجع إلى الحاكم الشرعي فيضعها في الأقرب فالأقرب من مقاصد الجمعيه وأغراضها. والله العالم

حضره العلامه الحجه آيه الله السيد محمود الشاهرودى دامت بركاته

أمّا بعد فقد أتحنى صديقى العزيز الفاضل الشيخ محمد الرحمانى - دامت تأييداته - بالأعداد: ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨ من مجله فقه أهل البيت عليهم السلام فقرأت ما دبّجه يراعكم حول إرث المرأه من الأرض ووقفت على جهودكم العلميه التى بذلتم فى تحقيق المسأله، شكر الله مساعيتكم، ولاسيما فى العدد الخامس والأربعين، والسادس والأربعين وفيهما غنى وكفايه لبيان موقفكم من المسأله.

لكن لنا ملاحظات حول نظركم فى كيفيه إرث الزوجه، نقدّمها إليكم عسى أن يتّضح بها نظر المشهور فى المسأله.

لاشك أنّ للقرآن الكريم مقاماً منيعاً لا يمكن رفع اليد عن ظاهره بخبر الواحد، وهذا هو رأى المحقّق رحمه الله فى المعارج فى المسأله، وهذا هو المختار عندنا أيضاً فى محلّه ولكن المورد ليس بهذا الشأن، فالروايات هنا متضافره مفيده للعلم وقد عدّ مضمونها من خصائص فقه الشيعه، فلو استثنيت فتوى ابن الجنيد فهناك رأى متميز لفقهاء الشيعه بين سائر الفقهاء، على اختلافهم فى كيفيه ميراث المرأه من الأقوال التى ذكرتموها فى المجله.

ذكرتم حول قوله عليه السلام: «إنّ المرأه لا ترث من تركه زوجها من ترابه دار أو

أرض إلّا أن يقوّم الطوب والخشب قيمه فتعطي ربعها أو ثمنها».

«إنّ الظاهر من إضافه المنع إلى ترابه الدار والأرض أنّ النظر إلى عين الدار وترابها أى ذاتها لا ما قد يتولد فيها وعليها من الأموال الإضافيه حتى المالیه والقيمه نتیجه الإحياء والبناء، ولهذا استدرك بلسان الاستثناء «إلّا أن يقوّم البناء والجدوع والخشب أو الطوب وهى الآجر ونحوها»، وظاهر الاستثناء، الاتصال مع أنّ الطوب والخشب ليس من الأرض فكيف استثنى منها؟

«والظاهر أنّ أقرب المعانى لمثل هذا التركيب ليس ما فعله المشهور من جعل الاستثناء على الانقطاع، بل ينبغى الحفاظ على ظهوره فى الاتصال مع كون المستثنى هو الإضافات الحاصله فى القيمه والماليه، سواء بالنسبه إلى ذات البناء أو الأرض أو ما أحدث فيها أو عليها بسبب الإحياء من الماليه فيكون المتفاهم عرفاً من مثل هذا التركيب من أنّها لا ترث من العين والتربه ولكن ترث أصل حقّها من التركة بأن تؤتى من قيمه الأرض وما عليها بسبب البناء والإحياء بما فيها ماليه الأرض ومنفعه المكان الحاصله بذلك، فتعطي ربعها أو ثمنها».

وفيما أكدتم عليه ملاحظات:

الملاحظه الأولى: فإذا كان المقصود النهائى: هو أنّ المرأه ترث من قيمه المجموع أرضاً وبنائاً، فلماذا فصل الإمام عليه السلام بين ترابه الدار والأرض، وبين الطوب والخشب فى العبارة مع أنّ المجموع محكوم بحكم واحد وهو أنّها ترث منه قيمه لا عيناً؟!!

إنّ التفصيل (بين التربه وسائر الأموال ذكر فى كثير من الروايات كصحيحه زراره (١/٦) (١) ومحمد بن مسلم (٢/٦) ويزيد الصائغ (٨/٦) وطربال بن رجاء (١٢/٦) والأحول (١٦/٦) قاطع للشركه، ويدلّ على أنّ للأرض والتربه حكماً

ص: ٢٨١

١- . ما بين القوسين إشاره إلى الوسائل: ج ١٧، الباب ٦ من أبواب ميراث الأزواج، الحديث ١. وهكذابقه الروايات الموجوده فى هذه الرساله.

وللبناء حكماً آخر، فلو كان الجميع ميراثاً لها بالثمن والقيمة ومحكوماً بحكم واحد فلا وجه للتفصيل.

وبعبارة واضحة: فإذا كان فتوى الإمام هو إرث المرأة من المجموع قيمة لا عيناً كان عليه عليه السلام أن يذكر ذلك بيان واضح ويقول: «إنَّ المرأة لا ترث من عين الدار وما عليها من البناء ولا ما فيها من الأشجار وإنما ترث القيمة من المجموع».

إنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام فُصِّحَ جاء - كما قالوا - فما هو وجه الكلام تارة في ترثه الدار والأرض وأخرى فيما عليها من الطوب والخشب مع اشتراك الجميع في النتيجة، وهو إرث المرأة من قيمة الجميع.

الملاحظه الثانيه: أنَّ المستثنى منه في بدء النظر لا يخلو من أحد أمور أربعة:

١. إمَّا أن يكون عين التربه والأرض فيكون الاستثناء منقطعاً، وأنتم لا ترضون بذلك.

٢. أن يكون المستثنى منه هو القيمة، فتكون النتيجة خلاف المدعى وموافقاً لقول المشهور، إذ معناه لا- ترث من قيمة الدار إلَّا قيمه البناء.

٣. أن المستثنى منه، مجموع الدار من الأرض والبناء بأن أريد من الدار كلا الجزأين: الدار والبناء، فيصح استثناء الطوب منه استثناء متصلاً لدخوله في المستثنى منه، إذ أريد من الدار مجموع البناء والمبنى عليه، ويكون موافقاً لفتوى المشهور.

٤. أنَّ المستثنى منه هو الدار مع الإضافات ومنها القيمة كما هو الظاهر من كلامكم.

ويلاحظ عليه: أنه خلاف الظاهر، لاستلزامه لحاظ الجمع بين المبدل (العين) والبديل (القيمة) مع أنَّهما طوليان لا عرضيان.

الملاحظه الثالثه: أنَّ المرجع في تفسير الحديث هو العرف الدقيق لا العقل الدقيق ولا العرف المتسامح، وهذه الروايه ونظائرها إذا نظر إليها العربي الصميم، المتجرد ذهنه عن الخلافات الفقهيه ينتقل إلى أنَّ المراد هو حرمان المرأة من

الملاحظه الرابعه: قولكم: «إنَّ المالك إنما يملك حياه الأرض لا ذات الرقبه وإتّما يكون له حق الاختصاص بها» على خلاف ما ذهب إليه الفقهاء إالّامن شد، فإنّ الأرض تملك بالإحياء وتقبل النقل والانتقال.

يقول المحقّق: ويملكها المحيى عند عدم الإمام من غير إذن. (١) ونظير ذلك فى المنتهى. (٢)

وقال الشيخ الأكبر فى كشف الغطاء: ثم إن أحيائها المحيى - كائناً من كان - بعد الغيبه كانت ملكاً له، ويملكها من شاء ويوقفها ويجرى عليها أحكام الملك. (٣)

وقد تضافر عنهم عليهم السلام: «أنّ من أحيأ أرضاً فهى له». فاللام للملكيه دون الاختصاص، ولذلك لو خربت الأرض فما لم يعلم الإعراض من صاحبها ليس للآخر إحيائها، وما فى بعض الروايات: من ترك أرضاً ثلاثه أعوام يجوز للآخر التصرف فيها قد أعرض عنه المشهور.

الملاحظه الخامسه: نقلتم عن المحقّق الشعرانى رضى الله عنه أنّ الوجه لعدم ذكر قيمه الأرض هو أنّ أكثر الأراضى خصوصاً ما كان بيد الشيعة فى الكوفه ونواحيها كان من المفتوحه عنوه وكان لها حق اختصاص بسبب تملك الآلات....».

إنّه قدس سره وإن كان من أعلام المحقّقين المخلصين، وقد زرته من قرب فوجدته رجلاً موسوعياً، ومع ذلك يُرد على كلامه أمور:

١. أنّ لازم كلامه أن تكون هذه الروايات قضايا خارجيه لا قضايا حقيقيه، وهل السائلون كلّهم كانوا عراقيين؟

٢. لازم كلامه ان يعمّ الحرمان الرجال أيضاً إذ لا فرق بين الطائفتين فى مورد الأراضى المفتوحه عنوه.

ص: ٢٨٣

١- . الشرائع: ١/٢٩٣.

٢- . المنتهى: ١/٩٣٦.

٣- . كشف الغطاء: ٤/٢٩٥.

٣. أنّ الحقوق الماليه كحق الاختصاص تورث أيضاً فلماذا لم تلحظ في هذه الروايات ماليه حق الاختصاص في أرثها بناء على ما ذكرتم من انها ترث من ماليه أرض الدار.

الملاحظه السادسه: أنّه قد ورد في روايات كثيره أنّ المرأه لا ترث شيئاً، والنكره في سياق النفي تفيد العموم، وإليك هذه التعابير:

١. عن زراره، عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ المرأه لا ترث ممّا ترك زوجها من القرى والدور والسلاح شيئاً وترث من المال والفرش». ١/٦.

٢. عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ترث المرأه الطوب ولا ترث من الرباع شيئاً». ٢/٦.

٣. عن زراره عن أبي جعفر، ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام: «لا ترث النساء من عقار الأرض شيئاً». ٦/٦.

٤. عن طربال بن رجاء، عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ المرأه لا ترث ممّا ترك زوجها من القرى والدور والسلاح والدواب شيئاً وترث...» ١٢/٦.

٥. عن محمد بن مسلم وزراره، عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ النساء لا ترثن من الدور ولا من الضياع شيئاً». ١٣/٦.

٦. عن الأحول، عن أبي عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول: «لا يرثن النساء من العقار شيئاً ولهن قيمه البناء». ١٦/٦.

إنّ حمل هذه الروايات على أنّها لا ترث من العين، ولكن ترث من القيمه بعيد غايته بشهاده أنّه لو قال القائل بعد هذه الجمل: «إلّا قيمه الدور» يتلقّى كلاماً فاقداً للبلاغه، إذ لو كان المراد الحرمان من العين دون القيمه لما كان هناك أى حاجه إلى استخدام النكره في سياق النفي بل كان اللازم أن يقول: لا ترث من الدور بل ترث من القيمه.

الملاحظه السابعه: أنّ السيد المرتضى إنّما اختار أنّها ترث من قيمه الجميع لأجل الجمع بين عموم آيات الإرث، وما أجمع عليه الأصحاب من الحرمان،

بتخصيص الحرمان بالعين وإيجاب قيمه على نحو ما اختاره في الجبوه.

وبما أنّ الإجماع دليل لبي أخذ بالقدر المتيقن وعذره في المقام أنّه لم يعتد بالأخبار الواردة في المقام لكونها أخبار آحاد لا قيمه لها عنده، وأما من يعتد بها كسماحتكم فليس له إلّا الأخذ بطواهرها، على أنّ كلمه المجمعين صريحه في الحرمان مطلقاً عيناً وقيمه، ولا وجه للاقتصار بالقدر المتيقن.

الملاحظه الثامنه: أنّ لازم الجمع بين الروايات والآيات على النحو المذكور في كلامكم هو القول بأنّ قوله سبحانه: (وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ) (١)، أو (فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ) (٢) يتضمّن حكيمين مختلفين: إرث العين من المنقول كالنقود وغيره، والقيمه من الدار والتربه. ومن المعلوم أنّ الحكمين من قبيل المتباينين لما مرّ من أنّ الإرث من القيمه بدل الإرث من العين فهل تتحمّل الآيه بيان كلا الحكمين بلفظ واحد؟

وإلى ما ذكرنا يشير بعض المحققين إذ يقول: إذ ليس كلّ من العين والقيمه مندرجاً في العام اندراج المصاديق في المفهوم الكلّي حتى يكون حمل كلّ منهما على بعض أفرادها عملاً به في الجملة. (٣)

الملاحظه التاسعه: ذكرتم حول روايه الأحول: «وما ورد في ذيلها «يعنى من البناء الدور» أنّها ظاهره في أنّ المراد إعطاؤها قيمه الدور بما فيها قيمه رقبه أرضها...».

أقول: هذا التفسير من الراوى، وعلى فرض كونه من الإمام عليه السلام فلعلّ المراد هو تضييق صدق البناء وأنّه لا يشمل إلبناء الدور لا سائر الأبنيه كبناء الطاحونه والمعمل وغيرهما.

الملاحظه العاشره: روى الكليني عن يزيد الصائغ عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

ص: ٢٨٥

١- النساء: ١٢.

٢- النساء: ١٢.

٣- بلغه الفقيه: ٣/٩٣.

سألته عن النساء هل يرثن من الأرض؟ فقال: «لا ولكن يرثن قيمه البناء» قال:

قلت: إنَّ الناس لا يرضون بذا، قال: «إذا ولينا فلم يرضوا ضربناهم بالسوط». (١)

فلو كان المقصود هو الحرمان من العين دون قيمه، فلماذا لا يرضى الناس به، فإنَّ دفع قيمه يكون أنفع للمرأة لخروج سهمها عن الإشاعه إلى الإفراز.

الملاحظه الحاديه عشره: ذكرتم إنَّ التعبير بالإعطاء أو إعطاء حقَّها أو إعطاء ربعها أو ثمنها الوارد في ألسنه هذه الروايات، يجعلها ناظره إلى مقام التقسيم والإفراز لحقوق الورثه وبيان أنَّ حقَّها من التركة - وهو الربع والثلث - لا يعطى من عين الأرض والعقار بل يعطى لها من سائر التركة.

يلاحظ عليه: أنه ورد في الروايه الأولى من الباب «قوله: إنَّ المرأه لاترث ممَّا ترك زوجها من القرى والدور والسلاح والدوابِّ شيئاً وترث من المال والفرش والثياب ومتاع البيت ممَّا ترك وتقوم النقض والأبواب والجدوع والقصب فتعطى حقَّها منه».

فعلى ما ذكرتم يكون المعنى يعطى حق المرأه من القرى والدور والسلاح والدواب من قيمه هذه الأمور الأربعة (النقض والأبواب والجدوع والقصب) أفهل يمكن أن تكون قيمه هذه الأمور وافيه لحق المرأه من قيمه القرى والدور والسلاح والدواب كلها، ومثل ذلك لو أضفنا إلى الأمور الأربعة ما تقدّمها من الأمور الثلاثه - أعنى: الفرش والثياب ومتاع البيت - بخلاف ما إذا قلنا بأنَّ المراد أنه يعطى حق المرأه المتعلّق بهذه الأمور من قيمه هذه الأمور.

ونظيرها ما رواه صاحب الوسائل برقم ٥ و ٧ و ١٢ و ١٥ فى الباب السادس، والجميع على غرار واحد وسببكه واحده.

ص: ٢٨٦

١- . الباب ٦، الحديث ٨ و ١١.

١. حول الروايات المعارضة لنظر المشهور

هناك روايات معارضة لنظر المشهور، وأمور ربّما تكون دليلاً لمختاركم ندرسها تالياً: أما الروايات فهي:

١. روى عبيد بن زراره وفضل بن العباس قال: قلنا لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في رجل تزوج امرأه ثم مات عنها وقد فرض الصداق؟ قال: «لها نصف الصداق وترثه من كل شيء، وإن مات فهو كذلك».

ومحل الاستدلال قوله: «وترثه من كل شيء».

أقول: إنّه ظهور بدوى، وذلك لأنّ الراوى لمّا توهم أنّ عدم الدخول يسبّب عدم إرثها من زوجها بتاتاً، وكأنّ العلقه عند السائل تتحقّق بالدخول لا بالعقد، فردّه الإمام عليه السلام أنّ موت الزوج قبل الدخول لا يؤثر في ما تستحق من الإرث.

فعلى هذا معنى قوله: «فترثه من كل شيء» أى ممّا تستحق أن ترث.

وبعبارة أخرى: أنّ الإمام عليه السلام في مقام دفع التوهم المذكور لا في مقام بيان حد الإرث وما ترث.

٢. روايه الصحاف قال: مات محمد بن أبى عمير ببيع السابري وأوصى إلى وترك امرأه له لم يترك وارثاً غيرها، فكتبت إلى العبد الصالح عليه السلام، فكتب إليّ: «اعط المرأة الربع واحمل الباقي إلينا».^(١)

ومحل الاستدلال إطلاق قوله: «اعط المرأة الربع».

يلاحظ عليه: أنّه لم يرد في الروايه أنّ الرجل ترك أرضاً أو ترابه أو ربعاً أو ما شاكلة، ولعلّ التركة كانت غير الأرض والدار، وليس المراد من محمد بن أبى عمير هو التاجر الثرى المعروف، لأنّه توفّي عام ٢١٧ هـ وتوفّي العبد الصالح عليه السلام (١٨٦ هـ).

أضف إلى ذلك: أنّه يمكن أن يكون اللام في الربع للعهد الذهني، أى الربع المعهود في ذهن الشيعة في إرث الزوجه.

ص: ٢٨٧

٣. معتبره ابن أبي يعفور والفضل بن عبد الملك وجاء فيها عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الرجل هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التبره شيئاً أو يكون في ذلك بمنزله المرأه فلا يرث من ذلك شيئاً؟ فقال: «يرثها وترثه من كل شيء ترك، وتركت». (١)

أقول: الروايه على عكس المدعى أدلّ حيث إنّ الراوى قد سلّم أنّ المرأه لا ترث عن التبره فيسأل الإمام عليه السلام عن إرث الرجل وأنّه هل هو بمنزله المرأه حتى لا- يرث من الأرض أو لا-؟ فأجاب الإمام عليه السلام بأنّها ترث من كل شيء، فالروايه تشهد بأنّ الرأى السائد بين الشيعة - يوم ذاك - كان هو عدم إرث المرأه من الأرض، وعلى ذلك بنى السائل سؤاله وقاس الزوج بالزوجه، فعند ذاك لا محيص من حمل الجواب على التقيه، لكونها مخالفه لما هو المشهور بين الشيعة حسب ما تعطيه الروايه، وإلّا لما اكتفى الإمام عليه السلام في ردع هذه الذهنيه للسائل بجمله بسيطه ذكرت استطراداً في مقام الجواب عن سؤال آخر.

وقد اتقى أئمه أهل البيت عليهم السلام في بيان الفروض في غير مورد نذكر منها موردين تجنباً للإطاله:

روى عبد الله بن مُحرز قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أوصى إلىّ، وهلك وترك ابنته فقال: «اعط الابنه النصف، واترك للموالى النصف»، فرجعت فقال أصحابنا: لا والله، لا للموالى شيء. فرجعت إليه من قابل فقلت له: إن أصحابنا قالوا ما للموالى شيء، وإنّما اتقاك.

فقال: «لا- والله ما اتقيتك وإنّي خفت عليك أن تؤخذ بالنصف، فإن كنت لا- تخاف فادفع النصف الآخر إلى ابنته فإن الله سيؤدى عنك».

ومما يشهد على تقيتهم في مسائل الإرث ما رواه الفقيه باسناده عن ابن عباس أنّه قال: كتب إلىّ على بن أبي طالب عليه السلام في سته إخوه وجدّ، أن أجعله

ص: ٢٨٨

١- . الوسائل: ١٧، الباب ٧ من أبواب ميراث الأزواج، الحديث ١.

كأحدهم وامح كتابي، فجعله عليّ عليه السلام سابعاً معهم، وقول: وامح كتابي، كره أن يشنع عليه بالخلاف على من تقدمه (١).

٢. مشكله اختلال الميزان في الفرائض والأسهم

«.. إذا كانت الزوجه لا ترث من العقار شيئاً فلا محاله سوف يقلّ سهمها عن الربع والثلث للتركة، وتقييد ذلك بالربع والثلث مما ترث منه من التركة لا- كلّ التركة وإن كان يحفظ عنوان الربع والثلث، إلماً أنّ هذا عندئذ يكون خلاف مقام التحديد وتعيين السهام بالنسب والفروض، أي يوجب اختلال الميزان للفرائض والسهام ويكون أشبه بالألغاز والتمويه حينئذٍ وليس بابه التقييد والتخصيص».

يلاحظ عليه: أولاً: ما الفرق بين المقام حيث يُحدّد فرضها بالثلث ثم يشار بدليل منفصل إلى أنّ فرض الثلث يتعلّق بغير العقار وبين قوله سبحانه: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ) (٢) ثم يحدّد بان الخمس بعد المؤونه.

وثانياً: ان هذه المشكله ليست مختصه بهذا المورد فإنّ اختلال الميزان للفرائض والسهام - لو صحّت تسميته إخلالاً بهما - ليس شيئاً غريباً في باب الإرث لتوفّره في الموارد التاليه:

١. عند زياده السهام على التركة يدخل النقص على طائفه دون طائفه.

وبالتالي ينقص الميراث عن السهام.

٢. عند زياده التركة على السهام يُردّ الباقي على الوراث، وبالنتيجه يزيد الميراث على السهام.

خلافاً لأهل السنّه حيث عالجوا المشكله في الموردين بالهول والتعصيب.

٣. سهم الولد الأكبر يزيد على الفرض بالحبوه. فيكون سهم الولد الأكبر أزيد

ص: ٢٨٩

١- . الوسائل: ١٧، الباب ٥ من أبواب ميراث الأبوين والأولاد، الحديث، ٧، ولاحظ أيضاً الحديث ٤.

٢- . الأنفال: ٤١.

من حظ الأنثيين وقد قال سبحانه: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثِيَيْنِ) (١).

٤. حرمان القاتل والكافر من الإرث وبالتالي تحصل الزيادة في سهام الآخرين. كالبنت والبنتين إذا كان الأب قاتلاً أو كافراً.

٥. إذا مات الرجل عن بنت واحدة فهي ترث النصف فرضاً والباقي قرابه، فتكون وارثه للكل لا- للنصف، وان كان ذلك باعتبارين، ومثلها إذا مات عن بنتين فهما ترثان الثلثين فرضاً والباقي قرابه فيكون ميراث الواحد أو الاثنتين ازيد من الفرض المحدد الوارد في قوله سبحانه: (فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ) (٢).

٣. مشكله تأخير البيان

إن مشكله تأخير البيان لا- تختص بالموارد، فإن كثيراً من أصول الأحكام أولاً- والمقتضيات والمخصصات ثانياً ورد في لسان الصادقين عليهما السلام ومن بعدهما من أئمة أهل البيت عليهم السلام ولا يمكن الالتزام فيهما بالنسخ، إذ لا نسخ بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله.

فالجواب في الجميع أمر واحد وهو وجود المصلحه أو جب بيان الأحكام تدريجاً، فالأحكام كلها كانت مشرعة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله نازله عليه، غير أنه صلى الله عليه وآله بين ما بين، وأودع ما لم يبين - إما لعدم استعداد المجتمع، أو لعدم وجود الفرصه للبيان، أو لوجود المصلحه في تأخيره - عند أوصيائه الأئمة المعصومين عليهم السلام بعده، وليس تأخير البيان أمراً قبيحاً بالذات حتى لا- يُعتبر حكمه، وإما هو بالنسبه إلى القبح كالمقتضى نظير الكذب، فلو كانت هناك مصلحه غالبه كنجاه المؤمن كان أمراً حسناً. هذا هو الحق الذي يدركه من سبر حال النبي صلى الله عليه وآله والمجتمع الإسلامي.

فأقصى ما في تأخير البيان وقوع المكلف في المشقه، أو تفويت المصلحه أو الإلقاء في المفسده، وكلها هيئه إذا اقتضت المصلحه الكبرى تأخير البيان.

ص: ٢٩٠

١- . النساء: ١١.

٢- . النساء: ١١.

والمسألة مطروحة في باب التعادل والترجيح، وأخصّ بالذكر فرائد الشيخ، وقد ذكر وجوهاً لهذا النوع من التأخير، وتبعه غيره من الأعلام في نفس الباب.

أضف إلى ذلك: أنّ الظاهر من روايه الصفار أنّ البيان لم يتأخر، وإنّما خفي على الناس بعد وروده. روى محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن الحسين (الخطاب)، عن جعفر بن بشير، عن الحسين بن مخلد، عن عبدالملك قال: دعا أبو جعفر عليه السلام بكتاب على عليه السلام فجاء به جعفر مثل فخذ الرجل مطويّاً، فاذا فيه: أنّ النساء ليس لهنّ من عقار الرجل إذا توفى - عنهن - شيء. فقال أبو جعفر عليه السلام: «هذا والله خط على وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله». (١)

على أنّ تأخير البيان أمر مشترك بين الحرمان مطلقاً أو الحرمان من العين والدفع من القيمة، إذ لم يرد في الرواية بوجه صريح ما يدلّ على حرمانها من الأصل، ودفع سهمها من القيمة، وذلك لأنّ الظاهر من الآيات كونها سهمها في عين التركة كسائر الوراث.

الآن حصص الحق

قد ظهر من هذا البحث الضافي أنّ حرمان الزوجه من العقار أمر لا يمكن تجاوزه، وذلك بالوجه التاليه:

١. أنّ التفصيل بين الدار والطوب والخشب في الروايات قاطع للشركه، كما مرّ.

٢. أنّ استخدام النكره ووقوعها في سياق النفي لا يلائم حرمانها من العين فقط دون القيمة.

٣. الظاهر من روايه يزيد الصانع أنّ حرمانها من العقار كان أمراً مسلماً في

ص: ٢٩١

١- . الوسائل: ١٧، الباب ٦ من أبواب ميراث الأزواج، الحديث ١٧.

عصر أئمه أهل البيت عليهم السلام ولذلك يقول الصائغ: «قلت: إنَّ الناس لا يرضون بذا، قال: إذا ولينا فلم يرضوا ضربناهم بالسوط» فإنَّ إعمال السوط أفضل دليل على الحرمان المطلق لا- الحرمان من العين دون قيمه، لأنَّ كثيراً من الناس يرضون بذلك.

٤. أنَّ معتبره ابن أبي يعفور تدل على أنَّ حرمان الزوجه من الأرض كان أمراً مسلماً عند الراوى وبالتالى عند الشيعة فى عصر الإمام الصادق عليه السلام حيث جعل معتقده فى المورد أساساً للسؤال عن إرث الزوج من الزوجه، وأنه هل هو كإرث الزوجه من الزوج فى الحرمان من الدار والأرض؟

٥. نرى أنَّ أبا جعفر عليه السلام يحلف بالله فى حرمان الزوجه من عقار الرجل ويقول: «هذا والله خط على وإملاء رسول الله». فإنَّ هذا الحلف يناسب حرمانها على وجه الإطلاق لا حرمانها على الوجه النسبى بأن تراث قيمه دون العين.

٦. أنَّ كتاب على أفضل دليل على عدم تأخير البيان وإنَّما طراً عليه الخفاء بعد البيان، وقد أظهره الإمام الصادق عليه السلام بعد خفائه فتره من الزمن.

٧. أنَّ مشكله التأخير - على فرض التسليم - أمر مشترك بين القولين، إذ لم يرد فى الروايه ما يدل صريحاً على إرثها من قيمه جميع ما تركه الرجل.

٨. أنَّ معتبره ابن أبي يعفور على عكس المدعى أدل، حيث تدل على أنَّ الرأى السائد بين الشيعة فى عصر صدور الروايه هو حرمانها من العقار، أفيمكن أن تكون هذه الشهره بلا دليل ولا وجه؟! وعلى ذلك يكون قول الإمام: «يرثها وترثه من كل شىء» محمولاً- على التقيه، وليس التقيه فى باب الفرائض أمراً نادراً، حيث إنَّ الإمام اتقى فى روايه عبدالله بن مُحرز وقال: «النصف للبت والنصف الآخر للعصبه»، كما أنَّ الإمام علياً عليه السلام بعدما أفتى فى مورد الجد بشىء، كتب إلى ابن عباس ألا ينشر ما كتب ويجعل الجد كأحد الأخوه.

٩. أنَّ الشهره الفتوائيه المجرده عن الروايه بين أصحاب الأئمه عليهم السلام فضلاً عمَّا إذا كانت مدعمه بالروايات المستفيضه، من مميزات الحجَّه عن اللاجَّه، لا من

المرجحات، فلذلك ترى أنّ عبد الله بن محرز لما فهم الرأى السائد بين أصحاب الإمام ترك قول الإمام الذى سمعه مباشرة وتوقف عن العمل بمناسبة وجود الشهره على خلاف قوله عليه السلام، إلى أن لقيه فى العام القابل وذكر القصة فأفتاه الإمام بالحكم الواقعى، وفى المقام قد عرفت أنّ بعض الروايات يدلّ على وجود الشهره الفتوائيه بين الأصحاب فى عصر الأئمه عليهم السلام، وهى حرمان المرأه من العقار.

ومع هذه القوه التى هى فوق المرجحات كيف يمكن الإفتاء بالخلاف!؟

١٠. وأمّا ما ورد فى روايه ميسّر بِيَّاع الزطّى عن أبى عبد الله عليه السلام من تعليل الحرمان بأنّه إنّما صار هذا كذا لئلا تتزوج المرأه فيجىء زوجها أو ولدها من قوم آخرين فيزاحم قوماً آخرين فى عقارهم (١).

إذ ربّما يتوهم اختصاص الحكم بما إذا كان هناك وارث غير الزوجه دونما إذا لم يكن، وارث غيرها، فلا وجه لحرمانها عندئذ. فملحوظ فيه، حيث إنّها من قبيل الحكم، لا العلل، كتعليل لزوم الاعتداد للمرأه بالعلم بحالها من كونها حاملاً أو لا، مع أنّه يجب الاعتداد عليها وإن علمت حالها كما إذا لم يكن هناك لقاء عبر سنه. ولذلك تعامل الفقهاء مع أمثال هذه العلل، معاملة الحكمه فلا يدور الحكم مدارها ثبوتاً وتعيّناً.

هذه ملاحظات متواضعه نقدّمها إليكم راجين إمعان النظر فيها، لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً.

جعفر السبحانى

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٠ صفر المظفر ١٤٣٠ هـ

ص: ٢٩٣

١- . الوسائل: ١٧، الباب ٦ من أبواب ميراث الأزواج، الحديث ٣.

اتفق الفقهاء على أنّ السنّه المطهّره من مصادر التشريع ومبادئه، وقد فسّروها بقول الرسول أو الإمام المعصوم وفعله وتقريره.

أمّا الأولان فحجّيتهما من لوازم عصمته في مجال التبليغ والسلوك، وأمّا الثالث فلو صدر فعل من صحابي بمرأى ومسمع منه ولم ينه عنه، فهذا يلازم كون هذا الفعل سائغاً لا حراماً، وإلّا لما سكت عنه النبي صلى الله عليه وآله بل يزجره وينهاه.

هذا كلّه يرجع إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأمّا الصحابي فليس قوله ولا فعله ولا تقريره من السنّه، ما لم يُعلم نسبته إلى المعصوم، وذلك لافتراض أنّه غير معصوم، فربّما يخطئ ولا يصيب. مضافاً إلى أنّه لا يوحى إليه من الله، ولا فرق بينه وبين سائر الناس من هذه الجبهة.

يقول الشوكاني: والحق أنّ قول الصحابي ليس بحجّه، فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يبعث إلى هذه الأُمّة إلّا نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وليس لنا إلّا رسول واحد، والصحابه ومن بعدهم مكلفون على السواء باتّباع شرعه والكتاب والسنّه، فمن قال إنّهُ تقوم الحججه في دين الله بغيرهما فقد قال في دين الله بما لا يثبت، وأثبت شرعاً لم يأمر الله به. (١)

وما ربّما يقال من أنّ الصحابه هم الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله ونقلوا أقواله

ص: ٢٩٤

وأفعاله وكانوا أعرف الناس بأسرار التشريع الإسلامى ومصادره وموارده، فمن اتبعهم من الذين قال الله فيهم: (وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَإِخْسَانٍ) (١)، (٢) غير تام، لأن ما ذكره من أنهم أعرف بأسرار التشريع لا يلازم كون فتاواهم أو منقولاتهم هي ممّا وصلهم أو سمعوه عن النبي صلى الله عليه وآله، إذ من المحتمل أنهم اجتهدوا فيما أفتوا به بوصف أنهم أعرف بأسرار التشريع. وفتوى المجتهد حجة على نفسه لا على غيره.

أضف إلى ذلك: أنّ المقصود هو الاتّباع على النمط الحسن، وهو بعد غير ثابت، لاحتمال كون ما رواه الصحابي رأيه، لا قول النبي صلى الله عليه وآله فلا يُعدّ اتّباعه للمجتهد اتّباعاً حسناً.

هذا كلّه حول السنّه وقد عرفت معناها، ثم إنّه يقع الكلام فيما ظهر أخيراً من الاحتجاج بترك الرسول صلى الله عليه وآله أمراً ما، على لزوم اتّباع النبي صلى الله عليه وآله في الترك. ولو صحّ ذلك لصارت مصاديق السنّه أربعه:

١. القول.

٢. الفعل.

٣. الإقرار.

٤. الترك.

وهذا من عجائب القول الذى ظهر بعد أربعه عشر قرناً، ولم ينسب به أحد من القدماء، من غير فرق بين فقيه مذهب وفقيه مذهب آخر، وعلى هذا فهو يُعدّ بدعه ظاهره فى مجال التشريع ومورثاً للجدال والنقاش فى حياه المسلمين، ولأجل إيضاح المقام نبحت فى موضعين:

الأوّل: الترك فى مجال الأمور العاديه.

ص: ٢٩٥

١- . التوبه: ١٠٠.

٢- . مصادر التشريع الإسلامى للدكتور شعبان محمد إسماعيل: ٢٦٩.

الثاني: الترك في مجال العبادات والقربيات.

أما الأمور العاديّة: فهي عباره عن الأمور التي يمارسها الناس في حياتهم الفرديه والاجتماعيه، وهي بين سائغ ومحظور. فما حرّمه التشريع فهو حرام إلى يوم القيامه لخلود الشريعة الإسلاميه إلى يوم القيامه، وذلك كالخمر والميسر والرشوه والقتل إلى غيرها من كبائر المعاصي وصغائرها.

وأما السائغ منها فهو كالسابق حلال إلى يوم القيامه لا يحرمه شيء إلا بعنوان طارئ، ككونه ضاراً أو غير ذلك.

ثم إنّ الأمور العاديّه لا تبقى على حالها الأول، بل أنّها تتكامل وتتطور حسب تكامل حياه البشر وفقاً للتقدّم الحضاري، وهذا واضح للعيان في لباس الإنسان ومسكنه وراحته.

فقد تطوّرت وتكاملت هذه الأمور من حاله العاديّه إلى ما نشاهده الآن.

إنّ السلف الصالح والخلف من بعدهم لم يجمدوا في حياتهم الاجتماعيه على النمط الذي كانوا يعيشون عليه في عصر صدر الإسلام، بل أخذوا من الحلال حلوه، ومن الجائز صفوته، دون أن يعترض عليهم أحد، ويتهمهم بالأخذ بمحدثات الأمور (وكلّ محدثه بدعه وكل بدعه ضلاله، وكل ضلاله في النار).

وذلك لافتراض أنّ هذه الأمور سائغه وجائزه ومن الطيبات التي أحل الله سبحانه لعباده، من غير فرق بين صورتها الأولى وصورتها الثانيه والثالثه.

وذلك لوجهين:

١. أنّ طبيعه الإنسان المتحصّر هي التدرّج في الحضاره والترقي في مدارجها، وهذا أمر طبيعي فطري لا يمكن إيقافه والمنع عنه، لأنّه يضاد الفطره التي نشأ عليها الإنسان منذ أن وطأت قدماه هذا الكوكب.

وعلى فرض إمكان الإيقاف وتحريم التطور كان على الشارع إيضاح ذلك والدعوه إلى الجمود وإيقاف الحياه على ما كانت عليه.

٢. إذا كان لهذه الأمور العاديّه دليل في التشريع الإسلامى ومسوغ لها

فالتطورات صور طارئه عليها، فما لم يكن فيها عنصر محرم أو ملازم للمحرم فهو حلال بلا شك استناداً إلى أصاله الحليه فى الأمور العاديه ما لم يدل دليل على حرمة.

ذكر بعض المؤرخين أنّ أول تطوّر ظهر فى حياه المسلمين دخول المناخل، ولم يكن لهم عهدٌ بها، وهى من أدوات التنعم والترفه فى المأكّل ممّا لم يكن يعرفه العرب ولا المسلمون من قبل، وقد نظروا إلى المسأله أنّها من الأعراف المرسله عن قيود الاتّباع وعدمه، وهى من مصاديق قوله سبحانه: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (١).

وكانت للمكيين أعراف وعادات نشأوا عليها، فلما هاجروا إلى المدينه فوجئوا بعبادات أخرى غير ما مارسوه فى بلادهم ممّا يتعلّق بالمسكن والملبس والمأكّل فاقتبسوا من هذه الأعراف أفضلها وأكملها، ولم يدر بخلد أحد أنّها من محدثات الأمور. (٢).

كل ذلك يدلّ على أنّ ما يرجع إلى العادات المحلّله بالكتاب والسّنّه مطلق مرسل لا يحدد بحدّ وإن تطورت وتكاملت، إلّا إذا انطبق عليه عنوان محرم أو كان ملازماً لأمر محرم.

إنّ المسلمين فتحوا البلاد وأشاعوا التوحيد بين الأمم المتحضّره، وقد كانت لهم أعراف فى حياتهم الاجتماعيه وآلات وأدوات فى التعليم والتعلّم أو فتح البلاد وغزوها، فاستقبلوها برحابه صدر وتعلموها واستخدموها فى حياتهم، غير ما كان محرماً بالذات.

أين الأزقه الضيقه فى مكه المكرمه والمدينه المنوره من الشوارع الواسعه فى عواصم العراق والشام!؟

ص: ٢٩٧

١- . الأعراف: ٣٢.

٢- . السلفيه مرحله مباركه لا مذهب إسلامي: ٤٦.

أين كوخ الفلاحين في الجزيرة العربية من القصور المشيده بعد قرن في نفس الجزيرة، ثم أين جشوبه العيش في صحارى الحجاز من العيش الرغيد في البلاد المفتوحه؟!

كل ذلك حصل بمرأى ومسمع من الصحابه والتابعين والفقهاء ولم يقل أحدٌ بحرمته رغم كونه من الأمور المحدثه.

وعلى ذلك جرت حياه المسلمين عبر قرون إلى أن انتهى الأمر إلى ركوب السيارات والطائرات واستخدام الإذاعات المسموعه والمرئيه ووسائل الإعلام الأخرى.

وهاهم ينشئون مشاريع تجاريه وثقافيه لم يكن لها نظير في القرون السالفه، كل ذلك شريطه أن لا يكون حراماً بالذات أو مقروناً به.

حكم العباديات والقربيات

إشاره

أما العباديات والقربيات فهى من صميم الدين وجوهره، ولا يجوز التصرف فيها بزياده ونقيصه حيث إن ذلك يُعد بدعه ومن محدثات الأمور فى صميم الدين التى وضعها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وقال: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثه بدعه، وكل بدعه ضلاله، وكل ضلاله فى النار»^(١).

وهذا ما آمن به عامه المسلمين أخذاً بقوله سبحانه: (اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) (٢).

وقال: (إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (٣).

إلى غير ذلك من الآيات والروايات التى تحرم التصرف فى صميم الدين

ص: ٢٩٨

١- . مسند أحمد: ٤/١٢٦؛ سنن الدارمى: ١/٤٥.

٢- . يونس: ٥٩.

٣- . النحل: ١٠٥.

بنقص أو زياده.

إِنَّ لَازِمَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَرَسُولِهِ هُوَ التَّسْلِيمُ فِي مَقَابِلِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَنَا بِهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (١).

إِنَّ التَّصَرُّفَ فِي التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ بِتَحْلِيلِ الْحَرَامِ أَوْ تَحْرِيمِ الْحَلَالِ أَوْ زِيَادِهِ شَيْءٌ فِي الْعِبَادَاتِ أَوْ النِّقْصِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ يُعَدُّ تَقْدِمًا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢).

هذا كله مما لا ستره عليه، فإنَّ حرمة البدعه ثابتة عقلاً وشرعاً.

إنَّما الكلام فيما إذا كان أمر ديني أو قربي مشروع بنص الكتاب والسنة، ولكن لم يرد في الأثر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله مارسه، فهل يكون ترك الرسول صلى الله عليه وآله لهذا العمل دليلاً على لزوم أتباعه في ذلك وبالتالي يصبح هذا الشيء أمراً محرماً لازم الاجتناب؟ هذا ما سندرسه تالياً.

إنَّ السنه عبارته عن قول النبي وفعله وتقريره - كما عرفت - ولم يقل أحد أنَّ ترك الرسول لأمر قربي دليل على حرمة، فإدخال الترك في مصادر التشريع بدعه حصلت في هذا العصر.

وذلك لأنَّ الترك أمر لبي لا يمكن الوقوف على بواعثه ودوافعه، فلعل الظروف لم تسمح له صلى الله عليه وآله بممارسته بعد أن لم يكن أمراً واجباً معيناً وإنما أخذ من الواجب أحد أعدال التخيير أو ترك المستحب لبعض الدوافع، وعلى ذلك فلا يحتج بالترك المجهول دافعه وعلته بعد وجود الدليل على جواز الشيء وقربيته.

والذي يبرهننا إلى ذلك أنَّه حصل بين المسلمين أمور قريه لم يمارسها

ص: ٢٩٩

١- النساء: ٦٥.

٢- الحجرات: ١.

الرسول صلى الله عليه وآله ولا كثير من أصحابه. وإليك نماذج منها:

١. تنقيط القرآن وإعرابه

إنَّ القرآن الكريم في عصر الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن منقّطاً ولا معرباً ولا مكتوباً على الصحف.

روى المؤرّخون أنّ أوّل من نقّط القرآن هو أبو الأسود الدؤلي.

قال يحيى بن أبى كثير: كان القرآن مجرداً في المصاحف، فأوّل ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء والياء وقالوا: لا بأس به هو نور به، ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآية، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم. (١)

كما أنّ أوّل من أمر بالتعشير هو المأمون العباسي، وأوّل من أدخل الحركات الإعرابية في المصحف هو أحمد بن خليل الفراهيدي.

٢. التطوّر في بناء المساجد

بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وآله إلى يثرب، فإنّ أوّل عمل قام به هو بناء مسجد للصلاه فيه، وقد بناه باللبن وسقفه من الحصر والبوارى، وترك أرضه متربه يسجدون على التراب وكان المسجد طول حياته الشريفه على هذه الشاكله، وبعد رحلته صلى الله عليه وآله ضاق المسجد بالمسلمين فقاموا بتوسيعه وبنائه بالحجاره والجصّ، وكلّما اتّسعت رقعه الدوله الإسلاميه زاد التطوّر في بناء المسجد الحرام والمسجد النبوي. إلى أن وصل الأمر في العصر الراهن إلى ما يراه كل من يقصد الحرمين الشريفين، فهما كوكبان لامعان في قلب العالم الإسلامي، مشيدان على أحدث طراز وبأحسن المواد الإنشائية، ومزدانان بأحدث الفنون والزخارف الرائعه.

وعماره المسجد من الأمور القريبه، قال تعالى: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا

ص: ٣٠٠

مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ
الْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١).

٣. المناظرة مع أصحاب المقالات

اتَّسَعَتْ رِقْعَةُ الْإِسْلَامِ وَدَخَلَتْ فِي حَظِيرَتِهِ أُمَمٌ مَخْتَلِفَةٌ فِي ثِقَافِهِ فَأَثَارُوا - وَهُمْ فِي لِبَاسِ الْإِسْلَامِ - شِبْهَاتٍ وَإِشْكَالَاتٍ تَمَسُّ صَمِيمَ الْعَقِيدَةِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَعَصَمَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهَا مِمَّا وَرَدَ فِي الْكُتُبِ الْكَلَامِيَّةِ، فَقَامَ الْمُسْلِمُونَ وَفِي مَقَدِّمَتِهِمُ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَثَمَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالْمَنَازِرَةِ وَالِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمُ بِالْبُرْهَانِ الثَّابِتِ وَالِدَّلِيلِ الْقَاطِعِ، وَاحْتِجَاجَاتِهِمْ مَبْثُوثَةٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالْحَدِيثِ وَالْعَقَائِدِ، نَذَرَ أَنْ مَوْجِزًا وَاحِدًا مِنْهَا.

من كلام للإمام علي عليه السلام للسائل الشامي لما سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ بعد كلام طويل هذا مختاره:

وَيَحْكُ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِمًا، وَقَدْرًا حَاتِمًا! وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ. إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيرًا، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا، وَكَلَّفَ يَسِيرًا، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا؛ وَلَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُطِغْ مُكْرَهًا، وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لِعِبَاءٍ، وَلَمْ يُنَزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا، وَلَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا: (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) (٢). (٣)

نعم ناظر النبي صلى الله عليه وآله وجادل أهل الكتاب لكن بصورة قراءة الآيات الواردة في حقهم، ولم يرد في المأثور أنه اجتمع للمناظرة مع أصحاب الأهواء والمقالات،

ص: ٣٠١

١- . التوبة: ١٧ و ١٨.

٢- . ص: ٢٧.

٣- . نهج البلاغة: ٤/١٨، برقم ٧٨.

غير أن القرآن أمرنا بالجدال بالتي هي أحسن، وقال: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (١).

٤. كتابه الحديث

اتفقت السلفيه على أنّ النبي صلى الله عليه وآله نهى عن كتابه الحديث، ورووا في ذلك روايات مبسوطه في الصحيحين والسنن، حتى أنّ بعض الخلفاء أحرق ما كتبه بعض الصحابه من سنن الرسول صلى الله عليه وآله وصارت كتابه الحديث أمراً متروكاً معرضاً عنه. وأمياً ما هو الباعث إلى ترك كتابه الحديث خلال أكثر من قرن فهذا ما لا نخوض فيه، إنّما نتحدث في انقلاب الحال في عهد عمر بن عبدالعزيز، العدي كتب إلى أبي بكر بن حزم عالم المدينة: انظر ما كان من حديث رسول الله فاكته، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا الأحاديث النبي صلى الله عليه وآله ولفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً. (٢).

أفيمكن لأحد أن يمنع عن كتابه الحديث وضبطه وتسجيله ونشره على النحو المعهود، بحجه أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يأمر بكتابه أو أنّ الصحابه لم يمارسوا كتابته.

٥. النبي وحج التمتع

إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله اعتمر عدّه مرات وحجّ مره واحده وهى حجه الوداع، وكان حجّه حج قران لأنه ساق الهدى، وكلّ من ساق الهدى يكون حجّه حج قران، ولذلك لم يتحلّل بعد العمره، حتى أنّ علياً لما أهلّ بتهلليل النبي صار حجّه أيضاً حج قران.

إنّ حج التمتع ممّا أطبق المسلمون على تشريعه، وهم بين من يفضّل التمتع

ص: ٣٠٢

١- . النحل: ١٢٥.

٢- . صحيح البخارى: ١/٢٧.

على القسمين الآخرين: القرآن والإفراد ومن يعكس، وعلى كل تقدير فلو كان ترك النبي دليلاً على الحرمة أو كراهه الفعل فهل كان لمسلم أن يتفوّه بكراهه حج التمتع مع أنه صلى الله عليه وآله أمر المسلمين في حجّه الوداع بأن يتحلّوا ثم يهلّوا للحج حتى يكون حجّهم حج التمتع.

٦. صلاة التراويح

إنّ التهجد في ليالي شهر رمضان سنّه مؤكده وقد جاء فيه في حديث الرسول صلى الله عليه وآله: «والتهجد فيها - يعني: ليالي شهر رمضان - بنوافلها من أفضل القربات».

أخرج البخارى عن أبى هريره أنّه قال: سمعت رسول الله أنّه يقول: «... من قامه (يعنى شهر رمضان) إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه».(١)

إلّا أنّ الرسول صلى الله عليه وآله حثّ على أنّ خير صلاة المرء في بيته إلّا الصلاة المكتوبة، وإنّ للمرء أن يجعل للبيت نصيباً من الصلاة.

أخرج مسلم عن زيد بن ثابت قال: احتجر رسول الله حجيره بخصفه أو حصير فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يصلى فيها، قال: فتبع إليه رجال وجاءوا يصلّون بصلاته، قال: ثمّ جاءوا ليله فحضرُوا وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم، فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: ما زال بكم صنيعكم حتّى ظننت أنّه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإنّ خير صلاة المرء في بيته إلّا الصلاة المكتوبة.(٢)

هذه هي صلاة النبي وصلاة أصحابه في حياته وأنّه لم يصلّ معهم إلّا صلوات معدوده، فأين ما قام به النبي صلى الله عليه وآله من أداء صلاة أو صلاتين من صلاة التراويح التي تقام في الحرمين الشريفين وفي عامه المساجد بالنحو المعلوم حيث يختم القرآن

ص: ٣٠٣

١- صحيح البخارى: ٣/٤٤، باب فضل من قام رمضان.

٢- صحيح مسلم: ١٨٨/٢، باب استحباب صلاة النافلة في بيته و جوازها في المسجد.

الكريم خلال هذه الليالي في ستمائه ركعه أو أزيد.

قال الجزيري: روى الشيخان أنه صلى الله عليه وآله خرج من جوف الليل ليالي من رمضان، وهي ثلاث متفرقة: ليله الثالث، والخامس، والسابع والعشرين، وصلى في المسجد، وصلى الناس بصلاته فيها، وكان يصلي بهم ثمانى ركعات ويكملون باقيها فى بيوتهم فكان يسمع لهم أزيز، كأزيز النحل.

قال: ومن هذا يتبين أنّ النبي صلى الله عليه وآله سنّ لهم التراويح والجماعه فيها، ولكن لم يصلّ بينهم عشرين ركعه كما جرى عليه من عهد الصحابه ومن بعدهم إلى الآن. (١)

كل ذلك يدلّ على أنّ ترك الرسول صلى الله عليه وآله لا يدلّ على التحريم أو التشريع، إلّا إذا كان فى الشرع دليل على الجواز أو الاستحباب، وعلى ذلك جرى السلف والخلف.

فالقول بأنّ الترك دليل على عدم الجواز، من محدثات الأمور.

٧. ترك النبي صلى الله عليه وآله استلام الحجر بيده

اتفق الفقهاء على استحباب استلام الحجر الأسود وتقبيله، وعليه جرت سيره المسلمين عبر قرون فى الحج والعمرة، إلّا أنّ الروايات قد تضافرت على أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يستلم الحجر بيده فى حجه الوداع وإنّما استلمه بمحجن معه وقيل رأس المحجن (وهو العصا)، ولم يحج النبي صلى الله عليه وآله طيله رسالته إلّا مره واحده وهى حجه الوداع فى العام العاشر من الهجره، نعم اعتمر ثلاث أعمار.

هذا ومسلم يروى فى صحيحه عن جابر بن عبد الله أنّه قال: طاف رسول الله صلى الله عليه وآله بالبيت فى حجه الوداع على راحلته، يستلم الحجر بمحجنه، لأن يراه الناس وليشرف وليسألوه فإنّ الناس غشوه.

ص: ٣٠٤

وروى أيضاً عن أبي الطفيل أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يطوف بالبيت ويستلم الركن بمحجنه ويقبل المحجن. (١)

ولو صح ما روى عن عمر بن الخطاب أنه قال عند استلامه الحجر: إنك لاتضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله قبلك لما قبلتك، فمحمول على تقبيله بواسطة المحجن، أو على تقبيله فى أعماره لا فى حجّه.

وعلى أى حال لم يقبل النبى صلى الله عليه وآله الحجر، فهل يصحّ لمتفقّه - فضلاً عن الفقيه - أن يفتى بترك الاستلام باليد وتقبيله، بحجّه أنّ النبى صلى الله عليه وآله ترك الاستلام.

وما ذكرناه نماذج ممّا ثبت فيها ترك النبى صلى الله عليه وآله أمراً مندوباً ولكن المسلمون قد مارسوه.

وأظن - وظن الألعى صواب - إنّ وراء الكواليس شىء، وأنّ الغايه من تلك الأحداث التى هى بدعه فى عالم الفتوى، أمران:

١. إدعاء أنّ الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وآله بدعه بحجّه أنّه صلى الله عليه وآله لم يحتفل بذلك، ولا الصحابه بعده. مع أنّا قد أثبتنا فى مقال خاص أن الاحتفال مؤيد بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين عبر قرون، وأنّ الاحتفال من مظاهر الحب والمودة للرسول الكريم، كما أنّ فى ذلك إعلاء لذكره صلى الله عليه وآله انطلاقاً من قوله سبحانه: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) (٢).

إلى غير ذلك من الأدله التى سقناها على استحباب الاحتفال، بما أنّ له أصلاً قرآنياً وحديثياً.

٢. إمحاء آثار الرساله التى بقيت بعد هدم كثير منها بمعول الجهل بأحكام الإسلام وسننه، فقد هدموا كثيراً من قبور أئمه أهل البيت: وصحابه الرسول صلى الله عليه وآله كما دمروا الآثار الباقية من عهد الصحابه كبيت مضيّف النبى صلى الله عليه وآله،

ص: ٣٠٥

١- . صحيح مسلم: ٤/٦٧-٦٨؛ مسند أحمد: ٥/٤٧٤؛ سنن ابن ماجه: ٢/٩٨٢-٩٨٣.

٢- . الشرح: ٤.

وبعض المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وآله أو صحابته وأنصاره، وذلك بحجّه أنّ الرسول لم يذهب إلى زياره هذه القبور والآثار.

ومن الواضح أنّ لهدم الآثار والمعالم التاريخيه الإسلاميه - لا سيّما في مهد الإسلام، مكه والمدينه - نتائج ومضاعفات كبيره وخطيره على الأجيال اللاحقه، التي سوف تأتي ولا تجد أثراً لوقائع التاريخ الإسلامى، وسوف يتسرب الشك إلى نفوسهم بأنّ الإسلام قضيه مفتعله وفكره مبتدعه ليس لها واقع ولا جذور تاريخيه، كما هو الحال في قضيه السيد المسيح عليه السلام في نظر الكثير من الغربيين فتراهم ينظرون إليها وكأنّها قضيه أسطوريه حاكتها أيدي البابوات والقساوسه، والذي شجع على هذه العقيدته عدم وجود آثار ملموسه تدلّ على أصاله هذه القضيه ووجودها التاريخى.

أرجو من الله سبحانه أن يلمّ الشعث ويرأب الصدع ويجمع كلمه المسلمين، حتى يكون الجميع يداً واحده في مقابل الأعداء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

جعفر السبحانى

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١٨ ربيع الثانى من شهور عام ١٤٣٠ هـ.

ص: ٣٠٦

١١ ادعاء تحريم الزواج المؤقت (المتعه) (١)

تكلم الشيخ القرضاوى عن الزواج المؤقت وقال: إن الزواج فى الإسلام عقد متين وميثاق غليظ يقوم على نيه العشره المؤبدّه من الطرفين لتحقق ثمرته النفسيه التى ذكرها القرآن من السكن النفسى والمودّه والرحمه، وغايته النوعيه العمرانيه من استمرار التناسل وامتداد بقاء النوع الإنسانى، قال تعالى: (وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيِّنًا وَ حَفْصَةً) (٢).

أما زواج المتعه فهو ارتباط الرجل بامرأه لمدّه يحدّدانها لقاء أجر معيّن فلا يتحقق فيه المعنى الذى أشرنا إليه، وقد أجازّه الرسول صلى الله عليه وآله قبل أن يستقر التشريع فى الإسلام، أجازّه فى السفر والغزوات ثم نهى عنه وحزّمه على التأيد.

ثم أشار الشيخ إلى الظروف التى رُخص فيها ثم حُرّم بقوله: أخرج مسلم فى صحيحه عن سيره الجهنى أنه غزا مع النبى صلى الله عليه وآله فى فتح مكه فأذن لهم فى متعه النساء، فلم يخرج حتى حزّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وفى لفظ من حديثه: وأن الله حزّم ذلك إلى يوم القيامه.

ولكن هل هذا التحريم بات كزواج الأمهات والبنات، أو تحريم مثل تحريم

ص: ٣٠٧

١- تم تحرير هذه مقاله بتاريخ ٢٠ شوال المكرّم ١٤٢٩ هـ.

٢- النحل: ٧٢.

الميتة والدم ولحم الخنزير فيباح عند الضرورة وخوف العنت؟ الذي رآه عامه الصحابه أنه تحريم بات حاسم لا رخصه فيه بعد استقرار التشريع.

وخالفهم ابن عباس فرأى أنها تباح للضرورة، ولما رأى أن الناس توسعوا فيها ولم يقتصروا على موضع الضرورة أمسك عن فتياه ورجع عنها. (1)

أقول: شرع الله سبحانه المتعه بصوره أنها دواء لا غذاء، وبقيت على حليتها السابقه لتلك الغايه، وهذا مما اتفقت عليه المذاهب الفقهيه، وإنما اختلفوا في استمرار حليتها وكونها منسوخه أو لا، فالشيعة الإماميه ولفيف من الصحابه والتابعين على بقاء الحليه، خلافاً للمذاهب الأربعة فهي على التحريم.

ولسنا في هذه الرساله الموجزه بصدد بيان أدله حليتها وإباحتها من الكتاب والسنه ثم بيان بقاء حليتها إلى يومنا هذا، فإن ذلك يجبرنا على التوسع في الكلام، وإنما نعلق على ما جاء في كلام الشيخ القرضاوى، بوجوه:

1. أخذ التأييد في تعريف الزواج

عرف الشيخ الزواج الدائم بقوله: (عقد متين وميثاق غليظ يقوم على نيته العشره المؤبده من الطرفين).

يلاحظ عليه أولاً: أنه أخذ التأييد في تعريف الزواج وهو أول الكلام، فإن الزواج المؤقت من أقسام الزواج، وهو لا يتم أيضاً إلا بعقد صحيح دال على قصد الزواج جداً، وكل مقاربه تحصل بين رجل وامرأه من دون عقد لا تكون متعه حتى مع التراضى والرغبه، ومتى تم العقد كان لازماً يجب الوفاء به.

وثانياً: لو كان التأييد من مقومات الزواج فعندئذ تخرج المتعه عن تعريفه ويدخل في الزنا، إذ لا وسطيه بين الزواج والزنا فيما لو كانت الزوجه حره. فلازم

ص: ٣٠٨

ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله رخص الزنا لصحابته في الأراضى المقدسه، نعى مكة المكرمه، كما صرح بذلك الشيخ عند إجابته ناقلاً عن سيره الجهنى أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وآله في فتح مكة فأذن لهم فى متعه النساء، أفصح أن نرمى النبي صلى الله عليه وآله بترخيصه الفحشاء، حيث قال سبحانه: (وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (١).

٢. أهداف الزواج

ذكر الشيخ أن من أهداف الزواج؛ السكن النفسى والمودّه، والرحمه، وهذه الأهداف تتحقّق فى كلا-الزواجين خصوصاً إذا كانت المدّه طويله، فإنّ صون النفس عن الزنا والتوقّى عن اختلاط الأنساب أمر مشترك بين الزواجين، إذ يجب على المتمتع بها الاعتدال بحيضتين حتّى يبرأ رحمها، فإن كانت ذات حمل تخرج من العده بوضع الحمل، وإن لم تكن فتخرج بحيضتين أو طهرين.

وأما ما ذكره أنّ من أهداف الزواج هو الغايه النوعيه العمرانيه من استمرار التناسل وبقاء النوع الإنسانى.

فيلاحظ عليه أولاً: أنّه يتحقّق أيضاً فى الزواج المؤقت خصوصاً إذا كانت المده طويله.

وثانياً: أنّ الدكتور خلط علّه التشريع ومناطه بحكمته، فإنّ تكوين الأسره وإيجاد النسل حكمه التشريع التى لا يدور الحكم مدارها، وليست علّه له، والثى يدور الحكم مدارها، ولذلك نرى وجود الزواج الصحيح مع عدم هذه الحكمه، فالزواج صحيح فى الصور التاليه:

١. زواج العقيم بالمرأه الولود.

٢. زواج المرأه العقيم بالرجل المنجب.

٣. الزواج من المرأه اليائسه.

ص: ٣٠٩

٤. الزواج من الصغيره.

٥. زواج الشاب من الشابه مع العزم على عدم الإنجاب إلى آخر العمر.

أفصح للأستاذ أن يشطب على هذه الأنكحه، بسبب عدم انطباق التعريف الذى اختاره عليها؟!

وبذلك تبين عدم صحه قوله: فلا يتحقق فى زواج المتعه ذلك المعنى الذى أشرنا إليه.

٣. ادعائه تحريم المتعه على التأييد

ذكر الدكتور أنّ الرسول صلى الله عليه و آله - قبل أن يستقر التشريع - أجازته فى السفر والغزوات ثم نهى عنه وحرّمه على التأييد.

يلاحظ عليه: أنّ الترخيص والتأييد حسب نقل الدكتور كان فى فتح مكه، وقد فتحت مكه فى السنه الثامنه من هجرته الشريفه، وتم أمر التشريع فى النساء قبل سنين من ذلك حيث إنه سبحانه شرع فى بيان ما حرّم الله من النساء وما أحله بقوله: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَ بَيْنَكُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا

ص: ٣١٠

أَحْصَنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشِهِ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَتُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١).

وقد نزلت هذه الآيات قبل فتح مكة بسنين.

ومما يثير العجب أن الأستاذ لم يدقق في الآيه الدالّاه على حلّيه المتعه فى الآيات الماضيه، أعنى قوله: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) ، فقد ذهب جل المفسرين إلى نزولها فى زواج المتعه وإن اختلفوا فى نسخها أو بقائها على الحلّيه.

ولسنا بصدد بيان دلالة الآيه على حكم المتعه، فإنّ ذلك يحوجنا إلى التبسط فى الكلام.

٤. هل أنّ الرسول صلى الله عليه وآله حرّم المتعه ؟

زعم الدكتور القرضاوى أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو الذى حرّم المتعه حيث قال: حتّى حرّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وفى لفظ من حديثه: أنّ الله حرّم ذلك إلى يوم القيامة.

أقول: كيف ينسب ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنّ لفيماً من أصحابه الكرام قد أفتوا بحلّيه المتعه إلى يوم القيامة، نذكر منهم ما يلي:

١. عبد الله بن عمر، أخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر، قال - وقد سئل عن متعه النساء -: والله ما كنّا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله زانين ولا مسافحين، ثمّ قال: والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون وأكثر».(٢)

٢. عبد الله بن مسعود، أخرج البخارى عن عبد الله بن مسعود، قال: كنّا نغزو

ص: ٣١١

١- . النساء: ٢٣-٢٦.

٢- . مسند أحمد: ٩٥/٢.

مع رسول الله صلى الله عليه وآله وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل معين، ثم قرأ علينا: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (١).

(٢) ٣. عمران بن حصين، أخرج البخارى فى صحيحه عنه، قال: نزلت آيه المتعه فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات. قال رجل برأيه ما شاء. (٣)

٤. أخرج مسلم عن ابن جريج قال: أخبرنى أبو الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضه من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبى بكر حتى نهى عنه عمر فى شأن عمرو بن حريث. (٤)

٥. أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى نظره قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا فى المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نهانا عنهما عمر، فلم نعد لهما. (٥)

هذه نماذج من الروايات الواردة عن الطبقة العليا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين كانوا يفتون بجواز المتعه، ولو كان الرسول صلى الله عليه وآله محرماً لها لما خفى عنهم تحريمه لها، ولو علموا لما خالفوه فيها.

٥. المحرم هو الخليفة نفسه

إن الدكتور وإن نسب التحريم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنه لو أمعن النظر وسبر غصون الروايات والآثار، لوقف على أن المحرم هو الخليفة عمر بن الخطاب لا

ص: ٣١٢

١- . المائدة: ٨٧.

٢- . صحيح البخارى: ٤/٧، باب ما يكره من التبتل والخضاء، من كتاب النكاح.

٣- . صحيح البخارى: ٢٧/٦، تفسير قوله تعالى: (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ).

٤- . صحيح مسلم: ٤/١٣١، باب نكاح المتعه من كتاب النكاح.

٥- . صحيح مسلم: ٤/١٣١، باب نكاح المتعه من كتاب النكاح.

غيره، هذا ما يلمسه كل من نظر إلى المسألة عن كثب، وقد مر عليك في الروايات السابقة نسبة التحريم إليه، وإليك المزيد:

١. قال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام - فيما أخرجه الطبري بالإسناد إليه -:

«لولا أن عمر نهى عن المتعه ما زنى إلأشقى»^(١).

وهناك روايات ماثوره عن الخليفه نفسه، تعرب عن أن التحريم كان من صميم رأيه، من دون استناد إلى آيه أو روايه.

٢. أخرج مسلم عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضه من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث^(٢).

٣. أخرج مسلم في صحيحه عن أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله، فأتاه آت فقال: ابن عباس و ابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما^(٣).

٤. أخرج الترمذى أن رجلاً من أهل الشام سأل ابن عمر عن المتعه، فقال: هي حلال، فقال الشامى: إن أباك قد نهى عنها؟ فقال ابن عمر: رأيت إن كان أبى قد نهى عنها وقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر أبى نتبع أم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله^(٤).

وهذه المأثورات تعرب عن جمله من الملاحظات نجملها بملاحظتين هما:

الأولى: أن المتعه كانت باقيه على الحل إلى عهد الخليفه عمر بن الخطاب، وبقيت حلالاً في أيامه حتى نهى عنها ومنع.

و الثانية: أنه باجتهاده قام بتحريم ما أحله الكتاب والسنة، ومن المعلوم أن اجتهاده - لو صحّت تسميته بالاجتهاد - حجّه على نفسه لا على غيره.

ص: ٣١٣

١- . تفسير الطبري: ٥/٩.

٢- . صحيح مسلم: ١٣١/٤، باب نكاح المتعه من كتاب النكاح.

٣- . صحيح مسلم: ١٣١/٤، باب نكاح المتعه من كتاب النكاح.

٤- . سنن الترمذى: ١٨٦/٣، برقم ٨٢٤.

ومما يدل بوضوح على أن الخليفة هو المحرّم ما ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» حيث قال:

فإن قيل: فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال:

كُنّا نستمتع بالقبضه من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبى بكر حتّى نهى عنهما عمر في شأن عمرو بن حريث، وفيما ثبت عن عمر أنه قال:

متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أنهى عنهما: متعه النساء ومتعه الحج ؟

قيل: الناس في هذا طائفتان: طائفه تقول: إن عمر هو الذى حرّمها ونهى عنها وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله باتّباع ما سنّه الخلفاء الراشدون، ولم تر هذه الطائفه تصحيح حديث سبره بن معبد في تحريم المتعه عام الفتح فإنه من روايه عبد الملك بن الربيع بن سبره عن أبيه عن جده، وقد تكلم فيه ابن معين ولم ير البخارى إخراج حديثه في صحيحه مع شدّه الحاجه إليه وكونه أصلاً من أصول الإسلام، ولو صحّ عنده لم يصبر عن إخراجهِ والإحتجاج به، قالوا: ولو صحّ حديث سبره لم يخف على ابن مسعود حتّى يروى أنهم فعلوها ويحتج بالآيه.

وأيضاً ولو صحّ لم يقل عمر أنها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أنهى عنها وأعاقب عليها، بل كان يقول: إنه صلى الله عليه وآله حرّمها ونهى عنها. قالوا: ولو صحّ لم تفعل على عهد الصديق وهو عهد خلافة النبوه حقاً. (١)

إن الخليفة العباسى المأمون أوشك أن يُنادى فى أيام حكمه، بتحليل المتعه إلّا أنه توقف خوفاً من الفتنة وتفرق المسلمين. قال ابن خلكان، نقلاً عن محمد بن منصور أنه قال: كُنّا مع المأمون فى طريق الشام فأمر فنودى بتحليل المتعه، فقال يحيى بن أكثم لى ولأبى العيناء: بكرأ غداً إليه، فإن رأيتما للقول وجهاً فقولا، وإلّا فاسكتا إلى أن أدخل، قال: فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عهد أبى بكر وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا

ص: ٣١٤

١- . زاد المعاد: ١/٤٤٤. وللکلام صله جاء فيها نظر الطائفه الثانيه فلاحظ.

جُعِلَ حتى تنهى عما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر؟ فأوماً أبو العيناء إلى محمد ابن منصور وقال: رجل يقول فى عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن؟! فأمسكنا، فجاء يحيى بن أكرم فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: ما لى أراك متغيراً؟ فقال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث فى الإسلام، قال: و ما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟ قال: نعم، المتعه زنا، قال: و من أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله عزوجل، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - إلى قوله: - وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) (١)يا أمير المؤمنين زوجه المتعه ملكك يمين؟ قال: لا، قال: فهى الزوجه التى عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها؟ قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين.(٢)

أقول: هل عذب عن ابن أكرم - وقد كان ممن يكنّ العداء لآل البيت عليهم السلام - أنّ المتعه داخله فى قوله سبحانه: (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) و أنّ عدم الوراثة تخصيص فى الحكم، وهو لا- ينافى ثبوت الزوجية، وكم لها من نظير، فالكافره لا- ترث الزوج المسلم، وبالعكس، كما أنّ القاتله لا ترث وهكذا العكس، وأمّا الولد فى زواج المتعه فيلحق قطعاً، ونفى اللحق ناشئ إمام من الجهل بحكمها أو التجاهل به.

وما أفصح كلامه حيث فسر المتعه بالزنا وقد أصفقت الأمة على تحليلها فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله والخليفه الأول، أفحسب ابن أكرم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله حلّل الزنا ولو مده قصيره؟!

ص: ٣١٥

١- . المؤمنون: ١-٧.

٢- . وفيات الأعيان: ١٤٩/٦-١٥٠.

الذكاه الشرعيه المطلوبه تتم بشروط ومنها: أن يذكر اسم الله تعالى على الذبيحه، يقول سبحانه: (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ) (٢).

ويقول تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) (٣)، ولا شبهه في هذا الشرط، وعلى هذا لا تحل ذبيحه الكتايبى بدليل أنهم لا يسمون عند الذبح، مضافاً إلى أن من الشروط كون الذابح مسلماً.

وقد ابتليت بلاد الإسلام باستيراد اللحوم من الدول الكافره والتي نعلم بعدم حصول التسميه على الذبائح فيها، ولذا قام بعض من يحاول تسهيل الإسلام على الجيل الحاضر فأفتى بكفايه التسميه عند الأكل ممّا علم ترك التسميه عليه، وهذا ما نقله الشيخ القرضاوى والظاهر منه رضاه به وقال: وذهب بعض العلماء إلى أنّ ذكر اسم الله لا بدّ منه، ولكنّه ليس من اللازم أن يكون ذلك عند الذبح، بل يجزئ عنه أن يذكره عند الأكل، فإنّه إذا سمى عند الأكل على ما يأكله، لم يكن آكلًا لما لم يذكر اسم الله عليه.

ثم قال: وفى (صحيح البخارى) عن عائشه: أنّ قومًا حديثى عهد بجاهليه قالوا للنبي صلى الله عليه وآله: إنّ قومًا يأتوننا باللحمان لا ندرى أذكروا اسم الله عليها أم لم

١- تم تحرير هذه المقاله بتاريخ ١٥ شوال المكرم ١٤٢٩ هـ.

٢- الأنعام: ١١٨.

٣- الأنعام: ١٢١.

يذكروا؟ أناكل منها أم لا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اذكروا اسم الله واكلوا».(١)

يلاحظ عليه: بأن ظاهر قوله سبحانه: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) هو حرمة الأكل إذا لم يذكر اسم الله عليه عند الذبح مطلقاً، سواء أذكر اسمه تعالى عند الأكل أم لا.

فالقول بجواز الأكل لأجل كفايه التسميه عند الأكل مخالف لإطلاق الآيه، بل يخالف ما اتفق عليه الفقهاء.

وأما الاستدلال بحديث عائشه فيفارق مورده المقام بوجهين:

الأول: أن الذابح هناك مسلم «حديث العهد بالاسلام»، كما نجده في قوله: إن قوماً حديثى عهد بجاهليه قالوا للنبي صلى الله عليه وآله: إن قوماً يأتوننا باللحمان لا- ندرى أذكروا اسم الله عليها أم لم يذكروا، فإن المتبادر أن الآتين باللحم من أقوام السائين كانوا حديثى العهد بالجاهليه وبالتالي فهم مسلمون.

ولكن اللحوم المستورده حالياً من الخارج هي من ذبائح أهل الكتاب أو المشركين.

الثانى: أن فرض السؤال فى الروايه، الشك فى التسميه، فيؤكل عندئذ حملاً لعمل المسلم على الصحه، وأين هذا ممّا نحن فيه الذى نعلم بعدم التسميه!؟

وحصيله الكلام: أن فكره تسهيل الإسلام على الجيل الحاضر فكره جيده، ولكن بشرط أن لا تتجاوز الحدود والأصول.

فعلى زعماء الإسلام والمسلمين أن يقوموا بأحد أمرين:

١. دعم القطاع الزراعى لانتاج اللحوم من نفس البلاد حتى يستغنوا عن استيراد اللحوم من البلاد الأجنبية.
٢. إن كان ولا بد فيجب إرسال هيئات شرعيه تشرف على الذبائح على أن تكون مطابقه للشروط الإسلاميه.

ص: ٣١٧

يقول الدكتور في حديثه عن موضوع حكم الاستمنا: وقد يثور دم الغريزه في الشاب فيلجأ إلى يده يستخرج بها المنى من جسده ليريح أعصابه، ويهدئ من ثوره الغريزه، وهو ما يعرف اليوم «بالعاده السريه».

وقد حرّمها أكثر العلماء، واستدلّ الإمام مالك بقوله تعالى: (وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) (٢).

والمستمنى بيده قد ابتغى لشهوته شيئاً وراء ذلك.

وروى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه اعتبر المنى فضله من فضلات الجسم فجاز إخراجه كالفصد، وهذا ما ذهب إليه وأيده ابن حزم، وقيد فقهاء الحنابله الجواز بأمرين:

الأول: خشية الوقوع في الزنا.

والثاني: عدم استطاعه الزواج.

ويمكن أن نأخذ برأى الإمام أحمد في حالات ثوران الغريزه وخشيه الوقوع في الحرام، كشاب يتعلّم أو يعمل غريباً عن وطنه، وأسباب الإغراء أمامه كثيره،

ص: ٣١٨

١- . تم تحرير هذه المقاله بتاريخ ١٠ شوال المكرم ١٤٢٩ هـ.

٢- . المؤمنون: ٥-٧.

ويخشى على نفسه العنت، فلا حرج عليه أن يلجأ إلى هذه الوسيلة يطفى بها ثوران الغريزه، على ألا يسرف فيها ويتخذها ديدناً.

وأفضل من ذلك ما أرشد إليه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله الشاب المسلم الذى يعجز من الزواج، أن يستعين بكثرة الصوم، الذى يُرَبِّي الإِرادَه، ويعلم الصبر، ويقوى ملكه التقوى ومراقبه الله تعالى فى نفس المسلم وذلك حين قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءه فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» كما رواه البخارى. (١)

أقول: إنَّ القول بحليه الاستمناء أو العاده السريه مخالف للذكر الحكيم، والشهره المحققه فى المذاهب الفقهيه، وما عليه أئمه أهل البيت عليهم السلام فى هذا المجال.

أمَّا الذكر الحكيم، فقد نقله الشيخ فى كلامه فلا- حاجه إلى الإيضاح، حيث إنَّه سبحانه أمر بحفظ الفروج فى كلِّ الحالات إلَّا بالنسبه إلى الزوجه وملك اليمين، فإذا تجاوز هاتين الحالتين واستمنى كان من العادين المتجاوزين ما أحل الله لهم إلى ما حرّمه عليهم.

وأما الشهره المحققه، فقد ذهب المالكيه والشافعيه والزيديه إلى تحريمه، أخذاً بالحصر الوارد فى القرآن الكريم. والدليل على الحصر أمران:

أ. الاستثناء: (إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) (٢).

ب. قوله تعالى: (فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) .

وأما موقف أئمه أهل البيت عليهم السلام فقد روى طلحه بن زيد، عن أبى عبدالله عليه السلام أنه قال: «إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى برجل عبث بذكره، فضرب يده حتى احمرَّت ثم زوجه من بيت المال». (٣)

ص: ٣١٩

١- . الحلال والحرام فى الإسلام: ١٦٤-١٦٥، ط. القايره، ١٣٩٦ هـ.

٢- . المعارج: ٣٠.

٣- . وسائل الشيعه: ١٨، الباب ٢٨ من أبواب النكاح المحرم، الحديث ٣.

وروى عمار بن موسى، عن الإمام الصادق عليه السلام في الرجل ينكح بهيمه؟ فقال عليه السلام: «كلّ ما أنزل به الرجل ماءه من هذا وشبهه فهو زنا».(١)

إلى غير ذلك من الروايات الدالّة على حرمة العمل على وجه الإطلاق.

وأما ما ذكره الدكتور من أنّه لا حرج أن يلجأ إلى هذه الوسيلة بحيث لا يسرف فيها ولا يتخذها ديدناً، فعجيب جداً، فإنّ العاده السريه أسهل شيء للالتذاذ الجنسي، فكيف يمكن للشباب أن لا يسرف فيها ولا يتخذها ديدناً؟!

مضافاً إلى الأضرار التي يذكرها الأطباء في من اعتاد على هذا العمل.

وأما ما نقله عن الإمام أحمد حيث جوّز - حسب نقله - أن يرجع إلى هذه الوسيلة ويطلقاً بها ثوران الغريزه عند خشيه الوقوع في الزنا فمما لا يمكن المساعدة عليه، فعمل مصدر كلامه القاعده المعروفه: الضرورات تبيح المحظورات، ومن المعلوم أنّ مصبّ القاعده هو ابتلاء الإنسان بها، من غير اختيار، فعندئذ يجوز الارتكاب باختيار أقل الضررين، أو أخفّ الحرامين، كما إذا ابتلى الصائم بالعطش المهلك، فيجوز له دفع العطش بشرب الماء لحفظ حياته.

أو فيما لو توقفت نجاه الإنسان الغريق على التصرف في مال المسلم.

أو توقفت الحياه على أكل مال الغير.

في هذه الموارد تطبق قاعده: «الضرورات تبيح المحظورات» ولكن بشرط أن لا يكون الإنسان عاملاً مؤثراً في إيجاد الضروره.

وأما المقام فالواجب عليه كبح النفس والاجتناب عما حرّم الله عليه.

فلو كان ثوران الغريزه وخشيه الوقوع في الحرام سبباً لارتكاب الزنا بذات البعل فهل يمكن الإفتاء بجواز الأخفّ منه؟!

والطريق الأفضل هو ما أرشد إليه رسول الله صلى الله عليه و آله كما نقله المحيبي، وأن يتذكر عقوبه الله تبارك وتعالى على تلك المعاصي.

ص: ٣٢٠

١- . وسائل الشيعه: ١٨، الباب ٢٦ من أبواب النكاح المحرم، الحديث ١.

فى الكتاب والسنة (١)

من المسائل التى خالف فيها الدكتور القرضاوى ما هو المشهور بين فقهاء الأمة هى مسألة الغناء والموسيقى حيث قال: ومن اللهو الذى تستريح إليه النفوس، وتطرب له القلوب، وتنعم به الآذان: الغناء... وقد أباحه الإسلام ما لم يشتمل على فحش أو خنا أو تحريض على إثم، ولا بأس بأن تصحبه الموسيقى غير المثيرة.

ويستحب فى المناسبات السارّه، إشاعه للسرور، وترويحاً للنفوس وذلك كأيام العيد والعرس و قدوم الغائب، وفى وقت الوليمه، والعقيقه، وعند ولاده المولود. (٢)

وقال فى طبعه أخرى لكتابه هذا ما نصه: والذى أراه أنّ الغناء فى ذاته لا- حرج فيه وهو داخل فى جملة الطيبات التى أباحها الإسلام، وأنّ الإثم إنّما هو فيما يشتمل عليه أو يقترن به، من العوارض التى تنقله من دائره الحل إلى الحرمة، أو الكراهه التحريميه.

ص: ٣٢١

١- تم تحرير هذه المقاله بتاريخ ٤ ذى القعدة الحرام ١٤٢٩ هـ.

٢- الحلال والحرام فى الإسلام: ٢٨٠.

وقال الدكتور في كتاب آخر له: يجب على الفقيه الذى يبحث فى القضية أن يراعى هذه الآفاق كلها، ولا يركز نظره على جانب واحد، وفئه واحده، ناسياً أن إفريقيا كلها لا تستغنى عن الغناء وتوابعه، وأن أوروبا كلها، بل الغرب كله يعتبرون الموسيقى - وخصوصاً بعض أنواع منها - وسيله للسمو بالروح والوجدان.(١)

ثم إنه يقول فى موضع آخر: نحن اليوم نريد أن نعرض الإسلام على العالم، وأن تبلغ دعوته إلى الأمم كافه. ومنها أمم وشعوب ترى الغناء والموسيقى والرقص والطرب جزءاً لا يتجزأ من حياتها، لا تعيش بدونه، ولا تهنا لها حياه إذا حُرمت منه. فكيف نرغبهم فى الإسلام ونحن نحرم عليهم الغناء والموسيقى، وتتوعدهم بالرصااص المذاب يصبُّ فى آذانهم يوم القيامة، وبغيره من ألوان العذاب المهين، فى حين أنهم يعتبرون الموسيقى غذاء الروح.(٢)

وقد استدلل الشيخ على فتواه بروايات تشهد متون كلها أو جلّها على أنّها مكذوبه على نبيّ العظمه والقداسه، وسوف نرجع لمناقشتها، والكلام مركز الآن فيما وجه به حليه الغناء والموسيقى فى كتابه الثانى حيث جعل ترغيب غير المسلمين بالإسلام سبباً لتحليل الغناء والموسيقى فقال: فكيف نرغبهم بالإسلام ونحن نحرم عليهم الغناء والموسيقى؟

فلو كان هذا السبب للإفتاء بالحليه فليكن أيضاً سبباً فى حليه الخمر، والرقص بأنواعه حيث إنهم يعتبرونهما من ضروريات الحياه، حتى أنّ الطبقة التى تسمى بالأبء الروحانيين تنظر إلى الخمر بهذه النظرة.

وإنى لمّا قرأت هذه الفتوى للشيخ القرضاوى خطر ببالى ما رواه ابن الأثير فى ترجمه تميم بن جراشه حيث قال: قدمت على النبى صلى الله عليه و آله فى وفد ثقيف فأسلمنا وسألناه أن يكتب لنا كتاباً فيه شروط، فقال: اكتبوا ما بدا لكم ثم آتونى به، فسألناه

ص: ٣٢٢

١- . فقه الغناء والموسيقى فى ضوء القرآن والسنة: ٧، ط. القايره، ٢٠٠٤ م.

٢- . نفس المصدر: ١٤٨.

فى كتابه أن يُحلّ لنا الربا والزنا، فأبى عليّ (رضى الله عنه) أن يكتب لنا، فسألناه خالد بن سعيد بن العاص فقال له عليّ : تدرى ما تكتب ؟ قال: أكتب ما قالوا ورسول الله صلى الله عليه و آله أولى بأمره، فذهبتا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال للقارئ: «اقرأ» فلما انتهى إلى الربا قال: ضع يدي عليها فى الكتاب، فوضع يده فقال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا) (١)، ثم محاها، وألقت علينا السكينة فما راجعناه، فلما بلغ الزنا وضع يده عليها وقال: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً) (٢)، ثم محاها وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا. (٣)

حرمه الغناء فى الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء

أقول: إن الغناء ممّا اتفق أغلب فقهاء الإسلام وعلى رأسهم أئمة أهل البيت عليهم السلام على حرمة مطلقاً.

١. روى على بن جعفر، عن أخيه الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام قال:

سألته عن الرجل يتعمد الغناء، يجلس إليه ؟ قال: «لا». (٢)

٢. وفى موثقه عبدالله بن أعين، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الغناء وقلت:

إنهم يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله رخص فى أن يقال: جئناكم، جئناكم، حئونا، حئونا جئناكم ؟ فقال: «كذبوا، إنّ الله عزوجل يقول: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِلَ لَهَوًّا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) (٣).... - ثم قال:

- ويلّ لفلان ممّا يصف»، رجل لم يحضر المجلس. (٤)

إلى غير ذلك من الروايات التى نقلها صاحب الوسائل فى موسوعته الحديثيه

ص: ٣٢٣

١- . البقره: ٢٧٨.٢. الإسراء: ٣٢.٣. أسد الغابه: ١/٢١٦.

٢- . وسائل الشيعة: ١٢، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٣٢.

٣- . الأنبياء: ١٦-١٨.

٤- . وسائل الشيعة: ١٢، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١٥.

وهي تناهز ثلاثين روايه.

وأما حكمه عند فقهاء السنه فقد ذهب عبدالله بن مسعود إلى تحريمه، وتابعه على ذلك جمهور علماء أهل العراق، منهم: إبراهيم النخعي، وعامر الشعبي، وحماد بن أبي سليمان، وسفيان الثوري، والحسن البصري، والحنفي، وبعض الحنابلة.

وذهب الشافعي، والمالكي، وبعض الحنابلة إلى أنه مكروه، فإن كان سماعه من امرأه أجنبيه فهو أشد كراهه، وعلل المالكيه الكراهه بأن سماعه مخل بالمرءه، وعللها الشافعيه بقولهم: لما فيه من اللهو. وعللها الإمام أحمد بقوله: لا يعجبني الغناء لأنه ينبت النفاق في القلب. (١) ولعل الكراهه في كلامهم كراهه تحريميه لا تنزيهيه.

هذه بعض الأقوال في المسأله والمهم ما جاء في الشريعه المقدسه من المأثورات، وإليك ما دل على تحريم الغناء:

١. حديث ابن أبي أمامه، قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «لا تبيعوا القينات ولا تشروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجاره فيهن، وثمانهن حرام، وفي مثل هذا أنزلت هذه الآيه: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (٢).

أخرجه من المحدثين: أحمد والترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبه والبيهقي وغيرهم. (٣)

وذكره عدد من المفسرين كالطبري والشوكاني وغيرهما عند تفسيرهم لهذه

ص: ٣٢٤

١- . انظر الموسوعه الفقيهه الكويتيه: ٤/٩١، ماده: استماع، وقد ذكرت فيها المصادر بالتفصيل.

٢- . لقمان: ٦.

٣- . انظر: مسند أحمد: ٥/٢٥٢؛ سنن الترمذي: ٣/٥٧٩ برقم ١٢٨٢؛ سنن ابن ماجه: ٧٣٣/٢ برقم ٢١٦٨؛ مصنف ابن أبي شيبه: ٦/٣٠٩ برقم ١١٧١؛ السنن الكبرى للبيهقي: ٦/١٤.

وإطلاق الحديث يعم كل أقسام الغناء، سواء أكان مضمونه مثيراً للفتنة أو كان غير ذلك.

٢. قال سبحانه: (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) (٢).

روى عن ابن عباس، أنه قال: هو الغناء بلغة حمير، يقال: سمد لنا، أي: غن لنا، ويقال للقينه: أسمدينا أي: ألهينا بالغناء. (٣).

٣. روى ابن أبي الدنيا وابن مردويه: «ما رفع أحدُ صوته بغناء إلّابعث الله تعالى إليه شيطانين يجلسان على منكبيه، يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك». (٤).

هذا بعض ما أثر عن النبي حول الغناء ولو نقلنا جميع ما ورد عنه صلى الله عليه وآله لربما ناهز عدده إلى ١٧ حديثاً، ونعتقد أنّ في ما ذكرنا كفايه لمن ألقى السمع وهو شهيد.

حرمة المعازف في السنّة

هذا كله حول الغناء، وأما المعازف فيكفي فيها:

أولاً: ما رواه البخارى في صحيحه عن عبد الرحمن بن عَنَم الأشعري، قال:

حدّثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري، والله ما كذّبتني، سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول:

«ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحرَّ، والحريم، والخمر، والمعازف، ولينزلن

ص: ٣٢٥

١- راجع التفاسير المختلفة حول هذه الآية.

٢- النجم: ٥٩-٦١.

٣- جامع البيان للطبري: ٢/٨٢؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٧/٨٠؛ ولاحظ سائر التفاسير في تفسير هذه الآية.

٤- الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٣٧؛ إرشاد الساري: ١٣/٣٥١؛ الدر المنثور: ٦/٥٠٦.

أقوامٌ إلى جنب علم تروخ عليهم سارحه لهم فيأتيهم رجل لحاجه، فيقولون: إرجع إلينا غداً، فيسيئهم الله فيضع العلم ويمسح آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة»^(١).

لا أظن أن أحداً يشك في دلالة الحديث، وهو صريح في تحريم المعازف وهي آلات الموسيقى، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله وأهله أخبر أنه سيكون من أمته من يستحل ما حرم الله عليهم من الحرّ (الفرج) - وهو كناية عن الزنا - والحرير، والخمر والمعازف، والأخير هو آلات الملاهى كالدف والعود والطبل والمزمار.

ثانياً: ما أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن الله حرم عليكم الخمر، والميسر، والكوبه»، وقال: «كل مسكر حرام»^(٢).

أما سند الحديث فقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد في موضعين^(٣)، والشيخ الألباني في كتابه تحريم آلات الطرب^(٤).

وأما الدلالة: فالكوبه هي الطبل، فقد نقل ذلك ابن منظور في لسان العرب عن ابن الأعرابي، وابن دريد في الجماهر في اللغة، والجوهري في الصحاح في اللغة، وابن فارس في مقاييس اللغة، وابن سيده في المخصص في اللغة^(٥).

ثالثاً: روى الطبراني بإسناده عن عامر بن سعد البجلي قال: دخلت على أبي مسعود وأبي بن كعب، وثابت بن زياد، وجواري يضربن بدف لهن ويغنين، فقلت: أتقرّون بذا، وأنتم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله؟ قال: «إنه قد رخص لنا في العرس، والبكاء على الميت في غير نوح»^(٦).

والتعبير بالترخيص في الموضوعين خير شاهد على أن الأصل هو الحرمة في

ص: ٣٢٦

١- صحيح البخارى: برقم ٥٢٦٨؛ فتح البارى: ١٠/٥٥؛ المجموع للنووى: ٢٠/٢٤١.

٢- مسند أحمد: ١/٢٧٤ و ٢٨٩ و ٣٥٠ و ٢/١٥٨، ١٦٥، ١٧١، و ٣/٤٢٢.

٣- انظر: مسند أحمد: ٤/٥٨ و ٢١٨.

٤- تحريم آلات الطرب: ٥٦.

٥- راجع في ذلك المعاجم اللغوية، ماده «كوب».

٦- المعجم الكبير: ١٧/٢٤٧.

عامه الأحوال والأشخاص، غير أنه خرج ما خرج.

ولعل فيما ذكرنا من الأدلة كفايه لمن يطلب الحق لاتباعه.

دليل القائل بالجواز

استدلّ القائل بجواز الغناء والموسيقى بروايات في متونها من الإشكال والهوان ما يغني الفقيه عن الفحص في صحه سندها، وإليك نماذج منها:

١. أخرج الترمذى في سننه عن عائشه قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا حبشيه تزفن - أى ترقص - والصبيان حولها، فقال: يا عائشه تعالي فانظري، فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لى: أما شبعت؟ أما شبعت؟ فجعلت أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر فارضّ الناس عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى لأنظر إلى شياطين الجنّ والإنس قد فرّوا من عمر، قالت: فرجعتُ (١).

أقول: إنّ هذا الحديث مهما كان سنده صحيحاً، فلا يصحّ متنه ومضمونه، فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله أجلّ وأعلى من أن ينظر إلى هذه المناظر، وأن يدعو عائشه لذلك، وهناك كلمه للعلامة الأمينى حول هذه الروايه، يقول: إنّ ماتحرّوه من إثبات فضيله للخليفه الثانى يجلب الفضائح إلى ساحه النبوه - تقدّست عنها - فأى نبي هذا يروقه النظر إلى الراقصات والاستماع لأهازيجهنّ وشهود المعازف، ولا يقنعه ذلك كله حتّى يُطلع عليها حليلته عائشه، والناس ينظرون إليهما من كذب، وهو يقول لها: شبعت؟ شبعت؟ وهى تقول: لا، لعرفان منزلتها عنده، ولا تزعه أبهه النبوه عن أن يقف مع الصبيان للتطلع على مشاهد اللهو شأن الدنابى والأوباش وأهل الخلاعه والمجون، وقد جاءت شريعته المقدسه بتحريم كل ذلك بالكتاب

ص: ٣٢٧

١- سنن الترمذى: ٥/٦٢١، برقم ٣٦٩١؛ مصابيح السنه: ٤/١٥٩، برقم ٤٧٣٧؛ مشكاه المصابيح: ٣/٣٤٣، برقم ١٠٤٩؛ الرياض النضرة: ٢/٢٥٥.

٢. عن بُريده: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جاريه سوداء، فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا.

فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها ثم قعدت عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألت الدف!

وفي لفظ أحمد: إن الشيطان ليفرق منك يا عمر.(٢)

أقول: والحديث لا يحتج به لوجه:

أولاً: قد نقله أحمد بن حنبل في مسنده بصور مختلفه فتاره نقل دف الجاريه على رأس النبي صلى الله عليه وآله فقط، دون أن يذكر شيئاً من دخول أبي بكر وعمر وعثمان عليه صلى الله عليه وآله(٣)، وأخرى دف الجاريه مع دخول أبي بكر ثم عمر دون أن يذكر دخول علي وعثمان.(٤)

ثانياً: اتفق الفقهاء على لزوم كون المنذور أمراً راجحاً لا محرماً ولا مكروهاً فلا ينعقد النذر إذا كان المنذور مكروهاً فضلاً عن كونه حراماً.

والضرب بالدف إما مكروه أو حرام، فكيف أجاز لها النبي الضرب بالدف عند رأسه؟! وقد أخرج أحمد عن أبي أمامه، عن النبي صلى الله عليه وآله: «قال تبيت طائفه من أمتي على أكل وشرب ولهو ولعب ثم يصبحون قرده وخنازير، فيبعث على أحياء من

ص: ٣٢٨

١- . الغدير: ٨/٩٩.

٢- . مسند أحمد: ٦/٤٨٥، برقم ٢٢٤٨٠؛ سنن الترمذي: ٥/٦٢٠، برقم ٣٦٩٠، وغيرها.

٣- . مسند أحمد: ٥/٣٥٦.

٤- . مسند أحمد: ٥/٣٥٣.

أحيائهم ريح فتسفههم كما نسفت من كان قبلهم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات» (١).

على أنّ الظاهر من الحديث أنّ الضرب بالدف كان أمراً قبيحاً، ولذلك لما دخل عمر ألقى الجارية الدف تحت إستها ثمّ قعدت عليه لتخفيه عن عمر، فالنبي صلى الله عليه وآله أولى بأن ينهاها عن ذلك الأمر القبيح ولا يسمح لها بالدف على رأسه.

ثمّ إنّ ظاهر الرواية أنّ عثمان دخل وهي تضرب وجلس دون أن تمسك الجارية، وهي تخالف ما رواه ابن أبي أوفى، قال: استأذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله وجاربه تضرب الدف فدخل، ثمّ استأذن عمر فدخل، ثمّ استأذن عثمان فأمسكت، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ عثمان رجل حيي (٢).

وثالثاً: أن قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «إنّ الشيطان ليخاف منك يا عمر» صريح بأنّه فعل الشيطان، وتفضيل لعمر على النبي صلى الله عليه وآله ومن حضره.

٣. روى أبو نصر الطوسي في اللمع أنّ النبي صلى الله عليه وآله دخل بيت عائشه فوجد فيه جاريتين تغنيان وتضربان بالدف، فلم ينههما عن ذلك، وقال عمر بن الخطاب حين غضب: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: «دعهما يا عمر فإنّ لكل قوم عيداً» (٣).

يلاحظ على الرواية: أنّ الظاهر من كلام عمر أنّ الدف من مزارم الشيطان، فيكون استعماله أمراً حراماً، ومع ذلك كيف رضى رسول الله صلى الله عليه وآله بوجوده في بيته بحجه أنّ لكل قوم عيداً، مع أنّ عيد المسلمين معروف ومحدّد، واحتمال أن يكون ذلك اليوم يوم عيد أمر بعيد؟! وعلى كل تقدير فلو استثنى فإنما استثنى في العيد لا مطلقاً.

وأظن أنّ الراوى كان بصدد بيان فضائل الخليفة الثاني، غافلاً عن أنّ مثل هذه

ص: ٣٢٩

١- . مسند أحمد: ٢٥٩/٥؛ صحيح مسلم: ١٨٥/٧، باب فضل الصحابة، أخرجه عن أبي هريره.

٢- . مسند أحمد: ٣٥٣/٤.

٣- . اللمع: ٣٤٥، برقم ١٥٣.

الروايات لا تنسجم مع قداسه ساحه النبوه وعظمتها.

ولهذا النوع من الروايات نظائر كثيره، منها:

أخرج أحمد في مسنده من حديث أبي هريره، بينما الحبشه يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه و آله بحرابهم، دخل عمر فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال له النبي صلى الله عليه و آله: «دعهم يا عمر»^(١).

ولعل فيما ذكرنا حول هذا الموضوع غنى وكفايه لمن طلب الحق ليُتبعه.

ص: ٣٣٠

١- . مسند أحمد: ٢/٥٩٤، برقم ٨٠١٩.

١٥ فى عدم مساواه ديه المرأه لديه الرجل(١)

اطلعتنا على العدد ٤٩٥ (آذار / ٢٠٠٧ م، صفر ١٤٢٨ هـ) من مجله «الشريعه» الغراء، ووجدنا فيه فتوى للشيخ يوسف القرضاوى تتضمن القول بأن ديه المرأه تساوى ديه الرجل، وأن الحكم بأن ديه المرأه على النصف من ديه الرجل لا يسنده نص صريح من القرآن الكريم ولا من السنه المطهره، كما لا يؤيده إجماع ولا قياس ولا مصلحه معتبره، وأن رأيه فى مساواه الديتين تعضده آراء علماء سابقين منهم صاحب المنار والشيخ محمود شلتوت والشيخ أبو زهره والشيخ محمد الغزالى.

ثم إنّه اعتذر عن فتوى العلماء فى القرون السابقه بالنصف بأنّ قتل المرأه خطأ أو شبه عمد فى الأزمنه الماضيه، كان من الندره فلم تعد مشكله حول الموضوع حتى تستدعى اجتهاداً جديداً من العلماء.

أقول: نحن نقدر الاجتهاد الحرّ الخارج عن إطار المذاهب المعينه، فإنّ الاجتهاد رمز خلود الإسلام واستمرار شريعته. ولكن نؤكد على لزوم اعتماد الاجتهاد الحر على الكتاب والسنه المطهره والإجماع وسائر الأصول المعبره وعدم الخروج عن مقتضاها قيد شعره.

هذا وقد عادت دراسه ديه الحره المسلمه إلى الساحة لأجل أنّ طابع العصر

ص: ٣٣١

١- تمّ تحرير هذه الرساله بتاريخ ١٧ ربيع الثانى ١٤٢٨ هـ.

الحاضر هو طابع العطف والحنان على النساء، بزعم أنّهنّ كنّ مهضومات الحقوق في الأدوار السابقة. فقامت مؤسسات وتشكّلت جمعيات لإحياء حقوقهن، وإخراجهن من زى الرقيّة للرجال، إلى الاستقلال والحريه، وربّما يتصوّر أنّ في القول بأنّ ديتها نصف ديه الرجل، هضمًا لحقوقها وإضعافًا وإهانته لها.

ومع ذلك كلّه ففي المسأله دليل قاطع من السنه المطهره وإجماع المسلمين على النصف.

اتّفاق الفقهاء على النصف

أمّا الإجماع فقد اتفقت كلمات الفقهاء على النصف عبر أربعه عشر قرنًا ولم يخالفهم إلّارجلين لا اعتبار لخلافهما.

قال ابن قدامه في شرحه: قال ابن المنذر وابن عبد البرّ: أجمع أهل العلم على أنّ ديه المرأه نصف ديه الرجل. وحكى غيرهما عن ابن عُلَيّه والأصمّ أنّهما قالوا:

ديتها كديه الرجل لقوله صلى الله عليه و آله: «في النفس المؤمنه مائه من الإبل»، وهذا قول شاذ يخالف إجماع الصحابه وسنّه النبي صلى الله عليه و آله فإنّ في كتاب عمرو بن حزم: «ديه المرأه على النصف من ديه الرجل» وهى أخص ممّا ذكروه، وهما في كتاب واحد فيكون ما ذكرنا مفسّرًا ما ذكروه، ومخصصًا له.

وديه نساء كلّ أهل دين، على النصف من ديه رجالهم على ما قدّمنا في موضعه. (١)

وقال القرطبي (المتوفّى: ٥٩٥ هـ): اتفقوا على أنّ ديه المرأه نصف ديه الرجل والنفس. (٢)

وقال شمس الدين السرخسى (المتوفّى ٤٩٥ هـ): بلغنا عن على عليه السلام أنّه قال:

في ديه المرأه على النصف من ديه الرجل في النفس وما دونها (الأعضاء

ص: ٣٣٢

١- . المغنى: ٩/٥٣١-٥٣٢.

٢- . بدايه المجتهد: ٢/٤٢٦.

والجراح) وبه نأخذ. (١)

ومن رجع إلى الكتب الفقهية يجد نظير هذه الكلمات فلا حاجة إلى نقل كلماتهم. والذي نلفت إليه نظر الأستاذ أنه لم يخالف ذلك القول في العصور الماضية إلّا رجلاً:

أحدهما: ابن عُثَيْم: وهو إسماعيل بن إبراهيم المصري (١١٠-١٩٣ هـ) الذي كان مقيماً في بغداد وولى المظالم فيها في آخر خلافه الرشيد، وكفى في سقوط رأيه أنه سيئ الأخلاق والسلوك.

وكتب له عبدالله بن مبارك أبياتاً مستهلهما:

يا جاعل الدين له بازيا يصطاد أموال المساكين (٢)

ثانيهما: أبو بكر الأصمّ عبدالرحمن بن كيسان المعتزلي صاحب المقالات في الأصول، والمعتزله يعتمدون على العقل أكثر ممّا يعتمدون على النقل، ولذلك لا يطلق عليهم أهل السنّة في مصطلح أهل الحديث والأشاعره.

وأى إجماع أعظم وأتقن من اتفاق الفقهاء على حكم مضت عليه قرون متماديه لم ينبس فيها أحد ببنت شفه إلّا رجلاً قد علمت حالهما، والعجب أنّ الدكتور في صدر كلامه يقول: (لا يؤيده إجماع ولا قياس ولا مصلحة معتبره).

ونقرأ في آخر الخبر أنّ المعلّق قد كتب أنّ رأى الدكتور القرضاوى هذا يأتي مخالفاً لآراء الفقهاء أصحاب المذاهب الأربعة الشهيره، والمذهب الظاهري والزيدى والمذهب الجعفرى والمذهب الأباضى.

ولعله حاول بذلك إعطاء أهميه لهذا البحث.

هذا ما يمكن ذكره عن الإجماع، وأمّا السنّة:

ص: ٣٣٣

١- المبسوط للسرخسى: ٢٦/٧٩، كتاب الديات.

٢- طبقات الفقهاء: ٢/٦١.

١. أخرج البيهقي بسندين في أحدهما ضعف دون الآخر، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ديه المرأه على النصف من ديه الرجل».(١)

٢. أخرج البيهقي بسنده عن مكحول وعطاء قالوا: أدركنا الناس على أنّ ديه المسلم الحرّ على عهد النبي صلى الله عليه وآله مائه من الإبل، فقوّم عمر بن الخطاب تلك الديه على أهل القرى ألف دينار أو اثني عشر ألف درهم، وديه الحرّ المسلمه إذا كانت من أهل القرى خمسمائه دينار أو ستة آلاف درهم، فإذا كان الذي أصابها من الأعراب فديتها خمسون من الإبل، وديه الأعرابيه إذا أصابها الأعرابي خمسون من الإبل لا يُكلّف الأعرابي الذهب ولا الورق.(٢)

٣. أخرج البيهقي عن حمّاد عن إبراهيم، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال:

عقل المرأه على النصف من ديه عقل الرجل من النفس وفيما دونها(٣) والمراد بإبراهيم، هو إبراهيم النخعي (المتوفى ٩٣ هـ) وهو لم يدرك عليّ بن أبي طالب، والسند منقطع.

٤. أخرج النسائي والدارقطني، وصحّحه ابن خزيمة، عن النبي صلى الله عليه وآله: «عقل المرأه مثل عقل الرجل حتّى يبلغ الثلث من ديته»(٤).

التنصيف في ديه الأعضاء

هذا في ديه النفس وهكذا الكلام في ديه الأعضاء والجراحات، إذ اتفق الفقهاء على أنّ ديه المرأه تساوي ديه الرجل في الأروش المقدره إلى حدّ خاص، فإذا انتهت إليه فعلى النصف، وهذه الضابطه أمر متفق عليه، غير أنّ الاختلاف في

ص: ٣٣٤

١- . سنن البيهقي: ٨/٩٥.

٢- . سنن البيهقي: ٨/٩٥.

٣- . نفس المصدر السابق.

٤- . التاج الجامع للأصول: ٣/١١؛ بلوغ المرام برقم ١٢١٢.

الحدّ الذي إذا بلغتة الدية، تكون على النصف والضابطه نفسها تؤيد الكبرى الكليه في أنّ ديه المرأه، نصف ديه الرجل، والاختلاف في الحدّ الذي إذا بلغتة ترجع إلى النصف لا يضرب بها.

والمشهور أنّ المرأه تعاقل الرجل في ديه الأعضاء والجراحات إلى ثلث الديه فاذا تجاوزت الثلث رجعت إلى النصف، روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «المرأه تعاقل الرجل إلى ثلث ديتها».

وقال ربيعه: قلت لسعيد بن المسيب: كم في إصبع المرأه؟ فقال: عشر، قلت:

ففي إصبعين؟ قال: عشرون. قلت: ففي ثلاث؟ قال: ثلاثون، قلت: ففي أربع؟ قال:

عشرون. قلت له: لما عظمت مصيبتها قلّ عقلها؟! قال: هكذا السنّه.

قوله: «هكذا السنّه» دالّ على أنّه أراد سنّه النبي صلى الله عليه وآله وإجماع الصحابه والتابعين. (١)

وقد أخرج البيهقي بسند متصل إلى زيد بن ثابت أنّه قال: جراحات الرجال والنساء سواء إلى الثلث وما زاد فعلى النصف. (٢)

ما هي المصلحه في تنصيف الديه؟

يقول الشيخ القرضاوى من أنّ التنصيف لا تؤيده مصلحه.

ولعلّه عنى أنّ التفريق بين الديتين تفريق بلا سبب ولا مصلحه.

ولكن هناك مصلحه نشير إليها، وهي:

إنّه لا شك في أنّ المرأه المسلمه كالرجل المسلم من حيث دورها وأهميتها في المجتمع، وليس الاختلاف في الديه دليلاً على نقصان في كرامتها، وإنّما شرعت الديه لسدّ الضرر المالى الوارد على الأسره بسبب قتل النفس، ومن المعلوم أنّ الضرر المالى والخلل الاقتصادى الذى يصيب العائله بفقد الرجل أكثر

ص: ٣٣٥

١- . الخلاف: ٥/٢٥٤-٢٥٦، المسأله ٦٣.

٢- . سنن البيهقي: ٨/٩٧، ولاحظ بقية الروايات في نفس المصدر.

منه في حالة فقدان المرأة.

ولذلك أصبحت ديه المرأة نصف ديه الرجل. كل ذلك حسب طبيعه المجتمع الإسلامى الذى حمّل الرجل مسؤوليه إداره الأُسره والقيومه.

وهناك شبهات وشكوك حول التنصيف تركنا التعرض لها روماً للاختصار.

وأخيراً نرجو من الأستاذ إن كان قد اطلع على ما لم نطلع عليه من الأدله الشرعيه الداله على التساوى فلئيدل بدليله.

ص: ٣٣٤

١. فقه أهل البيت عليهم السلام بين أهل السنّه والشيعة
٢. التشيع تاريخاً وعقيدته
٣. الأواصر العلميه بين علماء الشيعة والسنّه، خطوه نحو التقريب
٤. رساله مفتوحه إلى الدكتور يوسف القرضاوى والرد على ادّعاءاته ضد الشيعة والتشيع
٥. رساله إلى الدكتور عيسى بن مانع الحميرى
٦. رساله إلى الدكتور عبد الرحمن الصالح المحمود والرد على اتهامه الشيعة فى مسأله الإسناد وعلم الرجال
٧. الاحتفال بالمولد النبوى الشريف
٨. رساله إلى أحد أعلام التقريب من أهل السنّه حول تكفير أتباع أهل البيت عليهم السلام من قبل بعض الخطباء والوعاظ
٩. ادانه مشيرى الفتنه
١٠. ادانه إهانته القرآن الكريم
١١. رساله إلى الدكتور الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على خير خلقه وخاتم رسله محمد المصطفى ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الميامين وعباد الله الصالحين.

نتقدم بالشكر الوافر إلى كافة المشاركين في هذا المحفل العلمى الكريم(١)، ونخصّ بالذكر الأخوه المشرفين، ومسؤولى جامعه قطر العامره.

الموضوع الذى نحن بصدد دراسته، يحتل أهميه بارزه على صعيد الوحده الإسلاميه المنشوده، وسنبحثه فى فصلين بينهما ارتباط وثيق، وهما:

الأول: التعرف على أهل البيت عليهم السلام وفقههم.

الثانى: التعرف على المدرسه الفقيهيه للشيعة الإماميه، المقتبسه من أهل البيت عليهم السلام وفقههم.

ص: ٣٣٩

١- . انعقد حفل علمى للتعرف على فقه أهل البيت عليهم السلام سنه ١٤٢٩.

إشاره

هذا الفصل يشتمل على محاور ثلاثة وخاتمه، والمحاور هي:

الأول: مَنْ هم أهل البيت؟

الثاني: ما هو الدليل على حجّيه فتاواهم على المسلمين كافة.

الثالث: مصادر فتاواهم.

فلندرس هذه المحاور واحداً تلو الآخر، فنقول:

المحور الأول مَنْ هم أهل البيت؟

إشاره

إنّ عبارته «أهل البيت» مركبه من كلمتين؛ الأهل والبيت، وكل منهما واضح المعنى، إنّما الكلام فيما إذا أُضيف الأهل إلى البيت أو إلى الرجل فماذا يراد منها؟

ثمّه آراء ثلاثة في تفسير المراد من هذه العبارة:

١. أنّها تشمل كل من له صله وطیده مؤكده (من نسب أو سبب أو غيرهما) بالبيت والرجل، من غير فرق بين الأزواج والأولاد. ويستفاد هذا من كتب اللغة وموارد استعمال هذه العبارة في الكتاب والسنة، وما ورثناه من الأدب والشعر.

٢. أنّها تخصّ الزوجات.

٣. أنّها تخصّ الأولاد.

وكل من الرأيين الأخيرين شاذ، يخالف نصوص القرآن والسنة، فالقرآن الكريم استعمل الأهل في زوجه موسى، قال سبحانه: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ

وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا. (١)

استعملها أيضاً في الأولاد، قال سبحانه حاكياً عن نوح عليه السلام: (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنِّي وَعْدَكَ الْحَقُّ) (٢). ولا ينافيه قوله سبحانه: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) (٣) كما هو واضح لمن تدبر في خطاب نوح.

إلى غير ذلك من دلائل متوفره في استعمال الأهل المضاف إلى البيت والرجل في كلا الموردین.

هذا فيما يتعلّق بتحديد المفهوم، وهناك بحث آخر، وهو أنه هل أريد من آیه التطهير كل من انتمى إلى البيت من أزواج وأولاد، أو أنّ هناك قرائن خاصه على أنّ المقصود قسم من المنتمين إليه؟ وليس الثاني أمراً غريباً لأنّ المفهوم العام، قد يُطلق ويراد به جميع المنتمين، وقد يطلق ويراد به بعضهم، ونحن نعتقد بالثاني، وأنّ المراد غير الأزواج. وتدلّ على ذلك القرينتان التاليتان:

الأولى: أفراد البيت في مقابل البيوت

نرى أنّ سبحانه في سورة الأحزاب - عندما يخاطب نساء النبي - يأتي بصيغه الجمع، ويقول: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) (٤).

و (وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ) (٥).

وعندما يصل إلى آل النبي يأتي بصيغه المفرد ويقول:

(أَهْلَ الْبَيْتِ).

وهذا يدل على أنّ أهل البيوت بصيغه الجمع غير أهل البيت بصيغه المفرد.

ص: ٣٤١

١- . القصص: ٢٩.

٢- . هود: ٤٥.

٣- . هود: ٤٦.

٤- . الأحزاب: ٣٣.

٥- . الأحزاب: ٣٤.

فلو كان المراد من أهل البيت نساءه وأزوجه لما عدل عن صيغه الجمع التي أتى بها مرتين في آيه بعد آيه، إلى الأفراد.

الثانية: اللام في أهل البيت للعهد

إن اللام في قوله: (أَهْلَ الْبَيْتِ) لها احتمالات ثلاثة:

١. أن تكون للجنس كما في قوله سبحانه: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ). (١)

وهذا الاحتمال منتفٍ قطعاً على وجه لا يحتاج إلى بيان.

ب. الاستغراق، وهذا الاحتمال كسابقه، إذ ليست الآية بصدد بيان جميع البيوت في العالم.

فتعين الثالث وهو أن تكون مشيره إلى بيت واحد معهود بين المتكلم والمخاطب، ولذا يجب التعرف على ذلك البيت.

فهو في بادئ النظر يحتمل أحد بيوت ثلاثة:

١. أن يكون للنبي بيت خاصّ مستقلّ عن بيوت أزواجه.

٢. أن تكون الآية مشيره إلى بيت واحد من بيوت أزواجه.

٣. أن تكون الآية مشيره إلى بيت فاطمه التي هي من أهله وأولاده.

ولا سبيل للأول إذ لم يكن للنبي بيت مستقل، وإنما كان بيته هو بيوت أزواجه.

كما أنّ الثاني كالأول لعدم تحقق العهديه في أحدها، لأنّ بيوت الأزواج كانت عند النبي على السواء. ولم يكن لواحد منها خصوصيه تميّزه عن غيره حتّى تشير الآية إليه.

فتعين الاحتمال الثالث وهو بيت أولاده، وهو بيت فاطمه.

فقد كان لفاطمه بيت بجوار بيوت أزواجه تسكن فيه مع ولديها وزوجها.

ص: ٣٤٢

وفى الآيه احتمال آخر وهو أنّ المراد من «البيت» هو «بيت النبوه» و «بيت الرساله»، لا- البيت المبنى من الأحجار والأخشاب، تشبيهاً للمعقول بالمحسوس.

وعندئذٍ لا يمكن أن يُعدّ من أهله، كل من انتمى إلى النبي صلى الله عليه و آله عن طريق السبب والنسب فقط، بل من انتمى إليه أيضاً - وراء أحد هذين الأمرين - بوشائج معنويه خاصّه على وجه يصحّ عند ملاحظتها، عدّهم أهلاً لذلك البيت. وتلك الوشائج عباره عن النزاهه فى الروح والفكر، والصلاح والتقى فى مقام العمل، وعلى ضوء هذا لا- يصحّ تفسير الآيه بكل المنتسبين إليه صلى الله عليه و آله عن طريق الأواصر المادّيه والروابط الظاهريه.

ولو أخذنا بهذا التفسير، فالقدر المتيقّن ممّن ينتمى إلى ذلك البيت الشامخ، هو على وفاطمه وابناهما، الذين شهد التاريخ بسموّ منزلتهم وشموخ فكرهم ونزاهه آرائهم ونشدانهم لرضا الله سبحانه فى أقوالهم وأفعالهم، إلى غير ذلك من المناقب والفضائل التى اكتسبوها من النبي صلى الله عليه و آله فصاروا كمرايا له، يحكون صفاته وأخلاقه وسجاياه.

وأما مشكله السياق - حيث إنّ هذه الآيه جاءت فى ثنايا خطابه سبحانه لثناء النبي صلى الله عليه و آله - فالبحث عنها موكول إلى محل آخر.

ونحن نكتفى فى إيضاح الآيه واختصاصها ببيت فاطمه وولديها وزوجها بهاتين القرينتين، وهناك قرائن أخرى طوينا عنها الكلام رافه بالوقت.

أهل البيت عليهم السلام فى لسان النبي الأكرم صلى الله عليه و آله

مما توصّينا إليه فى كلامنا المتقدم، هو من معطيات الآيه الكريمه فقط، مع غضّ النظر عما ورد حولها من السنّه الشريفه، ولكننا إذا ارتدنا هذا الحقل، فسنجد فى هذا الصدد خمساً وثلاثين روايه تنتهى أسانيداً إلى أقطاب الحديث من الصحابه، وهم: أبو سعيد الخدرى، وأنس بن مالك، وابن عباس، وأبو هريره،

وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

وللنبي صلى الله عليه وآله أساليب مختلفه في التعريف بأهل البيت، كما تكشف عن ذلك هذه الروايات فتاره يصرح صلى الله عليه وآله بأسماء من نزلت الآيه في حقهم حتى يتعين المنزل فيه.

وأخرى يلجأ إلى أسلوب عملي للتعريف بهم، فيجللهم - مثلاً - وحدهم بكساء ويمنع غيرهم من الدخول فيه، ثم يشير بيده إلى السماء ويقول: «اللهم إن لكل نبي أهل بيت، وهؤلاء أهل بيتي». ومن الواضح أنه صلى الله عليه وآله يرمى من وراء ذلك، تأكيد اختصاص الآيه بهؤلاء المجللين بالكساء.

وثمه أسلوب آخر، عرضته لنا الروايات، وهو أنه صلى الله عليه وآله كان يمر ببيت فاطمه عده شهور كلما خرج إلى الصلاة ويقول: الصلاة أهل البيت، ويتلو الآيه المباركه.

يقول الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود، وهو يعلق على فعل الرسول هذا:

أرى أن النبي كان في مستهل كل يوم، يردد ويكرر ما يردد ويكرر، لكي يخفر في القلوب والأذهان أن آل بيته هؤلاء هم أعلى مقاماً، وآثر على الله ورسوله، وأحق بالموده والرعايه والاتباع من الخلق أجمعين. (١)

وإليك روايتين فقط مما ورد في هذا المجال:

١. روى مسلم في صحيحه عن عائشه قالت: «خرج النبي صلى الله عليه وآله غداه وعليه مرط مُرَحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمه فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). (٢)

٢. أخرج الترمذى في سننه عن عمر بن أبي سلمه ربيب النبي صلى الله عليه وآله قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ)

ص: ٣٤٤

١- في نور محمد، فاطمه الزهراء: ١٤٥/٢.

٢- صحيح مسلم: ١٢٠٧، الحديث ٢٤٢٤، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، دار ابن حزم، بيروت - ١٤٢٣ هـ.

وَيُطَهَّرُكُمْ تَطْهِيراً) (١) في بيت أم سلمه فدعا فاطمه وحسناً وحسيناً فجعلهم بكساء، وعلّى خلف ظهره فجعلهم بكساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت أم سلمه: وأنا معهم يا نبي الله، قال: «أنت على مكانك وأنت على خير». (٢)

إلى هنا يتم الكلام في الصغرى أى من هم أهل البيت، وحن الوقت للتعرف على حجّيه فتاواهم، وهو المحور الثانى فى هذا الفصل.

المحور الثانى الدليل على حجّيه فتاواهم على المسلمين كافه

هذا هو المحور الثانى فى مقالنا، وهو بيت القصيد، أعنى: إقامه الدليل على حجّيه فقهم وفتاواهم على عامه المسلمين.

إنّ المسلمين وإن اختلفوا بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله فى صيغه الخلافه وأنها هل هى منصب تنصيبى أو منصب انتخابى، ولكل من الطائفتين رأى ونظر ودليل، ونحن لا نحوم حول هذا الموضوع، ولكن الذى أحب أن أنوه عليه، هو أنه على الرغم من الخلاف المذكور، فإنهم متفقون - استناداً إلى الحديث المتضافر، بل المتواتر أعنى: حديث الثقلين - على أن أهل البيت عليهم السلام هم المرجع الفكرى والعلمى والشرعى لهم.

ولا محيص للمسلم من الرجوع إليهم وأخذ دينه وشريعته عنهم، استجابة لوصيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذى جعلهم المفزع بعده، مبيّناً أنّ الكتاب والعترة توأمان

ص: ٣٤٥

١- .الأحزاب: ٣٣.

٢- . سنن الترمذى: ٣٥٠/٥ برقم ٣٢٠٥، تفسير سوره الأحزاب.

لا يفترقان، وهنا نشير إلى بعض ألفاظ حديث الثقلين كما وردت في الصحاح والمسانيد، ولا يمكننا في هذه العجالة الإشارة إلى أسماء من روى هذا الحديث عبر القرون.

أخرج مسلم في صحيحه: عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول الله يوماً فينا خطيباً - إلى أن قال: - وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي. (١)

أخرج الترمذى عن جابر بن عبد الله قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجته يوم عرفه وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتة يقول: يا أيها الناس إنى تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتى أهل بيتي». (٢)

وأخرج الترمذى أيضاً عن زيد بن أرقم أنه صلى الله عليه وآله قال: «إنى تركت ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». (٣)

وروى أحمد في مسنده أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «إنى تارك فيكم خليفين:

كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض (أو: ما بين السماء إلى الأرض)، وعترتى أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». (٤)

وأخرج أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وآله قال: «إنى أوشك أن أدعى فأجيب، وإنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل، وعترتى؛ كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتي، وأن اللطيف

ص: ٣٤٦

١- . صحيح مسلم: كتاب المناقب، رقم ٦١١٩.

٢- . سنن الترمذى: كتاب المناقب برقم ٣٨١١.

٣- . سنن الترمذى: كتاب المناقب برقم ٣٨١٣.

٤- . مسند أحمد: ١٨٢/٣ و ١٨٩.

الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».(١)

وروى الحاكم في مستدركه على الصحيحين عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وأهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».(٢)

وأخرج الحاكم في المستدرک - أيضاً - من حديث زيد بن أرقم أنه صلى الله عليه وآله قال في منصرفه من حجة الوداع ونزوله غدیر خم: «كأنني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».(٣)

يستفاد من حديث الثقلين أمور مهمه، لو اعتنت بها الأمة لاجتمعت على مائده أهل البيت عليهم السلام، واستطابت ألوآنها وهي:

١. إن اقتران العتره الطاهره بالقرآن الكريم فيه إشاره إلى أنهم يعلمون من القرآن ما يليق بشأنه.

٢. إن التمسك بالكتاب والعتره يعصم من الضلاله ولا يغني أحدهما عن الآخر.

٣. يحرم التقدّم على العتره كما يحرم الابتعاد عنهم.

٤. إن العتره لا تفارق الكتاب، وأنهما مستمّران إلى يوم القيامه.

قال ابن حجر بعد نقل حديث الثقلين: وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشاره إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامه، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض. ثم قال: أحق من يتمسك منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لما قدّمناه من مزيد علمه

ص: ٣٤٧

١- . مسند أحمد: ١٧/٣ و ٢٤.

٢- . المستدرک للحاكم: ١٤٨/٣.

٣- . المستدرک للحاكم: ١٠٩/٣.

إنَّ الإمعان في حديث الثقلين يثبت بوضوح حججه فتاواهم وآرائهم وأقوالهم، وأنَّ من أخذ بها فقد أخذ من معين صافٍ، كيف لا- وأهل البيت - كما يفيد الحديث - قرناء القرآن وأعداله، لا يختلفان ولا يفترقان، فكما يُعصَم من تمسك بالقرآن من الغي والضلال، فكذلك يُعصَم منهما من تمسك بأهل البيت، وكما أنَّ القرآن هو (الناصح الذي لا يُغش، والهادي الذي لا يُضل، والمحدث الذي لا يكذب) (٢)، فإنَّ أهل البيت أيضاً (هم أزمه الحق، وأعلام الدين، وألسنه الصدق). (٣)

ولا نريد أن نتكلم في دلالة حديث الثقلين، ولنكتفِ بما قلناه.

وإذا كانت هذه مكانه أهل البيت ومنزلتهم في حديث الرسول صلى الله عليه وآله فما هو مصدر علومهم وفتاواهم في الأحكام الشرعية. هذا ما سنبحثه الآن، وهو المحور الثالث للفصل الأول.

المحور الثالث مصادر فتاواهم

إشاره

إنَّ لعلوم أهل البيت عليهم السلام مصادر نشير إلى أبرزها:

١. استنطاق كتاب الله العزيز

لقد آتى الله سبحانه أئمه أهل البيت فهماً خاصاً لكتاب الله العزيز يستنبطون

ص: ٣٤٨

١- . الصواعق المحرقة: ٤٣٧/٢.

٢- . نهج البلاغه: ٩١/٢، الخطبه رقم ١٧٦.

٣- . نهج البلاغه: ١٥٤/١، الخطبه رقم ٨٦.

منه أحكاماً شرعية، قلما يتفق لغيرهم مثلها، ونذكر في المقام نموذجين حتى تُعرف بهما نظائرهما:

١. في عهد الخلافة، أتى بامرأه قد ولدت لسته أشهر فأمر بها أن تُرجم فقال علي بن أبي طالب عليه السلام ليس ذلك عليها. قال الله تبارك وتعالى: (وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) (١). (و الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) (٢)، فالرضاعه أربعه وعشرون شهراً والحمل ستة أشهر. (٣)

نرى هنا أنّ الإمام علي عليه السلام قد استنطق كتاب الله في مده أقل الحمل واستخرجها من ضم آيه إلى آيه أخرى، وهذا هو المعروف في ألسن الأصوليين بدلاله الإشاره.

روى المحدث الطائر الصيت ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه «المناقب»: قُدِّمَ إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأه مسلمه فأراد أن يقيم عليه الحد، فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الإيمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم: يُضرب ثلاثة حدود، فكتب المتوكل إلى الإمام علي الهادي عليه السلام يسأله، فلما قرأ الكتاب، كتب: يُضرب حتى يموت، فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب إليه يسأله عن العله، فكتب عليه السلام: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ). (٤)

فأمر به المتوكل فضرب حتى مات. (٤)

إنّ الإمام الهادي عليه السلام بيانه هذا قد شقّ طريقاً خاصاً لاستنباط الأحكام من

ص: ٣٤٩

١- . الأحقاف: ١٥.

٢- . البقره: ٢٣٣.

٣- . سنن البيهقي: ٤٤٣/٧؛ والدر المنثور: ٦٨٨/١، وغيرهما.

٤- . مناقب آل أبي طالب: ٤٠٥/٤.

الذكر الحكيم، طريقاً لم يكن يحلم به فقهاء عصره، وكانوا يزعمون أنّ مصادر الأحكام الشرعيه هي الآيات الشرعيه هي الآيات الواضحه في مجال الفقه التي تبلغ قرابه ثلاثمائه آيه، وبذلك أبان للقرآن وجهاً خاصاً لدلالته، لا يلتفت إليه إلا من نزل القرآن في بيته.

٢. سنه رسول الله صلى الله عليه وآله

إنّ المصدر الثاني لفقه أهل البيت عليهم السلام هو سنه رسول الله صلى الله عليه وآله التي وصلتهم عن طريقين رئيسيين هما:

أ. السماع عنه صلى الله عليه وآله

يروى أئمه أهل البيت كثيراً من سنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن طريق السماع كابراً عن كابر، فمثلاً يروى الإمام الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين إلى أن ينتهي السند إلى النبي الأكرم.

وهذا النوع من الروايه هو المعين الصافي الذي لم يكدره الشك والترديد في الصحه والضبط.

قال الشيخ أبو نعيم الأصبهاني بعد أن روى حديث (سلسله الذهب) الذي رواه الإمام عليّ الرضا عن آبائه عليهم السلام: هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من روايه الطاهرين عن آبائهم الطيبين، وكان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد، قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق. (١)

وقصه هذا الحديث، هو أنّ الرضا عليه السلام لما وافى نيسابور، وأراد أن يخرج منها إلى المأمون العباسي، ازدحم عليه أصحاب الحديث (وفى طليعتهم إسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع القشيري، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأحمد بن

ص: ٣٥٠

حرب، وغيرهم)، وطلبوا منه أن يُملى عليهم حديثاً، فقال عليه السلام: حدّثني أبي موسى بن جعفر، حدّثني أبي جعفر بن محمد، حدّثني أبي محمد بن علي، حدّثني أبي علي بن الحسين بن علي، حدّثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، حدّثنا رسول الله صلى الله عليه و آله عن جبريل عليه السلام، قال: قال الله عزّ وجلّ:

«إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني، من جاءني منكم بشهاده أن لا إله إلا الله بالإخلاص، دخل في حصني، ومن دخل في حصني أمن من عذابي».(١)

ب. كتاب علي عليه السلام

لقد كان لعلي عليه السلام كتاب خاص بإملاء رسول الله صلى الله عليه و آله وقد حفظته العترة الطاهرة، وصدرت عنه في مواضع كثيرة ونُقلت نصوصه في موضوعات شتى، وقد بثّ الحر العاملي في موسوعته الحديثية (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) أحاديث ذلك الكتاب حسب الأبواب الفقهية المختلفة من الطهاره إلى الديات.

وإليك كلام الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في حق هذا الكتاب، قال: «إنّ العلم فينا ونحن أهله وهو عندنا مجموع كلّه بحذافيره، ومنه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتّى أرش الخدش إلّا وهو عندنا مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه و آله وخط علي عليه السلام بيده».(٢)

ولأئمه أهل البيت عليهم السلام كلمات ضافيه حول هذا الكتاب لا يسع المجال لذكرها.

ص: ٣٥١

١- . نفس المصدر. وانظر: المنتظم (لابن الجوزي): ١٢٠/١٠، الترجمة ١١١٤.

٢- . بحار الأنوار: ٤٧/٨٩.

ربّما تشمل عنايه الله سبحانه بعض عباده الصالحين فيجعلهم علماء فهاء من عنده، من دون أن يدرسوا على يد أحد، وهذا ليس بأمر غريب وله نظائر:

١. إنه سبحانه يصف مصاحب موسى عليه السلام بقوله: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (١) فقد ذكر سبحانه في حقه أمرين:

أ. (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) .

ب. (عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) .

فإنّته رحمه الله وعنايته فصار عالماً بتعليم منه سبحانه، من دون أن يكون نبياً بل كان إنساناً مثالياً وولياً من أولياء الله سبحانه بلغ من العلم والمعرفة مكانه دعت موسى - وهو نبي مرسل - إلى أن يطلب العلم منه حيث خاطبه بقوله: (هَيْلُ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) (٢).

٢. أنه سبحانه أعطى لجلس سليمان عليه السلام علماً من الكتاب أقدره ذلك العلم على خرق العاده، كما وصفه سبحانه بقوله: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي) (٣)، وهذا المجلس لم يكن نبياً ولكن كان عنده علم من الكتاب. وهو لم ينله بالطرق العادية التي يتدرج عليها الصبيان والشباب في المدارس والجامعات، بل كان علماً إلهياً أفيض عليه لصفاء قلبه وروحه.

ما ذكرناه نماذج لمن شملتهم العناية الإلهية فصاروا علماء فقهاء حكماء من عند الله تبارك وتعالى.

فلنعطف نظرنا إلى الأئمة الاثني عشر فيما أنّهم قد أنيطت بهم عزه الدين كما في حديث الرسول صلى الله عليه وآله إذ قال: «لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفه»

ص: ٣٥٢

١- . الكهف: ٦٥.

٢- . الكهف: ٦٦.

٣- . النمل: ٤٠.

وهو ما رواه مسلم في صحيحه. (١)

كما أُنيطت بهم الهدايه كما في حديث الثقلين حيث قال صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» فأئمه أهل البيت ليسوا بأقل شأنًا ومكانه من مصاحب موسى أو جليس سليمان، فأى وازع من أن يحيطوا بسنن النبي وعلوم الشريعة بعلم موهوب من دون أن يكونوا أنبياء بل أنهم عيبه علم الرسول ورواه سننه بواسطة هذا المنهج.

وربما يعبر عن أسباب العلم الموهوب بكون الرجل محدثًا - بفتح الدال - وقد استفاضت الروايات بوجود رجال محدثين في الأئمة الإسلاميه يُلهمون ويُلقي في روعهم شىء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفه من المبدأ الأعلى، أو أن تُنكت لهم في قلوبهم حقائق تخفى على غيرهم.

وقد حفلت المصادر الحديثيه بالعديد من الروايات المؤيده لهذه الحقيقه. (٢)

هذا والتاريخ أصدق شاهد على علومهم في مجالى العقيدته والشريعته فقد رجع إليهم المسلمون وعلى رأسهم الفقهاء فى القرون الثلاثه، وأشادوا بعلو كعبهم فى العلم والفقه، من غير فرق بين الأئمه الأربعه وغيرهم.

خاتمه المطاف رجوع كبار الفقهاء إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام

كان أئمه أهل البيت عليهم السلام فى عصر الصحابه والتابعين ومن بعدهم منائر العلم يستضىء بأنوار علومهم، كل من أراد الفقهه والفقاهه.

ص: ٣٥٣

١- . صحيح مسلم، كتاب الأماره، برقم ٤٦٠١-٤٦٠٣.

٢- . انظر: صحيح البخارى: ٢٠٠/٤، باب مناقب المهاجرين وفضلهم؛ وإرشاد السارى للقسطلانى: ٩٩/٦؛ و ج ٤٣١/٥؛ و شرح صحيح مسلم للنووى: ١٦٦/١٥.

فقد ذكر ابن أبي الحديد أنّ علياً عليه السلام هو أساس الفقه الإسلامي، الذي حمل لواءه أئمة المذاهب، ثم يبين ذلك بقوله: أمّا أصحاب أبي حنيفة كمحمد بن الحسن، وأبي يوسف، فقد أخذوا عن أبي حنيفة، وقد قرأ الشافعي على محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، فيرجع الشافعي بهذه الوساطة إلى أبي حنيفة، وقرأ أحمد بن حنبل على الشافعي، فيرجع في فقهه إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة تتلمذ على الإمام جعفر بن محمد، وجعفر بن محمد ينتهي في علمه وفقهه إلى جدّه علي بن أبي طالب. وأمّا مالك، فقد قرأ على ربيعه الرأي، وربيعه أخذ عن عكرمه، وعكرمه أخذ عن عبد الله بن العباس، وعبد الله مصدره الإمام علي بن أبي طالب. (١)

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري، وهو يتحدث عن أبي حنيفة: كان وارث علوم أصحاب ابن مسعود، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، الذين كانت الكوفة امتلأت بهم. (٢)

وقال الكوثري أيضاً: عن ابن مسعود بتفقيه أهل الكوفة، حتّى امتلأت الكوفة بالفقهاء، ولما انتقل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى الكوفة سيّر من كثرة فقهاءها جداً... ووالى باب مدينه العلم تفتيهم، إلى أن أصبحت الكوفة لا مثيل لها في أمصار المسلمين في كثرة فقهاءها ومحدثيها. وأضاف: فكبار أصحاب عليّ، وابن مسعود رضي الله عنهما بها لو دونت تراجمهم في كتاب خاص لأتى كتاباً ضخماً. ثم قال: وقد جمع شتات علوم هؤلاء إبراهيم بن يزيد النخعي. (٣)

أقول: وعن إبراهيم النخعي، أخذ حماد بن أبي سليمان (المتوفى ١٢٠ هـ) الفقه، وعن حماد أخذ أبو حنيفة.

أمّا مالك بن أنس، فقد أخذ عن جعفر الصادق، وروى عنه في «الموطأ» في

ص: ٣٥٤

١- . انظر: شرح نهج البلاغه: ٢١/١-٣٠.

٢- . مقالات الكوثري: ٢٠٩ (حول فكره التقريب بين المذاهب).

٣- . مقالات الكوثري: ٢٢٠-٢٢١ (اللامذهبيه قنطره اللاديني).

أربعة عشر موضعاً. (١)

ولأجل بيان مكانه أئمه أهل البيت في دنيا العلم والفقہ، نورد هنا كلمات بعض الأعلام في حق عدد منهم عليهم السلام، فالبحث لا يتسع لأكثر من ذلك.

قال ابن سعد في ترجمه محمد الباقر عليه السلام: كان عالماً عابداً ثقه، وروى عنه الأئمه أبو حنيفه وغيره. (٢)

وقال أبو حنيفه عقب إجابته جعفر الصادق عليه السلام عن أربعين مسأله هتأها له بطلب من المنصور العباسي: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد. (٣)

وقال فخر الدين الرازي عند تفسير سوره الكوثر: فانظر إلى أهل البيت كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكيه (٤) وأمثالهم. (٥)

وقال الشيخ محمد أبو زهره عند ذكر جعفر الصادق: لا نستطيع في هذه العجاله أن نخوض في فقه الإمام جعفر، فإن أستاذ مالك وأبي حنيفه وسفيان بن عيينه، لا يمكن أن يُدرس فقهه في مثل هذه الإلامه. (٦)

وقال الدكتور مصطفى الشيبى، وهو يتحدث عن علي بن موسى الرضا: كان الرضا من قوه الشخصيه، وسمو المكانه، أن التف حوله المرجئه، وأهل الحديث، والزيديه. (٧)

ص: ٣٥٥

١- . تهذيب الكمال: ٩٤/٢٧، الترجمة: ٥٧٢٨.

٢- . الطبقات الكبرى: ٣٢٠/٥.

٣- . سير أعلام النبلاء: ٢٥٧/٦.

٤- . النفس الزكيه، ليس من أئمه أهل البيت عند الإماميه.

٥- . التفسير الكبير: ١٢٤/٣٢.

٦- . تاريخ المذاهب الإسلاميه: ٦٣٩.

٧- . الصله بين التصوف والتشيع: ٢١٤.

المصادر والخصائص

وفيه بحوث:

١. مصادر الفقه عند الشيعة الإماميه

أ. القرآن الكريم

ب. السنه الشريفه

ج. الإجماع

د. العقل

٢. خصائص فقه الإماميه ومميزاته

أ. إحراز العدالة في عامه سند الروايه

ب. تقييد العمل بالقياس بموارد خاصه

ج. انفتاح باب الاجتهاد

د. لكل واقعه حكم شرعي عند الله

ه. لا تصويب في آراء المجتهدين

و. تقسيم الأحكام إلى واقعيه وظاهريه

ز. دور العناوين الثانويه فيه تحديد الأحكام الأوليه

ح. صلاحيات الفقيه الجامع للشرائط

يُعدّ فقه الإماميه مرآه تعكس فقه أهل البيت وآراءهم، فهو حصيله جهود ضخمة لفضائل علمائهم، الذين مارسوا الاجتهاد في نطاق ما روى عن أهل البيت، وهنا لابدّ من التعرّض لأمرين:

الأول: المصادر التي يصدر عنها الإماميه في فقههم.

الثانى: خصائص فقهم ومميزاته.

وإليك توضيحاً لكلا الأمرين:

الأمر الأول: مصادر الفقه عند الشيعة الإماميه

إشاره

اتفقت الشيعة الإماميه على أنّ منابع الفقه ومصادره لا تتجاوز الأربعة:

١. كتاب الله الكريم.

٢. السنه المطهره.

٣. الإجماع.

٤. العقل.

قال الفقيه الكبير محمد بن إدريس الحلي (٥٤٣-٥٩٨ هـ) في ديباجه كتابه «السرائر»: فإنّ الحق لا يعدو أربع طرق؛ إمّا كتاب الله سبحانه، أو سنه رسوله المتواتره المتفق عليها، أو الإجماع، أو دليل العقل، فإذا فقدت الثلاثه فالمعتمد فى المسائل الشرعيه عند المحققين الباحثين عن مأخذ الشريعه التمسك بدليل العقل. (١)

وقد ذكرنا كلام هذا الفقيه، ليعلم أنّ حصر منابع الفقيهيه بهذه الأمور الأربعة ليس شيئاً جديداً بين فقهاء الإماميه وإنّما هو أمر كان عليه فقهاؤهم منذ قرون عديده.

المصدر الأول: القرآن الكريم

أمّا كتاب الله العزيز فلا يُعدل عنه إلى غيره مطلقاً، وله مكانه عظيمه عندهم حتّى أنّ قسماً من المحققين لا يجوزون تخصيص الكتاب بالخبر الواحد، وإنّما يجوزون تخصيص الكتاب العزيز بالمتواتر المتضافر.

ص: ٣٥٧

وقد اتفقت كلمه محققى الإماميه - عبر تاريخهم الطويل - على أنّ كتاب الله الموجود عند عامه المسلمين هو نفسه الذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين لم تتطرق إليه زياده ولا-نقص، وأنّ ما ورد من الروايات حول ذلك فهى إمّا مؤوله أو مطروحه.

المصدر الثانى: السنّه الشريفه

وأما السنه الشريفه فقد خصّ الله تعالى بها المسلمين دون سائر الأمم، وقد اهتم المسلمون بنقل ما أثر عن النبي صلى الله عليه و آله من قول وفعل وتقرير.

وقد أكد أئمه أهل البيت عليهم السلام على أنّ السنه الشريفه هى المصدر الرئيسى بعد الكتاب، وأنّ جميع ما يحتاج الناس إليه قد بيّنه سبحانه فى الذكر الحكيم وورد فى سنه نبّيه.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأئمّه إلّا أنزله فى كتابه وبيّنه لرسوله، وجعل لكلّ شىء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه، وجعل على من تعدّى ذلك الحد حدّاً».(١)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شىء إلّا وفيه كتاب أو سنّه».(٢)

روى أبو حمزه الثماليّ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى خطبته فى حجه الوداع: «أيها الناس اتقوا الله ما من شىء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلّا وقد نهيتكم عنه وأمرتكم به».(٣)

إلى غير ذلك من النصوص المتضافره عن أئمه أهل البيت عليهم السلام، التى تؤكد على الاهتمام بالسنه والركون إليها.

ص: ٣٥٨

١- . أصول الكافى للكلىنى: ٥٩/١، باب الرد إلى الكتاب والسنه، الحديث ٢، ٤.

٢- . المصدر السابق.

٣- . بحار الأنوار: ١٧١/٢، الحديث رقم ١١.

المصدر الثالث: الإجماع

عدّ الأصوليون من فقهاء السنّة الإجماع من مصادر الفقه، بمعنى أنّ اتفاق الأئمة في عصر على حكم شرعي - إذا كان مستنداً إلى دليل ما حتّى ولو كان دليلاً ظنيّاً - يجعله حكماً شرعياً قطعياً إلهياً، وإن لم ينزل به الوحي، فلذلك وصف الإجماع بأنّه من مصادر الفقه.

وأما الإجماع في مدرسه أهل البيت، فهو بما هو هو ليس من مصادر التشريع، وإنّما يكشف عن وجود الدليل، فالاتفاق مهما كان واسعاً لا- يؤثر في جعل حكم ظني حكماً شرعياً قطعياً إلهياً، وإنّما المؤثر في ذلك المجال نزول الوحي به، فلو نزل به الوحي يكون المجمع عليه حكماً شرعياً، ولو لم ينزل به الوحي فالإجماع لا يضيف عليه الصفة الشرعية، فغايه ما يمكن أن يقوم به الإجماع، هو الكشف عن وجود الدليل في المسألة وإن لم يصل إلينا، إذ من البعيد اتفاق أئمة كبيره على الحكم إذا لم يكن في متناولهم دليل شرعي.

المصدر الرابع: العقل

لقد تضافرت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام على حجية العقل، قال الإمام الصادق عليه السلام: «حججه الله على العباد النبي، والحججه فيما بين العباد وبين الله العقل».(١)

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (المتوفى ١٨٣ هـ) مخاطباً هشام بن الحكم: «يا هشام إنّ لله على الناس حجتين، حججه ظاهريه وحججه باطنيّه، فأما الظاهره فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنه فالعقول».(٢)

نعم إنّ العقل كالإجماع ليس من مصادر التشريع بل هو من كواشفه، بمعنى أنّه يكشف عن حكم الله سبحانه بالطريق الّذي سنذكره، كما يكشف الإجماع عن

ص: ٣٥٩

١- الكافي: ٢٥/١، كتاب العقل والجهل، الحديث ٢٢.

٢- الكافي: ١٦/١، كتاب العقل والجهل، الحديث ١٢.

وجود دليل لفظي صادر عن صاحب الشريعة.

ثم إن استكشاف العقل عن حكم الله سبحانه يعتمد على أصلين قطعيين هما:

١. التحسين والتقيح العقليان.

٢. الملازمات العقلية.

أمّا الأول: فإنّ للعقل قابلية على معرفه حسن الأفعال وقبحها، إذ هو بنفسه يدرك حسن الإحسان وحسن مجازاه الإحسان بتمثله، وحسن العمل بالميثاق، وهكذا.

كما يدرك من صميم ذاته قبح الظلم وقبح مجازاه الإحسان بالإساءة، وقبح نقض الميثاق، إلى غير ذلك من الأفعال التي يدرك العقل الحصيف المنقطع عن كل شيء حسنها أو قبحها.

والذكر الحكيم يشهد على تلك القابلية حيث يخاطب الإنسان بما تقتضى به فطرته ويقول: (أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (١)، ويقول سبحانه: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (٢).

ويقول تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (٣).

وهذه الآيات تتخذ من وجدان الإنسان شاهداً على عدم التسوية، وتدل بالتالي على أنّ الإنسان قادر بفطرته الإلهية على درك حسن الأفعال وقبحها، ولما كانت التسوية بين الطائفتين قبيحة عند العقل، ذكر سبحانه أنّ ساحتها أيضاً منزّهة عنها.

فالقول بالتحسين والتقيح العقليين - مع أنّه أساس في باب المعارف

ص: ٣٦٠

١- القلم: ٣٥-٣٦.

٢- الجاثية: ٢١.

٣- ص: ٢٨.

والعقائد أيضاً وهو خارج عن موضوع بحثنا - أساس لاستنباط فروع فقهيه في حقول خاصه، أوضحها أصل البراءه من التكليف، وعدم وجوب الاحتياط عند الشك في التكليف لاستقلال العقل بقبح العقاب بلا بيان، فإذا لم يجد المستنبط دليلاً شرعياً على الحكم الشرعي، فالعقل يستقل بالبراءه من التكليف من غير فرق بين كون المحتمل وجوباً أو تحريماً، ومن حسن الحظ أنّ الشرع أيضاً عزّزه، قال سبحانه: (وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (١)، وبعث الرسول كناية عن بيان الحكم.

كما أنّ العقل يستقل بحسن الاحتياط ووجوبه فيما إذا علم التكليف وجُهل المكلف به وتردد بين أمرين، فالعقل يحكم بالاحتياط لأنّ الاشتغال اليقيني بالحكم يقتضى البراءه اليقنيه، إمّا بإتيان الأمرين إذا علم الوجوب وتردد المكلف به بين أمرين أو أكثر، أو ترك الأمرين إذا علمت الحرمة ولم يعلم المكلف به معيّنًا، إلى غير ذلك من الآثار الشرعيه للقول بالحسن والقبح العقلين.

إزاحه شبهه

ربّما يُتصوّر أنّ القول بالتحسين والتقيح العقلين يلازم التحكم على الله سبحانه، وأنّه يجب عليه أن يفعل كذا لحسنه أو أن لا يفعل كذا لقبحه، ومن المعلوم أنّ التحكم من العبد الدليل بالنسبه إلى المولى العزيز أمر قبيح جدّاً.

ولكن المستشكل لم يفرق بين الإيجاب المولوى والإيجاب الاستكشافى، والباطل هو الأوّل فإنّه سبحانه مولى الجميع والناس عباد له، وليس لأحد أن يحكم عليه سبحانه بشيء إذ هو مختار على الإطلاق، وأمّا الإيجاب الاستكشافى فهو بمعنى أنّ العقل يستكشف من خلال صفاته سبحانه - ككونه حكيمًا عادلاً

ص: ٣٦١

قديراً - أنه لا يعذب البريء، فالقول بأنه يجب على الله سبحانه بمعنى الملازمه بين حكمته وعدله وعدم تعذيب البريء، وليس استكشاف العقل في المقام بأقل من استكشاف الأحكام الكونية، حيث يحكم بأن زوايا المثلث تكون قائمتين، فزوايا المثلث في الخارج موصوفه بهذا المقدار، ولكن العقل يستكشف ذلك.

وللقول بالتحسين والتقيح العقليين آثار كثيره في الفقه الإمامي نذكر منها ما يلي:

١. الإتيان بالمأمور به مجز عن الإعادة والقضاء، لقبح بقاء الأمر بعد الامتثال.

٢. مرجحات باب التراحم التي تُبنى على تقديم الأهم على المهم، والحاكم بالتقديم هو العقل لقبح العكس.

هذا كله حول الأمر الأول.

وأما الثاني: أعنى باب الملازمات فنقول:

إنّ باب الملازمات هو المجال الثاني لحكم العقل، فإذا أدرك العقل الملازمه بين الوجوبين أو الحرمتين وورد أحد الوجوبين في الشرع دون الآخر، يحكم العقل بالوجوب الثاني بناء على وجود الملازمه بين الحكمين، فاستكشاف الحكم الشرعي رهن ثبوت الملازمه بين الحكمين، وإليك نماذج من هذا:

١. الملازمه بين الوجوبين، كوجوب الشيء ووجوب مقدمته.

٢. الملازمه بين الحرمتين، كحرمة الشيء وحرمة مقدمته.

٣. الملازمه بين وجوب الشيء وحرمة ضده، كوجوب المضيق وحرمة الموسع عند التراحم.

٤. الملازمه بين النهي عن العباده وفسادها.

٥. الملازمه بين النهي عن المعامله وفسادها في موارد خاصه.

٦. الملازمه بين وجود الحكم لدى وجود الشرط والوصف و... والانتفاء لدى الانتفاء.

إلى غير ذلك ممّا يدخل في أبواب الملازمه الموصوفه عندهم بالملازمات غير المستقله، فإنّ الحكم المستكشف في هذه الموارد عن طريق الملازمه، حكم شرعى، نظير:

١. وجوب مقدّمه الواجب.

٢. حرمة مقدّمه الحرام.

٣. حرمة الضدّ الموسّع المزاحم للمضيق، كالصلاه عند الابتلاء بإزاله النجاسه عن المسجد، أو أداء الدين الحالّ .

٤. فساد العباده المنهى عنها، كالصوم في السفر.

٥. فساد المعاملات المنهى عنها كبيع الخمر.

إلى غير ذلك من الموارد الّتي توصف بغير المستقلات العقلية، وفي الفقه الشيعى وعلم الأصول دور كبير لباب الملازمات، فمن مثبت ونافي ومفصلّ.

الأمر الثاني: خصائص فقه الإماميه ومميزاته

أشاره

إنّ لكلّ مدرسه فقيهيه خصائص ومميزات تفترق بها عن سائر المدارس، ومدرسه أهل البيت الفقيهيه مع أنّها تشارك بقيه المدارس في كثير من الأمور بحيث لا يجد الفقيه مسأله من المسائل الخلافيه عندهم إلّا ووافقهم فيها أحد المذاهب الفقيهيه السائده أو البائده.

ونحن إذا راجعنا كتاب الخلاف للشيخ الطوسى، نجد أنّ ما من مسأله تضاربت فيها الآراء والأفكار إلّا وللشيعه فيها قول ورأى يوافقهم فيه - كما قلنا - أحد المذاهب.

ولأجل ذلك نشير إلى خصائص فقههم.

ص: ٣٦٣

الأولى: إحراز العدالة في عامه سند الرواية

قد عرفت أنّ السنّة الشريفه هي المصدر الثاني للتشريع، والشيعه يعملون بكل ما روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله سواء أوصل إليهم عن طريق أئمه أهل البيت أو عن طريق آخر، بشرط إحراز العدالة أو الوثاقه في عامه رجال السند، ولا يعتقدون بالعدالة الجماعيه في طائفه من الطوائف.

الثانيه: تقييد العمل بالقياس

إنّ كثره الروايات الفقيهه المرويّه عن أهل البيت عليهم السلام أغنت فقهاء الشيعة عن اللجوء إلى القياس فضلاً عن الاستحسان، فالمرجع عندهم هو المصادر الأربعة، وأمّا القياس فيعملون به في إطار خاص وهو:

أ. فيما لو كان منصوص العله في نفس الدليل، فيعمل به في كل مورد عمّه التعليل.

وفي الحقيقه ليس هذا عملاً بالقياس بل عمل بنفس الدليل، أعني: العله التي تعمم الحكم وتخصّصه.

ب. قياس الأولويه، وربّما يسمى بتنبية الخطاب ومفهوم الموافقه، وهو إثبات حكم المنطوق به للمسكوت عنه بطريق أولى، كقوله سبحانه: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ) (١) فإذا حرم التأفيف، حرم الشتم والضرب بطريق أولى.

ج. تنقيح المناط، وهو فيما لو اقترن الموضوع في لسان الدليل بأوصاف وخصوصيات لا يراها العرف دخيله في الموضوع، كما إذا قال في السؤال: «رجل شك في المسجد بين الثلاث والأربع» فالعرف يتلقى تلك القيود مثلاً لا قيماً في الحكم، فيعمّ الرجل والأنتى ومن شك في المسجد والبيت.

ومن هذا القبيل قصه الأعرابي، الذي قال: هلكت يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: ما

ص: ٣٦٤

أهلكك؟ قال: وقعت امرأتى فى نهار رمضان. قال: اعتق. (١) فالعرف يساعد على إلغاء القيدين وهما:

أ. كونه أعرابياً.

ب. مواقعه الأهل.

فيعم البدوى والقروى، ومواقعه الأهل وغيرها، فيكون هو حكم من أفطر بالوقاع فى صوم رمضان.

ومن هذا القبيل قوله سبحانه فى مورد صلاه الجمعة: (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) (٢)، ومن المعلوم أنّ ذكر البيع من باب المثال، فلا فرق بين البيع والإجاره والرهن، بل كل فعل يشغل الإنسان عن أداء الصلاه، ولهذا النوع أمثله كثيره فى الفقه.

تخريج المناط

إذا قضى الشارع بحكم فى محل من دون أن ينص على مناطه، ولم يكن العرف مساعداً لكون القيد الوارد فيه من باب المثال، كما إذا حرمت المعاوضه فى الحنطه إلامثلاً بمثل، فهل يصح تعميم الحكم إلى سائر الجبوب بتخريج المناط؟

وهذا هو ما يميز الفقه الإمامى عن غيره، فهم يقولون بأن التشابه فى الموضوع لا يكون سبباً لإسراء الحكم، فإن تخريج المناط فى الموارد التى يعمل بها بالقياس تخريجات ظنيه، ولعل المناط الذى استخرجه الفقيه غير المناط عند الشرع، فما لم يكن المناط المستخرج، مناطاً قطعياً، لا يسوغ العمل به، وللتفصيل فى هذا الموضوع مكان آخر.

ص: ٣٦٥

١- . صحيح مسلم: كتاب الصيام، الحديث رقم ٢٤٨٤٠، بتلخيص.

٢- . الجمعة: ٩.

الثالث: افتتاح باب الاجتهاد

إنَّ الفقه الإمامي يتبنى فتح باب الاجتهاد بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا، فإنَّ الاجتهاد رمز بقاء الشريعة وسرَّ خاتمية الدين الإسلامي، فالأُمَّة الإسلاميَّة كانت تواجه بعد رحيل قائدها حوادث مستجدَّة لا بدَّ من الإجابة عنها ولم يكن لهم بد من استنطاق الكتاب والسنة مع سائر الأدلَّة في الحصول على الجواب عنها، وهذا الداعي كان سائداً ومستمراً إلى يومنا هذا، وقد حثَّ الإمامان الصادق والرضا عليهما السلام أصحابهما على الاجتهاد قائلين: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع».(١)

وفى ظل هذه الميزة كان الفقه الإمامي متطوراً نامياً في كل عصر وزمان، وقد نتج عن ذلك تأليف موسوعات فقهية ضخمة على مر العصور.

الرابع: لكل واقعه حكم

إنَّ لله سبحانه في كل واقعه حكماً شرعياً واحداً، وقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إنه قال: «أيُّها الناس اتقوا الله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلَّا وقد نهيتكم عنه أو أمرتكم به».(٢)

وعلى ضوء هذا فليس هناك واقعه لم يكتب حكمها حتَّى يترك حكمها إلى أصحاب الاجتهاد والآراء، غير أنَّ الحكم الواقعي تاره يكون واضحاً، وأخرى يحتاج إلى بذل جهود ليصل إليه المستنبط.

ص: ٣٦٦

١- بحار الأنوار: ٦٢/٢؛ وسائل الشيعة: ٦٣/٢٧، الباب ٧ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٥٢، طبعه آل البيت عليهم السلام.

٢- بحار الأنوار: ١٧١/٢، برقم ١٢.

الخامسة: التصويب والتخطئه

من مميزات الفقه الإمامي هو أنّ الحق في الشريعة أمر واحد وما سواه خطأ محض، من غير فرق بين الأحكام والموضوعات، وذلك لما مرّ من أنّ لله سبحانه في كل واقعه من الوقائع حكماً شرعياً واحداً، فإن وافقه المجتهد في استنباطه، فقد أصاب وإن خالفه، فقد أخطأ، وليس هناك واقعه واحده لم يكن لها حكم في الشريعة، ويترك حكمها إلى الفقهاء حتى يكون الجميع مصيبين.

السادسة: تقسيم الأحكام الشرعية إلى واقعيه وظاهريه

من خصائص هذه المدرسة تقسيم الأحكام الشرعية إلى حكم واقعي، وحكم ظاهري، وهذا بحسب لسان الدليل. فإن كان ملاك حجّيه شيء كونه طريقاً إلى الواقع ومرشداً إليه، كما هو الحال في الوارد في الكتاب والسنة، مثل قوله صلى الله عليه وآله: «التراب أحد الطهورين»، أو قوله صلى الله عليه وآله: «جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً»، فالحكم المستفاد منها حكم واقعي.

وأما الدليل المأخوذ في لسانه الشك، كما إذا ورد في السنّة: إذا شككت فاعمل بهذا الدليل، فيكون الحكم المستفاد منه حكماً ظاهرياً كما هو الحال في الأصول العملية الأربعة: أصل البراءة، والاحتياط، والتخيير، والاستصحاب، فالشك مأخوذ في لسان الدليل كقوله: «لا تنقض اليقين بالشك» وهو مع الاحتفاظ بالشك يأمر بالعمل على وفق الحالة السابقة.

ومنه يظهر تأخر مرتبه الأحكام الظاهريه عن الأحكام الواقعيه، فالعبره بالثانيه بعد عدم الدليل على الأولى، ويعبر عمّا يدلّ على الحكم الواقعي بالدليل الاجتهادي، ويعبر عمّا يدلّ على الحكم الظاهري بالدليل الفقاهتي، ويترتب على ذلك عدم حجّيه الأصول العمليه مع وجود الأدلّه الاجتهاديه.

السابعه: تقسيم الموضوعات إلى أوليه و ثانويه

إنّ العناوين المتعلقة بالأحكام تنقسم إلى عنوان أولى، وعنوان ثانوى، فالعنوان المأخوذ فى الموضوع مع قطع النظر عن العوارض والطوارئ يسمّى عنواناً أولياً، كلحم الميتة بالنسبه إلى حكمه أى الحرمة.

ولكن هذا الموضوع إذا طرأ عليه عنوان آخر فى مرحله ثانيه كالأضطرار لأجل المجاعه، يقال له عنوان ثانوى، ربّما يصير مغيّراً لحكم العنوان الأولى، فلحم الميتة بما هو حرام، وبالنظر إلى العنوان الثانوى - أعنى: الأضطرار - فهو حلال إلى حدّ معيّن.

إنّ فى الحياه المعاصره مشاكل بيئيه واجتماعيه تحيط بالإنسان وتجعل الحياه مره فى مذاقه، ولكن الله سبحانه أعطى لحكام الشرع صلاحيه حلّ هذه المشاكل عن طريق أحد العناوين الثانويه، وبذلك ضمن للشريعه الإسلاميه، الخاتميّه والاستمرار حتّى قيام الساعه.

ولأجل ذلك نشير إلى العناوين الثانويه التى لها دور فى تعديل الأحكام الشرعيه المتعلقة بالعناوين الأوليه:

١. الضروره والأضطرار

إذا اقتضت الضروره واضطر الإنسان إلى استعمال محرّم، يكون للعنوان الثانوى حكمه على العنوان الأولى، وقد أُشير إلى ذلك بقوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) (١) ومورد الآيه وإن كان هو اللحوم ولكن العرف يساعد على إلغاء الخصوصيه، فيشمل المأكولات والمشروبات جميعاً، وبالتالي يكون للعنوان الثانى حكمه على الحكم الوارد بالعنوان الأولى.

ص: ٣٦٨

روى سماعه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليس شيء مما حرم الله إلا وقد أحله لمن اضطر إليه». (١)

وأما ما هو الاضطرار وما حدّه، فالبحث فيه موكول إلى محله.

٢. الضرر والضرار

إن الضرر والضرار من العناوين الثانويه التي تتغير بها أحكام العناوين الأوليه، مثلاً أنه لا شك في وجوب الوضوء بالماء، كتاباً وسنّه، لكن إذا طرأ هناك طارئ وصار استعمال الماء مضرّاً بالمتوضئ يجب عليه العدول إلى البديل، وهذه قاعده تامّه باسم الضرر والضرار، وللقاعده جذور في الكتاب العزيز والسنة النبويه، قال تعالى: (لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ). (٢)

وأما السنّه فقد تضافر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا ضرر ولا ضرار».

٣. العسر والحرج

إن عنوان العسر والحرج من العناوين الثانويه الطارئه على العناوين الأوليه - أيضاً - مثلاً إذا فرضنا أن الاغتسال بالماء البارد أو الخروج من المنزل للاغتسال صار أمراً حرجياً وإن لم يكن ضرورياً، فيقدّم حكم العنوان الثانوى على العنوان الأولى، أخذاً بقوله تعالى: (وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ). (٣)

٤. قاعده الأهم والمهم عند التزاحم

إذا توقّف إنقاذ الغريق على اجتياز الأرض المغصوبه، يُقدّم وجوب إنقاذ الغريق على حرمة التصرف بالمغصوب، أخذاً بالأهم عند التزاحم بالمهم.

ص: ٣٦٩

١- الوسائل: ٤، الباب ١ من أبواب القيام، الحديث ٦.

٢- البقره: ٢٣٢.

٣- الحج: ٧٨.

ونظيره حفظ النفس في المجاعه بالتصرّف في طعام الغير، فلا- مانع من أكل مال الغير لحفظ النفس مع الضمان، وكم لهذا الحكم من فروع في الفقه.

٥. صلاحيات الفقيه الجامع للشرائط

إنّ للفقيه المجتهد الجامع للشرائط صلاحيات في تدبير المجتمع وإدارته في فقه أهل البيت عليهم السلام، عن طريق تنفيذ أحكام الشرع وتطبيقها وحل المعضلات والمشاكل، وحفظ المصالح العامّة حسب الضوابط الشرعيه المقرّره، فليس ولاية الفقيه بمعنى الاستبداد بالحكم كيفما أراد، بل المراد بها إجراء الأحكام الشرعيه حسب ما أمر به الشارع المقدّس مع تقديم الأصلح على غيره.

فالفقيه في مقام إجراء الأحكام الشرعيه ينفذ أحكامه في ظل العناوين الثانويه، وبذلك يصبح المجتمع مجتمعاً إلهياً صالحاً.

ولنمثل لذلك ببعض الأمثله:

١. أنّه سبحانه فرض الجهاد على كافة المسلمين، ولكن إذا اقتضت المصلحه فرض الجنديه على الشباب (سنه أو سنتين) للتدريب والدفاع عن حدود بلاد المسلمين وصارت المصلحه العامه في ذلك، فينفذ هذا الأمر بحكم الفقيه تقديماً للأصلح على الصالح، ويكون الوجوب حكماً ولائياً، لا حكماً شرعياً أولياً، ويكون الحكم هذا باقياً ما بقى ملاكه.
٢. لو اقتضت المصلحه العامه فتح شوارع، ولكن بعد هدم بيوت الناس ولا يوجد بديل عن ذلك فيسوغ تخريب البيوت مع التعويض، تحقيقاً لمصالح المجتمع في ظل تشخيص الفقيه.
٣. لو اقتضت المصلحه قطع العلاقات مع أحد الدول أو وصلها وتقويتها، فيجب على الحكومه القطع أو الوصل تنفيذاً لحكم الفقيه النابع من أحد العناوين الثانويه.

وقد تضافرت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حول ولاية الفقيه بالمعنى

الذی عرفت، ولا یسع المقام للتعرض لها.

كما أنّ هناك عناوین ثانویه أُخرى كالنذر والعهد والقسم وأمر الوالد ونهیه، وهی ممّا له دور فی تغییر أحكام العناوین الأوّلیه. وبذلك یعلم أنّ الفقیه الشیعی استغنی عن بعض القواعد المعروفه كفتح الذرائع وسدها والمصالح المرسله، لأنّ فی تحکیم العناوین الثانویه علی العناوین الأوّلیه غنی عن إعمال هذه القواعد.

بقى الكلام فی أمرین لهما دور واسع فی الفقه الإمامی إلّاهما:

١. العرف والعاده والسیره.

٢. مقاصد الشریعه وأهدافها.

وللاختصار طوینا الكلام عنهما، وقد شرحناهما فی کتابنا الأصولیه. (١)

جعفر السبحانی

إیران - قم المقدسه

مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام

٢١ رجب المرجب ١٤٢٩ هـ

ص: ٣٧١

١- . لاحظ: أصول الفقه المقارن: ٢٩٦-٣٦٦؛ و إرشاد العقول: ٢٨٥/٣-٢٩١.

الشيعة لغه هم الجماعه المتعاونون على أمر واحد فى قضاياهم. يقال: تشايح القوم إذا تعاونوا، وربما يطلق على مطلق التابع. قال تعالى: (وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لَجِإِبراهيمَ) (١) وتستعمل اللفظه فى الجماعه التابعه لرئيس لهم، وأمياً اصطلاحاً فلها إطلاقا عديده بملاكات مختلفه:

١. الشيعة: من أحبّ علياً وأولاده باعتبار أنّهم أهل بيت النبى الذين فرض الله سبحانه مودّتهم، وقال: (قُلْ لا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبى) (٢).

والشيعة بهذا المعنى تعمّ جميع المسلمين إلّا النواصب.

٢. من يفضّل عليّاً على الخليفه الثالث أو عامّه الخلفاء، مع الاعتقاد بأنّه رابع الخلفاء، وإنّما يقدّم لاستفاضه مناقبه وفضائله عن الرسول صلى الله عليه وآله والتي دوّنها أصحاب الحديث فى مسانيدهم وصحاحهم.

٣. الشيعة من يشايح عليّاً وأولاده باعتبار أنّهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وأئمّه الدين بعده، نصبهم لهذا المقام بأمر من الله سبحانه وقد اشتهر أنّ عليّاً هو الوصى، حتّى صار من ألقابه.

ص: ٣٧٢

١- . الصافات: ٨٣.

٢- . الشورى: ٢٣.

وبعبارة جامعه: تطلق الشيعة ويراد بها كل من يقول بأن قياده الأئمة لعلّي بعد الرسول صلى الله عليه و آله وأنه يقوم مقامه في كل ما يمت إليه بصله سوى النبوه ونزول الوحي عليه. كل ذلك بأمر من الله وتعيين الرسول.

والمقوم للتشيع وركنه الركين هو القول بالوصايه والقياده بجميع شؤونها للإمام على عليه السلام وأولاده الطاهرين، وأما ما سوى ذلك فليس مقوماً لمفهوم التشيع ولا يدور عليه اطلاق الشيعة وإتّما هو مسائل كلاميه، أو فقهيه أو غير ذلك.

وعلى ضوء ما ذكرناه فالتشيع يركز بوضوح على الاعتقاد باستمرار القياده الإسلاميه في قالب الوصايه لعلّي وعترته، وأن هذه الفكره غرست بيد النبي صلى الله عليه و آله في أيام حياته وتبناها لفيف من المهاجرين والأنصار في عصر الرسول وبقوا عليها بعد حياته واقتدى بهم لفيف من التابعين لهم باحسان وتواصل الاعتقاد بها عبر العصور إلى العصر الحاضر، وهذا هو الذي تدّعيه الشيعة، وعليه بُنى صرح التشيع وأما ما سوى ذلك من الآراء والعقائد في مجالى العقيدته والشريعه فليست داخله في صميم التشيع، ويعم الإماميه الإثنى عشرية والزيديه والإسماعيليه.

وبذلك يعلم أنّ التشيع ليس من افرازات الصراعات السياسيه ولا من نتاج الجدال الكلامي والصراع الفكري، ولا وليد احداث وتطورات أدت إلى تكوين هذا المذهب، فلا يزيد على صميم الإسلام بشيء قيد شعره حتى يكون له نشوء بعد رحيل الرسول صلى الله عليه و آله، غير أنّ الشيعة تركّز على شيء واحد وهو استمرار القياده بأهل بيت النبي صلى الله عليه و آله بأمر من الله سبحانه وتبليغ الرسول صلى الله عليه و آله.

التسميه من النبي الأعظم صلى الله عليه و آله

إنّ الآثار المرويّه عن لسان النبي الأكرم صلى الله عليه و آله في حقّ الإمام على عليه السلام تعرب عن التفاف قسم من المهاجرين والأنصار حول الوصي، وكانوا معروفين بشيعة على في عصر الرساله وأنّ الرسول سماهم بها و وصفهم بأنهم هم الفائزون وقد

ص: ٣٧٣

تضافرت النصوص على ذلك ولا مجال لذكرها هنا، فالفقهاء الكرام يرجعون في تفسير هذه الآية: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (١) إلى التفاسير الأثرية كتفسير الطبري والثعلبي والسيوطي وغيرها، نقتصر بنص واحد.

أخرج ابن عساکر عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل على عليه السلام فقال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون. ثم تلا الآية الكريمة. فكان أصحاب النبي إذا أقبل على عليه السلام قالوا: جاء خير البرية.

وهذا النص وما يضاويه البالغ عدده إلى أربعين نصاً في هذا المضمرة، يعرب عن كون على عليه السلام متميزاً بين أصحاب النبي بأن له شيعته وأتباعاً ولهم مواصفات وصفات كانوا مشهورين بها في حياة النبي وبعدها، وكان يشيد بهم ويبشرهم بفوزهم، وهم - بلا ريب - لم يكونوا خارجين عن الخط النبوي المبارك قيد أنملة.

ومن حسن الحظ أن قسماً كبيراً من أصحاب المقالات والفرق صرحوا بذلك نذكر منهم ما يلي:

قال الإمام أبو الحسن الأشعري: وإنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا علياً ويقدمونه على سائر أصحاب الرسول. (٢)

وقال ابن حزم: ومن وافق الشيعة في أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله وأحقهم بالإمامة وولده من بعده، فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، وإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً. (٣)

وقال الشهرستاني: الشيعة هم الذين شايعوا علياً على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصيته. (٤)

ص: ٣٧٤

١- . البينه: ٧.

٢- . مقالات الاسلاميين: ١/٦٥، ط. مصر.

٣- . الفصل: ١١٢/٢، ط. بغداد.

٤- . الملل والنحل: ١/١٣١.

وهذه هي حقيقه التشييع وصميمه وقوامه وما سوى ذلك فالكل مسائل كلاميه أو فقيهه، أو تاريخيه.

الأصول المشتركه بين الشيعه والسنة

الأدله التي تعتمد عليها الشيعه في معارف الإسلام وأصوله وأحكامه هي الكتاب والسنة والعقل الحصيف وما أجمع عليه المسلمون عبر الزمان، فإذا كانت هذه مصادر العقيدة والشريعة، فهم يشاركون عامه المسلمين في أكثر الأصول والفروع، والعقائد والأحكام ويؤمنون بما جاء في الكتاب العزيز والسنة الصحيحه وادراكات العقل واتفاق المسلمين بلا ترديد، فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله عندهم خاتم الأنبياء ورسالته خاتمه الرسالات، وشريعته خاتمه الشرائع، وكتابه خاتم الكتب (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ). (١)

فالسنة النبويه - سواء أنقلت عن طريق الصحابه أو عن طريق أئمه أهل البيت عليهم السلام - مصدر ثان لعامه المسلمين في حقل العقيدة والشريعة إذا كان النقل للشرائط المحرره في محلها.

إنّ العقل الحصيف الذي به عرفناه سبحانه كما عرفنا به أنبياءه ورسله وكتبه، هو المصدر الثالث الذي يعتمد عليه عامه المسلمين تقريباً بلا فرق بين الشيعه والسنة، وأعطف عليه ما اتفق عليه المسلمون في ضروريات العقائد والأحكام على نحو لا يدخل فيه ريب ولا شك.

فإذا كانت هذه هي مصادر العقيدة والشريعة، وهي معتبره عند الجميع فالمشتركات عندهم أكثر من المتفرقات في المسائل النظرية التي طبيعتها

ص: ٣٧٥

اختلاف النظر فيها وتعدّد الفكر، ونعم ما قال الفقيه الرائد السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي رحمه الله مخاطباً لعلماء السنّه: ما يجمعنا أكثر ممّا يفرّقنا، ولنعم ما قال شاعر الأهرام:

إنّا لتجمعنا العقيدة أمّه ويضمّننا دين الهدى أتباعاً

ويؤلّف الإسلام بين قلوبنا مهما ذهبنا في الهوى أشياعاً

ومع ذلك كلّ فلكل فرقه من الفرق الإسلاميه أصول كلاميه تمتاز بها عن الفرق الأخرى، وبما أنّ مشاهير الفرق هم الأشاعره والمعتزله، نذكر بعض الفوارق الكلاميه بينهم وبين الشيعه.

الفوارق بين الإماميه والأشاعره

وافقت الشيعه الإماميه الأشاعره في أصول كثيره لا حازه لذكرها، وفارقتهم في الأصول التاليه:

١. اتحاد صفاته سبحانه الذاتيه مع الذات، فالعلم أو القدره عند الشيعه الإماميه عين ذاته سبحانه، وهي زائده عليها عند الأشاعره.

٢. الصفات الخبريه الوارده في الكتاب والسنه - كالوجه والأيدى والاستواء - تفسّر بالمفهوم التصديقي للجمله لا بالمفهوم التصوري للمفردات، فمعنى قوله سبحانه: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (١) أنّه برىء من البخل باذل وسخى وقادر على البذل، وأمّا الأشاعره فهم يفسّرونها بالمفهوم التصوري يقولون: إنّ لله سبحانه يدين لكن بلا كيف. وقس على ما ذكرنا سائر الصفات الخبريه.

٣. أفعال العباد عند الإماميه صادرة عن نفس العباد صدوراً حقيقياً فالإنسان هو الضارب، هو الآكل، هو الشارب، هو المصلّي، كل ذلك بقدره مكتسبه من الله.

ص: ٣٧٤

وأما الأشاعره فذهبوا إلى أنّ أفعال العباد مخلوقه لله سبحانه وليس للإنسان فيها صنع ولا دور، وليس لقدرة العبد أى تأثير فى تحقّق الفعل.

٤. رؤيه الله سبحانه فى الدنيا والآخرة مستحيله، ولكنّها عند الأشاعره محققه فى الآخرة.

٥. استطاعه الانسان على فعل من الأفعال تقارنه تاره وتتقدم عليه أخرى، خلافاً للأشاعره، فقالوا بالتقارن مطلقاً وفى الوقت نفسه غير مؤثره.

٦. كلامه سبحانه عند الشيعة الإماميه هو فعله فهو حادث لا قديم، خلافاً للأشاعره فكلامه عباره عن الكلام النفسى القائم بذاته، فهو قديم كقدم الذات.

٧. التحسين والتقيح العقليان، من الأمور الواضحه عند الشيعة الإماميه حيث إنّ العقل يدرك حسن بعض الأفعال وقبحها من أى فاعل صدر، خلافاً للأشاعره فقد عزلوا العقل عن إدراك حسن الأفعال وقبحها.

٨. استحاله التكليف بغير المقدور من الأصول المسلّمه عند الشيعة الإماميه وخالفهم الأشاعره فجوّزوا التكليف بالمتنع.

إلى غير ذلك من الأصول الكلاميه التى هى نتاج بحوث وسجلات بين المتكلمين شيعة وسنّه.

الفوارق بين الشيعة والمعتزله

قد ثبت فى محلّه أنّ المعتزله أخذوا أصولهم عن الإمام على عليه السلام وأولاده، ومع ذلك فهناك فوارق بين الشيعة والمعتزله، نشير إلى أهمّها:

١. مرتكب الكبيره عند الإماميه والأشاعره، مؤمن فاسق والمعتزله على أنه منزله بين المنزلتين.

٢. الجنّه والنار عند الإماميه والأشاعره مخلوقتان الآن بدلاله الشرع على ذلك، وأكثر المعتزله على أنّهما غير مخلوقتين.

٣. الشفاعة ممّا اتفق على ثبوتها عامّة المسلمين غير أنّ الإماميه والأشاعره فسّروها باسقاط العقاب عن المسيئين أو إنقاذهم من النار، وفسرها المعتزله بترفيه درجة المؤمنين.

٤. الاحباط بمعنى بطلان الأعمال ممّا اتفق الإماميه والأشاعره على عدم صحّته وقالوا: لكلّ عمل حسابه الخاص، بخلاف المعتزله فإنهم قالوا إنّ المعصيه المتأخره تحبط الثواب المتقدّم.

٥. غلت المعتزله فى تمسكهم بالعقل وغلا أهل الظاهر فى جمودهم على ظاهر النص، وخالفهم الإماميه والأشاعره فأعطوا للعقل سهماً فيما له مجال القضاء فيه. نعم أعطت الإماميه للعقل مجالاً أوسع ممّا أعطته الأشاعره.

٦. اتفقت الإماميه والأشاعره على أنّ قبول التوبه بفضل من الله ولا يجب عقلاً على الله سبحانه قبولها وبالتالي اسقاطه العقاب. وقالت المعتزله إنّ التوبه مسقطه للعقاب على وجه الوجوب.

٧. اتفقت الإماميه على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكه وأجمعت المعتزله على خلاف ذلك.

٨. اتفقت الإماميه على أنّ الإنسان غير مسير ولا مفوض إليه بل هو فى ذلك المجال، بين أمرين: الجبر والتفويض، وأجمعت المعتزله على التفويض.

٩. اتفقت الإماميه والأشاعره على أنّه لا بدّ فى بدء التكليف من بعث الرسول، وخالفت المعتزله وقالوا: إنّ العقول تغنى بمجردّها عن السمع.

١٠. وجوب عصمه الإمام الذى يقود الأئمّه عند الإماميه خلافاً لغيرهم.

١١. اتفق المسلمون على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال أكثر الإماميه والأشاعره، يجبان سمعاً، خلافاً للمعتزله، فقالوا بوجوبهما عقلاً.

١٢. مرتكب الكبيره غير مخلد فى النار عند الإماميه والأشاعره خلافاً للمعتزله.

هذا بعض ما تمتاز الشيعة به عن المعتزله.

ودراسه هذه الأصول تثبت أن هذه المسائل نتاج صراعات كلاميه وسجلات فكرية لا تصلح أن تكون حجاً بين المسلمين. مفرقه لصفوفهم ومبدده لشملمهم.

الشيعة الإماميه والأحكام الفرعية

إذا كان المصدر لبيان التشريع الإسلامى هو الكتاب والسنة، فلازم ذلك مشاركة الفرق الإسلاميه فى أكثر الأحكام، ومن حسن الحظ أنه ما من فرع من الفروع الفقيهيه إلا والشيعه تتفق فيه مع المذاهب الفقيهيه أو بعضها، ومن قرأ كتاب الخلاف لفقيه الإسلام الشيخ محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥-٤٦٠ هـ) يقف على اتفاق الشيعة فى عامه أبواب الفقه مع سائر الفقهاء إقليلاً من الأحكام التى انفردت بها، ونشير إلى مهماتها:

١. عدم جواز المسح على الخفين.
٢. مسح الأرجل مكان غسلها.
٣. وجوب الجهر بالبسملة فى الصلاة وجزئيتها لكلّ سوره.
٤. سدل اليدين فى الصلاة ويوافقهم المالكيه.
٥. السجود على الأرض أو ما نبت منها وعدم جوازه على غيرهما.
٦. جواز الجمع بين صلاتى الظهر والعصر والمغرب والعشاء من غير سفر ولا مطر.
٧. بطلان صلاة التراويح جماعه.
٨. لزوم قصر الصلاة فى السفر.
٩. لزوم الافطار فى السفر.
١٠. شرطيه العدالة فى إمام الجمعة والجماعه.
١١. وجوب الخمس فى أرباح المكاسب.
١٢. عدم جواز الجهاد الابتدائى إلا بأمر من إمام معصوم.

١٣. لزوم اشهاد العدلين فى صحه الطلاق.

١٤. صحه نكاح المتعه.

١٥. بطلان الطلاق الثلاث فى مجلس واحد.

١٦. شرطيه كون الطلاق فى غير طهر المواقعه.

١٧. بطلان طلاق الحائض.

١٨. بطلان الطلاق المعلق.

١٩. جواز الوصيه للوارث.

٢٠. بطلان العول والتعصيب وتقديم الأولى بالميت على غيره.

٢١. وراثه المسلم من الكافر دون العكس.

وفى الختام ندعو عامه المسلمين وفى طليعتهم العلماء وأصحاب الأقلام إلى التمسك بحبل الله المتين الذى أمرنا الله به فى قوله تعالى: (وَ اغْتَصِبُواْ حَبْلَ اللّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُواْ) (١)، والآيه تدلّ على أنّ الأُمَّه المتفرقه كالمتردى فى بئر فلا يكتب النجاه له إلّا بالتمسك بالحبل الموصول إليه، فهكذا الأُمَّه الإسلاميه لا تكتب النجاه لها إلّا بالتمسك بوحده الكلمه وتوحيدها فى المجالات الاجتماعيه والسياسيه والاقتصاديه وليتركوا هذه الخلافات الكلاميه والفقهيّه إلى أهلها فهم يتدارسونها فى مدارسهم ومراكزهم برحابه صدر دون أن يثيروا عداً ويسفكوا دماء، وهذا هو خُلق العلماء الواعين عبر القرون، ونعم ما قال القائل:

وكذلك العلماء فى أخلاقهم يتباعدون ويلتقون سراعاً

جعفر السبحانى

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٠ شهر صفر المظفر ١٤٣١ هـ. ق

ص: ٣٨٠

خطوه نحو التقريب

جعل الله الكعبه البيت الحرام قياماً للناس وجعل الحج موسماً للعباده وفرصه للقاء بين المسلمين من كل صقع وصوب ليتعارفوا ويطلعوا على أحوال بعضهم بعضاً، وهذا ما يشير إليه سبحانه بقوله: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) وأى منفعه بعد العباده أكبر من أن يلتقى الأخوه فى الله فى مكان واحد بعيداً عن جميع الاعتبارات الشخصيه والاجتماعيه والحواجز القوميه والإقليميه والعرقيه تغمرهم مشاعر المحبه والموده وتجمعهم روح الأخوه الصادقه الصافيه.

وأى مسأله أهم من أن يتعرف المسلمون على الأخطار والمشاكل المحدقه بهم ويتدارسوا حلولها المناسبه ويعملوا معاً بيد واحده وعزيمه صارمه.

وانطلاقاً من هذا المبدأ قمنا بإلقاء كلمه حول الوحده الوطنيه والتضامن الإسلامى شرحنا فيها ما للاتحاد والوحده من المنافع وما للفرقه والاختلاف من المضار، وأتينا بدلائل على التلاحم الموجود بين السنه والشيعة فى الأزمنه السابقه.

الحديث عن الاتحاد والوحده لا يحتاج إلى برهنه واستدلال، فكلّ إنسان - وإن كان يتمتع بمعلومات محدوده حول القضايا الاجتماعيه - يعرف أن تلاحم أممهِ

ما وتضامنها سبب للكثير من الفوائد والخيرات، كما أنه يعلم أن الاختلاف والانقسام لا ينتجان سوى الإخفاقات المترابده.

إن ضروره وحده الأُمَّه - أَى أُمَّه - من القضايا التي قياساتها معها حسب الاصطلاح المنطقي، أَى أنها ادعاءً يحمل دليله معه، ومن ثم لا يحتاج إلى برهان أو دليل.

المقطع الأول من مقطعي العنوان أعلاه عبارته عن «الوحده الوطنيه»، ومن الواضح أن الوحده القوميه والوطنيه تختلف عن النزعه القوميه، فالقوميه مرفوضه فى الإسلام، وقد ذمّ القرآن بشكل واضح هذه النزعه، فقد جاء فيه قوله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) . (١).

وتحمل النزعه القوميه معها معطيات مرفوضه وسلبيه، إنها تعنى أفضليه قوم على آخريين؛ للغتهم أو دمهم أو أرضهم أو قوميتهم، إنهم يفتخرون بذلك، ويمارسون الإذلال والتحقير بحق الشعوب الأخرى.

إن هذا اللون من التفكير مذموم من جانبى العقل والشريعه الإسلاميه المقدسه، فهو يمثّل نوعاً من التفكير اليهودى الذى يرى بنى إسرائيل أُمَّه مختاره، ولهذا فهم ينسبون إلى الله أشياء لطالما ردّها القرآن، منها - على سبيل المثال :-

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) (٢)، و (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىٰ شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ) (٣)، و (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ) . (٤).

إن هذه القوميه نوع من عباده العرق، ومع الأسف فقد تفتشت هذه النزعه فى

ص: ٣٨٢

١- . الحجرات: ١٣.

٢- . البقره: ١١١.

٣- . البقره: ١١٣.

٤- . البقره: ٩٤.

العالم فى القرنين الأخيرين وأفضت إلى نزاعات واضطرابات وحروب عدّه، بينما نرى أنّ منطق الإسلام لا يعطى للقوميه والعرقيه أى قيمه ولا يعيرها أى اهتمام.

والنتيجه: أنّ النزعه القوميه مرفوضه قرآنياً وعقلياً؛ لما تحمله من مضمون سلبى.

أمّا الوحده الوطنيه، فهو مفهوم إيجابى لا- يحمل فى طياته أى آثار سلبيه، إنّه يعنى أنّ الأُمّه التى تعيش على أرضٍ واحده وتشرب من مياه واحده، تستفيد منها طوال سنين، فإنّ لهذه الأرض حقّاً عليهم، وهذا الحق يتمثل فى أن يتّحد البشر الساكنين على سطحها ويضعوا أيديهم بيد بعضهم بعضاً، يرفعون بذلك نقائص حياتهم، ويتغلّبون على المشاكل والأزمات، دون أن يمارسوا تحقيراً للشعوب الأخرى أو يقوموا بأذيتها والإضرار بها، إنّ الاتحاد القومى والوطنى بهذا المعنى الآنف الذكر فكّر فطرى؛ فكل إنسان تربطه بوطنه علاقه عاطفيه.

عندما هاجر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من مكه، وقعت هذه المدينه فى ذاكرته وهو فى وسط الطريق عند «الجحفه»، فلم يتمكن من إخفاء مشاعره وحبّه لمسقط رأسه، فامتألت عيناه بالدموع، وهنا نزل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ). (١)

كذلك وعندما فتح النبى صلى الله عليه و آله مكه بعد عشر سنوات من البعد عنها ومفارتها، وطهر بيت التوحيد من لوث عباده الأصنام، نزل لدى دخوله إليها نقطه مرتفعه فيها تسمى «أذاخر» وعندما وقعت عيناه على الكعبه كما ورد فى كتب التاريخ: اجتاحت قلبه عاصفه من الهم والحزن، وقال: «إني أحبك ولولا أنّي هُجرتُ لما تركتك».

يتبين من هذا أنّ بين الوحده الوطنيه والنزعه القوميه فاصله كبيره، بل لا يمكن - من الأساس - الجمع والمقارنه بينهما.

ص: ٣٨٣

كَلَّمَا وَصَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْوَحْدَةِ وَالْإِتِّحَادِ أُرْدِفَهُ بِمَدْحِهِمَا، وَكَلَّمَا مَرَّ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْإِخْتِلَافِ وَالْإِنْقِسَامِ ذَمَّهُمَا، يَقُولُ فِي الْإِتِّحَادِ: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (١)، وَلِتَحْقِيقِ هَذَا الْإِتِّحَادِ اعْتَبَرَ الْقُرْآنُ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةً فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (٢)، وَفِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ أَقْرَبَ عِلَاقَةٍ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مِنْ مَسْتَوَى وَاحِدٍ هِيَ عِلَاقَةُ الْأَخُوَّةِ، وَلِهَذَا اعْتَبَرَ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً، فَعِلَاقَةُ الْأَبُوَّةِ وَالْبَنُوَّةِ رَغْمَ كَوْنِهَا أَقْوَى مِنْ عِلَاقَةِ الْأَخُوَّةِ إِلَّا أَنَّ طَرَفِي هَذِهِ الْعِلَاقَةِ لَيْسَا بِمَسْتَوَى وَاحِدٍ، لِهَذَا لَمْ يُوَظَّفِ الْقُرْآنُ هَذِهِ الْعِلَاقَةَ، وَإِنَّمَا اسْتَعَاضَ عَنْهَا بِعِلَاقَةِ الْأَخُوَّةِ.

أَمَّا لَدَى حَدِيثِهِ عَنِ الْفَرْقَةِ وَالْإِنْقِسَامِ، فَجَدَّهُ يَقُولُ: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) (٣)؛ فَقَدْ عَرَضَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةَ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ هِيَ:

١. العذاب من فوق، كحجاره السماء أو الصاعقه التي تحرق مدينه كامله.

٢. العذاب من أسفل، كالزلزله المدمره والبراكين.

٣. عذاب الأئمه الواحده التي تنشتت إلى فرق مختلفه تعزف كل واحدٍ منها على منوال خاصّ بها، وهذا العذاب أسوأ من العذابين السابقين، بشهاده أنه بعد ذكر العذاب الثالث المشؤوم يذكر نتيجه ألا وهى تعذيب كل واحدٍ بالآخر.

وَأُنْهِى هَذَا الْقِسْمَ مِنَ الْمَوْضُوعِ بِتَحْلِيلِ آيَةِ الْإِعْتِصَامِ، حَيْثُ إِنَّ الْقُرْآنَ دَعَا إِلَى الْوَحْدَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْحَبْلِ الْوَاحِدِ؛ فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَقُولَ: تَمَسَّكُوا بِالْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ، نَرَاهُ يَقُولُ: تَمَسَّكُوا بِحَبْلِ اللَّهِ، وَكَأَنَّ الْهَدْفَ مِنْ ذِكْرِ (الْحَبْلِ) الْإِشَارَةَ إِلَى أَنَّ

ص: ٣٨٤

١- آل عمران: ١٠٣.

٢- الحجرات: ١٠.

٣- الأنعام: ٦٥.

الإنسان عندما يكون في قعر البئر فإنَّ سبيل نجاته الوحيد هو أن يُلقى إليه حبل إلى داخل البئر ليتمسك به ويصعد بواسطته إلى خارج البئر، وإلا فإنَّ موته في الداخل يغدو محتماً، إنَّ الأُمّه المضطربة التي يعزف كل واحدٍ فيها على منواله تشبه ذاك الذى سقط في البئر، ذلك أنَّ موتها قطعي ونهايتها محتومه، فما أروع أن نعمل على أن تتوحد هذه الإيقاعات ونمسك خير إمساك بحبل الوحده كي نحظى بالنجاه وننعم بالخلاص.

كانت هذه كلمات موجزه وإجماليه حول المقطع الأول من العنوان (الوحده الوطنيه)، ولنتقل الآن إلى شرح المقطع الثانى.

الانسجام والتضامن الإسلامى

تعنى كلمه الانسجام النظم والانضباط، وهو أحد المحسنات البديعيه فى البلاغه، فإنَّ الكلام الذى تتسم مفرداته بالجماليه وتخلو من التعقيد يطلق عليه اسم الكلام المنسجم. والانسجام الإسلامى يختلف عن وحده المذاهب، وهو معادل - بمعنى من المعانى - للتقريب بين المذاهب. فوحده المذاهب أمر غير ممكن التحقق؛ وذلك لأنَّ الاختلافات التى مضى عليها أربعة عشر قرناً لا يمكن أن تزول بأسبوع واحد أو شهر واحد أو سنوات عدة، إلَّا أنَّه فى الوقت عينه الذى تختلف فيه المذاهب يمكنها استخراج مجموعه من المشتركات الكثيره فيما بينها لتنتقل منها فى تعاون ضرورى وتحصل من خلال ذلك على نتائج باهره، دون أن تمتنع فى الوقت عينه عن تداول القضايا الخلافيه فى المحافل العلميه - لا فى مقبره البقيع (1) - عبر حوارات مثمره لتحلّ العالق منها أو تجعل الأفكار متقاربه.

ص: ٣٨٥

١- .إشاره إلى دعايات الوهابيين التى تطرح من قبل البعض فى مقبره البقيع، على أسمع حجاج بيت الله الحرام و زائرى قبر رسول الله صلى الله عليه و آله و أهل بيته عليهم السلام.

من المناسب أن أنقل هنا قصّة تتصل بموضوعنا، فقبل سبعة وعشرين عاماً انطلق مجلس الخبراء من هذه النقطة بالذات، والتقى نيف وسبعون شخصاً هنا، وكنت أنا آنذاك في لجنة (الأحوال الشخصية)، التي تشكّل الفصل الأول من الدستور.

وقد كان في لجنتنا المولوى عبد العزيز؛ فسألنى: هل تقولون - أنتم الشيعة - بالبداء؟ فأجبت: نعم، قال: والبداء بمعنى الظهور بعد الخفاء، لا يمكن نسبه إلى الله فلا يقال: بدا لله؟

فأجبت: البداء كلمة تستخدم في موردين:

١. البداء في مقام الثبوت.

٢. البداء في مقام الإثبات.

أمّا الذى فى مقام الثبوت فى معنى أنّ كلّ إنسان يتمكّن من تغيير مصيره بأعماله الصالحة والطالحة، وأن لا يظن بأنّه ليس له سوى مصير واحد، وإنّما يرى أنّ له مصائر عدّه، كى يعرف كيف يحوّل مصيره عبر العمل، فمثلاً هناك عمر محدود للإنسان فى لوح المحو والإثبات، إلّا أنّ هذا المصير غير حتمى، إذ بإمكانه تغييره عبر ممارسه صله الأرحام، فىتمكّن من زياده عمره أو الإنقاص منه بالأعمال التى يقوم بها. وقد يُكتب فى مصير الإنسان بلاء أو مرض إلّا أنّه لا يكون حتمياً، إذ يمكنه أن يرفع هذا البلاء عنه بالصدقه.

وهناك عدّه آيات وروايات تدلّ على هذا النوع من البداء ذى البعد الثبوتى، كما أنّ الآيه الكريمة: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (١) ناظره إلى هذا الأمر. وقد أورد جلال الدين السيوطى فى تفسيره «الدر المنثور» عدداً من الروايات بهذا المضمون.

ص: ٣٨٦

إن أكثر أثر للاعتقاد بالبداء متصل بعالم الثبوت، في مقابل اليهود الذين يعتقدون بعدم إمكان تغيير المصير البشرى حتى بالنسبة لله تعالى، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: (قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) . (١)

أمّا البداء في مقام الإثبات، فيحمل معنى آخر، وهو أن يُخبر نبيّ أو ولي من أولياء الله بخبر ما، غير أنه لا يتحقق، وهنا لابد أن نعرف أنّ هذا المخبر الإلهي لم يكن كاذباً في خبره، فقد كان مطلعاً على المقتضيات التي تدفع إلى تحقّق الظاهره أو الحدث، دون أن يكون مطلعاً على المانع اللابث في البين، وفي هذا المورد يقال: بدا لله، تماماً كما في قصه يونس، حيث أخبر بنزول العذاب، وبدت آثاره، عبر ذلك ثبت قول هذا النبي، غير أنّ قوم يونس سلكوا سبيل التوبه بإرشاد من أحد العباد الزاهدين، وتمكّنوا بذلك من إبعاد شبح العذاب الإلهي عنهم، وهذا ما أشارت إليه الآية المباركه: (فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) . (٢)

وللبداء في مقام الإثبات موارد معدوده، أحدها ما جرى لقوم يونس، أمّا أنه لماذا يقولون: بدا لله، فيما كان سبحانه وتعالى مطلعاً على تمام زوايا الحدث وأطرافه، أي أنه كان يعلم بتكذيب قوم يونس وبلعنه يونس عليهم وتهديد مظاهر العذاب لحياتهم وعمرانهم. كما أنه سبحانه يعلم بأنهم يسلكون سبيل التوبه، وتنزل الرحمه الإلهيه عليهم، وفي هذه الحاله لماذا يقال: بدا لله؟ فيما يفترض أن نقول: أبدى الله ما أخفاه؟ فالجواب: هو أنّ البشر يتحدثون عمّا يرونه، فحيث كان هذا الواقع بنظرهم ظهوراً بعد الخفاء، فإنّ الاستنتاج الأوّلي لهم يصوغونه في جمله: بدا لله، وإلا لابدّ من القول - انطلاقاً من العقائد والأصول المسلّمه -: بدا من الله.

ص: ٣٨٧

١- . المائده: ٦٤.

٢- . يونس: ٩٨.

إنّ هذا النوع من الاستعمالات كثير في القرآن الكريم، ونذكر هنا مورداً واحداً؛ حيث يتحدّث القرآن عن المنافقين، فيقول: (وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (١)؛ فمن المسلم أنّ عمل المشركين كان حيلةً ، فيما لا يكون عمل الله حيله والعياذ بالله، وإنّما يبطل سبحانه حيلهم، لكن حيث جرى التعبير عن عملهم بالمكر، بين فعل الله باستخدام الكلمه نفسها، كي يكون هناك نوع من التناغم والتناسق في الحوار والمجادله، وهذا ما يسمّى في الاصطلاح البلاغى بالمشاكله التي تعطى الكلام جماله ورونقه.

ومن هذا المنطلق، عندما تحدث رسول الله صلى الله عليه و آله عن الأشخاص الثلاثة من بنى إسرائيل الذين كانوا يتعذبون: واحد بالقرع وآخر بالعمى، وثالث بالبرص، وأنّ الله رفع عن كلّ واحد منهم بلاءه؛ فأعطى الأول شعراً جميلاً، والثاني عيوناً ناظره مبصره، والثالث جلدأ نضراً، وعندما لم يشكر بعضهم هذه النعمه الإلهيه أخذها الله منه؛ لأنّه لم يكن ليقوم بواجباته ومسؤولياته مقابل هذه النعم الربانيه، في هذه القصه نجد رسول الله صلى الله عليه و آله يعبّر: «بدا لله في الأقرع والأبرص...» (٢)، والعله في هذا التعبير هو ما قلناه قبل قليل.

... عندما سمع عبد العزيز هذا البيان كلّ قال: آتني بكتاب من قدماء الإماميه يفسّر البداء بهذا الشكل الذي ذكرته الآن، وفي تلك الأيام، أتيت بكتاب «أوائل المقالات» مع «تصحيح الاعتقاد» للشيخ المفيد، وذلك عاريه من مكتبه مسجد جهل ستون (الأربعون عموداً)، في طهران، وقدّمته له، وبعد سته أيام أرجع الكتاب لى، وقال: إنّ البداء بهذا المعنى الذي يقوله (المفيد) متّفق عليه بين علماء أهل السنّه كافه.

نستنتج من هذا كلّ، أنّ الحوارات الحميمه الصادقه التي تحكمها الصادقه

ص: ٣٨٨

١- . الأنفال: ٣٠.

٢- . صحيح البخارى: ٢٠٨/٤، كتاب الأنبياء، الباب ٥١.

يمكنها أن تقلص المسافات وترفع الكثير من الستر الذي يحجب رؤيه الحقيقه.

تعاون علماء الفريقين في العصور السابقه

إن هذا البعد والقطيعة الموجودين اليوم بين علماء الشيعة والسنة كانا أقل حجماً في الماضي، وقد ضاعفت العناصر الخارجه عن الأجواء العلميه منها، ووسعت من الانشطار والتشظى، ونمرّ هنا على تاريخ هذا التعاون بين علماء الفريقين:

عصر الصادقين عليهما السلام المنير والتضامن الإسلامي

يعدّ عصر الإمامين: الباقر والصادق عليهما السلام عصر الصراع والتصادم بين الدولتين:

الأمويّه والعباسيه، فحينما كان رجال السياسه مشغولين ببعضهم، كان الجو العلمى مفتوحاً أمام التعاون المعرفى، وقد استفاد منهما عليهما السلام عدد كبير من أعظم شخصيات فقهاء ذلك العصر، نذكر بعضاً منهم:

١. أبو حنيفه (١٥٠ هـ). إمام الحنفيه، فقد كان ملازماً للإمام الصادق عليه السلام لعامين كاملين فى المدينه المنوره، وهو بنفسه يتحدث عن تأثير هذين العامين عليه، حيث يقول: «لولا الستتان لهلك النعمان». (١)

٢. مالك بن أنس (١٧٩ هـ). فقيه المالكيه، حيث يقول عن الإمام الباقر عليه السلام: لقد رأيت جعفر بن محمد، وكانت الابتسامه على شفثيه، كان عندما يذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وآله يتغير لونه ويصفر، ولم ينقل حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا وكان على وضوء، لقد كنت لمدّه أكرر الذهاب عنده والتردد عليه، فلم أره إلا على إحدى ثلاث خصال: إمّا مصلياً وإمّا صائماً وإمّا يقرأ القرآن، وكان من العباد الزهاد الذين يخشون الله تعالى. (٢)

ص: ٣٨٩

١- . التحفه الاثنا عشرية: ٨.

٢- . التوسل والوسيله، لابن شمسويه: ٥٢.

٣. سفيان الثوري (١٦١ هـ). صاحب مذهب فقهي يُنسب إليه، وقد استمرّ مذهبه قائماً حتى القرن الرابع الهجري، وقد نقل الكثير من الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام.

٤. سفيان بن عيينه (١٩٨ هـ). أحد رؤساء المذاهب التي انقرضت أنصارها، وكان ينقل روايات عن الإمام الصادق عليه السلام.

هذه نماذج لما أردنا ذكره، وكتب الرجال والتراجم حافله بالمزيد. (١)

ولم تكن هذه العلاقة لتربط الفقهاء المعاصرين للإمام الصادق والباقر عليهما السلام وتجعلهم يحملون رواياتهما فقط، وإنما امتدّت لتشمل الفقهاء الكبار في علاقتهم بتلامذه هذين الإمامين، حيث كانت بين الطرفين علاقات علميه وفكريه، فابن أبي ليلى قصد محمد بن مسلم كي يطلع من خلاله على فتاوى وآراء الإمام الصادق عليه السلام، ليتمكّن عبر ذلك من حلّ مشكلاته الفقهيّه. (٢)

وفي سفر الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو، كان على مسير نيسابور آلاف المحدّثين ينتظرون الإمام الثامن عليه السلام وفي أيديهم القلم والكاغذ، وهناك بالذات سمعوا حديث السلسله الذهبيه حيث ألقاه الإمام عليهم.

ويشير الإمام الفخر الرازي في تفسيره لسوره الكوثر إلى نسل السیده الزهراء عليها السلام، ويقول: في أيّ أسره نجد علماء كبار مثل الباقر والصادق والكاظم والرضا! وفي المجلّد الأوّل من تفسيره، ولدى بحثه عن جزئيه البسمله من كلّ سوره ولزوم الجهر بها، ينقل الفخر الرازي رأي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويقول: «كلّ من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى»، ودليله على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم أدر الحق معه حيثما دار». (٣)

أكتفى هنا بهذا المقدار للتدليل على التعاون المعرفي الذي كان قائماً بين

ص: ٣٩٠

١- لمزيد من الاطلاع انظر كتاب: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٧١/١-٧٣.

٢- وسائل الشيعة، ج ١٢، أبواب أحكام العيوب، الباب ١، الحديث ١.

٣- التفسير الكبير، للفخر الرازي: ٢٠٤/١.

المذاهب في عصر الأئمة الأربعة، وأسعى - لاحقاً - لبيان هذا التعاون بين علماء الفريقين في عصر الغيبة، منذ عام ٢٦٠ هـ. فما بعد.

١. الكليني في بعلبك

محمد بن يعقوب الكليني، أحد المحدثين الشيعة البارزين، ولد حوالي عام ٢٥٥ هـ. وتوفي عام ٣٢٩ هـ.، وقد كتب «الكافي» في حوالي عشرين سنة، وأخذ عنه القميون الحديث، ثم عزم السفر إلى بغداد، ليعرض هناك كتابه على المحدثين.

في تلك الأيام، كانت بغداد والكوفة مركز التشيع، ومع ذلك لم يكتف الكليني بما فعل، بل واصل سيره نحو دمشق وبعلبك، وهناك في بعلبك بالذات نقل الحديث عن أستاذين هما: أبو الحسن محمد بن علي السمرقندي، ومحمد بن أحمد الخفاف النيسابوري.

يكتب ابن عساكر في تاريخه أنّ مشايخه ضبطوا الحديث عن الكليني، ويعمد من ثم إلى نقل حديث عنه بسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام: «إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله».(١)

لقد كان الجو في بعلبك منفتحاً إلى حدّ أن محدثي الفريقين كانوا يتبادلون الحديث فيما بينهم، وقد أخذوا الحديث من هذا الشيخ الجليل، دون أن يروا أن تشييعه مانع من أخذ الحديث عنه.

٢. الشيخ الصدوق في بلاد ماوراء النهر

يتمّ الشيخ محمد بن علي بن بابويه (٣٠٦-٣٨١ هـ.) المعروف بالشيخ الصدوق، شطره - لأخذ الحديث - ناحيه المشرق الإسلامي، وأقام لسنوات عده في بلخ وبخارى، ونقل الحديث عن ٢٦٠ شيخاً من شيوخ الحديث، وقد كان

ص: ٣٩١

١- . تاريخ ابن عساكر: ٢٩٨/٥٦.

بعضهم من محدثي أهل السنّه، مثل أبي نصر أحمد بن الحسين الضبّي المرواني(١)، كما نقل عددٌ من محدثي أهل السنّه عنه الأحاديث، وقد كان بعض مشايخ الخطيب البغدادي، مثل محمد بن طلحه النعالي من تلامذه الشيخ الصدوق، ليس هذا الرجل فحسب، بل هناك آخرون من أهل السنّه أخذوا الحديث عنه.(٢)

٣. الشيخ المفيد في بغداد

محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ). أحد العلماء المشهورين في بغداد، لقد كان مشعلاً يضيء على المحيطين به، وقد استفادت الفرق عامتها منه، يقول ابن الجوزي عن درسه: «كان له مجلس بداره بدرب رباح يحضره كثير من العلماء من سائر الطوائف»(٣)؛ وما يرشد إلى عمق العلاقة التي كانت تربط الفرق كافة - من الشيعة والسنّه - به وحبهم له، ما يقوله عنه كل من الشيخين: الطوسي والنجاشي، وهما من تلامذته، يقول النجاشي: «وكان يوم وفاته مشهوراً، وصلى عليه الشريف المرتضى بميدان الإثنان، وضاق على الناس مع كبره»(٤). ويصف الشيخ الطوسي يوم وفاته فيقول: «كان يوم وفاته يوماً لم يُرَ أعظم منه من كثره الناس للصلاه عليه، وكثره البكاء من المخالف والمؤالف»(٥).

لقد كان الشيخ المفيد وكافة علماء بغداد من الفرق المختلفه يكرّمون العلم رغم اختلافهم فيما بينهم. وكانت تربطهم علاقات وطيدة، فذرف شخص سني

ص: ٣٩٢

- ١- انظر: علل الشرائع: ١/١٣٤، ح ١، الباب ١١٦؛ معاني الأخبار: ٥٦، ح ٤؛ التوحيد: ٩٤، ح ١١.
- ٢- كمال الدين: ١٧٠.
- ٣- المنتظم: ١٥٧/١٥.
- ٤- رجال النجاشي، الرقم: ١٠٦٧.
- ٥- الفهرست للشيخ الطوسي، الرقم: ٧١١.

الدموع على موت عالم شيعى كاشف عن عمق العلاقة والارتباط الروحيين.

٤. الشريف المرتضى زعيم أهل العراق

يعدّ الشريف المرتضى، على بن الحسين (٣٥٥-٤٣١ هـ). من أركان العلم فى العراق، وقد اعترف الجميع له بالإمامه فى الكلام والفقّه والتفسير والأدب، فابن بسام الأندلسى يمتدحه فى أواخر كتاب (الذخيره) فيقول: «كان هذا الشريفُ إمام أئمه العراق بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظمائها».(١)

٥. الشيخ الطوسى وكرسى التدريس

ومما أنتجته يراع الأستاذين البارزين: المفيد والمرتضى، الشيخ محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسى (٣٨٥-٤٦٠ هـ)، إننا نجده ينقل فى أسانيده عن عالمين سنيين أخذ عنهما الروايه، وهما: أبو على بن شاذان، وأبو منصور السكرى.(٢)

ويصف الذهبى بيته بمعقل السبّاقين إلى العلم، ويكفيها للإشاره إلى عظمته العلميه أن أعطاه الخليفه العباسى (القائم بأمر الله) كرسى الكلام الإسلامى.(٣)

٦. ابن إدريس الحلّى والتعاون مع الفقيه الشافعى

يخبرنا محمد بن منصور الحلّى، المعروف بابن إدريس (٥٤٣-٥٩٨ هـ) - وهو عالم بارز مرموق صاحب رأى ومدرسه فى الفقّه - فى كتابه القيم (السرائر) عن علاقته وتعاونه مع أحد فقهاء الشافعيه: «كتب إلّى بعضُ فقهاء الشافعيه، وكان بينى وبينه مؤانسه ومكاتبه: هل يقع الطلاق الثلاثُ عندكم؟ وما القول فى ذلك عند

ص: ٣٩٣

١- .وفيات الأعيان: ٣/٣١٣، الرقم: ٤٤٣، نقلاً عن ابن بسام.

٢- .مقدمه التبيان: ٧.

٣- .سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٣٣٤/١٨.

فقهاء أهل البيت ؟ فأجبتة...».

لقد عاش ابن إدريس في مدينه الحله فيما كان مسكن هذا الفقيه الشافعي هو بغداد أو شمال العراق، إلّا أنّ بُعد المسافه لم يشكل مانعاً من استفاده هذين الفقيهين من بعضهما، ليرجّحا المشتركات على نقاط الخلاف.

٧. الشيخ منتجب الدين الرازي ومديح الرافي القزويني

منتجب الدين أحد علماء القرن السادس، وقد كتب تكمله على فهرست الشيخ الطوسي، وفي الحقيقه فقد أكمل فهرست الشيخ الطوسي شخصان في وقتٍ واحد: منتجب الدين في الري، وابن شهر آشوب في بغداد أو دمشق.

يعدّ الرافي القزويني - صاحب كتاب (التدوين) - من المحدثين الرفيعين لأهل السنّه، ومن مؤرخي القرن السادس، وقد لازم الشيخ منتجب الدين وظل في خدمته فتره طويله، وأخذ عنه الحديث والعلم، ومن المناسب هنا أن نطالع مكانه هذا العالم الشيعي على لسان تلميذه، إنّه يعرّف أستاذه في كتاب (التدوين) كما يلي: «شيخ ريان من علم الحديث سماعاً وضبطاً، يكتب ما يجد ويسمع ممّن يجد، ويقلّ من يدانيه في هذه الأعصار في كثره الجمع والسماع والشيوخ الذين سمع منهم وأجاز لهم، وله كتاب الأربعين، وقد قرأته عليه بالريّ سنة ٥٨٤ هـ».(١)

٨. فخر المحققين ومديح صاحب القاموس

فخر المحققين محمد بن الحسن بن يوسف، أحد فقهاء القرن الثامن الكبار، إنّه ابن الحسن بن يوسف المعروف بالعلامه الحلي، وقد كان هذا الولد عزيزاً ومحترماً جداً عند والده، لهذا كتب الوالد جملته من مؤلفاته بناء على طلبٍ منه ورغبه، وفي آخر كتاب (قواعد الأحكام) سجّل وصيته لولده وهي وصيه تحوز

ص: ٣٩٤

١- . التدوين في أخبار قزوين: ٣/٣٧٢.

على قدر عالٍ من الأهمية من الناحية الاجتماعية والأخلاقية.

هذا من جانب ومن جانب آخر، يصنّف الفيروزآبادي، صاحب كتاب (القاموس المحيط) من الأدباء اللامعين في القرن الثامن الهجري، ويصنّف كتابه هذا مرجعاً لكتاب القواميس اللغوية الذين جاؤوا بعده.

أجاز الفيروزآبادي لأحد تلامذته - المعروف باسم ابن الحلواني - نقل كتاب (التكملة)، ويخبره بأنّه أخذ هذا الكتاب عن أستاذه ورواه عنه، ذاكرًا سنده لمؤلف التكملة.

وفي هذه الحال، يصف الفيروزآبادي فخر المحققين بالقول: «بحر العلوم وطود العلي، فخر الدين محمد بن الشيخ الإمام الأعظم برهان علماء الأمم، جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر بحق روايته عن والده».

هل هناك تبادلًا علمياً وتعاوناً معرفياً أكثر من هذا؟ وهل يمكن أن يكون هناك أوضح من هذا في واقعيه تقييم الآخرين؟

٩. الخواجه نصير الدين الطوسي ونجاه العلماء

نفذ المغول من المشرق إلى داخل البلاد الإسلامية، وشرعوا بحملتهم عام ٦٠٦ هـ. واحتلوا بغداد عام ٦٥٦ هـ، ومنذ بدايه الحرب خربوا المدن والقرى التي مرّوا بها وارتكبوا فيها المجازر الجماعية، وعلى امتداد مسيرهم أبادوا مظاهر الحضارة الإسلامية، ولذا اختفى الكثير من العلماء والمفكرين ولجأوا إلى أماكن ونقاط بعيدة قاصيه، وعندما وصل المغول إلى بغداد لم يرحموا الصغير ولا الكبير ولا السنّي ولا الشيعي، ولم تمض أيام إلّا وغرقت المنطقه في مسلسل إعدامات واسع النطاق، ورموا بكتب علماء الإسلام في نهر دجله حتى غدا ماؤه أسود.

وفي هذه الفتره كان نصير الدين الطوسي أسيراً في يد الإسماعيليين عند فتح قلعه ألموت، وسقط أسيراً في يد المغول، وحيث بلغهم علمه بالنجوم والرياضيات، وكانت هذه العلوم مرغوبه لدى هولاء، حفظوه تحت أيديهم في

بغداد، وقدّموا له الاحترام، وقد تمكّن بخبرته ودرايته من دعوته الكثير من العلماء من أماكن اختبائهم، وأعاد بناء الحضارة الإسلامية بتأسيسه مرصداً في مراغه.

لم يكن نصير الدين يعرف في العلاقات العلمية والفكرية سنياً ولا شيعياً، لأنه كان لا يميّز بينهما، فقد أخذ العلم من أستاذ سني المذهب اسمه: كمال الدين ابن موسى، كما تعلّم العديد من علماء أهل السنّة على يديه فبلغوا مكانة مرموقة في سماء المعرفة، ويكفي أن نعرف أنّ قطب الدين الشيرازي، وشهاب الدين الكازروني، وأبا الحسن علي بن عمر الكاتب القزويني - مؤلّف كتاب الشمسية - من خريجي مدرسه الطوسي.

وقد حظى كتابه «تجريد الاعتقاد» باهتمام مختصّي علم الكلام الإسلامي، وبعد العلّامة الحلّي الذي يعدّ أوّل شارح لهذا الكتاب، قام عدد من العلماء السنّة بشرحه أيضاً، مثل شمس الدين البيهقي، وشمس الدين الإصفهاني، وعلاء الدين القوشجي.

ويكتب ثالث هؤلاء الشراح في مقدّمه شرحه يحدثنا عن هذا الكتاب بشكل مثير للدهشة، مما يجدر بطلاب المعرفة والراغبين مراجعته، وهذه بعض كلماته.

يقول: «تصنيف مخزون بالعجائب، وتأليف مشحون بالغرائب، فهو وإن كان صغير الحجم وجيز النظم، لكنه كثير العلم، عظيم الاسم، جليل البيان، رفيع المكان، حسن النظام، مقبول الأئمة العظام، لم يظفر بمثله علماء الأعصار، ولم يأت بمثله الفضلاء في القرون والأدوار، مشتمل على إشارات إلى مطالب هي الأُمّهات، مشحون بتنبّهات على مباحث هي المهمات، مملوّ بالجواهر كلّها كالفصوص، ومحتوٍ على كلمات يجرى أكثرها مجرى النصوص، متضمّن لبيانات معجزه في عبارات موجزه...» (1).

ص: ٣٩٦

یصنّف ابن الحاجب (المتوفّى ٦٤٦ هـ) من أدباء القرن السابع ومن أصولیّی عصره، وقد غدت ثلاثه من كتبه محاور للتدريس والشرح، وهی:

١. الشافیه، فی الصرف.

٢. الکافیة، فی النحو.

٣. مختصر الأصول، فی علم أصول الفقه.

وقد شرح کتابین الأوّلین رضی الدین الاسترآبادی، وكان شرحاه لامعین فی سماء اللغه والأدب، يقول جلال الدین السيوطی: بعد الرضى كل من جاء كان يعتاش على فتاته.

أمّا الكتاب الثالث لابن الحاجب فقد ظل كتاباً دراسياً في الحوزات الشيعية، وقد درّسه المغفور له المحقق الأردبيلي لتلميذيه: صاحب المدارك، وصاحب المعالم، ووقع الكتاب موقع القبول والترغيب من جانب علماء أصول أهل السنّه، وتعدّت شروحاته الأربعين شرحاً. ومن الوسط الشيعي كانت للعلامه الحلّی مساهمه علميه كريمه، فقد كتب شرحاً علمياً تحقيقياً عليه، يقول فيه ابن حجر: «في غايه الحسن في حلّ ألفاظه، وتقريب معانيه...» (١).

إلى هنا، نكون قد مررنا سريعاً على بعض جوانب التعاون العلمي بين الفريقين، حتى القرن السابع، وقد كان هذا التعاون على مستوى العلماء والمفكرين، رغم أنّه على مستويات أخرى ثمه من أوقد نار الفتنة فأوجد المشكلات للعلماء أنفسهم.

ونكون بما عرضناه قد عرضنا جانباً من مشهد التعاون بين علماء السنّه والشيعه، إلّا أنّ شرح حال هذه العلاقه المتبادلّه في القرون اللاحقه يطيل بنا المقام ويزيد في الكلام، لهذا نصرّف - فعلاً - النظر عنه، ولننظر على هذا التعاون المعرفي

ص: ٣٩٧

بين الفريقين في القرن الرابع عشر الهجري، وبشكل موجز.

١١. العلامة هبه الدين الشهرستاني قدس سره (١٣٠١-١٣٨٦ هـ) أنّ لهذا السيد الجليل خدمات جليله في نشر الإسلام عن طريق الرسائل والمقالات والكتب والموسوعات، ومن آثاره القيمه كتابه المعروف ب «الهيئه والإسلام» فإنه بحق أثر جليل وتصنيف بلا مثيل، كشف فيه الغطاء عن نظريه الإسلام فيما يتعلّق بشأن الأرض والسماء، وقد كان الفلكيون من المسلمين معتقدين بما جاء به بطليموس في ذلك المجال وصاروا يفسرون الآيات والروايات وفقاً لهذه النظرية، ويواجهون في ذلك صعوبه لا توصف.

كانت هيمنه النظرية البطليموسيه حاجبه بينهم وبين الرؤيه الواقعيه للإسلام في مجال الفلكيات، إلّا أنّ السيد الشهرستاني رحمه الله تجرد عن تلك النظرية ونظر إلى الآيات والروايات متخلياً عن رأى مسبق فرأى أنّ ما جاء به الإسلام في الكتاب والسنة هونفس ما أثبتته العلم الحديث بفضل المراصد والحسابات الرياضيه الفلكيه.

ولمّا خرج الكتاب من الطبع وانتشر في العراق وخارجه تواترت التقارير وكتب الثناء والتقدير على الكتاب ومؤلفه من علماء الإسلام كافه، وممن قرّظه من علماء السنّه في العراق، شيخ علماء بغداد في عصره، وكبير أعلام أهل السنّه في مصره، العلامة السيد محمود شكري بن عبدالله بن أبي الثناء الألوّسى البغدادي^(١) (المتوفى ١٣٤٢ هـ) إذ جاء في رسالته خطاباً إلى السيد المؤلف:

«إنّ صريح المعقول لا يخالف صحيح المنقول، فكان ما ظهر لدى المتأخرين من الآراء كالشرح لما جاءت به الشريعه الغراء، لا سيما ما يتعلّق بشأن الأرض والسماء؛ وقد كان هذا السرّ مكتوماً عن الناس، خفياً على أفهام كثير من الأكياس،

ص: ٣٩٨

١- . كتاب العلوى: ٤٥، نقلًا عن مجله (العلم) (المجلد الثاني، ص ٩٥-٩٦، شعبان ١٣٢٩ هـ، ٢٧ تموز ١٩١١ م).

حتى قيض الله تعالى لكشفه فرع الشجره الهاشميه، وغصن الدوحه العلويه، فخر الأكابر والأعظم، وذخر الساده الأكارم، جامع مجامع الأخلاق الحميده، حاوى محاسن الصفات السديده، محيى دارس المجد والرئاسه، مقوم أود العز، بما أحكم به أساسه، علامه عصره وفهامه مصره، المصلح الشهير، والفظن النحرير؛ هبه الدين السيد محمد على الشهرستاني لا زال مؤيداً بالتأييد الربانى، وفتح مُقفل السرّ.. وفتح الباب وأصبح وله يدٌ بيضاء على الأمه الإسلاميه ومُجدٌ مخلص من بين أعلام أئمه الإماميه»(1).

وللسيد الشهرستاني رحمه الله مراسلات مع علامه الأزهر الشيخ محمد رشيد رضا، وهو من تلاميذ المصلح الشيخ محمد عبده (المتوفى عام ١٣٢٣ هـ)، وقد نشر ما أملاه عليه أستاذه على صفحات مجله المنار، ثم جمع ما نشره وسمّاه بتفسير المنار، وقد أدخل ضمن دروس إمامه وأستاذه ما ليس منه.

ومع ذلك فللرجل مقام سام بين الأزهريين، وله كتاب «الوحي المحمدي» الذى كان له صدى واسعاً يوم نشر، وكان بينه وبين السيد هبه الدين الشهرستاني

ص: ٣٩٩

١- . السيد محمود شكرى الآلوسى البغدادي ابن السيد عبدالله ابن المفسر الشهير السيد محمود شهاب الدين أبى الثناء صاحب (روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) (المتوفى ١٢٧٠ هـ) كانت ولادته فى بغداد فى دار جدّه الكبير السيد أبى الثناء، المجاوره لجامع الشيخ العاقولى فى محله (الحيدر خانة) وموضعها فى السنين الأخيره مدرسه التفيض، وكانت هذه المحله تعرف فى أيام العباسيين ب (درب فراشا) و (درب الخبازين). والسيد محمود سُكرى - ويقال له (شكرى أفندى) أيضاً - كان من أكابر علماء زمانه على مذهب أهل السنه، وله تلامذه كثيرون، منهم: العلامة الشيخ بهجه البغدادي المعروف ب (الأثرى)، وهو آخر من مات من تلامذته إذ كانت وفاته فى سنه ١٤١٦ هـ وولادته فى سنه ١٣٢٠ هـ. ومن أشهر مؤلفات الآلوسى: (بلوغ الأرب فى معرفه أحوال العرب) الذى قال فيه يصف (نهج البلاغه) - مع تعصّبه وتعنته -: (هذا كتابٌ نهج البلاغه قد استودع من خطب الإمام على بن أبى طالب سلام الله عليه ما هو قبسٌ من نور الكلام الإلهى، وشمسٌ تضىءُ بفصاحه المنطق النبوى) - والحقُّ ينطق منصفاً وعنيداً - راجع (٣/١٨٠) من (بلوغ الأرب) - باب خطب أهل الصدر الأوّل من الإسلام -، وقد عاش هذا العالم حصوراً فلم يتزوج.

علقه وطيده تظهر من رساله السيد إليه، وقد كتب الأستاذ رشيد رضا رساله إليه وأجاب عنها السيد الشهرستاني بما هذا نصه:

حضره العلامة الكامل شيخ المصلحين الأفاضل سماحه الأستاذ محمد رشيد أفندي رضا الأفخم - مد ظله -

بعد إهداء أسنى سلام وأزكى تحيه إلى تلك الحضرة القدسيه، أدامها ربّ البريه وبث الأشواق الخالصه القلبيه.

نرجو من سيادتكم:

أولاً: أن تفضّلوا علينا بالإخبار عن صحتكم وسلامه مزاجكم الوهاج، وتبشرونا باستقامه أحوالكم وطيب خاطركم العاطر.

وثانياً: أنه بأسعد وقت حظوت بمُشرفكم المؤرخ ١٩ ربيع الأَنور [١٣٣٠ هـ] فتناولته بيد المسره والاحترام وتطير قلبي فرحاً من إشعاره بتشريفكم في رحلتكم هذه الميمونه إلى بلادنا لزياره أجدادكم وإخوانكم وإنّ هي إلّابشاره عظيمه، ولا شك أنّ محلنا يتشرف بنزول أجلالكم فيه، إذ هو في الحقيقه محلّكم، والمخلص خادمكم ما دتم مشرفين وينبغي لسياده الأستاذ دام ظله أن لا يقطع عنّي خبره وييشرنى بزمان تشريفه إلى قطرنا إن استقر عليه رأيه، وهذه والله نعمه غير مترقّبه تستوجب الشكر الجزيل.

وحيث إنّ رقيمكم الزاهر شرفنى في أوّل أمس ولا- يبلغكم الجواب حسب الظاهر إلّما فى أواسط الشهر المقبل، فلا- شك أنّ كتابتى إليكم فيما يتعلق برحلتكم فى الهند غير مجديه، ولكنى أحاول الفرص فإن أباحها لى التوفيق فلربما سافرت إلى البصره استقبال تشريفكم إذا تحقّق إن شاء الله.

ولو صرفتم النظر (فرضاً) عن تشريف العراق فعرفونى عن ذلك أيضاً فإن ذلك يهمنى كما يهمنى معرفه زمان ورودكم....

تحرير أقل خدام الإسلام السيد هبه الدين الشهرستاني

١٦ شهر ربيع الثانى ١٣٣٠ هـ

ص: ٤٠٠

وله رساله أُخرى إلى الأُستاذ رشيد رضا، نتشرف بنقلها في المقام

بسمه تعالى

سيدي العلامه أدام الله أيتامه

مرحباً بكم وأهلاً وسهلاً، ما كان أجمل ذلك النبأ الذي بلغني فيه قدومكم، ولكن وا أسفاه لو تم السرور فقد كنت متشوقاً لطلعتكم مُترقباً وورودكم أنا وسائر العلماء والأدباء المخلصين لكم على البعد والذين تهيئوا وتهيئنا معهم للقائكم، وعسى أن يكون العذر الذي قعد بكم عن الورد على هذه البلاد قد عفاكم الله منه ولو كان سلك البرق غير منقطع بيننا وبين بغداد لجعلت المخابره تترى استعلاماً لأحوالكم واستكشافاً لنياتكم قدّر الله الاجتماع بكم، وها أنا ذا بعد أن علمت أنكم ألقيتم عصي التسيار في بغداد ناهض إليكم متحرك إلى حيث أنتم على كثره أشغال وتشويش بال، ولكن لقياكم ومشاهدتكم هما أعزّ عندي من كل شيء، وقد جعلت حركتي بكره - أي يوم السبت - لأنّ هذا اليوم عندنا يوم نفير البريد العام هذا ما لزم عرضه، وسلامي لمقام السيد النقيب نقيب الأشراف المُعظّم وأولاده الكرام.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

المخلص هبه الدين الحسيني الشهرستاني

النجف ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٣٠ هـ

وله رساله ثالثه أرسلها إليه من الهند، هذا نصّها:

من آتوا بالهند ٢٤ شهر رمضان سنة ١٣٣١ هـ

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

سيدنا العلامه المصلح دامت إفاضاته

بعد إهداء أسنى السلام وأزكى التحية، وبث الأشواق الخالصة القلبية لحضرتك البهيه، فإنّ هذا المشتاق تشرف من عهد بعيد بزياره كتابك الكريم،

وقد أشغله عن المواظبه على التراسل جملة أمور منها لوازم السفر ومهمات الحل والترحال، حيث إنني لا أقيم في بلد أكثر من أسبوعين، ومنها عروض الأسقام والحميات غالباً بسبب اختلاف أهويه البلاد ومغايره البيئه الهنديه لطواهر البنيه العراقيه، ومنها اشتغالي بالمذاكرات والتقارير الخصوصيه والعموميه الدائره على قطبي الإرشاد العام نحو الإصلاحات والحث على تقويه أمر الدعوه الإسلاميه دحضاً لمساعي دعاه النصرانيه، ومنها تحريري لأجوبه المسائل الوارده عليّ علاوةً على اشتغالي بتحرير المقالات الفارسيه تحت عنوان (قفان اسلام) ولا مقصد لي فيها غير الحث على الدعوه ومعارضه دعاه النصرانيه بقوه اجتماعيه إسلاميه تتجلى في كسوه المدارس والمجالس والمطبوعات والمجتمعات، وقد شرع الإخوان في طبع تلك المقالات في كتاب مستقل بالفارسيه، كما شرعوا في ترجمتها إلى اللغه الهنديه وسوف أهديهما إلى إدارتكم الزاهره بعد نجازهما.

مضافاً إلى انتشار هاتيك المقالات في بعض صحف الهند الفارسيه والأردويه. وبالجملة ليس الغرض من ذكر هذه الأمور إظهار خدماتي الإسلاميه لأعداءنا يخدمون باطلهم أكثر من هذا، بل المقصود أن يعذرني حضرتك الساميه. إذا أنا أبطأت في المكاتبه.

ثم إنني مقدّم إلى مجلتكم الغراء كتابي في أجوبه مسائل اقترحها عليّ جلاله الملك العربي السيد فيصل بن تركي سلطان عمان - دام في عز وأمان - عسى أن تحظى بالقبول فينشر على صفحات المنار الزاهيه، ويطلع مع ذلك كرساله مستقله نظراً إلى ما فيها من المسائل المستطرفه والأبحاث التفسيريه المناسبه لخطه المنار الأغر، ومتى طبعموه كتاباً مستقلاً فأخبروني عنه سريعاً حتى اشترى من نسخته نحواً من خمسين نسخه لأوّل وهله أوزعها على طالبيه من أحبتي الهنديين، وليكن الجواب عن ذلك سريعاً في البريد المتعهد بهذا العنوان.

وممّا استظرفت ذكره لكم من حيل دعاه النصرانيه إنني مررت بمجتمع عظيم في منتزه (بارابنكي) وإذا بقس يدعو إلى اعتناق المسيحيه، ثم خرج من الجماعه

رجل في زى أوروبى وذكر للناس أنه جاب البلاد وفتش عن الأديان فلم يجد خيراً من النصرانية، ثم بايع ذلك القس وجلس بجانبه، ثم خرج من الجماعه رجل في زى العرب وذكر للناس أنه رجل من أهل مكه على مذهب الحنفى قد ساح البلدان طلباً لأصح الأديان فلم يجد كالنصرانية نطق بهذه الشهاده وبيع القس وجلس بجانبه، ثم خرج من الجماعه رجل في زى العجم وذكر للناس أنه شيعى خرج من كربلاء يفتش الدين الصحيح من أديان العالم فلم يجد مثل دين المسيح نطق بهذه الشهاده وبيع القس وجلس بجانبه، ثم خرج من الجماعه رجل هندي وذكر للناس أنه وثنى خرج من بلده (اجودھيا) وتصفح المذاهب فلم يجد كالمسيحيه ثم بايع القس وجلس بجانبه، ولما دقت النظر في أمرهم وجدت ذلك منهم حيله يريدون اغتيال العامه البسطاء بذلك، والأربعه كانوا جميعاً هنود متنصّرين من زمن طويل، إذ لم يكن الذى ادعى أنه عربى حنفى يعرف شيئاً من العرييه ولا فيه شمائل العرب، وكذلك الذى ادعى أنه شيعى أعجمى لم يكن عارفاً بالعجميه ولا فيه شمائلهم، ولو كان معى أصحابى أو كنت ماهراً فى اللغه الهنديه لعارضتهم أتم المعارضه، لكنى خشيت الفتنه مع غربتى وانفرادى، وعدم معرفتى محاورات الهنود كامله وغلب على الذهول والتحير من هذه الحيله المعجبه التى يقصر عنها دهاء إبليس.

ثم السلام التام عليكم وعلى الأخ السيد صالح رضا ورحمه الله وبركاته

تحرير أقل خدام الإسلام هبه الدين

الشهرستانى النجفى

صاحب مجله العلم

هكذا يجب أن يكون العلماء الذين تنبض قلوبهم بحفظ الوحده وتقريب الخطى ورأب الصدع وجمع الشمل انطلاقاً من قوله

سبحانه: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ

ص: ٤٠٣

١٢. السيد الجليل عبدالحسين شرف الدين العاملي رحمه الله (المتوفى ١٣٧٧ هـ). الذي يهدف في كل أثر حَبْرَه يراعه إلى تماسك المسلمين وتعاونهم وتمسكهم بالكتاب والسنة، فترى أنه يؤلف كتاباً باسم: «الفصول المهمة في تأليف الأمة» وهو من أجل الكتب الكلامية، تناول فيه مسائل الخلاف بين الطائفتين على ضوء العقل والاستنتاج والتحليل، وقد ألفه في أيام شبابه، وتم في عام ١٣٢٧ هـ.

لما كان باب الحوار بين أعلام السنة والشيعة غير مفتوح في الأعصار الأخير نهض السيد الراحل إلى فتحه من جديد عن طريق المكاتبه مع أحد أعلام أهل السنة، أعنى: الشيخ سليم البشري (١٢٨٤-١٣٣٥ هـ) شيخ الأزهر في عصره، وذلك بعدما هبط مصر أواخر عام ١٣٢٩ هـ مؤملاً في ذلك تحقيق الأُمْنِيَةِ التي أمَلَهَا، فوجد تربة مصر تربة خصبه بالعلم والذكاء، وقد جمع الحظ السعيد بينه وبين أحد أعلامها المبرزين المتميزين: «بعقل واسع، وخلق وادع، وفؤاد حي، وعلم عيلم، ومنزل رفيع» كما عبر رحمه الله في مقدمه مراجعته وهو يصف لقاءه معه بقوله: «شكوت إليه وجدى، وشكا إليّ مثل ذلك جداً وضيقاً، وكانت ساعه موفقه أوحى إلينا التفكير فيما يجمع الله به الكلمه، ويلمّ به شعث الأمة، فكان ممّا اتفقنا عليه أنّ الطائفتين - الشيعة والسنة - مسلمون يدينون حقاً بدين الإسلام الحنيف، فهم فيما جاء الرسول به سواء، ولا اختلاف بينهم في أصل أساسى يفسد التئس بالمبدأ الإسلامى الشريف...».

فترتب على ذلك اللقاء الجميل مكاتبات ومراجعات بلغ عددها ٦٥ مراجعه، أى أنّ السيد قد تلقى خمساً وستين سؤالاً من شيخ الأزهر ليجيب عليها، وقد أجاب بعدد الأسئلة، فصار المجموع كتاباً علمياً تاريخياً حديثاً كلامياً كان له صدى واسع عندما طبع عام ١٣٥٥ هـ.

ص: ٤٠٤

يُشار إلى أنّ المتحاورين لم يخرجوا عن أدب الإسلام وأدب المناظرة قيد شعره، بل أنّهما تبادلوا عبارات التقدير والاحترام، وهذا ما نلمسه في ثنايا كلامهما، فهذا شيخ الأزهر يبدأ مراجعته الأولى بقوله: «سلام على الشريف العلامة الشيخ عبدالحسين الموسوي ورحمه الله وبركاته» ثمّ إنّهُ يكتب في ثنايا تلك المراجعة:

وإنّي لواقف على ساحل بحرك اللجى، استأذنتك في خوض عبابه والغوص على درره، فإن أذنت غصنا على دقائق وغوامض تحوك في صدرى منذ أمد بعيد، وإلّا فالأمر إليك، وما أنا فيما أرفعه بباحث عن عشره، أو متبع عوره، ولا بمفند أو مند، وإنما أنا نشاد ضاله، وبحاث عن حقيقه، فإن تبين الحقّ فإنّ الحقّ أحقّ أن يتبع، وإلّا فأنا كما قال القائل:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

فبادله السيد رحمه الله الجواب الجميل وقال: «رمتنى بآمالك ونزعت إلىّ برجائك، وأنت قبله الراجى، وعصمه اللاجى، وقد ركبت من سوريا إليك ظهور الآمال، وحططت بفنائك ما شددت من الرحال، منتجعاً علمك، مستمطراً فضلك، وسأنقلب عنك حى الرجاء، قوى الأمل، - ثم يقول له -: فسل عمياً أردت، وقل ما شئت، ولك الفضل، بقولك الفصل، وحكمك العدل»^(١).

هكذا كان العلمان في سماء الأدب، وهذا هو تقديرهما لحقوق كلا الطرفين.

١٣. السيد آية الله العظمى محمد حسين البروجردى (١٢٩٢-١٣٨٠ هـ) من مراجع الشيعة العظام، وهو من دعاه التقريب وعماده، وقد ورث فكره التقريب عن أستاذه السيد محمد باقر الاصفهاني (المتوفى عام ١٣٤٢ هـ)، ويعلم مدى دعمه لمسألة التقريب أنّه قد كان للسيد مساهمه فعالة في تأسيس دار التقريب بين المذاهب، ودعم المعنيين بتأسيسها من دون فرق بين السنّه والشيعة، وقد كان على صلة وثيقة بأخبار دار التقريب عن طريق مندوبه، أعنى: الأمين العام لجماعه

ص: ٤٠٥

١- . المراجعات: الأولى والثانية.

دار التقريب، الشيخ محمد تقى القمى، كل ذلك يدل على شدة اهتمامه بأمر التقريب ولم شمل الأُمَّه كسائر رواده من معاصريه، نظير: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (المتوفى ١٣٧٣ هـ) والسيد عبدالحسين شرف الدين العاملى (المتوفى ١٣٧٧ هـ) وغيرهم من أقطاب التقريب.

ولم يقتصر نشاطه على متابعه أخبار دار التقريب فحسب، بل أنه قدس سره راح يرسل شيخ الأزهر عبدالمجيد سليم لما بعث إليه برسالة يستفسر فيها عن صحته بعدما سمع من المذيع أن صحته قد تدهورت، وقد اغتم السيد الفرصه وبعث بجواب إليه، وإليك نص رساله شيخ الأزهر:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضره صاحب السماحه آيه الله الحاج آقا حسين البروجردى

سلام الله عليكم ورحمته

أما بعد: فقد بلغنا - عن طريق المذيع - أن صحتكم الغاليه قد ألم بها طارئ من المرض، فأسفنا لذلك أشد الأسف لما نعرفه فيكم من العلم والفضل والإخلاص للحق، وإنا لنسأل الله جلّت قدرته أن يعجل بشفاؤكم، ويلبسكم لباس العافيه، حتى تتمكنوا من العود الحميد إلى نشاطكم المعهود فى خدمه الإسلام والمسلمين.

ولقد شاءت إرادته الله أن أكون أنا أيضاً فى هذه الفتره مريضاً معتكفاً فى بيتى أحمل همّين ممّضين: همّ نفسى وهمّ قومى، وأطيل التفكير حالياً فى حال أمتنا العزيزه، فياخذنى من القلق والحزن ما الله به عليم، فأرجو أن تسألوا الله لى العافيه كما أسأله لكم، والله يتولانا جميعاً برحمته.

إنّ الأُمَّه الإسلاميه الآن، أحوج ما تكون إلى رجال صادقى العزم، راجحى الوزن، يجاهدون فى الله حقّ جهاده، ليدرأوا عنها غوائل الفتن، ونوازل المحن، فقد تألّبت قوى الشر، وتجمّعت عناصر الفساد، وزلزل المؤمنون فى كل قطر من أقطارهم زلزالاً شديداً، وكأن قد أتى الزمان الذى أنبأ الصادق الأمين - صلوات الله

وسلامه عليه وعلى آله وصحبه -: أنّ القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، وإنّما مثل أهل العلم من المؤمنين الصادقين كأطواد راسيه أو حصون منيعه ألقاها الله في الناس أن تميد بهم الأرض من فتنه أو جهاله، أو كنجوم ثاقبه في ليل داج، ترشد السارين، وتهدي الحائرين. فادع الله معي أن يحفظ هؤلاء ويكثر في الأئمة منهم، وينشر عليهم رحمته، وينزل عليهم سكينته، ويؤيد بهم الحقّ والدين، ويهزم بهم المبطلين والملحدين والمفسدين، إنّه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

١٤ من شعبان سنة ١٣٧٠هـ (١)

ولمّا وصلت رساله شيخ الأزهر إلى السيد الراحل أجابه شاكرًا عواطفه تجاهه، وقال:

حضره صاحب الفضيله الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم

شيخ الجامع الأزهر - دامت إفاضاته -

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أمّا بعد - فقد بلغنا كتابكم الكريم الحاوي للعواطف الإسلاميه الساميه، يحكى لنا أنّه لَمّا بلغكم عن طريق المذيع أنّ صحّحه هذا العبد قد ألمّ بها طارئ من المرض، أسفتم لذلك، ودعوتم الله تعالى أن يعيد له الصحه.

فأشكركم على ذلك، وأسأل الله تعالى أن يبدّل التعارف والتعاطف بين المسلمين، ممّا كان بينهم من التناكر والتدابير والتقاطع، إنّه على ما يشاء قدير.

ويحكى كتابكم أيضاً، أنّه قد ألمّ بصحتكم الغاليه طارئ من المرض، كما ألمّ

ص: ٤٠٧

١- رساله الإسلام: العدد الثالث من السنه الثالثه. وليست هذه الرساله، الرساله الوحيده التي تم تبادلها بين شيخى السنّه والشيعة، بل تمه رساله أخرى كتبها الشيخ عبد المجيد سليم إلى السيد في جواب رساله شفويه حملها إليه الأمين العام لدار التقريب، وقد نُشر الجواب على صفحات مجله رساله الإسلام العدد الثاني من السنه الرابعه عام ١٣٧١ هـ.

بى، فاعتكفتكم فى البيت حاملين لهمين ممضين: هم نفسكم، وهم قومكم، وأن إطاله التفكير فى حاله الأمة، توجب لكم من القلق والحزن، ما الله به عليم.

هكذا ينبغى أن يكون رجال العلم ورجال الإسلام، مهما حاقت بالمسلمين زلازل الفتن، وأحاطت بهم نوازل المحن، فأسأل الله عزّ سلطانه، أن يلبسكم لباس العافيه، ويوفقكم لخدمه الإسلام والمسلمين، ولما يوجهه الاهتمام بأمر الأمة فى مثل هذا الزمان، من أمثال جنابكم الذين وقفوا أنفسهم لخدمه هذه الأمة، ودرء عوادي المفسدين والملحدين عنها، إنّه قريب مجيب.

إنّ هنا أموراً كنت أحب إبداءها لكم، لكن حالى لا تساعدنى على ذلك.

والسلام عليكم وعلى من أحاط بكم من المؤمنين الصادقين ورحمه الله وبركاته

١٧ من رمضان سنه ١٣٧٠ هـ. (١)

كان السيد يتحين الفرص بين حين وحين لأن يدعم موقف التقريب، ومن نماذج ذلك:

إنّ الملك سعود بن عبدالعزيز زار إيران وأرسل بهديه سننيه للسيد البروجردى، وقام السيد ببعث كتاب إلى سفير المملكة السعوديه فى طهران كإجابته لما أهدى إليه، وقد أشار فى ذلك الكتاب إلى أنّ مسأله الحجّ من أهم مظاهر الوحده، فللمسلمين أن يؤدّوا مناسك الحج وفق الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه وأبو داود فى سننه، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد دعا الله عز شأنه فى ختام رساله أن يؤلّف بين قلوب المسلمين، ويجعلهم يداً واحده على من سواهم.

١٤. السيد محمود شكرى الآلوسى البغدادي (المتوفى ١٣٤٢ هـ) من أكابر علماء زمانه، من أشهر مؤلفاته (بلوغ الأرب فى معرفه أحوال العرب)، وقد كانت

ص: ٤٠٨

١- . رساله الإسلام: العدد الثالث من السنه الثالثه.

بينه وبين العلماء الحجة الشيخ أبي عبدالله الزنجاني مؤلف كتاب «تاريخ القرآن» وغيره، علائق وطيدة، وزيارات متبادله، ومراسلات متواصله.

وقد كتب العلماء الزنجاني إلى عالم بغداد رساله يسأله عن كتاب النبات والرساله ليست بأيدينا ولكن قد وافاه الجواب من الآلوسى، والذي سنورده فيما يلي، ليتعرف القارئ على مدى العلاقه الطيبه بين العلمين من خلال عبارات الود والاحترام.

وعندما نشر العلماء الزنجاني محاضراته فى تاريخ القرآن، قرظه أحمد أمين المصرى وقدّر جهوده فى هذا المصنّف، كما أنّ السيد محمود الآلوسى قد ثمن هذا الكتاب، الذى أصبح يُعدّ من الكتب التى ردّت على ما جاء فى كتاب «فصل الخطاب».

وإليك رساله الآلوسى وهى موجوده فى مكتبه العلماء الزنجاني، وقد أرسل مصورتها إلينا نجله دام مجده.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فخر العلماء وعمده الفضلاء حضره الشيخ أبى عبدالله الزنجاني أمده الله بفيض لطفه الرباني

سلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أما بعد: فقد شرفنا كتابكم وسرنا خطابكم وحمدنا الله على بشرى سلامتكم، وكمال صحتكم، لا زلتم كذلك على الدوام موفورى الآلاء والانعام، وقد أبهجنى ما أخبرتم عنه من فحصكم عن كتاب «النبات» ووعدكم بتبشيرنا بالعثور عليه، حقّق الله تعالى ذلك بمساعيتكم المشكوره وهممكم المذكوره، وقد سرّنى أيضاً ماتفضّلتكم به من أسماء نوادير الكتب والمصنّفات السلفيه التى هى من تحف الزمان ونواديره وفى الحقيقه إنّه لا غناء لطلاب العلم عن جميعها، غير أنّها ممّا لا يلقاها إلّا ذو حظ عظيم، ونحن نكتفى منها إذا أمكن استكتاب مقاييس اللغه فقط بواسطه كاتب مجيد على شرط أن نقدم ما يصرف عليه من الأجره، وإن كان فى

ذلك كلفه على ذلك الجناب، وإتباع لفكركم.

وأما ما أخبرتم به أنكم بذلتم السعى لإلقاء محاضرات في شؤون القرآن العظيم وإنكار التحريف فجزاكم الله عن ذلك خير الجزاء وأمدكم بالتوفيق الإلهي، عسى الله أن يعلق بجهدكم هذا الباب الذي فتحه الشيخ حسين النوري بكتابه «فصل الخطاب»^(١)، فإن كتابه أضحى مدار مطاعن أعداء الإسلام من البروتستان وغيرهم فإن جمعيتهم التي في مصر نشرت كتاباً في المطاعن مستنده إلى كتابه، وسمعت أن بعض أفاضل النجف رد عليه أيضاً، وكتاب الجمعيه المصريه قد ردّ عليه بعض أفاضل مصر بكتاب سماه «تنزيه القرآن الشريف عن التغيير والتحريف» وقد عثرت على نسخه منه وها هي مقدمه إليكم بصحبه الكتاب مع الفائده السادسه من الفوائد التي في مقدمه تفسير روح المعاني، ورأيت المجلد الثاني من كتاب تاريخ أدب العرب لأبي السامى مصطفى صادق الرافعي مشتملاً على شؤون القرآن من أوله إلى آخره، والكتاب مطبوع في مصر يمكنكم أن تستجلبوا منه نسخه، فإن نسخه التي وردت إلى بغداد نفدت، ولو كنت عثرت على نسخه منه لاشتريتها وقدمتها إليكم، وهو مما يلزم إحضاره بين يديكم.

ثم أيها الفاضل: إن الله سبحانه وتعالى أمرنا عند الاختلاف أن نراجع الكتاب والسنة، فقد قال سبحانه: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ^(٢).

فلما وقع الخلاف في هذه المسأله راجعنا كتاب الله فوجدناه قد قال في أوائل

ص: ٤١٠

١- . نشير إلى أن جل علماء الشيعة الإماميه عن بكره أبيهم اقتداءً بأئمه أهل البيت عليهم السلام ينفون وقوع التحريف في القرآن الكريم وما ورد في «فصل الخطاب» وغيره إما روايات ضعاف، رفضها أئمه الحديث، أو وردت لغايه التفسير لا أنها جزء من الآيه. ومثل هذه الروايات موجوده أيضاً في كتب الفريقين. ونحن ننزه الفريقين من القول به.

٢- . النساء: ٥٩.

سوره الحجر: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (١)، وقال فى آخر (حاميم) السجده: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٢).

فكيف يعتريه التحريف والتغيير ويتطرقه التبديل وهو أعظم باطل؟ والمفسِّرون قد أشبعوا الكلام فى تفسير هاتين الآيتين، وراجعنا الحديث الصحيح فرأينا البخارى يروى بسنده عن محمد بن الحنفية وابن عباس: أن القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين لم ينقص منه شىء ولم يزد عليه شىء، ومثل هذين الحبرين هما من أكابر أهل البيت، فالاعتماد على قولهما يتبين به حقيقه الحال ويطل به روايه ما خالف ذلك، على أن القرآن العظيم هو شريعته ومعجزته وقد تعهد الله سبحانه بدوام شريعته الغراء وبقاء المعجزه الواضحه البيضاء فنقص شىء منه يستوجب الإخلال بالشريعته والمعجزه.

ولاشك أن الشيخ أيدته الله بتوفيقه ممن سيلقم الخصم بالحجر ويبسط من الدلائل والحجج الغرر ما فيه كفايه لمن تبصر وأعتبر، واختم الكلام بتقديم وافر الاحترام.

وعليكم منا التحيه والسلام

محمود شكرى الألوسى

٦ جمادى الآخرة ١٣٤١ هـ

هذه صور مختصره عن الأواصر العلميه بين أعلام الشيعة والسنة عبر القرون، وهو ما يجب أن يقتدى به علماء العصر الحاضر، بدلاً عن التنافر والعداء وحملات التكفير التى يقوم بها البعض خدمه لأعداء الأمة والإسلام.

ص: ٤١١

١- . الحجر: ٩.

٢- . فصلت: ٤١-٤٢.

وفي القرن الرابع عشر، برزت بشكل واضح مظاهر هذا التعاون، وفكر الفريقان: السني والشيعة منذ عام ١٣٢٥ هـ / ١٩٤٦ م بمسألة التقريب، وهذا ما أبرز مقوله التضامن الإسلامي، وكان أعمده هذا المشروع كل من المرحوم آية الله الشيخ محمدحسين كاشف الغطاء في العراق (١٢٩٤-١٣٧٣ هـ)، والمرحوم آية الله البروجردى (١٢٩٢-١٣٨٠ هـ). في إيران، من الطرف الشيعي، وأما من الطرف السنّي فكان الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر، والشيخ محمود شلتوت.

لقد رفع هؤلاء الأساطين في المعرفه شعار التقريب، وكانوا من رجال الإصلاح، ودعوا عبر تأسيس «دار التقريب بين المذاهب الإسلاميه» العلماء والكتّاب إلى التمسك بالمشتركات، وقد كرر هؤلاء الرواد أنه ليس هدفهم توحيد المذاهب أو دمجها، وإنما التقريب بينها في الرؤى ووجهات النظر، وقد أدى رجال العلم هؤلاء رسالتهم بإخلاص تام وخطوا خطوات كبيره في مجال التقريب، إلى أن طبع ونشر في القاهره كتاب «مجمع البيان» بتصحيح قليل النظر، وكذلك كتاب «المختصر النافع» للمحقق الحلّي، حتى أنّ الكتاب الثاني قد نفذ من الأسواق خلال شهرين.

لقد خطت دار التقريب في القاهره خطوات كبيره على طريق تقريب المذاهب من بعضها، كانت من إفرازاتها الفتوى التاريخيه لشيخ الأزهر فيما يخصّ الفقه الجعفري، وأنّ هذا الفقه معتبرٌ ورسْميٌّ وشرعيٌّ كسائر المذاهب الفقهيه.

وهذا هو نصّ الفتوى الشهيره:

«قيل لفضيلته: إنّ بعض الناس يرى أنّه يجب على المسلم - لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح - أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة، وليس من بينها مذهب الشيعة الإماميه ولا الشيعة الزيديه، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأى على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإماميه الاثنا عشرية مثلاً؟»

١. إنَّ الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتِّباع مذهب معين، بل يقول: إنَّ لكل مسلم الحق في أن يقلِّم بادي ذي بدء أيَّ مذهب من المذاهب المنقوله نقلاً صحيحاً والمدوَّنه أحكامها في كتبها الخاصه، ولمن قلَّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أيَّ مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢. إنَّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنَّة.

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلَّصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معيَّنه، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعه لمذهب، أو مقصوره على مذهب، فالكلُّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، ويجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليد هم والعمل بما يقرُّونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات»^(١).

وقام المغفور له آية الله البروجردى، بطبع كتاب (الخلاف) للشيخ الطوسى، وأثبت عبر ذلك أنَّ ٩٩٪ من المسائل الفقهية يوافق فيها الرأى الشيعى رأى أحد المذاهب الفقهية السنِّيَّة، وليست سوى مسائل معدوده تلك التى تفرد الشيعة بها، تماماً كما هو الحال فى كلِّ مذهب حيث له متفرداته.

وما زلت أذكر عندما وردت إلى مدينه قم هيئه من علماء مصر، أذعنوا بأنَّ ما نقله الشيخ الطوسى فى هذا الكتاب عن علماء المذاهب كان صحيحاً تماماً.

ومن النتائج ذات البركه التى أفرزتها دار التقريب أنَّ الفقه الشيعى أثر فى وضع بعض القوانين فى مصر ممَّا يرجع إلى الأحوال الشخصيه، كما أثر فى الآراء الفقهيه لبعض المفتين، كما هو الحال فى المسائل التاليه:

١. إنَّ الطلاق المتعدد فى مجلس واحد ولو بلغ الثلاثه يكون فى حكم طلاق واحد.

٢. عدم صحّة الطلاق الذى يقع فى طهر قارب الزوج زوجته فيه، كما أنّ الطلاق فى حال الحيض غير صحيح.

٣. لزوم وجود شاهدين عند إجراء صيغته الطلاق.

نعم، من الممكن أن تكون السياسات اللاحقه قد تلاعبت فى هذه القوانين فأخرجتها عن حالتها السابقة.

هذه إطلاله سريعه على ما بذله علماء الفريقين ودعاه التقريب خدمه للإسلام وتوحيداً لصفوفه بعيداً عن الطائفية المقيته، إلّا أنّ الشىء الذى نثّن منه اليوم هو ذاك النوع من الإفراط المسمّى بالسلفيه، والذى تجلّى فى «الوهابيه»، وهو اتجاه خدش صورته السلف من جهه، وعذّب الخلف من الناحيه الأخرى.

السلفيه الوهابيه

رسم أحمد بن تيميه فى القرن الثامن الإسلامى مدرسه فى أرض العلم والمعرفه، أرض الشام، كانت نتيجتها تقليص مقامات الأنبياء والأولياء، وإفناء الآثار الباقية عن المسلمين السابقين، وقد دفنت هذه المدرسه بموت مؤسسها عام (٧٢٨ هـ) فى مسقط رأسه، حيث شنّ علماء الشام ومصر الكبار من الذين كانوا يتمتعون بمكانه رفيعه فى الحديث والكلام والتفسير... شنّوا عليه هجوماً نقدياً جاداً، ووقف الجميع على اشتباهاته وأخطائه.

لكن، ومرةً أخرى، جُددت هذه المدرسه بعد عده قرون، عام ١١٦٠ هـ. على يد محمد بن عبد الوهاب، وتمكنت من بسط نفوذها على قطرٍ معين من أقطار المسلمين، والسرّ فى هذا الأمر بُعد مسقط رأسه عن حواضر العلم والمعرفه، فقد كان سكان منطقته من أبناء الصحراء وأهل البادية، لذا وقعوا فى خداع كلماته التى كانت تبدو فى ظاهرها جميله شيقه، فأعلنوه حاملاً للواء التوحيد.

فى هذه الأثناء، كتبت ضده ردود مفضّله فى بلاد نجد والحجاز وسوريا والعراق، وقلّصت من نفوذه وتناميه، لكن مدرسته استطاعت بعد الحرب العالميه

ص: ٤١٤

الأولى - بالتعاون والاتفاق مع الامبرياليه العالميه - أن تطيح بحكومته الأشراف في مكه والمدينه، وهي حكومه استمرت قرابه الألف عام، ليتسلط أنصاره على الحرمين الشريفين، وفي هذه الفتره شهدت سياسته صعوداً وهبوطاً، فكانوا يظهرن الرفق والعاطفه حيناً وأخرى يردون الميدان بالخشونه والعنف.

وفي السنتين الأخيرتين، بلغت خشونه الوهابيه حدّها الأعلى، فأهانت الزوار، فحوّلت المقبره التي يفترض بها أن تكون محيطاً هادئاً لقراءه الفاتحه والقرآن وزياره أولياء الله الإلهيين وأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، إلى مركز للدعوه إلى الوهابيه، دعوه من طرف واحد بحيث لو أجاب أحد أو ناقش يجازى ويعتقل ويضرب ويشتم، أهل يتبع هؤلاء السلف وسيرتهم؟! حاشا أن يكون السلف كذلك؟ فأحمد بن حنبل (١٨٦-٢٤١ هـ) غسل قميص الشافعي (٢٠٤ هـ) عندما مات وأخذ يتبرك بمائه، أهل يتبرك إمامهم بقميص الشافعي وهم لا- يتبركون بضريح النبي صلى الله عليه وآله بل يرون ذلك ممنوعاً ومحظوراً؟!!

إنّ زوّار بيت الله يدخلون السعوديه بتأشيرته دخول رسميه ويفترض أن يكونوا محل احترام الدوله الحاكمه، إلّا أنّ أغلب هؤلاء الزوّار يخشون على أنفسهم وأموالهم، ويقومون بالواجبات والمستحبات بقلق واضطراب وخوف، بل يتعرّض أكثرهم لإهانته رجال الشرطه الدينيه.

إنّ الحرمين الشريفين حرم لله تعالى، فكلّ الطوائف الإسلاميه من حقّها أن تقوم بأعمالها في حريه تامه في الوقت عينه الذي تكون فيه الأمور التنظيميه والإداريه بيد الدوله. فالنظم والانضباط مسأله، وإرغام الجميع على اتباع مذهب واحد ظهر في القرن الثامن الهجرى، واتّهام الناس - عبر ذلك - بالكفر والشرك..

ذلك كلّ أمر آخر.

إنّ أعمال العنف التي يقوم بها هذا الفريق سببت عرض الإسلام في الغرب بشكل دين العنف، وأعاق مجال التبليغ لدى الطبقة الشابه عند هؤلاء أنفسهم.

من الجيد أن تستفيد هذه الشريحه من الملك السعودى الثانى (سعود بن عبد العزيز)، ذلك أنّه استضيف في إيران عام ١٣٣٤، وقد أهدى - احتراماً - عده نسخ

من القرآن الكريم وبعض القطع من ستائر الكعبة، وعددًا آخر من الهدايا عبر السيد يوسف أبو علي للسيد آية الله البروجردى. وقد قبل السيد البروجردى نسخ القرآن وقطعه ستار الكعبة وأهدى بقيه الهدايا إلى حاملها له، وقد كتب رساله أشار فيها: اليوم والحج في يد جناب الملك أرسل إليكم حديثاً حول حج رسول الله صلى الله عليه وآله، ونقله البخارى فى صحيحه وأبو داود فى سننه، فاسعوا أن يطابق الحج مفاد هذه الروايه.(١)

من المؤسف جداً أن تباد بالجزافات تمام الآثار الإسلاميه التى هى علائم على أصالتنا وجذورنا، عبر حديث واحد لا يدل أبداً على مقصودهم، واليوم غدت مكه والمدينه مدينتان غربيتان، مظاهرها أضحت بعيده عن مظاهر المدن الشرقيه المتميزه بطابعها الإسلامى الخاص.

أما ذاك الحديث وكيف دلّ على مقصودهم فنوضح أمره باختصار، حيث روى مسلم فى صحيحه عن أبى الهياج الأسدى عن على عليه السلام أنه قال له: «ألا- أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا تدع تمثالاً إلا لاطمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته». (٢)

لا نتحدث فعلاً عن سند هذا الحديث، حيث لا يخلو بعض رواته من الإشكال والخذشه، إنما المهم هو إيضاح مدلوله، ولا بد من التذكير أن فعل «سوى» فعلٌ متعدُّ، ويتطلب مفعولاً واحداً فقط، تماماً كما فى قوله تعالى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (٣)، إلا أنه قد يأخذ أحياناً مفعولين اثنين، فيحتاج فى هذه الحال إلى حرف جر، تماماً كما يقول تعالى: (إِذْ نَسَّوْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (٤)، وكلما أخذ مفعولاً واحداً تكون التسويه صفه لذلك

ص: ٤١٦

١- رساله الإسلام، السنه الثامنه، العدد الأول.

٢- صحيح مسلم: ٦١/٣، كتاب الجنائز؛ و سنن الترمذى: ٢٥٦/٢، باب ما جاء فى تسويه القبور؛ و سنن النسائى: ٨٨/٤، باب تسويه القبر.

٣- الحجر: ٢٩.

٤- الشعراء: ٩٨.

الشيء تماماً كما جاء في الآيه بمعنى: عندما أكمل خلق الإنسان، لكن عندما يأخذ مفعولين وينال المفعول الثاني حرف الجر، فلا- تكون التسويه صفه للشيء نفسه، بل صفه قياساً وإضافه إلى شيء آخر، تماماً كما جاء في الآيه الثانيه: إِنَّا نَعُدُّكُمْ - أَيْتِهَا الْأَصْنَامَ - شَيْئاً وَاحِداً مَعَ اللَّهِ.

وانطلاقاً من هذا المبدأ لابد أن نرى أن فعل «سويت» في الحديث له مفعول واحد أم مفعولين؟ الوارد في تعبير الإمام علي عليه السلام - على تقدير صحه الحديث :-

«ولا قبراً مشرفاً إلسويته»، وفي هذه الحال تكون التسويه صفه للقبر نفسه، لا صفه له بالنسبه إلى شيء آخر، وإذا كانت صفه للقبر نفسه فالمقصود منها جعل القبر مسطحاً غير مسنم، وإلا فإذا كان المراد تخريب القبور كان لابد من مفعول ثانٍ بحرف الجر، إذ يقول: «إلا سويته بالأرض».

والنتيجه أنه لابد في متن الحديث من إعمال الدقه لمعرفة هل هذه التسويه صفه للقبر نفسه أو صفه له بالنسبه إلى شيء آخر؟ ونص الحديث يعطى شهاده على كون التسويه صفه للقبر نفسه، بمعنى إخراج القبر من حاله الإعوجاج وعدم الانتظام أو التسنيم أو الانحناء، لا أن المراد تخريب القبر وتسويته بالأرض.

كيف يمكن أن يكون المعنى الثاني صحيحاً والحال أن تمام فقهاء الإسلام يفتون باستحباب أن يرتفع القبر عن الأرض بمقدار أربعة أصابع؟! ومن حسن الحظ أن شراح صحيح مسلم فسروا الحديث المذكور بالمعنى الذي ذكرناه. (1)

إننا نصرف النظر عن تمام هذه الأمور ونفترض تماميه دلالة الحديث إلا أنه يقول: سوّوا القبور بالأرض، لكنّه لا يتحدّث عن حرمة البناء على القبر ورفع القباب عليه وتدمير الصروح المشاده عليه، فبورك هذا الاجتهاد الذي لا يقوم لا على كتاب ولا على حديث ولا على اتفاق العلماء!!

وأوضح شاهد على جواز البناء على القبور هو قبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فمنذ

ص: ٤١٧

١- . شرح النووي على صحيح مسلم: ٣٦/٧، الطبعة الثالثة، طبعه دار إحياء التراث العربى.

اليوم الأوّل دفن صلى الله عليه و آله فى بيته، وللبيت بناء، وقد حفظ هذا البناء عبر القرون كلّها إلى يومنا هذا.

حفظ الأصالة

إنّ حفظ التراث والأصالة من الوظائف الإسلاميه الملقاه على عاتقنا، والمقصود منها الأشياء التى تحكى عن واقع الإسلام واستمراره عبر العصور.

فالدين الإسلامى دينٌ عالمى، وسيظل إلى يوم القيامة أكمل الأديان السماويه، حيث من الممكن أن تفصلنا عن القيامه آلاف السنين، فنحن ملزمون بحفظ ما يدلّ على أصاله الإسلام من غدر الزمان وتخريبه، لنحفظه سالمًا إلى الأجيال اللاحقه.

إنّ وجود المسيح عليه السلام وديانته أمرٌ قطعى عند المسيحيين وفى نظرهم، إلّا أنّ ذلك بدأت تغلب عليه الحاله الأسطوريه فى رؤيه الشباب الغربى، إذ لا يوجد أثر ملموس للمسيح عليه السلام بين أيديهم، فكتابه طالته التحريفات، ولم يبق لديهم شىء عنه ولا- من أثر لأئمّه ولا لحوارييه، لهذا يقلص مرور الزمان من قطعيه هذا الدين ويذرّه فى هاله من الإبهام والترديد. وهكذا فإنّ وجود الآثار والمآثر الإسلاميه التى منها مرقد النبى صلى الله عليه و آله حاكبه عن واقعيه وجوده وأصاله مدرسته، كما أنّ تدمير الآثار يعرّض أصاله الإسلام واعتباره وقادته وأئمته لخطر الضياع أيضاً.

من هنا، ولكى يحول المسلمون دون هذا الخطر الكبير، لابد لهم من حفظ كل الآثار المتصله بالرساله. والتذكير بها دوماً، كما يجب عليهم زياره مراقده هؤلاء المعصومين حفاظاً عليها من الفناء التدريجى، وفى هذه الحال لا يمكن التغاضى عن هذه المزيه الكبيره، وإقفال باب اللقاء الروحى والمعنوى مع هؤلاء العظماء أمام المسلمين.

نعم، الحديث عن موضوع هدم الآثار مفصّل وطويل، لكننا نكتفى بهذا المختصر ونحيل التفصيل إلى فرصه أُخرى.

والرد على ادعاءاته ضد الشيعة والتشيع

سماحه الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى دامت بركاته

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أسأل الله تعالى أن يحفظكم رجل توحيد وتقريب بين المسلمين، ويسدد خطاكم لنشر المعارف الإسلاميه الحقه في أوساط الأُمَّه الإسلاميه.

قرأت البيان الصادر عنكم بتاريخ ١٣ رمضان عام ١٤٢٩ الموافق للثالث عشر من الشهر التاسع عام ٢٠٠٨ م، والذي ترد فيه على ما جاء في وكاله مهر الإيرانيه، وعلى العلمين الجليلين: محمد حسين فضل الله ومحمد على التسخيري حفظهما الله تعالى.

لا- ريب أن البيان المذكور يحتوى على أمور تستحق الثناء والتقدير حيث ذكرتم وبطريقه استدلاليه براءه الشيعه من القول بتحريف القرآن، وموقفكم الداعم لحق إيران في امتلاك التقنيه النوويه للأغراض السلميه. فلقد اعتدنا من علمائنا الكبار النظر إلى الأمور بأفق رحب وروح منفتحه والإعلان عنها بشجاعه، وهذا ما شاهدناه من جنابكم هنا، بعيداً عن التفوق الطائفى والنظر إلى الاختلافات الجزئيه التي تحجب الرؤيه وتؤدى إلى ضيق الأفق.

لا- شك أنّ سماحتكم من رجال التقريب والسعى إلى حفظ وحده الكلمه، ولكم في هذا المضممار الكثير من المقالات والمحاضرات، وهذا أمر يعرفه الجميع، ولا يمكن أن نتوقع من جنابكم غير الاقتداء بشيخكم الكبير المرحوم محمود شلتوت، الأمر الذي يؤدي إلى استحكام حبل التقريب.

لا ريب أنّ الاختلاف بين المسلمين يمتد بجذوره إلى مابعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وهذه الاختلافات قائمه حتى الساعه ولا يمكن معالجتها في يوم أو يومين أو سنه أو سنتين، وإّما الذي نتوقعه من الرجال الكبار والشخصيات الحكيمه هو التركيز والإصرار على المشتركات وعدم النظر إلى المسائل الخلافيه.

وطرحها في الملتقيات العلميه بعيداً عن صخب السياسه، ليتسنى لنا حصرها في دائره ضيقه ومحدوده.

وهنا أود أن أذكر سماحتكم ببعض الأمور التي أراها ضروريه:

١. تعلم سماحه الشيخ كما يعلم سائر المفكرين أنّ الغرب والصهيونيه العالميه ومن أجل إبعاد المسلمين عن الفكر الإسلامى رفعوا ومنذ فتره طويله شعارات ثلاثه هي:

أولاً: التخويف والتحذير من الإسلام.

ثانياً: التخويف والتحذير من إيران.

ثالثاً: التخويف والتحذير من الشيعه.

ولقد عملت وسائلهم الإعلاميه بكل أنواعها وبكل قوه لترسيخ ذلك في أذهان العالم الغربى، بل في أصقاع المعموره، وكأنّ الإسلام غول يهدد البشريه والسلام العالمى!! فى مثل هذه الظروف الحساسه لا نرى مبرراً لما قتمم به سماحه الشيخ فى لقاء مع صحيفه «المصرى اليوم» وما تحدثتم به بخصوص التشييع والتبشير الشيعى - حسب تعبيركم - فى البلدان ذات الغالبية السنيه، وتحذيركم من ذلك وإطلاقكم لصفاره الإنذار!! وما هى الحصيله التى يخرج بها القارئ (حتى لو كانت خلافاً لما تقصدونه)؟ أليست الحصيله التى يخرج بها هى تأييد موقف

المستكبرين والصهاينه وإعطاء الشرعيه والمصداقيه لما ينشرونه وتبثه وسائل إعلامهم المسمومه !!؟

٢. لقد أكدتم سماحه الشيخ من جهه على كون الشيعة مبتدعه، ومن جهه ثانيه أكدتم أنّ الفرقة الناجيه هم أهل السنه، مستنداً في ذلك إلى الحديث المعروف: «ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقه»، هنا نسأل سماحتكم ما هي الحصيله التي يخرج بها شاب متعصب من شباب أهل السنّه؟ أليست هي القيام بربط حزام ناسف من المتفجرات ليقوم بقتل عشرات الأبرياء من الشباب والأطفال والنساء من المؤمنين في مدن العراق وغيرها من البلدان الإسلاميه، وهذا ما يقوم به العشرات من الشباب الأردني والسعودي والأفغاني والمغربي مستندين في عملهم هذا إلى فتاوى تكفيريه ومواقف إقصائيه يقوم بها بعض الرجال المحسوبين على العلم والفتوى، حتى وصل الأمر إلى حد تقيم عائله الانتحاري الأردني الذي فجر نفسه في أوساط المؤمنين الأبرياء في مدينه الحله العراقيه مجلس عرس تتلقى فيه التهاني والتبريك بتلك المناسبه!!!

سماحه الشيخ، إنّ لكلّ مقام مقالاً كما يقول الحكماء، فهل ياترى كان من المناسب في تلك الظروف العصيبه التي تمر بها أمتنا الإسلاميه والتي تتكالب فيها قوى الاستكبار العالمى على العالم الإسلامى بأسره، أن يصدر من عالم ومفكر إسلامى ما يثير النائره ويشعل نار الحقد والصراع في أوساط المسلمين ممّا قد يؤدي إلى الصراع الداخلى لا سامح الله !!!؟

وإذا كان كل من الإخوه السيد فضل الله والشيخ التسخيري - اللذين تربطهما بكم علاقته الود وتكن لهما مشاعر الحب والاحترام - لم يرتضيا الطريقه التي طرحتم فيها القضيه، فإنّهما ينطلقان في واقع الأمر ممّا ذكرناه لكم من أنّ ذلك لا يليق بشأنكم وليس في صالح المسلمين أبداً.

٣. اعتبرتم انتقال مجموعه من الشباب السنّي - في بعض البلدان التي يقطنها أهل السنّه - إلى التشيع تبشيراً شيعياً وخطراً يستحق الوقوف أمامه ودق صفاره

الإنذار، وإنَّ عدم التصدّي له يمثّل مخالفه للدين وخيانته للأمانه التي في عنقكم، ولكن في نفس الوقت غضضتم الطرف عمّا يجري في السعوديه والإمارات وغيرها من البلدان السّيئه من الحمله الشعواء التي تُشن على المفكرين الشيعه والفكر الإمامي، فما من ساعه تمر إلّا وتجد إصداراً - كتاب أو رساله - ينال منهم، والذي يؤسف له أنّ ما يصدر ما هو إلّا تكرار للمكررات وتهم واهيه لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان؛ أليس من اللائق بجنابكم الكريم التصدى لمثل هذه الحمله المسعوره التي تنال من طائفه كبيره من المسلمين؟! بل نجد البعض قد تمادى في غيّه وكذبه بحيث صنّف كتباً في ذم الشيعه ونسبها إلى شخصيات شيعيه من أمثال المرحوم العلامه السيد العسكري وبعضها نسبوها لى شخصياً موحين للناس أنّنا من المبلّغين للمذهب الوهابي والمهاجمين للتشيع!!

وأخيراً نشر كتاب في موطنكم مصر العزيزه في نقد رأيي الفقهي حول مسأله «الصلاه خير من النوم» امتلاً الكتاب بالسب والشتم والكلام القاذع والافتراء و...

وهو من تأليف علاء الدين البصير، ثم طبع هذا الكتاب مره ثانيه ضمن سلسله «محقّقو الشيعه في الميزان» وأعطاه ناشروه اسم «جعفر سبحاني... لا محقق مقرب» ومن العجب أن يقدّم لهذا الكتاب أستاذ من الأزهر هو الدكتور محمد عبد المنعم البري وهو عميد مركز الدراسات الإسلاميه بجامعة الأزهر، ورئيس جبهه علماء الأزهر (وقد طبع في مصر ونشر عام ٢٠٠٧ م، في مركز التفوير بالقاهره)؛ لا أدري هل البحث الفقهي يستحق كل هذا التحامل والتشيع والتسقيط!!؟

٤. أكّدت في بيانكم على حديث «ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقه» وهنا أود التذكير بأنّ الحديث قد ضعّفه المحقّقون في علم الحديث، وعلى فرض وجود سند معتبر للحديث فلا يصحّ الاستناد إلى حديث آحاد لإثبات مثل هذا الأصل، واعتبار اثنتين وسبعين فرقه من فرق المسلمين من أصحاب النار وحصر أصحاب الجنه في فرقه واحده.

إن مضمون الحديث يحكى عن عدم صحته، وأنا هنا لا أتحدث عن فرق اليهود والنصارى، بل أتساءل أين هي فرق المسلمين الأساسيه التي وصلت إلى هذا الحد، وأما الفرق الفرعيه المذكوره في كتب الملل والنحل فقد تجاوزت الحد قطعاً؟ فهل يمكن أن نجد ذلك العدد من الفرق الأساسيه في كتب الملل والنحل؟! وهل يمكن اعتبار الاختلاف في مسأله واحده مبرراً لتصنيفها فرقه مستقله؟ إن فرق المسلمين الأساسيه لا تتجاوز عدد أصابع اليد، من هنا نرى أصحاب كتب الملل والنحل يتشبتون بأمر واهيه لإثبات العدد المذكور ليكون دليلاً على مصداقيه الحديث.

إن الأجدد بالإخوه أن يستندوا في عقائدهم إلى الحديث الذى رواه البخارى حيث قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى».

فقد حدد الحديث الملاك في دخول الجنة والنار في إطاعه الرسول صلى الله عليه وآله وعصيانه، ومن الواضح أن العصيان والتمرد يصدق في حاله كون الإنسان لا يملك الحجّه والدليل المعقول على عمله، وليس خفياً عليكم وعلى المفكرين أن الشيعة تستند في المسائل الخلافيه إلى الدليل والحجّه الكافيه وإن كان ذلك غير تام في نظرهم. أو ليس الملاك في دخول الإنسان في حظيره الإيمان، هو ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وآله حيث قال: «بنى الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاه والحج، وصوم رمضان». رواه الشيخان؟

فإذا كانت أصول الدين هي الإيمان بالله ورسوله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، وما فيه من الحساب إلى غير ذلك، فجميع المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة يدخلون تحت هذه الضابطه، فما هو الوجه لإضفاء القداسه على فرقه وحرمان فرقه أخرى؟

مما يجدر بالشيخ العزيز أن يقتدى بإمام أهل السنّه الشيخ الأشعري حيث

ألف كتاباً في الفرق الإسلامية وأدخل الجميع تحت عنوان كتابه والذي سماه:

«مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» فمنح الجميع الصبغة الإسلامية وجعل اختلافهم في الفروع فقط بشهادته قوله: «اختلاف المصلين».

يقول أحمد بن زاهر السرخسي الأشعري: لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاء بداري في بغداد أمرني بجمع أصحابه فجمعتهم له، فقال: اشهدوا علي أنني لا أكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، لأنني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد والإسلام يشملهم ويعمهم. (١)

لقد أشرت في بيانكم أن لدى الشيعة بدعتين:

الأولى: بدعه نظريه.

الثانية: بدعه عمليه.

وأود هنا الإشارة - رغم ضيق الوقت - إلى تحليل تلك البدع حسب رأيكم:

الأولى: البدع النظرية

١. ادعاء الوصية لأمير المؤمنين

لا شك أن أساس التشيع وعماده يقوم على الاعتقاد بأن المرجعية والقيادة السياسية والفكرية والعلمية بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هي من شؤون العترة الطاهرة وعلى رأس العترة أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد ثبتت الوصية له من خلال الأحاديث المتواترة، أشير هنا إلى بعضها:

* لما نزل قوله سبحانه: (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٢) دعا النبي صلى الله عليه وآله وخمسة وأربعين وجهاً من وجهاء بني هاشم، فقال لهم: «يا بني عبد المطلب إنني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، إنني قد جئتمكم بخير الدنيا

ص: ٤٢٤

١- . اليواقيت والجواهر للشعراني: ٥٨.

٢- . الشعراء: ٢١٤.

والآخـره، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه، فأأيكم يؤازرنى على هذا الأمر، على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم». فكرر هذه الجملة ثلاث مرات، وفى كل مره كان على يقوم ويقول: «أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه» وفى المره الثالثه ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده على يد على وقال فى حقه على رؤوس الأشهاد: «هذا على أخى ووصيى وخليفتى فيكم».

ولولا خوف الإطاله لأشرت إلى المصادر الكثيره التى ذكرت هذا الحديث، ولكن اكتفى بالقول: إنّه حتى مثل محمد حسنين هيكل قد نقل هذا الحديث فى الطبعة الأولى من كتابه «حياه محمد» وقد حذفت فى الطبعات اللاحقه.

* حديث «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلمائه لا- نبى بعدى» ومن المعلوم أنّ استثناء النبوه فقط يحكى عن ثبوت جميع المقامات التى كانت لهارون عليه السلام مثل الخلافه والوزاره.

* حديث «مثل أهل بيتى كسفينه نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

* حديث «من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». ويكفى فى تواتر الحديث أن نقله ١٢٠ صحابياً وما يقرب من ٩٠ من التابعين، كما نقله ٣٦٠ عالماً سنياً.

ومع كل هذه الأدله الواضحه التى استندت إليها الشيعة، فعلى أقل تقدير والحد الأدنى المتوقع منكم أن تعذروهم فى موقفهم وعقيدتهم لا أن تصفوهم بالمتدعه، خاصه إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما تتبّونه معاشر فقهاء السنّه الأعزاء من القول: «للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد» وهنا لابدّ أن يستحق الشيعة الثواب والأجر لا الرمي بالابتداع.

قلتم فى بيانكم أنّ الاختلاف فى فروع الدين ومسائل العمل وأحكام العبادات والمعاملات، لا حرج فيه، وأصول الدين هنا تسع الجميع، وما بيننا وبين الشيعة من خلاف هنا ليس أكبر ممّا بين المذاهب السننيه بعضها مع بعض.

وهنا أود أن أسأل سماحتكم هل أنّ مسأله الإمامه والخلافه عند أهل السنه من

لقد أكد كبار علماء الأشاعره مثل عضد الدين الإيجي في المواقف وشارحه المير سيد شريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني في «شرح المقاصد» وغيرهم: أنّ الإمامه والخلافه من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّه يجب على المسلمين إشاعه المعروف والنهي عن المنكر، وهذا لا يتحقّق إلّا في ظلّ حكمه وقدره تستطيع إجراء الأحكام وأنّ مركز هذه القدره والسلطه هو الإمام والخليفه الذي يجب أن يوجد في أوساط المسلمين.

وهذا من الأمور التي يتفق عليها الشيعة والسنة، إلّا أنّ الاختلاف وقع في طريقه تشخيص وتحديد الخليفه والإمام حيث طرحت نظريتان:

أ. تعيين الإمام يتم عن طريق شورى المهاجرين والأنصار.

ب. تعيين الإمام يتم بتنصيبه من قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

لست هنا في مقام ترجيح إحدى النظريتين على الأخرى، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف أصبحت إحدى النظريتين عين السنّه والأخرى عين البدعه؟! والحال أنّ النظرية الأولى لا تقوم إلّا على السيره الناقصه للخلفاء لا أكثر، وأمّا النظرية الثانيه فتستند إلى الأدلّه المحكمه والقويه.

إنّ منطق الإنصاف يقتضى ترجيح النظرية الثانيه، وعلى أقلّ تقدير النظر إليهما نظره واحده لا اعتبار أصحاب النظرية الأولى هم أهل السنه وأتباع النظرية الثانيه من المبتدعه (تلك إذا قسمه ضيزى) !!

وأيّن ذهب التسامح والعيش المشترك في الفروع؟!

الجدير بالذكر أنّ تبريركم لوصف الشيعة بالمبتدعه كان في مقابل من يقول بأنهم كفره لا يحل المشكله أبداً، بل كان من الواجب عليكم أن تنصروا المظلوم وتدفعوا عنه تهمة الكفر والخروج عن الدين لا- أن تبدّلوا التهمه بتهمه أخرى، وهنا أود أن أسأل سماحه الشيخ لو أنّ شخصاً اتّهمكم بتهمه خطيره هل تسمحون لمن يدافع عنكم أن ينفي عنكم تلك التهمه لكنّه يستبدلها بتهمه هي أقل من الأولى؟!

من الأمور التي اعتبرتموها دليلاً على الابتداع هي قضية «العلم بالغيب»، وهنا أود أن أُشير إلى أنّ العلم بالغيب نوعان:

أ. علم الغيب الذاتي وغير المحدود وهو من مختصات الباري تعالى، قال تعالى في كتابه الكريم: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (١).

ب. علم الغيب الاكتسابي، وهذا النوع محدود أيضاً بالإذن الإلهي، وهذا النوع من الغيب يحصل لغير الله تعالى كثيراً، ولقد جاء في سورة يوسف عليه السلام الكثير من الإخبارات الغيبية على لسان كل من يعقوب ويوسف عليهما السلام؛ وكذلك جاء في القرآن الكريم الحديث عن مصاحب موسى بقوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (٢).

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه لما أخبر ببعض العُيُوب. قال له رجلٌ :

أُعْطَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ ! فَقَالَ: «لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ».

وبما أنّ هذا النوع من العلم محدود فلا- يكون هو المعنى الاصطلاحي لعلم الغيب، لأنّ المراد منه هو غير المحدود وهو من مختصات الباري تعالى.

من هنا إذا علم أئمة أهل البيت عليهم السلام بالغيب وأخبروا عن المغيبات فهو من النوع الثاني الذي يحصل بإذن الله حتى للصالحين والعارفين الإلهيين الذين بذلوا عمراً طويلاً في طاعه الله تعالى والسير وفقاً لشريعة الإسلام الغزاة.

ص: ٤٢٧

١- . النمل: ٦٥.

٢- . الكهف: ٦٦.

من الأمور التي اعتبرت موهبا من البدعه هي القول بعصمه الأئمه؛ وهنا أقول:

العصمه لا- تعنى إلحاله قصوى من التقوى تحصل لدى الإنسان تمنعه من ارتكاب ما لا يرضى الله تعالى، وتتجسّم أمامه آثار الذنوب مميًا يصونه عن ارتكابها. فهل من الغريب أن يطوى الإنسان مراحل الكمال الروحي حتى يصل إلى حد يعصم فيه من الذنوب وقد يصل إلى مرحله أخرى بحيث لا يصدر الخطأ منه؟

إنّ مريم العذراء عليها السّلام لم تكن نبيه ولكن كانت معصومه ومصونه من الذنب، ولقد أشار القرآن الكريم لذلك بقوله: (وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (١).

ومن المسلم أنّ المراد من التطهير هو تطهير مريم من الذنوب والخصال المذمومه؛ وهنا نسأل لماذا لا يكون القول بعصمه مريم من البدعه والقول بعصمه أمير المؤمنين عليه السلام - الذي هو عدل القرآن وفقاً لحديث الثقلين - بدعه؟!

إنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتواتره والذي اعتبر فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله العتره عدلاً للقرآن وإنهما لن يفترقا حيث قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»، ومن الواضح أنّ مقتضى كون العتره عدلاً للقرآن الكريم أن تكون معصومه كعصمه القرآن الكريم، ولا يمكن أن يحدث بينهما أدنى افتراق أو تناف.

القول بعصمه الأئمه إذا كان غلوًا فلماذا لا يكون القول بأنّ صحيح البخارى أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى، كذلك، فهل هذا التعبير صحيح بحق هذا الكتاب مع ما فيه من الشذوذ ومخالفه العقل الحصيف وغير ذلك؟!

هلا يكون حصر المذاهب في الأربعة وطرد سائر المذاهب الأخرى في

ص: ٤٢٨

مجال العمل والقضاء غلواً مع أنّ الأئمة الإسلاميه عاشت مسلمه ولم يتولد واحد من أصحاب هذه المذاهب، ولم يكن لأحد منهم عين ولا أثر.

ولولا الحفاظ على صفو مياه الودّ لبسطنا الكلام فى هاتيك المواضيع التى أخذتم بها الشيعة، ولكن اقتصرنا بذلك حتى ينظر الشيخ الجليل إلى الجميع بعين واحده وفكره خاصه.

٤. سب الصحابه

الأمر الذى يدعو إلى الحيره والعجب أن يصدر هذا الكلام من عالم من أمثالكم وإنّما الأنسب صدور هذا الكلام من الناس البعيدين عن العلم والمعرفه.

فهل يمكن لطائفه كبيره أن تحب النبي صلى الله عليه وآله لكنها تبغض أصحابه وتشتتمهم؟! إنّ عدد أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد تجاوز المائه ألف صحابى وإنّ الذين ترجم لهم أصحاب الكتب الرجاليه بلغ ما يقارب ١٥ ألف صحابى استشهاد بعض منهم فى معارك الرسول مثل بدر وأحد والخندق وخيبر وغيرها، فهل يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينال من هؤلاء العظماء؟!!

ثمّ إنّ القسم الأعظم من هؤلاء الصحابه نجعل حالهم ولا نعرف عنهم شيئاً، فهل يسمح الوجدان للإنسان أن يمس أو ينتقص من إنسان لا يعرف حاله؟

من هنا نقول: إنّ مسأله سب الصحابه بالمعنى الذى يتداوله عامه الناس ما هى إلّا ذريعه يحاول البعض التمسك بها، إنّ منطق الشيعة منطق إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام الذى جاء فى «نهج البلاغه» (١)، قال صلوات الله عليه: «لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعناً غيراً وقد باتوا سجداً وقياماً، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم،

ص: ٤٢٩

ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب».

إنَّ شيعه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقتفون كلام إمامهم، حيث إنَّه عندما سمع بعض أصحابه وهم يسبون أهل الشام - أيام حرب صفين - خاطبهم بقوله: «إني أكره لكم أن تكونوا سبائين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوى عن الغي والعدوان من لهج به»^(١).

فإذا كانت هذه عقيدته إمام الشيعة في حق محاربيه، فكيف لا تكون عقيدته شيعة فيهم كعقيدته؟!.

إنَّ السب فعل الجهله الذين لا يحفظون ألسنتهم عما يشينهم، ولذلك أطلب من سماحتكم أن لا تطرحوا القضية بهذه الصورة، نعم إنَّ الذي تعتقده الشيعة هو أنَّ بعض الصحابه والذين لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد تعاملوا مع أهل بيت النبي بعد رحيله معامله سيئه ومن هنا تتبرأ الشيعة منهم لهذا السب، وهذا ليس أمراً غريباً فهذا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يتبرأ من عمل خالد بن الوليد ويقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد».

ولكن ألفت نظركم السامى إلى روايات الارتداد المعروفة بروايات الحوض التي جاءت في صحيح البخارى ومسلم، كيف تفسرون هذه المأثورات عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله و آله؟^(٢)

ص: ٤٣٠

١- . نهج البلاغه: الكلمات القصار، برقم ٢٠٦.

٢- . لاحظ: صحيح البخارى: ٦٧/٤ و ١٠٧/٥، كتاب المغازى.

١. تجديد مأساه الحسين عليه السلام كل عام

أشار سماحتكم بعد ذكر البدع النظرية إلى البدع العمليه واعتبرت من ضمنها «تجديد مأساه الحسين عليه السلام كل عام» ولا أدري كيف أصبحت التظاهرات المليونيه التي تقام لإحياء ذكرى سيد الشهداء وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وإظهار ظلامته بدعه تستحق اللوم والذم!!

لو أطلعتم سماحه الشيخ على فلسفه الثورة الحسينيه وفكرتم في أبعاد تلك الثورة لقمتم بنفس ما تقوم به الشيعة من إحياء لتلك الواقعه العظيمه، لأنّ التظاهر من أجل مواجهه الظلم ورفض التعدي على القيم والوقوف أمام الحكومات الجائره لا بد أن يبقى حياً في أوساط الأُمَّه الإسلاميه، وهذا هو هدف الثورة الحسينيه التي ينهل منها الأحرار في العالم مثل حركة حماس والجهاد الإسلامى في فلسطين ضد الصهاينه الغاصبين.

من هنا يتضح سبب الاهتمام بالثوره الحسينيه أكثر من الاهتمام بالمناسبات الأخرى للأئمه، كشهاده أمير المؤمنين عليه السلام وإن كانت تقام مراسم في تلك المناسبات أيضاً إلا أنّها لا ترقى في كثرتها زماناً ومكاناً لما يقام بمناسبه الثورة الحسينيه، إنّ ثوره الإمام الحسين عليه السلام تمثل رساله تحريك وبعث لكل الأجيال التي تقع تحت الظلم والاضطهاد لتضخ فيهم دماء الغيره والدفاع عن الدين كما فعل سيد شباب أهل الجنه في دفاعه عن دين جده المصطفى صلى الله عليه وآله.

كذلك تهدف مجالس العزاء لتعريه تلك الطغمه الفاسده التي تصدت لأهل البيت وأذقتهم ألوان العذاب والاضطهاد.

٢. ما يحدث عند مزارات آل البيت من شركيات

اتهتمم في بيانكم الشيعة بممارسه الشركيات عند زيارتهم لقبور أهل البيت عليهم السلام؛ لكن الجدير بكم أن تشيروا إلى مصاديق تلك الشركيات ولا- تبقوا القضية عائمه، فهل أصل الزياره شرك؟ لا شك أنّ الجواب بالنفى. وهل الدعاء وطلب الشفاعة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام شرك؟ من المسلم كلا؛ لقد كان من الجدير بسماحتكم الاقتداء بإمام الأحناف الكبير، فقد روى مؤلف كتاب «فتح القدير»: أنّ الإمام أبا حنيفه وقف أمام قبر النبي الشريف وأنشد قائلاً:

يا أكرم الثقلين يا كنز الورى جد لى بجودك وارضى برضاكا

أنا طامع فى الجود منك ولم يكن لأبى حنيفه فى الأنام سواكا(١)

وكانّ أبا حنيفه اقتدى بالصحابى الجليل سواد بن قارب الذى أنشد قائلاً:

فكن لى شفيعاً يوم لا ذو شفاعه بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

لقد جاء فى بيانك أنّ دعاء أهل البيت من دون الله يعد من الشركيات؛ عذراً سماحه الشيخ أنّ هذا المنطق هو منطق الوهابيه الذين قد يستندوا أحياناً لقوله تعالى: (وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (٢). ولكن ينبغى أن يتّضح المراد من كلمه «الدعوه» ما هو؟ هل المقصود مخاطبه غير الله؟ لا شك أنّه ليس هو المراد، لأنّ لازم ذلك تكفير جميع البشر، لأنّ الإنسان فى حياته يخاطب آلاف الناس ويستعين بهم، نعم المقصود من الدعوه هنا عباده غير الله بمعنى الخضوع والخشوع أمام موجود بعنوان كونه خالقاً ومدبراً فيكون معنى الآيه «انّ المساجد لله فلا تعبدوا مع الله أحداً» ومن حسن الحظ يوجد شاهد على ذلك، وهو قوله تعالى: (وَ قَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (٣).

ص: ٤٣٢

١- . أنظر: فتح القدير: ٣٣٦/٢.

٢- . الجن: ١٨.

٣- . غافر: ٦٠.

ففى صدر الآيه جاءت كلمه «ادعونى» ولكن فى ذيلها جاءت كلمه «عبادتى» وهذا يحكى أنّ الدعاء الخاص بالله تعالى هو الدعاء الذى يحمل صبغه العباده لا أى نوع من أنواع الدعاء والدعوه، وإلّا لما وجد على وجه الأرض موحد أبداً.

جناب الدكتور القرضاوى إنّ القرآن الكريم رسم الطريق لتمييز الموحّد من المشرك بقوله: (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخِيْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ). (١).

فهل ياترى أنّ جموع الشيعه وأعداد كبيره من المصريين الذين يجتمعون عند رأس الإمام الحسين عليه السلام وفى مقام السيده نفيسه والسيداه زينب عليها السلام ويتوسلون بهم ليقضى المولى سبحانه حوائجهم، هل هؤلاء عندكم مشركون؟! بمعنى أنّهم انصرفوا عن عباده الله الواحد الأحد؟ أو يزداد إيمانهم بالله تعالى حينما يتواجدون فى تلك الأماكن الشريفه؟ أليس هذا هو منطق التكفيريين الذى طالما انتقدتموه واعتبرتموه فكراً متطرفاً؟

إلى هنا نمسك عنان القلم عن الجرى راجياً من جنابكم الكريم تدارك ما فات ودعوه الجميع للاعتصام بحبل الله المتين والحث على وحده الكلمه.

فالرجاء من سماحتكم، أن ترفعوا لافته التقريب وتسدّثروا بدثاره فى ظل الأصول التى أُلْمِح إليها رجال التقريب: وهى: الإيمان بالإله الواحد وما يستلزمه من الإيمان بالغيب والملائكه والكتب والأنبياء واليوم الآخر وما جاء به النبى الخاتم، فى الكتاب والسنة، وما اتفق عليه المسلمون فى الأصول والفروع، إلى غير ذلك من الأمور المشتركه بين الأمة الإسلاميه التى لم يختلف فيها اثنان.

كما أنّ رجاء عشاق التقريب أن تدخلوا ساحه الحوار بأدب الأسلوب القرآنى: (وَ إِنْ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فى ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (٢).

ص: ٤٣٣

١- . غافر: ١٢.

٢- . سبأ: ٢٤.

وما قرأناه فى البيان ینافى كلامكم حول العولمه المنشور فى مجله مجمع الفقه الإسلامى، و هذا نصه:

ولكن على الأمة أن تعرف أنها مهده إذا لم تتوحد ويكون بينها نوع من التآلف والتعاون، ولذلك نحن ندعو أيها الإخوه إلى مصالحه عامه، تجمع كل قوى الأمة فى هذه المرحله، لا داعى للتفرقه. هناك أناس يريدون أن يفرقوا الأمة، هم أعداؤنا يريدون ذلك، إما أن يفرقوا بينها إذا كان هناك أقليات غير إسلاميه، فيثيرون هذه الأقليات، إذا كان هناك أقليات عرقيه، هناك عرب وبربر وعرب وأكراد، إذا كان هناك أقليات مذهبيه يكون سنه وشيعه، إذا لم يكن هذا وذاك يبقى يمينيين ويساريين، أو ثوريين ورجعيين، نحن نريد أن نجتمع كل قوى الأمة وندعو إلى مصالحه حتى بين الحكام والعلماء، وبين الحكام والجماعات الإسلاميه، لا داعى الآن أن نفرق بين الأمة، الأمة يجب أن تكن صفاً واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً فى ساعه الشدائد، لا مجال للاختلاف ولا مجال للمعارك الجانيه، يجب أن يقف الجميع صفاً واحداً. (1)

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

والحمد لله رب العالمين

اللهم إنا نرغب إليك فى دوله كريمه تعز بها الإسلام وأهله

وتذل بها النفاق وأهله

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

جعفر السبحانى

قم المقدسه - إيران

٢٤ رمضان المبارك ١٤٢٩ هـ.

ص: ٤٣٤

٥ رساله إلى الدكتور عيسى بن مانع الحميرى

سماحه الدكتور عيسى بن مانع الحميرى المحترم

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

لقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير كتاب العلامة السخاوى مع تقديم رائع بقلم سماحتكم.

وقد اطلعنا على التقديم وبقيت قراءه الجزء الثانى، فشكر الله مساعيكم فى نشر مآثر آل البيت والدعوه إلى حبههم.

غير أن هناك أموراً أحب أن أعرضها عليكم:

١. قمنا بترجمه حياه العلامة السخاوى فى موسوعه طبقات الفقهاء (الجزء ١٠ ص ٢٤٠-٢٤٢) وأوردنا فيها آثاره، وذكرنا فى الهامش المصادر التى جاء فيها ذكر السخاوى.

٢. ذكرتم فى الصفحات الأولى من الجزء الأول أشعاراً تتضمن مدح النبى الأكرم صلى الله عليه وآله والخلفاء من بعده وفاطمه الزهراء وغيرهم، ولكن الذى استوقفنى هو أنكم قد أفضتم البيان فى ذكر مآثر الخلفاء الثلاثة وأوجزتم فيما يخص الإمام على

ص: ٤٣٥

بن أبي طالب عليه السلام الذي هو باب مدينة علم الرسول وأخوه.

وكانت أشعاركم في ذلك لا تتجاوز الأربعة أبيات، ولذا أحببت مشاركتكم في هذا الميدان، وأبعث إليكم الأبيات التالية لتكون متممه لما كتبتم، وإليكم هذه الأبيات، التي نفضل أن تكون بعد البيتين التاليين:

ويليه في الفضل المبين مهّند صنو الرسول وقوسه الختمى

قد جاء في غرر المواقب رفعه والختم في الأخرى به حتمى

كم موقفٍ نكص الأشاوسُ دونه قد خاضه زينُ الهداه: على

ومشى إلى الموت الزوام كأنه أرى لديه ، سائغ وشهى

فاق الورى علماً، وبدّ أولى النهى حُكماً، وإن شئت الندى فسرى

آخاه من دون الأنام محمدٌ أمرٌ رواه المسلمون جلئ

وغدا ربيع العدل في قيظ الدنى يزهو، ويعبق عطره المسكى

لا غزو أن عانى هواك سلامه ⁽¹⁾ حتى بدا، وكأنه شيعى

فهواك ريحان المحبّ وروحه وهواك وحدك حلمه الوردى

٣. ذكرتم في المطلب الثالث الاختلاف في مفهوم آل البيت عند المفسرين

ص: ٤٣٦

١- . هو الشاعر المسيحي المفلق بولس سلامه، صاحب الملحمة الشعريه الرائعه فى أهل البيت عليهم السلام.

وأن هناك اتجاهات، والحق أن يقال: إن هنا اتجاهًا واحدًا، ويعلم ذلك من التدقيق في الآية الكريمة، بالبيان التالي:

إنه سبحانه يقول: (وَقَوْلٌ فِي يُؤْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (١).

ثم يقول سبحانه: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (٢).

فالقره الأولى من الآية تشير إلى بيوت ولها أهلها وهن أزواج النبي.

والقره الثانية تشير إلى بيت واحد وله أهله.

فمعنى المقابلة أن أهل ذلك البيت غير أهالي البيوت المتبقية. ومع هذا فكيف يحتمل دخول أزواج النبي صلى الله عليه وآله في مفهوم أهل البيت الذي أشرت إليه في الاتجاه الأول.

إن اللام في أهل البيت لام عهد تشير إلى بيت معهود فيجب أن نبحث عن هذا البيت المعهود، وليست اللام هي لام الجنس كما هو معلوم. والروايات تفسر وتحدد هذا البيت كما هو واضح لمن تدبر الروايات الواردة حول الآية.

إن أول من سمى متابعي «علي» بالشيعة هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقد ورد في ذلك قرابه أربعين حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله نقل بعضها الحافظ السيوطي في تفسير قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ) (٣).

٤. لقد أفضتم الكلام حول الرفض والروافض وذكرت أن وجه تسميه الشيعة بالروافض هو أنهم طلبوا من زيد بن علي أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر.

وقال رداً عليهم: «كانا وزيرى جدى، وحكما فعديلا» فتركوه ورفضوه، ورفضوا عنه، فسميت الرافضة والنسبه رافضى.

ص: ٤٣٧

١- .الأحزاب: ٣٣.

٢- .الأحزاب: ٣٣.

٣- .البينة: ٧.

والحق أنّ الروايه غير صحيحه، كما أنّ ما ذكرتم أنّ الروافض كل جُنْدٍ تركوا قائدهم، مثل السابق.

بل الرفض مصطلح سياسى لا يختص بمن رفض الشيخين، أو تركوا قائدهم.

إنّ مصطلح الرفضه كان قد استعمل قبل أن يولد زيد بن على ومن بايعه من أهل الكوفه، وهو يطلق على كل جماعه لم تقبل الحكومه القائمه، سواء أكانت حقاً أو باطلاً.

هذا هو معاويه بن أبى سفيان يصف شيعة عثمان - الذين لم يخضعوا لحكومه على بن أبى طالب عليه السلام وسلطته - بالرفضه ويكتب فى كتابه إلى «عمرو بن العاص» وهو فى البيع فى فلسطين أمّياً بعد: فإنّه كان من أمر على وطلحه والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم فى رفضه أهل البصره وقدم علينا جرير بن عبد الله فى بيعه على وقد حبست نفسى عليك حتى تأتيني، أقبل أذاكرك أمراً. (١)

وأنت ترى أنّ معاويه يصف من جاء مع مروان بن الحكم بالرفضه وهؤلاء كانوا أعداء على ومخالفيه، وما هذا إلّا الآن هؤلاء الجماعه كانوا غير خاضعين للحكومه القائمه آنذاك.

٥. ذكرتم فى الصفحه (١٦١) قولاً - بأنّ غلامه الشيعة يعترضون على أغلب صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وينكرون جهودهم، وأنّ الناس ارتدوا غير أربعة أو غير ستة.

نقول: إنّ وزان روايه ارتداد الصحابه نظير ما رواه البخارى عن أبى هريره، الذى كان يحدث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يرد علىّ يوم القيامه رهط من أصحابى فيحلّون عن الحوض، فأقول: يارب أصحابى، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا

ص: ٤٣٨

بعدك، إنهم ارتدوا على أذارهم القهقري» (١).

وهناك تسع روايات أخرى تحمل هذا المعنى، والفريقان أمام هذه الروايات شرع سواء.

وبما أن البحث في هذا الموضوع غير مفيد في ظروفنا الحالية التي تحالف فيها الكفر على ضرب الإسلام والنيل من المسلمين بدون تمييز بينهم، فلا نطيل البحث، والحرّ تكفيه الإشارة.

شكر الله مساعيك إذ أدت حق البحث في آل البيت وفي الدفاع عن الشيعة خصوصاً في مسألة التحريف.

وكان الأولى ترك البحث في فرق الشيعة والخوارج، والتركيز بدلاً عن ذلك على الهدف الذي كنت ترومه من نشر كتاب العلامة السخاوي.

جعلنا الله وإياكم ممن تناله شفاعه محمد وآله الطاهرين

والسلام عليكم وعلى من حولكم من الأعراء

جعفر السبحاني

قم المقدسه - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٤ ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ

ص: ٤٣٩

١- . صحيح البخارى: ٤/٢٢٨، برقم ٦٥٨٥.

رسالة إلى الدكتور عبدالرحمن الصالح المحمود

والرد على اتهامه الشيعة في مسألة الإسناد وعلم الرجال

الدكتور عبدالرحمن الصالح المحمود المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم من أعوان الحق وأنصار الصدق، وأتباع الإنصاف في كل ما نحكم وننقض.

قرأنا تقديمكم لكتاب «مصادر التلقّي وأصول الاستدلال العقليّ عند الإماميه الاثني عشرية» تأليف إيمان صالح العلواني، وممّا جاء في صفحته (ب) منه، قولكم: [ولا يفوتني - في هذه المقدمة المختصره - أن أثنه إلى مسألتين مهمتين تعرضت لهما الباحثه - وفقها الله - بشكل جيّد وإن كنت أتمنى إفراد كل واحده منهما بدراسه مفصله مستقلة:

إحداهما: مسألة الإسناد وعلم الرجال عند الرافضه، وفضح منهجهم في ذلك، وأنهم اخترعوا الإسناد في القرن الرابع أو الخامس لما رأوا أئمة الحديث من أهل السنّه عنوا بذلك كما هو معلوم.

فحبذا لو تقوم دراسه حديثه مفصّله في ذلك].

وفي كلامكم هذا ملاحظات نقدمها إليكم عسى أن تتدبّروا فيها، لعل الله

يبيِّنكم بالحقيقه، أو يحدث بعد ذلك أمراً:

أولاً: إننى أربأ بالدكتور أن يقتدى بالمتعصين فى القرون الخاليه، فيطلق على الشيعة الإماميه مصطلح الرافضه، ومن الغريب أن تختار الأستاذه العلوانى لكتابها عنوان (مصادر التلقى وأصول الاستدلال العقليه عند الإماميه الاثنى عشرية) فى حين يأبى الدكتور إلا أن يلقبهم بالرافضه، وينسى قوله تعالى: (وَ لَا تَنَابَرُوا بِاللُّقَابِ ...) (١).

ثانياً: أن ابن الخاضبه محدث بغداد قد أنصف فى كلامه حينما قال: بلغنى أن الله خص هذه الأمة بثلاثه أشياء لم يؤتها من قبلها من الأمم؛ الإسناد والأنساب والإعراب. (٢)

ما أمتن هذا الكلام وما أنصفه، حيث جعل الفضائل الثلاث من شؤون الأمة الإسلاميه ومن غير تمييز بين فريق وفريق. والشيعة الإماميه جزء من هذه الأمة.

ثم جاء ابن تيميه من بعده، فخالف ما ذكره ابن الخاضبه، وقال: الاسناد من خصائص هذه الأمة، وهو من خصائص الإسلام ثم هو فى الإسلام من خصائص أهل السنه، والرافضه من أقل الناس عناية به. (٣)

وأنت ترى أنه لم ينف الإسناد عن الشيعة الإماميه، وإن ادعى قلبه عنايتهم به.

ولمّا وصل الأمر إلى المرعشلى من المعاصرين تجاوز الحد أكثر وقال: ولم تكن هذه المزبه - يعنى الإسناد - مطلقه للأمة الإسلاميه، بل اختص بها أهل السنه

ص: ٤٤١

١- . الحجرات: ١١.

٢- . فتح المنان: ١٦١، بمقدمه لسان الميزان، إعداد ودراسه محمد عبدالرحمن المرعشلى، الطبعة الأولى ١٤١٥ - دار إحياء التراث العربى - بيروت. نقلاً عن القسطلانى. وابن الخاضبه، هو: أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدالباقي البغدادي. قال ابن عساكر: كان مفيد بغداد فى وقته. توفى سنه (٤٨٩ هـ). سير أعلام النبلاء: ١٩/١٠٩ برقم ٦١.

٣- . فتح المنان: ١٦١، نقله المرعشلى عن كتاب منهاج السنه: ٤/١١.

والجماعه، دون الراضه وغيرهم من طوائف البدع.(1)

ثم أتى دوركم يا دكتور، فزدتم فى الطين بله ، وتجاوزتم أكثر، بوصفكم أمه كبيره من المسلمين بالكذب والجعل، فقلتم: «اخرعوا الإسناد فى القرن الرابع أو الخامس لما رأوا أئمه الحديث من أهل السنه عنوا بذلك كما هو معلوم».

والإمعان فى سير هذه الفكره التى بدأت من عصر ابن تيميه، يثبت بأن باذر هذه الفكره هو ابن تيميه المعروف بنزعتة الخاصه فى مقابل أئمه أهل البيت عليهم السلام أولاً، ولشيعتهم ثانياً، وهو الذى قال فيه الحافظ الكبير ابن حجر: طالعت رد ابن تيميه على الحلّى فوجدته كثير التحامل فى ردّ الأحاديث التى يوردها ابن المطهر الحلّى، ردّ - فى ردّه - كثيراً من الأحاديث الجياد.(2)

ومع ذلك كله فالشيخ (ابن تيميه) كان أكثر إنصافاً ممّن تبعه من تلاميذ منهجه أعنى المرعشلى ثم جنابكم المحترم. حيث لم ينف عن الشيعة الإسناد بنحو مطلق، بل جعلهم قليلى العنايه به، لكنكما نفيتماه، ثم اتهمتهم أنت بالوضع!

ثالثاً: إذا كان الأمر مجرد ادعاء، فيامكان غيركم أن يدعى أيضاً، أنّ أهل السنّه اخرعوا الأسانيد فى القرن الثانى، وهو أقرب إلى القبول من دعوكم أنّ (الراضه اخرعوا الإسناد فى القرن الرابع أو الخامس)، إذ من الثابت أنّ أتباع مدرسه الخلفاء كانوا - تبعاً لرأى الخليفه الثانى - يقلّون من روايه الحديث، بل ألزموا أنفسهم بعدم تدوينه نحو قرن من الزمان، حتى قال ابن شهاب الزهرى: كنا نكره كتابه العلم، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين.(3)

ص: ٤٤٢

١- . فتح المنان: ١٦٠، ولاحظ (إيقاظ الوسنان) مقال فى نقد هذا الكتاب، طبع فى مجله (علوم الحديث) الصادره من كليه علوم الحديث فى طهران، العدد (١٥).

٢- . لسان الميزان: ٩/٣١٩، ولاحظ الدرر الكامنه له: ٢/٧١؛ وفتح البارى: ٩/٢٢٢.

٣- . طبقات ابن سعد: ٢/٣٥؛ وتقييد العلم: ١٠٧. يُراجع - للاطلاع أكثر - كتاب (تدوين السنه الشريفه) للجلالى. طبع بوستان كتاب - قم ١٤١٣ هـ.

ولا يحسبنَ أحد أن الأجواء بدأت تفتح أمام التدوين بسهولة بعد إكراه الأمراء عليه، بل ظلت الآثار السلبية للمنع قائمه بعد ذلك وهذا ما يتبين في كلام الأوزاعي العدى قال: كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتلقونه ويتذاكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره، وصار إليه في غير أهله. (١)

وعلى ذلك فإن الفتره الزمنيه بين عصر الصحابه، وبين عصر المدونات الحديثه كانت طويله جداً، إذ ألفت الكتب الستة المعتمده عند السنه فى القرن الثالث، وأولها صحيح البخارى (المتوفى ٢٥٦ هـ).

وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يمكن لمعارضكم أن يدعوا أن مؤلفى السنه فى القرن الثانى وبعدهم أصحاب الكتب الستة - ولبعدهم عن عصر الصحابه - قد اخترعوا الأسانيد، هكذا بدون دليل - كما فعلت أيها الدكتور - وبدون مراعاة لحرمتهم، وأدائهم للأمانه العلميه.

فهل تقبل أيها الدكتور هذه النتيجة، فتصبح كل أحاديث المسلمين فى مهبّ الريح؟ كما يُريد القرآنيون، وأعداء الحديث الشريف، قديماً واليوم!؟

رابعاً: أن جلّ روايات الشيعة، هى عن أئمتهم الطاهرين عليهم السلام المتفق على جلالتهم ومنزلتهم العلميه والدينه بين المسلمين، وقد استمر بثّهم للحديث منذ الصدر الأوّل إلى سنه (٢٦٠ هـ) أى إلى سنه وفاه الإمام الحسن بن على العسكرى عليه السلام، وكانت أسانيد رواياتهم تنتهى إلى جدّهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد روى عن جعفر الصادق عليه السلام أنه كان يقول: «حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدى، وحديث جدى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث

ص: ٤٤٣

١- . سنن الدارمى: ١/١٢١؛ وتقييد العلم: ٦٤.

رسول الله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل» (١).

ويؤكد ذلك الحادثه التاريخيه الشهيره التي حصلت للإمام على بن موسى الرضا عليه السلام، حين جعله المأمون العباسي ولياً للعهد عام (٢٠١ هـ)، ذلك أنه عليه السلام لمّا وافى نيسابور فى طريقه إلى مرو، ازدحم عليه أصحاب الحديث، وطلبوا منه أن يملى عليهم حديثاً، فأملى عليهم - وهو فى هودجه - هذا الحديث الذى رواه عن أبيه عن آبائه عن على بن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله سبحانه: «كلمه لا إله إلا الله حصنى، فمن دخل حصنى أمن من عذابي».

وكان على رأس محدثي السنه الذين خرجوا للقاءه عليه السلام: يحيى بن يحيى النيسابورى، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع القشيري، وغيرهم (٢).

قال أبو نعيم الأصفهاني (بعد أن روى حديث الرضا عليه السلام الموسوم بحديث سلسله الذهب): هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من روايه الطاهرين عن آبائهم الطيبين، وكان بعض سلفنا المحدثين إذا روى هذا الإسناد، قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق (٣).

وعلى ضوء ذلك نقول: إن أسانيد روايات الشيعة أقصر من أسانيد روايات السنه لاتصالها بالأئمه عليهم السلام، وذلك إذا اعتبرنا طريق كل إمام الهدى ينتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله لكونه أنزه الطرق، وقد مر عليك تعليق أبى نعيم على ذلك، وهذا يعنى أن درجه السلامه والصحه والدقه فى أسانيدهم أكثر من غيرهم، حتى وإن أخذنا بأول الكتب الحديثيه المؤلفه عندهم من حيث السعه، أعنى كتاب «الكافي» للشيخ الكليني (المتوفى ٣٢٩ هـ)، وغضضنا الطرف عما ألف من الكتب المتضمنه للأسانيد فى القرون: الأول والثانى، والثالث، والأخير هو القرن الذى أُلّف فيه الكتب الستة عند السنه.

ص: ٤٤٤

١- الكافي: ٥٣/١، باب روايه الكتب والحديث، الحديث ١٤.

٢- عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق: ١/١٤٣، الباب ٣٧؛ والمنتظم لابن الجوزى: ١٠/١٢٠.

٣- حليه الأولياء: ٣/١٩٢، الترجمة ٢٤١.

خامساً: كيف تتهمون الشيعة الإمامية وفيهم فحول المحدثين والمفسرين والخبراء في علم الشريعة بوضع الإسناد في القرن الرابع أو الخامس، مع أنّ بين أيدينا كتباً حديثه أُلِّفت في القرن الأوّل والثاني والثالث، والأحاديث فيها متصله مرفوعه حتى تبلغ إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أو إلى وصيه الإمام على عليه السلام أو إلى أولاده الطاهرين عليهم السلام. ومن حسن الحظ أنّ النسخ الخطيه من هذه الكتب متوفره الآن، فضلاً عن المطبوع، وإليك بعضها(١):

١. وقعه صفين: لنصر بن مزاحم المنقرى (المتوفى ٢١٢ هـ).

٢. تفسير الحبري: للحسين بن الحكم بن مسلم الكوفي (المتوفى ٢٨٦ هـ).

٣. المحاسن: للمحدث الجليل الثقة أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (المتوفى عام ٢٧٤ أو ٢٨٠ هـ)، طبع في جزأين ضخمين، وهو يشتمل على ١٢٣ باباً في الفقه والأخلاق والمعيشه وغيرها، والكل مروى بالأسانيد.

٤. كتاب النوادر: لشيخ القميين ووجههم الثقة الثبت الجليل أبي جعفر أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (المتوفى ٢٠٣ هـ)، والإمام الجواد عليه السلام (المتوفى ٢٢٠ هـ)، والإمام الهادي عليه السلام (المتوفى ٢٥٤ هـ).

وكان المؤلف رئيس المحدثين في قم المقدسه، وكتابه مطبوع منتشر.

٥. كتاب الغارات: أو الاستنفار والغارات تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن محمد ابن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي الكوفي الرقي، من أكابر علماء القرن الثالث. نشأ بالكوفه وانتقل إلى أصفهان لنشر كتابه فيها. مات بها سنه ٢٨٣ هـ. (٢)

٦. بصائر الدرجات: تأليف محمد بن الحسن الصفار، من أصحاب الإمام

ص: ٤٤٥

١- . للوقوف على التراث الإمامي المؤلف في القرون الأولى (١-٣) راجع كتاب «تدوين السنه الشريفه» القسم الأوّل.

٢- . الغارات طبع دار الأضواء، بيروت، لبنان.

الحسن العسكري عليه السلام الذي توفّي عام ٢٦٠ هـ. والكتاب ملّىء بالأسانيد يرويه كابر عن كابر، وقد توفّي المؤلف عام ٢٩٠ هـ، والكتاب مطبوع منتشر.

٧. قرب الاسناد: تأليف الشيخ الجليل أبي العباس عبدالله بن جعفر الحميري.

كان من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام. وصفه النجاشي بقوله: أبو العباس القمي شيخ القميين ووجههم قدم الكوفة سنة ثيف وتسعين ومائتين، ثقة من أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام (١). والكتاب مطبوع منتشر، ومن طبعاته طبعه مؤسسه آل البيت عليهم السلام.

وقد سمّي بقرب الاسناد لقله الوسائط بينه وبين الإمام عليه السلام المروى عنه.

٨. تفسير القمي: تأليف أبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم الكوفي الأصل، القمي. كان من أعلام المحدثين في النصف الثاني من القرن الثالث، وبقي إلى أوائل القرن الرابع.

قال ابن إسحاق النديم في وصفه: من العلماء الفقهاء، وله من الكتب: كتاب المناقب، كتاب اختيار القرآن، كتاب قرب الإسناد. وقد طبع تفسيره المذكور في جزأين.

٩. الأشعثيات (أو الجعفريات): لأبي علي محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي، نزيل مصر. وهو من رجال الشيعة الثقات (كان حياً ٣١٣ هـ).

والكتاب يتضمّن ألف حديث بإسناد واحد، يرويها عن موسى بن إسماعيل ابن موسى بن جعفر عن أبيه إسماعيل عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام، وتلك الأحاديث مرتبه على كتب الفقه: الطهاره، الصلاه، الزكاه، الصوم، الحج، الجنائز، الطلاق، النكاح، الحدود، الدعاء، السنن والآداب.

وقد طبع باسم الأشعثيات منضمّاً إلى كتاب «قرب الاسناد» لعبدالله بن جعفر الحميري، وهو من إصدار مكتبه نينوى الحديثه بطهران.

ص: ٤٤٦

١- رجال النجاشي: برقم ٤٧٣؛ الخلاصه في الرجال للعلامة الحلّي (المتوفّي ٧٢٦ هـ): ١٠٦.

إلى غير ذلك مما أُلّف في القرن الثاني والثالث.

سادساً: أنّ أسانيد الكتب الحديثية عند الشيعة تناهز الآلاف فهل يمكن الحكم بكون هذه الأسانيد موضوعه ومفتعله مع طول تباعد عصورهم!

نعم يمكن لشخص أو لجماعه اختراع سند أو أسانيد محدده في موضع خاص أو عدة مواضع، وأما ادعاؤكم وضع هذه الآلاف من الأسانيد لهذه الجوامع الكبيره فهذا أمر محال عادة، ولا يقول به من له أدنى اطلاع على تاريخ الحديث والمحدثين.

كما أنّ أصحاب المدوّنات الحديثية لم يكونوا من المغمورين، البعيدين عن علماء عصرهم من الفرق والمذاهب الإسلاميه المختلفه، حتى يتسنّى لهم الاعتكاف في الغرف المظلمه ليخترعوا هذه الأسانيد الجمّه، بل كانوا من الشهره بمكان، ومن الورع والتقوى بالمنزله الرفيعه، فهذا الإمام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (٢٦٠-٣٢٩ هـ) الذي قدم بغداد عام ٣١٠ هـ، قد روى وقرأ وأملى كتابه الكبير (الكافي) في عاصمه الدوله الإسلاميه - يومذاك - ومعقل أعلام الأئمّه من الفرق كافه، على مرأى المحدثين ومسمعهم، فلم يقل أحدٌ من سلفكم فيه مثل ما تقولون، بل لم ينبز بسوءٍ من المؤرخين أو المترجمين له، ثم قصد دمشق وبعلبك فحدث هناك، يقول الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر: محمد بن يعقوب من شيوخ الرافضه قدم دمشق وحدث ببعلبك عن أبي الحسين محمد بن علي الجعفري السمرقندي ومحمد بن أحمد الخفاف النيسابوري وعلي بن إبراهيم بن هاشم.

ثم قال: روى عنه أبو سعد الكوفي شيخ المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي وأبو القاسم علي بن محمد بن عبدوس الكوفي وعبدالله بن محمد... إلى أن قال: أنبأنا أبو الحسن بن جعفر، أنبأنا جعفر بن أحمد ابن حسين بن السراج، أنبأنا أبو القاسم المحسن حمزه الورّاق بتئيس، أنبأنا أبو

ص: ٤٤٧

على الحسن بن علي بن جعفر الديلمي في المحرّم بتّيس سنة ٣٩٥ هـ، أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن عبدوس الكوفي: أخبرني محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن موسى بن إبراهيم المحاربي، عن الحسن بن موسى، عن موسى بن عبد الله، عن جعفر بن محمد. قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله»، إلى آخر ما نقله ابن عساكر (١).

وبطبيعته الحال أنه حدّث في غير واحد من مجالس الحديث عن كتابه ولم يخطُر ببال أحد أنه اخترع الأسانيد.

سابعاً: نحن نطالبكم بما يشير - ولو من بعيد - إلى هذه النسبه الباطله التي نسبتوها إلى الشيعة.

يقول سبحانه:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) (٢).

جعفر السبحاني

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٦ ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ.

ص: ٤٤٨

١- تاريخ مدينه دمشق: ٢٩٧/٥٦-٢٩٨.

٢- المائده: ٨.

على ضوء الكتاب والسنة

لم يزل المسلمون منذ أقدم العصور الماضيه يحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وآله بإلقاء الخطب والقصائد في مدحه وذكر مناقبه في الكتاب والسنة تجسيدا لحبهم له صلى الله عليه وآله الذي أمر الله ورسوله به.

يقول الديار بكرى (المتوفى ٩٦٠هـ): لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده، ويعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات، ويعتنون بقراءه مولده الشريف، ويظهر عليهم من كراماته فضل عظيم. (١)

ويقول القسطلاني (المتوفى ٩٢٣هـ): ولا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده،... فرحم الله امرءاً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، ليكون أشدّ علّه على من في قلبه مرض، وأعياه داء. (٢)

إنّ كلّاً من العلمين ينسب الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله إلى أهل الإسلام، وكُلُّ منهما ينصّ على أنّهم لم يزالوا يحتفلون بشهر مولده، فهذا إن دلّ على شيء فإنّما

ص: ٤٤٩

١- . تاريخ الخميس: ١/٣٢٣.

٢- . المواهب اللدنيه: ١/٢٧.

يدلّ على أنّ الاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله له جذور في تاريخ الإسلام والمسلمين، دون أن يرجع أصله إلى عصر المماليك الذين حكموا مصر ما بين عام ٦٥٠ إلى ٩٢٢ هجرية حتى انقرضوا على يد العثمانيين. والقول بأنّ الاحتفال حدث في زمن المماليك في القرون المتأخّره، تخرّص بلا دليل، بل كان عمل المسلمين في هذا العصر استمراراً لما كان عليه المسلمون من قبل.

ولو افترضنا أنّ المسلمين - من عصر المماليك إلى يومنا هذا - قد احتفلوا بمولد النبي صلى الله عليه وآله عبر قرون، فهذا العمل منهم يعدّ أفضل دليل على كون الاحتفال أمراً مشروعاً، إذ أنّ اتفاق الأئمة الإسلاميه في عصر واحد على عمل، يصير دليلاً شرعياً على مشروعيته، فكيف إذا كان الاتفاق عبر عصور مديده؟!

قال الغزالي في تعريف الإجماع: إنّه (الإجماع) اتفاقُ أمّه محمد صلى الله عليه وآله بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي. (١) مستدلّين بقوله سبحانه: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (٢).

ثم إنّ من يعتبر الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله بدعه يُسئ الظن بالأئمة الإسلاميه وعلى رأسها العلماء والفقهاء والمحدّثون، فإنّهم كانوا يحتفلون في هذه القرون بمولده الشريف من دون أن يدور بخلداهم أنّه بدعه في الدين، ومن المستحيل أن يتفق أهل الإسلام على شيء عبر قرون مع كونه بدعه في الواقع.

فعلى من يسئ الظنّ بهم أن يقرأ أدلّه القائلين بجواز الاحتفال، بل واستجابته ثم يحكم ضميره الحرّ: فهل هو من مصاديق البدعه أو لا؟

وقبل إيضاح الأدلّه نفسّر البدعه، ونميّز البدعه اللغويه من البدعه الشرعيّه.

ص: ٤٥٠

١- . المستصفي: ١/١١٠.

٢- . النساء: ١١٥.

البدعة في اللغة هي: ما أحدث على غير مثال سابق، فتعم كل أمر أو عمل جديد لم يكن له شبيه من قبل.

قال الراغب: الإبداع إنشاء صنعه بلا احتذاء ولا اقتداء.

وأما البدعة في الشرع فهي: عبارته عن الافتراء على الله قولاً وعملاً، وقد عدّ المفترى على الله من أظلم الناس.

قال سبحانه: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أمرًا بعد فيان أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدى هدى محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثه بدعه، وكلّ بدعه ضلالة، وكلّ ضلالة في النار». (٢)

وقال ابن حجر العسقلاني في تفسير هذا الحديث: «المحدثات» جمع «محدثه» والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعه، وما كان له أصل يدلّ عليه الشرع فليس ببدعه. (٣)

فإذا كانت «البدعة» هي الافتراء على الله ورسوله والتلاعب بدينه وإدخال ما ليس من الدين، أو ما لم يعلم أنّه من الدين، في الدين، فعلى الباحث تمييز ما ليس ببدعه شرعاً عن البدعه لغه، وإن كانا يشتركان في الاسم، أعني: «البدعه» فنقول:

١. إذا كانت البدعه هي الافتراء على الله بجعل ما ليس من الدين، أو ما لم يعلم أنّه من الدين، في الدين. فكل عمل قام به الإنسان من دون أن ينسبه إلى الدين - وإن كان أمراً بديعاً - فهو ليس ببدعه شرعاً، كالألعاب الرياضية التي ابتدعتها

ص: ٤٥١

١- الأنعام: ٢١.

٢- صحيح البخارى: ١٣٩/٨، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ صحيح مسلم: ١١/٣، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

٣- فتح البارى بشرح صحيح البخارى: ١٣/٢٥٣.

الإنسان لتوفير الراحة لنفسه بما فيها من الفوائد، فلا شك أنّها بدعه بالمعنى اللغوي، لأنّها إبداع ما ليس له مثيل في الزمن السابق، ولكنها ليست ببدعه شرعاً، لعدم نسبتها إلى الشرع، إذ لا يقول: قال الله أو قال رسول الله: العبوا كذا وكذا، وإنّما ينسبها إلى منشئها. نعم مجرد كونها غير بدعه لا يكون دليلاً على كونها عملاً سائغاً شرعاً، بل يُستنبط حكمها من الأدلّة الشرعيّة.

مثلاً: الاحتفال في العرائس باختلاط الرجال والنساء السافرات أمر بديع لم يكن له مثيل في البلاد الإسلاميّة، فهو بدعه لغويه ولكنّه ليس بدعه شرعيّه، إذ القائم بهذا الأمر لا ينسبه إلى الشرعيّه، ومع ذلك فهو حرام بنصّ الكتاب والسنة.

٢. إذا أبدع الإنسان شيئاً وأتى به باسم الدين ولكن كان له أصل كلّى في الشرعيّه، وإن لم تكن الخصوصيه منصوصه في الشرع، فهذا ما يسمّى بدعه لغوي ولا يكون بدعه شرعاً، لأنّ الخصوصيه وإن لم تكن منصوصه لكن العنوان العام المنطبق عليه منصوص عليه في الشرعيّه المقدّسه. مثلاً:

الدفاع عن بيضة الإسلام بالأسلحة الحديثه، كالسفن الحربيّه والطائرات المقاتله لم يرد بنفس الخصوصيه في الشرعيّه المقدّسه، لكن العنوان المنطبق عليه وعلى غيره منصوص في الشرعيّه وهو الدفاع عن بيضة الإسلام وصيانته حدوده من الأعداء. قال سبحانه: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (١)، فيكون العمل الحديث البديع تجسيداً لهذا العنوان الكلّي، ولم تنزل الآية تتجسّد في كل قرن بوجه خاص.

٣. إذا قام إنسان بأمر باسم الدين، وكان أمراً حديثاً لم يكن له مثيل في السابق، ولم يكن له أصل كلّى يعضده ويسوّغه ويضفي عليه الشرعيّه، فهذا هو البدعه المحرّمه التي وصفها سبحانه بالافتراء على الله، كتغيير الأذان والإقامه بنقص أو زياده، فمن أراد التدخل في الشرعيّه الإسلاميّه في عباداتها ومعاملاتها وسياساتها

ص: ٤٥٢

١- . الأنفال: ٦٠.

بأن يدخل فيها ما ليس منها أو لم يُعلم أنه منها، ولم يكن في الشريعة أصل كَلَى يستمد العمل مشروعيتها منه، فقد ابتدع وافترى على الله الكذب.

إذا تقرر ذلك فلندرس حكم الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله، وأنه من أى قسم من الأقسام الثلاثة؟ فنقول:

الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله له أصل في الشريعة

إشاره

إن الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله هو من القسم الثاني، فإن الاحتفال على النحو الراجح وإن لم يرد في الشريعة بحرفيته، ولكن هناك نصوص عامه في الكتاب والسنة يستدل بها على أن الاحتفال بمولده يعتبر تجسيد لما تتضمنه تلك النصوص والعناوين التي يستفاد منها تسويغ هذا الاحتفال، ويضفي الشرعية عليه وهي كالتالي:

١. حب النبي أصل من الأصول

لقد أمر الكتاب والسنة بحب النبي صلى الله عليه وآله:

أما الكتاب العزيز فقوله سبحانه: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (١).

وأما السنة النبويه فقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب»

ص: ٤٥٣

١- . التوبه: ٢٤.

٢- . جامع الأصول: ١/٢٣٧-٢٣٨ برقم ٢٠.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوه الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما، وأن يحب في الله ويبغض في الله، وأن توقد نار عظيمه فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً»(٢).

لا شك أنّ لحبّ النبي صلى الله عليه وآله مظاهر ومصاديق متعدّده، ومن مظاهره اتّباع النبي واقتفاء قوله وفعله في الحياه.

ومن مظاهره أيضاً الاحتفال بمولده والإشاده بمنزلته التي نزله سبحانه فيها، فمن يحتفل في مولده فإنّما ينطلق من هذا المبدأ، أي حب النبي الذي أمر به القرآن والسنة، ونحن نسأل من يعدّ الاحتفال بمولده بدعه! هل المحتفلون - في نظر الأمّة - ينطلقون من حب النبي صلى الله عليه وآله وودّه، أو ينطلقون من بغضه وعدائه؟! لا أظنّ أنّ أحداً يتفوّه بغير الأوّل بل يعدّه تجسيدا للحبّ .

نعم، الاحتفال بيوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله وإن لم يكن منصوباً فإنّ الآيه لا تحدّد حبّ النبي وإظهاره بيوم دون يوم أو طريقه دون طريقه، بل تُسوِّغ إظهاره كلّ يوم من أيام السنه، إلّا أنّ اختيار ذلك اليوم من جانب المحتفلين لمناسبه خاصّه معلومه للجميع، وهو ظهور نوره صلى الله عليه وآله للعالم في ذلك اليوم، دون سائر الأيام، فلذلك اختاروا ذلك اليوم مع إمكان اختيار سائر الأيام.

وهناك كلمه قيمه لأحد العلماء، قال: إنّنا لا نقول بسنّيه الاحتفال بالمولد المذكور في ليله مخصوصه، بل من اعتقد ذلك فقد ابتدع في الدين، لأنّ ذكره صلى الله عليه وآله والتعلّق به يجب أن يكون في كل حين ويجب أن تملأ به النفوس، نعم:

إنّ في شهر ولادته يكون الداعي أقوى لإقبال الناس واجتماعهم وشعورهم الفياض بارتباط الزمان بعضه ببعض فيتذكرون بالحاضر الماضي، وينتقلون من

١- . جامع الأصول: ١/٢٣٧-٢٣٨ برقم ٢١.

٢- . جامع الأصول: ١/٢٣٧-٢٣٨ برقم ٢٢.

إن الاحتفال ليس عبادة للنبي صلى الله عليه وآله ولا لغيره فإن العبادة لها مقوم خاص غير موجود في المقام وهو الخضوع أمام موجود معين مع الاعتقاد بربوبيته، وأن مصير الخاضع بيده في الدنيا والآخرة.

وإنما الاحتفال أمر قربي يورث الثواب كسائر الأمور القريبه، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعانة الضعفاء وإعطاء الصدقات فكل هذه أمور قربه لا- عباديه. فإذا أتى به الإنسان لله سبحانه، يكون وسيله لقربه من الله تعالى ونيل الثواب منه سبحانه.

٢. تكريم النبي صلى الله عليه وآله أصل من الأصول

كما أن حب النبي صلى الله عليه وآله أصل من الأصول الرئيسي في الإيمان كذلك تكريم النبي وتعظيمه.

قال سبحانه: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢).

وقال سبحانه: (لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (٣).

فقد أمر سبحانه بالإيمان بالله والرسول معاً كما خص نفسه بالتسبيح بكره وأصيلاً، كذلك خص نبيه بالتعزير والتوقير، وليس التعزير في الآيتين إلا التكريم

ص: ٤٥٥

١- . مفاهيم يجب أن تصحح، المالک العلوی: ٢٥١.

٢- . الأعراف: ١٥٧.

٣- . الفتح: ٩.

والتعظيم. وتخصيص تكريمه بأيام حياته تفسير بالرأى مع إطلاق الآيه، وإلّا يلزم تخصيص الإيمان به بأيام حياته فقط.

وما ربّما يتوهم من أنّ المراد من التعزير هو النصره يرده أنّه سبحانه ذكره بقوله: (وَنَصِيْرُوْهُ) فى الآيه الأولى حيث ذكر النصره بعد التعزير، فىكون التعزير غير النصره، كما أردف التعزير بالتوقير فى الآيه الثانية، وفسره به.

فنحن نستنتق كل ضمير حرّ وحرّى المخالفين - بشرط أن يتجرّدوا عن عقيدتهم المسبقه الموروثة - هل الاحتفال بمولده فيه تكريم للنبي وتعظيم له أو إذلال له وإهانته؟!؟

لا أظن من له أدنى مسكه أن يتفوّه بالثانى وهو يعلم بضميره أنّ الاحتفال تعظيم له.

نعم تعظيم النبي وتكريمه لا- يختص بيوم دون يوم، ولا- الآيه تحدّده بيوم خاص، وإنّما اختير ذلك اليوم من بين أيام السنه، لمناسبه ظهور هذا النور فى ذلك اليوم الذى حداهم إلى تخصيص ذلك اليوم بالاحتفال.

فمن نسب أصل الاحتفال إلى الشرع فقد صدق، لوجود أصل له فى القرآن والسنة.

٣. رفع ذكر النبي صلى الله عليه وآله

إنّ إحياء ذكر النبي صلى الله عليه وآله أصل من الأصول التى جاءت فى القرآن الكريم.

قال سبحانه: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) (١).

فالآيه تدلّ على أنّه سبحانه رفع ذكر النبي، ومن مظاهره، الشهاده برسالته فى الأذان والإقامه وفى تشهد الصلاه، فیدلّ ذلك على أنّ الإشاده بذكر النبي أمر

ص: ٤٥٦

محبوب ومطلوب لله تبارك وتعالى وليس مبغوضاً، ويُعتبر الاحتفال بمولده وقراءة الآيات الناصه على عظيم منزلته والأحاديث الواردة في حقه تجسيداً لهذه الآيه وإحياءً لذكره، فهل يكون مثل ذلك بدعه؟! ومن مقوله (ما نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) (١)!!

٤. ذكر نعم الله سبحانه وتعالى

الاحتفال بمولد النبي هو إعادة ذكر نعمه كبيره من الله تعالى إلى ذاكره الناس، وهذه النعمه هي ميلاد نور النبي صلى الله عليه و آله الذي هو مبدأ الخير والهدايه للناس، وقد أسماه الله سبحانه وتعالى بالنور وقال:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (٢).

فالتذكير بنعمه الله يُعدّ شكراً لله سبحانه في مقابل هذه النعمه التي أنجى الله سبحانه بها هذه الأمة من الضلاله والغوايه.

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي - عند الكلام في استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم الله على عباده - ما هذا لفظه: إن من أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمد صلى الله عليه وآله وبعثته وإرساله إليهم، كما قال الله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (٣)، فصيام يوم تجددت فيه هذه النعمه من الله سبحانه على عباده المؤمنين حسن جميل، وهو من باب مقابله النعم في أوقات تجددها بالشكر. (٤)

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة

ص: ٤٥٧

١- الأعراف: ٧١.

٢- المائدة: ١٥.

٣- آل عمران: ١٦٤.

٤- لطائف المعارف: ٩٨.

وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسئِلوا عن ذلك؟ فقالوا: هو اليوم الذى أظفر الله موسى وبنى إسرائيل على فرعون، ونحن نصوم تعظيماً له، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نحن أولى بموسى» وأمر بصومه. (١)

وقد استدلل ابن حجر العسقلانى بهذا الحديث على مشروعيه الاحتفال بالمولد النبوى على ما نقله الحافظ السيوطى، فقال: فيستفاد فعل الشكر لله على ما منَّ به فى يوم معين من إسداء نعمه، أو دفع نقمه ويعاد ذلك، نظير ذلك اليوم من كل سنه. والشكر لله يحصل بأنواع العباده، كالسجود والصيام والصدقه والتلاوه، وأى نعمه أعظم من النعمه ببروز هذا النبى نبي الرحمة فى ذلك اليوم. (٢)

وللسيوطى أيضاً كلام آخر نأتى بنصه، يقول: وقد ظهر لى تخريجه على أصل آخر، وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وآله عَقَّ عن نفسه بعد النبوه مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عَقَّ عنه فى سابع ولادته، والعقيقه لا تعاد مره ثانيه، فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبى صلى الله عليه وآله إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمه للعالمين وتشريع لأُمَّته كما كان يصلى على نفسه، لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع، وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات (٣).

أخرج البخارى عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آيه فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً.

فقال: أى آيه؟ قال: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (٤).

ص: ٤٥٨

١- . صحيح مسلم: ٣/١٤٩، باب صوم يوم عاشوراء؛ وأخرجه البخارى فى صحيحه: ٢١٥/٧.

٢- . الحاوى للفتاوى: ١٩٦/١.

٣- . الحاوى للفتاوى: ١٩٦/١.

٤- . المائده: ٣.

فقال عمر: إننى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه، والمكان الذى نزلت فيه، ورسول الله صلى الله عليه وآله قائم بعرفه يوم الجمعة. (١)

وأخرج الترمذى عن ابن عباس نحوه وقال: نزلت فى يوم عيد من يوم جمعه ويوم عرفه. وقال الترمذى: وهو صحيح (٢).

وفى هذا الأثر موافقه عمر بن الخطاب على اتخاذ اليوم الذى حدثت فيه نعمه عظيمه، عيداً، لأنّ الزمان ظرف للحدث العظيم، فعند عود اليوم الذى وقعت فيه الحادثه، كان موسماً لشكر تلك النعمه، وفرصه لإظهار الفرح والسرور. (٣)

٥. الاقتفاء بسنّه نبي الله عيسى عليه السلام

يحكى سبحانه وتعالى عن المسيح - على نبينا وآله وعليه السلام - أنّ حوارِيّه طلبوا منه أن يدعو الله سبحانه أن ينزل عليهم مائده من السماء ليأكلوا منها وتطمئن قلوبهم ويزيد إيمانهم بصدقه فدعا لهم، وقال فى دعائه:

(اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (٤).

ترى أنّ المسيح يجعل يوم نزول المائده عيداً لأول أُمَّته وآخرهم جميعاً، فما كانت المائده السماويه إلاًطعاماً يشبع بطونهم مره واحده فى العمر، ومع ذلك اتّخذوا يوم نزول تلك النعمه عيداً للأئمه، فما ظنك بنعمه سماويه معنويه ظهرت يوم ميلاده وقد أشبع عقول البشر وقلوبهم ونور طريقهم ونجّاهم من الغوايه إلى الهدايه إلى يوم القيامه!؟

ص: ٤٥٩

- ١- . صحيح البخارى: ٢٧٠/٨، كما أخرجه الترمذى فى سننه ٢٥٠/٥. والروايات متضافره على أنّ الآيه نزلت فى الثامن عشر من ذى الحجه فى حجه الوداع فى غدیر خم.
- ٢- . نفس المصدرين السابقين.
- ٣- . بلوغ المأمول للدكتور عيسى بن مانع الحميرى: ٢٩.
- ٤- . المائده: ١١٤.

أفلا يستحق هذا اليوم المبارك الاحتفال والتبريك والإشادة بعظمه النعمه ومناقبها وفضائلها؟

أفلا يستحق هذا اليوم أن يكون عيداً للمسلمين ويحتفلوا بقراءه الآيات الواردة فى منزله رسول الله التى منها قوله سبحانه: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١).

نعم يشترط أن يكون الاحتفال مجرداً عن الغلو والخروج عن الحق، كما يشترط أن يكون منزهاً مِمَّا لا- يحلّ حتى يكون الاحتفال شرعياً إلهياً من عامه الجهات.

ولا- يخفى على القارئ الكريم أنّ لهذه الاحتفالات أثراً كبيراً فى التعرف على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأخلاقه وآدابه وسيرته وسلوكه، فإنّ الخطيب فى الحفلات يركّز فى كلماته وجمله على ما له صلى الله عليه وآله من الأخلاق الساميه والآداب الكريمه، وأنّه كيف كان يتعايش مع الناس، وكيف كان يدارى المخالفين والأعداء، إلى غيرها من الفوائد الجيّه من الاحتفالات.

هذه هى أدله القائلين بجواز الاحتفال واستحبابه ونحن ندعو الشيخ خالد بن سعود البليهد فى الرياض صاحب هذا العنوان على البريد الإلكتروني gmail.com

binbulihed الذى يصر على حرمة الاحتفال - فى مقال خاص - من دون أن يذكر شيئاً من أدله القائلين بجوازه، أن ينظر إلى ما ذكرنا من الأدله بنظر دقيق دون أن يعتمد على قول فلان وفلان، بل يعتمد فى نقده على الكتاب والسنة كما اعتمدنا عليهما.

ص: ٤٦٠

١- . الأعراف: ١٥٧.

أورد الشيخ خالد بن سعود البليهد وجوهاً استدلل بها على كون الاحتفال بالمولد النبوي من البدعة، فنحن نستعرضها ثم نجيب عنها. يقول:

١. ليس في الكتاب ما يدل عليه.

الجواب: قد عرفت أنّ له أصلاً في الكتاب العزيز، ويكفي ذلك في خروجه عن البدعة.

٢. ولا في السنّة أصل له.

الجواب: قد عرفت أنّ حب النبي صلى الله عليه وآله له أصل في السنّة، كما أنّ لغيره أصل كذلك.

٣. ولا يعرف فعله عن الصحابه.

الجواب: إنّ هذا عجيب جداً، فإنّ فعل الصحابه لا يُعدّ حجّة شرعية ما لم ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله فكيف تركهم؟! مضافاً إلى أنّ أحداً من الفقهاء لم يفت بأن عدم فعلهم أمراً ما، دليل على حرمة.

٤. ولا يعرف الترخيص به من الأئمة المتبوعين الأربعة ومَن في طبقتهم.

الجواب: يكفي في ذلك أنّ الأئمة الإسلاميه قد احتفلت بالمولد النبوي عبر قرون، وكم من مسأله لم يذكرها الأئمة الأربعة ومَن في طبقتهم استدركها المتأخرون، ولو كان الملا-ك في الحل والحرمة كلمه الأئمة الماضين فقط، لسُلّ الفقه عن الاستجابة لمتطلبات العصر وإعطاء الحكم الشرعي للمسائل المستحدثه!!

٥. أنّ هذه البدعة [المنكره] حدثت في زمن المماليك في القرون المتأخره.

الجواب: قد عرفت أنّه تخرص ورمى بالقول بلا دليل، وإن ذكره البعض.

وعلى فرض صحّته فقد اعتمدوا على الأصول القرآنيه.

٦. لاشك في فضل رسول الله صلى الله عليه وآله وإتّما النقاش في تخصيص يوم بعينه لذلك، واعتقاد أنّ له مزيه عند الله وفضل، تعظم فيه العباده والمحبه والذكر.

الجواب: أنهم يتقربون إلى الله بنفس الاحتفال، وأما تخصيص يوم خاص مع جواز الاحتفال في عامه الأيام فإنما هو لأجل مناسبه ظهور هذا النور المبارك في ذلك اليوم.

ثم إنَّ المعترض يعود إلى نقد أدلّه القائلين بجواز الاحتفال بالنحو التالي:

٧. إنَّ مَنْ يحتج بقول بعض العلماء المتأخّرين في إباحته بالكلام على وجوه:

أ. إنَّ كلام العالم ليس دليلاً شرعياً يُحتجّ به وتجب متابعتة، بل هو اجتهاد منه، فإن وافق الكتاب والسنة كان صواباً، وإن خالفهما كان خطأ باطلاً.

الجواب: ترى وجود التناقض بين قوله السابق - في الفقرة ٤ حيث قال: ولم يعرف الترخيص من الأئمة المتبوعين الأربعة ومَنْ في طبقتهم - وقوله هذا، بأنَّ كلام العالم ليس دليلاً شرعياً!!

فنسأله كيف تحتج بقول الأئمة الأربعة ومَنْ في طبقتهم وهم كانوا من العلماء، ومع ذلك تسلب الاعتماد من قول العلماء في هذا المقام وتقول: إنَّ كلام العالم ليس دليلاً شرعياً!؟

ب. إنَّ العبرة في معرفه الحق مجموع أقوال الأئمة المتقدّمين أهل القرون الفاضله الذين أثنى الرسول صلى الله عليه وآله عليهم، لا في كلام المتأخّرين الذين تكثروا مخالفتهم للسلف الصالح بسبب طروء المذاهب المحدثه وتغيّر بعض المذاهب.

الجواب: بغض النظر عن الأحداث المؤلمه والمصائب الجليله التي أصابت قلب الأئمة الإسلاميه خلال الفتره التي يصفها بالقرون الفاضله، فهل القرون التي حكم فيها بنو أميه وبنو العباس هي من القرون الفاضله، وقد دهمت المسلمين حروب طاحنه واستبيحت أعراض الصحابه والتابعين في المدينه المنوره خلال وقعه الحره عدّه أيام، ورميت الكعبه المشرفه بالمنجنيق أيام الحجاج الثقفي؟! أضف إلى ذلك المأساه الكبرى التي حدثت في القرن الأوّل من قتل ذراري الرسول ومُهَج قلبه كالإمام الطاهر الحسين بن علي عليهما السلام وأولاده وأصحابه وما تلته من مجازر دموية أخرى.

واعطف على ما حدث أيام الأمويين ما جرى أيام العباسيين وما كان رائجاً من شرب الخمر ومسامره المغنيات والراقصات الغالب والشائع في بلاط الخلافة!!

نتمنى من المجيب أن يفتح عينيه على التاريخ منذ رحله الرسول صلى الله عليه وآله إلى أن زالت الخلافة العباسية، ليرى خلال هذه الفترة أحداثاً يندى لها الجبين ويدمى لها القلب، فما من سنة خلت من الحرب أو القتل والدمار والتلاعب بالدين، فقد قام المتاجرون بالحديث بوضع الحديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله خلال تلك (القرون الفاضله) وأدخلوا في السنه الشريفه الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات، ولم يكتفوا بذلك حتى تقربوا إلى الله سبحانه بسب الصحابي الجليل والإمام الطاهر (على بن أبي طالب) على أعواد المنابر ستين عاماً.

فدع عنك نهباً صريحاً في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

ومع غض النظر عمياً ذكرنا - وهو شقشقه هدرت ثم قرّت - كيف يرمى المجيب المتأخرين بكثرة مخالفتهم للسلف الصالح، وهل السلف الصالح معصومون من الخلل؟! وإذا كان عامه المتأخرين على غرار ما ذكره، فلم يستثنى منهم ابن تيميه وابن القيم، ويُضفى عليهما ثوب العصمه، حيث يُحتج بقولهما في عامه المواضع من دون نقد ورد؟!!

ج. أن بعض من نشأ في بيئه التصوف كان معظماً لأهل التصوف، ومن نشأ في بيئه التشيع صار معظماً لأئمه الشيعة، ومن نشأ في بيئه الخوارج كان معظماً لأئمتهم.

الجواب: وكذلك من نشأ في بيئه السلفيين - وبالأخص ما ينسبه ابن تيميه إلى السلف - يكون معظماً لهم فما هو الفرق يا ترى؟! فهل يمكن أن يكون الأخير على الصراط المستقيم والباقون على الضلال المبين؟! (ما لكم كيف تحكّمون) (١).

ص: ٤٤٣

١- الصافات: ١٥٤.

د. أن باب التقرب إلى الله مبناه على التوقيف الشرعي والتقيّد بقيود الشرع، وليس مبناه على الاستحسان والاجتهاد.

الجواب: قد عرفت أنّ من يتقرب إلى الله بتلاوه آياته الواردة في فضائله صلى الله عليه وآله، وما في السنه النبويه من الإشاده بمنزلته ينطلق من الكتاب والسنّه لا من الاستحسان والاجتهاد.

هـ - أنّه من العسير جداً على الإنسان أن يخالف ما نشأ عليه في مذهب قومه وآبائه وأجداده.

الجواب: أنّ ما ذكره صحيح ولكن لا يشدّ منه صاحب المقال!! فهو أيضاً متأثر ببيئته ومذهب آبائه وأجداده وقومه، فما هو وجه التفريق بينه وبين غيرهم؟! فاللائق به - قبل أن يتّهم الآخرين بتقليد الآباء والأجداد - أن يتّهم نفسه بذلك!!

نعم هناك رجال كسروا قيد التقليد ونظروا إلى الحقائق ببصيره وتجرد عن عقائدهم المسبقه.

نسأل الله سبحانه الهدايه لنا ولصاحب المقال، ولكلّ إنسان يتحرّى الحق والحقيقه ويتجرّد عن العصبية ويتّبع الحق لأجله، أنّه سبحانه على الإجابة لتقدير.

والحمد لله رب العالمين

جعفر السبحاني

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١٤ محرم الحرام ١٤٣٠ هـ.

ص: ٤٦٤

٨ رساله إلى أحد أعلام التقريب من أهل السنّه حول تكفير اتباع أهل البيت عليهم السلام من قبل بعض الخطباء والوعاظ

يتعرّض أتباع أهل البيت عليهم السلام في هذه الأيام إلى هجمه شرسه من قبل بعض الوعّاظ وخطباء الجمعه والجماعات ومجموعه مشبوّهه قليله البضاعه في العلم والتقوى في بعض دول المنطقه، وقد بثنا شكوانا إلى أحد العلماء الأعلام ودعاه الوحده والتقريب من أهل السنّه، وذلك في رساله جوابيه بمناسبه حلول عيد الفطر المبارك، وقد أبدينا أسفنا من تصريحات هؤلاء الخطباء وذكرنا بأنّ مكه والمدينه مدينتان مقدّستان تعدّان من أبرز مراكز الوحده والتقريب بين المسلمين ولكننا نلاحظ الآن - مع الأسف الشديد - خطباء المنابر ووعاظ السلاطين يتّهمون فئه كبيره من المسلمين بالشرك والكفر، من غير أن يعرفوا المعيار الحقيقي للتوحيد والشرك، وأنّ ميزان التوحيد والشرك ليس ألعوبه بأيديهم حتى يطعنوا ويتّهموا الآخريين حسب ما تشتهيهِ نفوسهم المريضة.

وقد وصلت رسالتنا إلى هذا العلم العيّلّم وقد أبدى تعاطف معنا في هذه المسأله وذكر - متأسفاً - بأنّ العالم الإسلامي - بفقهاءه العظام وعلمائه الكرام - يعاني من هذا الخط التكفيري وإنّ غالبيه هؤلاء الخطباء والوعاظ هم من أنصاف المتعلمين الذين يكون ضررهم أكثر من نفعهم...

ونقدّم إليكم نص الرسالتين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سماحة الأستاذ الفاضل الدكتور... حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلنى - وصلكم الله - كتابكم المتضمن تبريكاتكم بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك.

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعِيدَ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكِ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ مَنْ وَالَاكُمْ، فِي السَّنِينَ الْقَادِمَةِ بِالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَيُوفِّقْكُمْ لَصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ.

كما أرجو من الله سبحانه أن يجمع بينانكم وبيانكم كلمه المسلمين وأن ينجيهم من الاختلاف والفرقه. كيف وإن الذكر الحكيم كلما ذكر الوحده يمدحها، وكلما ذكر الفرقة ذمها ونهى عنها.

قال تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَ بِكُمْ شِيْعًا) (١) فالله سبحانه قد جعل تفرق المسلمين إلى فرق وشيع عدلاً لنزول العذاب من فوق أو التحت.

إن مكة المكرمه بلد التوحيد والوحده لأنها مهوى قلوب المسلمين كافة، فمنبرها وخطيبها يجب أن يكونا داعيه إلى توحيد الكلمه، وكلمه التوحيد، إلّا أننا ومع الأسف نرى أن خطب الجمععات أصبحت داعيه للتفريق والتكفير.

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا الطريق لتوحيد الكلمه كما رزقنا نعمه كلمه التوحيد.

وفقكم الله لكم خير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحانى

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

الثالث من شوال المكرم ١٤٣٠ هـ. ق

ص: ٤٦٦

الإجابة على رساله

بسم الله الرحمن الرحيم

عنايه مؤسسه الإمام الصادق رضى الله عنه

سماحه العلامة آيه الله العظمى جعفر السبحانى يحفظه الله

مدير مؤسسه الإمام الصادق رضى الله عنه

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وبعد:

بكل الإجلال والتقدير لسماحتكم تسلّمتُ رسالتكم الكريمة عبر الفاكس سائلاً المولى الكريم أن يمنَّ عليكم بدوام الصحه والتوفيق وأن يُعيد على الأمة الإسلاميه هذه المناسبات الكريمة بالعز والنصر.

سيدي: وصلتني رسالتكم الكريمة وما ضمّتموها من نتائج الاختلاف والفرقه وما تجنى على الأمة هو الواقع المؤلم الذى تعيشه الأمة، والأمر منوط بحكامها وعلمائها، ومن يدرك هذا ويعمل على إزالته قليل ونادر ولكنها الأمانه والمسؤوليه وكل يعمل فى حدود طاقاته وإمكاناته، والتعليم فى الحلقات العلميه والحوزات ومؤسسات التعليم، والاجتماعات الخاصه فالكمل مسؤول أمام المولى عز وجل، أما الخطاب فى الجمعيات فالمعروف أنّ غالبية هؤلاء الخطباء والمتصدّين للوعظ أنصاف المتعلمين، ضررهم أكثر من نفعهم، ولن يفضّ هذا الإشكال إلّا ولاءه الأمر فى البلاد الإسلاميه (وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) وإنا لله وإنا إليه راجعون.

سيدي أدامكم الله وسدّد خطاكم، الدعاء لسماحتكم والشكر....

الإمضاء

ص: ٤٤٧

بلغنا نبأ الاحتفال الذى أقيم فى لندن حول زوجة الرسول صلى الله عليه و آله، فإذا صحَّ ذلك، وصحَّ أنه أُلقيت فيه كلمات تضمّنت ألفاظاً نابيه، فإننا ندعو، انطلاقاً من مسؤوليتنا الرسالية والأخلاقية، جميع المسلمين إلى الاهتمام بقضاياهم المصيرية، ومواجهه التحديات والأخطار التى تتهدّدهم، لا سيما الخطر الصهيونى المدمر، وإلى العمل الدؤوب على تعزيز التعاون والتضامن بينهم، من خلال التأكيد على ما يجمعهم من مشتركات، وما أكثرها، وتجنّب إثارة كل ما من شأنه أن يثير الخلاف، ويؤجج النزاع بينهم، والكفّ عن كل التصرفات التى تسيء إلى الهدف المقدّس: الوحدة الإسلاميه.

ونحن إذ ندين ما يصدر من هنا وهناك من أقوال وأفعال لا تنسجم مع الإسلام فى أهدافه وروحه وخلقه، فإننا نُهيب بالعلماء الواعين وبالمتقفين الحريصين على أمتهم، أن يضعوا، عبر الحوارات واللقاءات المشتركه، حلولاً ناجعه لما تعانيه أمتنا من تمزق وتشردم، وأن يقفوا موقفاً صريحاً ومسؤولاً، لكى يحسموا ماده النزاع وأصل الداء، من ظاهره التكفير و الاتهام بالشرك والابتداع التى تتبناها بعض المؤسسات الدينيه، وأن يعلنوا عن شجبهم واستنكارهم

للحملة الإعلامية الشعواء التي تشنّ ضد أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام، من قبل بعض القنوات الفضائية المقيته.

ولا شك أنّ في السكوت والوقوف موقف المتفرّج (فضلاً عن التحريض وشحن النفوس بالحقّد والبغضاء) تجاه ما يحدث لشيعة أهل البيت لا سيما في العراق وباكستان من مجازر دمويه رهيبه، يذهب ضحيتها الآلاف منهم بغير حقّ، إنّ السكوت عن ذلك يعدّ جريمة كبرى، وتشجيعاً للمتشدّدين على التخيّط أكثر في الظلام، وعلى ارتكاب المزيد من الجرائم وعمليات القتل الجماعي، والمزيد من ردود الأفعال السلبيه والتصرفات غير اللائقه، وكلّ ذلك لا يخدم ما يهدف إليه المخلصون الواعون في أمّتنا من دعوه المسلمين جميعاً إلى الاعتصام بحبل الله تعالى، ومدّ جسور الثقه بينهم، ونبد الخلاف والفرقه (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) . (١)

أمّا بالنسبه إلى موقف الشيعه من قضيه الإفك، فهو ما ذكره شيخنا الطبرسي (٤٧١-٥٤٨هـ) في تفسيره «مجمع البيان»، فمن أراد من إخواننا السنّه الوقوف على رأى علماء الشيعه، فليرجع إليه. (٢)

جعفر السبحاني

قم المشرفه

ثالث شهر شوال المكرّم - ١٤٣١ هـ

ص: ٤٦٩

١- . التوبه: ١٠٥.

٢- . راجع مجمع البيان: ٢٣٠/٧، في تفسير الآيه ١١ من سوره النور: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ...).

نص البيان الذى صدر من مكتب سماحه آيه الله العظمى الشيخ جعفر السبحانى (دام ظله) مستنكراً فيه جريمته إهانته القرآن الكريم من قبل مثيرى الفتن والغوغاء فى أمريكا.

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ احترام الأديان والمذاهب والمقدّسات هو أحد البنود الهامه التى أكّدت عليها ميثاق حقوق الإنسان الصادر عن منظمه الأمم المتحدّه، والموقع عليه من قبل كافة رؤساء دول العالم الأعضاء فى هذه المنظمه العالميه.

إلّا أنّنا نرى فى الأيام الأخيره أنّ هذا الأصل الهام قد أصبح عرضه للانتهاك والخرق بحجّه حرية التعبير عن الرأى، التى يتذرّع بها البعض لهتك حرمة المقدّسات الدينيه لمليارات المتديّنين.

إنّ الجريمه الأخيره التى تتمثّل بهتك حرمة القرآن المجيد ووصفه بأنّه كتاب حرب والإقدام على حرقه وتمزيقه قد حدثت على أرض دوله تعدّ مضيفاً لمنظمه الأمم المتحدّه، وتحسب نفسها حارسه لحقوق البشر، ومهد الحريه والديمقراطيه.

بعد ما انتشرت أخبار نيّه البعض القيام بهذه الجريمه حدّر الكثير من

المفكرين والسياسيين والعلماء من خطوره الإقدام على مثل هذه الأعمال المخالفه لكافه الأصول الإنسانيه والقوانين العالميه، ولكن وميّا يؤسف له أقدمت زمره من الأذئاب والمجهولين ومقابل البيت الأبيض مركز الحكومه الأمريكيه على إهانته المصحف الشريف وتمزيقه، ولم يمنع هؤلاء الشرذمه، مسؤول حكومي ولا حتى الشرطه المتواجدين فى ذلك المكان.

لا- نشك نحن ولا- يشك أيضاً ذو مسكه من عقل أنّ هؤلاء الأشرار إنّما قاموا بعملهم هذا بإذن خاص من رؤوسائهم والذين يؤيدونهم من وراء الستار، ولولا ذلك لما تجرّأوا وأقدموا على هذا العمل الشنيع.

إنّ القائمين بهذا العمل والمؤيدين له قد أصبحوا منبوذين ومكروهين من قبل أتباع كافه الأديان السماويه الذين استنكروا هذه الجريمة، لأنّ هؤلاء لم يهتكوا حرمة القرآن الكريم فقط بل تعدّوا على حرمة نبي الله عيسى المسيح عليه السلام الذى ذكره الذكر الحكيم بأنّه قدوه البشر، ووصفت أمّه مريم العذراء فيه بأنّها صديقه وأنّ الله اصطفاه وطهرها وفضلها على نساء العالمين.

إنّ وراء هذه الأعمال نوايا شريره منها زرع التفرقه بين المسيحيين والمسلمين وإغراء بعضهم ببعض وإثاره نار الحقد والكراهيه والشحناء فى أوساطهم حتى تستعر نار الحروف والخلافات والقتال بين الشعوب والدول.

إنّ للقرآن المجيد مكانه عظيمه وجليله فى قلوب مليارد ونصف مسلم، وأنّ عمل هؤلاء النوكى لم ينقص من مكانه القرآن وجلالته شيئاً، بل على العكس أثبت خفه عقلهم وشدوذ أفكارهم، ذلك أنّ الله قد تكفّل بحفظ هذا الكتاب العزيز وضمن سلامته.

وكما قام علماء الأمّه ومفكروها باستنكار هذه الجريمة، فالواجب على حكام الدول الإسلاميه وقادتها السياسيين مواجهه هذه الإهانته وأن لا يكتفوا بإصدار بيانات الاستنكار اللفظيه، بل عليهم - حفاظاً لكرامه مقدّساتهم - الإقدام بعمل جدّى يؤثر على سياسه المجرمين واقتصادهم ومنافعهم، بتخفيض التمثيل

الدبلوماسية وتقليل التبادل التجاري ومقاطعه المنتجات الاقتصاديه، وغير ذلك من الأساليب التي تحدّ من تكرار أمثال هذه الأعمال المشينه، ولولا ذلك فسوف تستمر هذه الأعمال، ويتجرأ أعداء الله والقرآن أكثر، ويقدموا على أعمال أقيح وأشنع.

نداؤنا الأخير لكافه المؤمنين و رؤساء الدول الإسلاميه أن يتوكلوا على الله سبحانه وأن ينصروا الله ورسوله ويجعلوا نصب أعينهم قوله تعالى:

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) .

كما نطالب المسلمين كافه التمسك بوحده الكلمه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جعفر السبحاني

الخامس من شوال المكرم ١٤٣١ هـ

ص: ٤٧٢

١١ رساله إلى الدكتور الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر

سماحه الدكتور الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف المحترم

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وبعد؛ فقد أطلعنا على موقفكم الرسالي بالنسبة إلى عامه الفرق الإسلاميه وبينها المذهب الشيعي الإمامي، فسررنا به.

إنّ موقفكم هذا قد سبقكم إليه رجال مخلصون من الشيعة والسنة - كما تذكرون أنتم - وعلى رأسهم الحاج حسين البروجردى المرجع الأعلى للشيعة في عصره، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر - رضوان الله عليهما -، فأنتم خير خلف لهما ولجماعه دار التقريب.

ولا ريب في أنّ الأمة الإسلاميه أمّه واحده كما سمّاهم الله سبحانه، إذ قال:

(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (١)، ولو اختلف علماءهم فيما روى عن النبي، ولكنهم لم يختلفوا في نبينهم، وهذه فضيله رايه للمسلمين عامه.

وفي هذه الأجواء الشائكة التي يسعى فيها العدو لإشعال نار الفرقه وتأجيج الخلاف بين الفرق الإسلاميه عن طريق وسائل الإعلام المختلفه يجب على صالحى المؤمنين ودعاه التقريب السعى إلى تقريب الخطى وتعزيز الوحده

ص: ٤٧٣

الإسلاميه تحت ظل الاعتقاد برب واحد وكتاب واحد ورسول واحد وقبله واحده وشريعته موحده، وبها وبأمثالها يصدق بحقنا قول القائل: أن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا. ونعم ما قال الشاعر المفلح الأزهرى محمد عبد الغنى (رضى الله عنه):

إننا لتجمعنا العقيدة أممٌ ويضمنا دين الهدى أتباعا

ويؤلف الإسلام بين قلوبنا مهما ذهبنا فى الهوى أشياعا

وفقكم الله تعالى لنصره الإسلام، وسدد خطاكم على طريق التضامن والتكاتف بين المسلمين جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحانى

قم المشرفه

١٥ ذى القعدة الحرام ١٤٣١ هـ

ص: ٤٧٤

١. البرقى وأثره الرجالى
٢. على بن إبراهيم القمى عصره... مكانته العلميه.. آثاره
٣. المحدث الكلىنى وأثره الخالد
٤. الشريف المرتضى.. حياه وآثاره
٥. ميثم البحرانى عالم ربانى وفيلسوف إلهى
٦. آقا بزرك الطهرانى وطبقات أعلام الشيعه
٧. السيد محمد محمدصادق الصدر رجل العلم والجهاد

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على خير خلقه وخاتم رسله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

إن علم الرجال - المذى يبحث عن أحوال رواه الحديث التى لها دخل فى قبول روايتهم وعدمه - قد أصبح فى هذه الأيام من مبادئ الاجتهاد. ولا ينكر هذه الحقيقه إلا لمن لم يمارس الفقه ولم يطلع على دور السنه فى استنباط الأحكام الشرعيه.

إن الخبر المتواتر، بل المستفيض قليل، وهما لا يكفيا لاستنباط جميع الأحكام الشرعيه، فالمهم هو الخبر الواحد، فالحجّه إما قول الثقة، أو الخبر الموثوق صدوره وإن لم تحرز وثاقه الراوى، وعلى كلا التقديرين فتميز الثقة عن غيره، أو جمع القرائن على كون الخبر موثوق الصدور، رهن الخوض فى أحوال الرواه وتحديد مدى وثاقتهم وضبطهم، وممارستهم للحديث، إلى غير ذلك من الأمور التى يتبناها علم الرجال.

ثم إن للمؤلفين فى هذا العلم منهجين رئيسيين:

الأول: ترتيب أسماء الرواه حسب الحروف الهجائيه، وذكر خصوصيات الراوى، من دون أن تذكر طبقه الراوى وعصره والمشايخ الذين

لقيهم والتلاميذ الذين أخذوا منه، إلقائياً، وعلى ذلك سلك تقريباً الرجالى النقّاد على بن أحمد النجاشى (٣٧٢-٤٥٠ هـ) فى فهرسته المعروف برجال النجاشى، وشيخ الطائفه محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥-٤٦٠ هـ) فى فهرسته، وتبعهما من جاء بعدهما.

الثانى: تدوين أسماء الرواه، وجعلهم طبقات حسب أزمانهم، مع سرد أسماء المشايخ الذين أخذوا منهم والتلاميذ الذين رووا عنهم، ويأتى فى إطار هذا المنهج، إيراد أصحاب النبى صلى الله عليه وآله، ثم أصحاب الأئمه الاثنى عشر عليهم السلام، وفق العصر الذى عاش فيه كل إمام.

وقد لا يُراعى فى هذا المنهج ترتيب أسماء كل طبقه على حروف الهجاء، كما هو الأمر فى كتاب البرقى هذا، الذى عمد مؤلفه - فى أماكن عديده منه - إلى جمع الأسماء المشتركه فى محلّ واحد.

إنّ دراسه أحوال الرواه حسب الطبقات لها ميزه خاصه، وهى: التعرف على طبقه الراوى وزمانه. وربّما يكشف المتتبّع ما فى السند من السقط، كما إذا روى من هو فى الطبقة الثامنه عمّن هو فى الطبقة السادسه ولم يكن الراوى من المعمرين، فيستظهر أنّ الواسطه قد سقطت من الروايه.

وبالجملة فإنّ التعرّف على الطبقات، يوقف الباحث على نقصان السند وكماله، وعلى مشايخ الراوى وتلاميذه، ومدى اهتمامه بالحديث قلّه وكثره.

ومن حسن الحظ أنّ كلا المنهجين كان موجوداً منذ تدوين علم الرجال إلى يومنا هذا.

وقد ألف غير واحد من العلماء وفق المنهج الثانى، نشير إلى ما وقفنا عليه منهم:

١. أحمد بن محمد بن خالد بن عبدالرحمن البرقى (المتوفى ٢٧٤ هـ).

ترجمه النجاشى فى رجاله، وقال: صنّف كتباً منها المحاسن. ثم ذكر ما اشتمل عليه من كتب، إلى أن قال: كتاب الطبقات، كتاب أفاضل الأعمال، كتاب أخص

الأعمال، كتاب المساجد الأربعة، كتاب الرجال (١).

وذكر الشيخ الطوسي ما تضمّنه «المحاسن» من كتب، ثم قال: وزاد محمد بن جعفر بن بطة (ق ٤هـ) على ذلك (يعنى ما ذكره هو من الكتب) طبقات الرجال، كتاب الأوائل، كتاب الطب... (٢).

٢. أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن دؤل القمي (المتوفى ٣٥٠هـ).

قال النجاشي في حقه: له مائة كتاب، ثم عدّ كتبه ومنها كتاب الطبقات (٣).

والظاهر منه ترتيب الرواه وفقاً لطبقاتهم، حياه وموتاً، أستاذاً وتلميذاً.

٣. محمد بن عمر بن محمد بن سالم بن البراء التميمي، المعروف بالقاضي الجعابي (٢٨٤-٣٥٥هـ).

ترجمه غير واحد من السنه والشيعة. قال النجاشي بعد ذكر اسمه: الحافظ القاضي، كان من حفاظ الحديث، وأجلّاء أهل العلم، له كتاب الشيعة من أصحاب الحديث وطبقاتهم، وهو كتاب كبير سمعناه من أبي الحسين محمد بن عثمان. ثم ذكر له كتاباً آخر باسم: أخبار بغداد وطبقات أصحاب الحديث بها، وقال: أخبرنا بسائر كتبه شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضى الله عنه (٤).

٤. محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ).

ألّف كتاب الرجال، ويشتمل - كما جاء في مقدّمته -: على أسماء الرجال الذين رَووا عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن الأئمة عليهم السلام من بعده إلى زمن القائم عليه السلام، ثم أذكر من تأخّر زمانه عن الأئمة عليهم السلام من رواه الحديث، أو من عاصرهم ولم يرو عنهم،

ص: ٤٧٩

١- . رجال النجاشي: برقم ١٨٠.

٢- . الفهرست للطوسي: ٤٥، برقم ٦٥.

٣- . رجال النجاشي: برقم ٢٢١.

٤- . رجال النجاشي: برقم ١٠٥٦.

وأرتب ذلك على حروف المعجم... (١)

إنّ هذا الكتاب المائل بين يديك المعروف بـ «رجال البرقي»، من الكتب القيّمة من تراثنا الخالد، وله منزله رفيعه بين علماء الرجال فلنذكر شيئاً عن رجالات هذا البيت الرفيع ثم نتحدث بعد ذلك عن الكتاب ومؤلفه.

الأول: محمد بن خالد بن عبدالرحمن البرقي

إنّ محمد بن خالد البرقي هو أساس هذا البيت المبارك في قم المشرفه، وكان كوفياً نزل بقم مع جدّه عبدالرحمن، وقد ترجمه غير واحد من علماء الرجال، وعدّوه من أصحاب موسى بن جعفر والرضا والجواد عليهم السلام.

قال النجاشي: محمد بن خالد بن عبدالرحمن بن محمد بن علي البرقي، أبو عبدالله. مولى أبي موسى الأشعري. ينسب إلى برق رود قرية من سواد قم، على واد هناك. وله أخوه يعرفون بأبي علي الحسن بن خالد، وأبي القاسم الفضل بن خالد، ولابن الفضل ابن يعرف بعلي بن العلاء بن الفضل بن خالد، فقيه. وكان ضعيفاً في الحديث (٢) وكان أديباً حسن المعرفة بالأخبار وعلوم العرب. (٣)

وذكره الشيخ الطوسي في أصحاب الرضا عليه السلام ووثقه، وفي أصحاب الجواد عليه السلام، وقال: إنّه من أصحاب موسى بن جعفر، والرضا عليهم السلام. (٤)

ص: ٤٨٠

- ١- . رجال الطوسي: ٢ (مقدمه المؤلف).
- ٢- . قال المحقق التستري: قول النجاشي: كان ضعيفاً في الحديث لا ينافي قوله: كان حسن المعرفة بالأخبار، لأنّ مراده بالحديث الحديث الديني وروايات الأحكام فلم يكن له فيها يد طولى، بخلاف الأخبار والسير والتاريخ. قاموس الرجال: ٩/٢٥٠.
- ٣- . رجال النجاشي: برقم ٨٩٩.
- ٤- . رجال الطوسي: ٣٨٦ برقم ٤، و ٤٠٤ برقم ١.

وذكره ابن إسحاق النديم في الفهرست في أول الفن الخامس من مقاله السادس في أخبار فقهاء الشيعة، وعدّ من تصانيفه (كتاب الرجال)، وفيه ذكر مَنْ روى عن أمير المؤمنين عليه السلام (١).

ومما تقدّم يتّضح بجلاء أنّ الكتاب (رجال البرقي) ليس من تأليفه قطعاً، لأنّه في طبقه متقدّمه على طبقه المؤلّف، فهو يروى عن الإمام الجواد (٢) عليه السلام (المتوفى ٢٢٠ هـ)، بل يروى عن توفى في أوائل القرن الثالث كيونس بن عبد الرحمن (٣) (المتوفى ٢٠٨ هـ)، في حين أنّ المؤلّف أورد في كتابه أصحاب الإمام العسكري (المتوفى ٢٦٠ هـ)، وصرّح فيه بسماعه من عبد الله بن جعفر الحميري، الذي ورد الكوفه سنه نيف وتسعين ومائتين (٤).

الثاني: أحمد بن محمد بن خالد البرقي

ترجمه النجاشي بقوله: أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد ابن علي البرقي، أبو جعفر. أصله كوفي. وكان جدّه محمد بن علي حبسه يوسف ابن عمر بعد قتل زيد بن علي عليه السلام، ثم قتله، وكان خالد صغير السن، فهرب مع أبيه عبد الرحمن إلى بَرْق رُود. وكان ثقةً في نفسه، يروى عن الضعفاء، واعتمد

ص: ٤٨١

- ١- فهرست ابن النديم: ٢٢٣.
- ٢- وقد استندنا في بيان طبقته بروايته عن الإمام الجواد عليه السلام مع أنّ الشيخ عدّه من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام - كما تقدّم - وذلك لأننا لم نعثر له على روايه عنهما، حتّى أنّه لم ينقل عن الإمام الجواد عليه السلام إلّا روايتين. [لاحظ: الكافي: ٣/٥٥٩، باب الرجل يعطى عن زكاته العوض من كتاب الزكاه، الحديث ١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٥٣، الحديث ٢٦، الباب ٢٨: ما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام من الأخبار المتفرقه].
- ٣- انظر: معجم رجال الحديث: ٢١/٢١٨ برقم ١٤٤٦٥.
- ٤- رجال النجاشي: برقم ٥٧١.

روى أحمد: عن أبيه محمد بن خالد البرقي، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، وعبدالرحمن بن أبي نجران، والحسن بن علي بن فضال، والحسن بن علي بن يقطين، والحسن بن محبوب، وإسماعيل بن مهران، والحسن بن علي الوشاء، والحسين بن سعيد الأهوازي، ويحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، وعلي بن الحكم، وآخرين.

وعدّ من أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام.

وكان كثير الروايه، عارفاً بالسيرة والأخبار، مصنفًا. روى عنه: سعد بن عبدالله الأشعري، ومحمد بن الحسن الصفار، ومحمد بن أحمد بن يحيى، وعلي بن إبراهيم، وعلي بن الحسين السعد آبادي، والحسن بن متيل الدقاق، وأحمد بن عبدالله البرقي (حفيده)، ومحمد بن علي بن محبوب، وعبدالله بن جعفر الحميري وآخرون.

وقد ترجمه من أعلام السنّة: الذهبي، والصفدي، وابن حجر، والزركلي. (٢)

توفى سنة (٢٧٤ هـ)، وقيل: سنة (٢٨٠ هـ).

وقد مضى قبل قليل أنّ النجاشي عدّ من تأليف المترجم كتاب الطبقات، وكتاب الرجال. كما أنّ الشيخ الطوسي نقل عن ابن بطة أنّ له طبقات الرجال.

واستناداً إلى ما تقدّم، قال شيخنا المجيز الطهراني: إنّ لأبي جعفر البرقي كتابين في الرجال:

أحدهما: الطبقات الموجود المرتّب، بترتيب أصحاب النبي والأئمة إلى

ص: ٤٨٢

١- رجال النجاشي: برقم ١٨٠.

٢- تاريخ الإسلام (٢٦١-٢٨٠ هـ): ٢٨٢ برقم ٢٥٢؛ الوافي بالوفيات: ٣٩٠/٧ برقم ٣٣٨٦؛ لسان الميزان: ١/٢٦٢؛ الأعلام للزركلي: ١/٢٠٥.

الحجّه صاحب الزمان عليهم الصلوات والسلام.

ثانيهما: الموسوم بكتاب الرجال الذي عبّر به الشيخ كذلك بعد ذكر ثلاث كتب أُخرى، ولعلّه كان بغير هذا الترتيب. (١)

وهذا القول ضعيف كما نبّه عليه المحقّق التستري في قاموسه (٢) للأسباب التاليه:

أولاً: إنّ المؤلف ينقل (عند ذكر أصحاب الصادق عليه السلام) في مواضع سبعة عن كتاب سعد، وهو سعد بن عبدالله الأشعري (المتوفى ٢٩٩ أو ٣٠١ هـ)، الذي ألف كتابين في الرجال: مناقب رواه الحديث، ومثالب رواه الحديث. وإليك المواضع التي نقل فيها عنه:

١. ترجمه عبيدالله بن عبدالله النخعي برقم ١٧٩.

٢. ترجمه سليمان بن خالد البجلي برقم ٤٣٤.

٣. ترجمه فضيل بن سُكره برقم ٤٦٧.

٤. ترجمه الفضل البقباق أبي العباس برقم ٤٧٤.

٥. ترجمه هشام بن سالم الجواليقي برقم ٤٧٧.

٦. ترجمه هشام بن الحكم برقم ٤٧٨.

٧. ترجمه أمّى الروانى المرادى برقم ٧٨١.

وكان سعد من أبرز تلامذه أحمد بن محمد البرقيّ، ويروى عنه روايات جمّه، فكيف يستند أحمد إلى كتابه؟!؟

ثانياً: إنّ المؤلف عدّد عبدالله بن جعفر الحميريّ في أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام، وصرّح بسماعه منه، في حين أنّ الحميري كان من تلامذه أحمد الراوين عنه، فكيف يروى من هو في الطبقة العليا عمّن في الطبقة الدنيا؟! اللهم إلّا

ص: ٤٨٣

١- . مصفى المقال: ٦١.

٢- . قاموس الرجال: ١/٣١، الطبعة الأولى.

أن يُحمل على نقل الأكابر عن الأصاغر، ولكنّه بعيد مع هذه القرائن.

ثالثاً: إنّ أحمد بن محمد بن خالد قد عُدّ في الكتاب من أصحاب الإمامين:

الجواد، والهادي عليهما السلام (الرقم: ٦٣، و ٥٤) من دون أن يشير إلى أنّه المؤلف، وقد ترجم النجاشي نفسه وقال (مصنّف هذا الكتاب) (١).

كما ترجم الشيخ نفسه في الفهرست وقال: مصنّف هذا الفهرست (٢).

رابعاً: إنّ محمد بن خالد عُدّ في الكتاب من أصحاب الكاظم، والرضا، والجواد عليهم السلام، ولم يذكر أنّه والد المؤلف.

هذه الأسباب والقرائن القويه تنفي إمكانه نسبة الكتاب إلى أحمد هذا، على الرغم من اشتهاار القول بأنّه من تأليفه.

الثالث: عبدالله بن أحمد بن محمد بن خالد

عبدالله بن أحمد بن محمد البرقي، وهو أحد أبناء هذه العائلة ولكننا لم نقف على ترجمه له في الكتب الرجاليه والتاريخيه، ولعلّه لم يكن من رواه الحديث ورجالاته وإن كان لابنه - كما سيأتي - منزله عظيمه.

ويدلّ على ذلك أيضاً أنّ ابنه أحمد - وهو من مشايخ الكليني - لم يرو عن أبيه شيئاً، بل أنّ كلّ ما رواه فهو عن جدّه أحمد بن محمد بن خالد البرقي، وإليك نماذج:

١. أحمد بن عبدالله، عن أحمد بن أبي عبدالله (أبو عبدالله كنيه محمد ابن خالد)، عن أبيه، عن عبدالله بن فضل النوفلي، عن علي بن أبي حمزه (٣).

٢. أحمد بن عبدالله، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن علي الصيرفي،

ص: ٤٨٤

١- . رجال النجاشي: برقم ٢٥٣.

٢- . الفهرست: برقم ٧١٤.

٣- . الكافي: ٣/٤٥٥، باب تقديم النوافل، الحديث ٢٠.

عن ابن سنان. (١)

٣. أحمد بن عبدالله، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن ابن عمران الأرمي، عن علي بن الحسين، عن محمد بن الحسن، عن أبي عبدالله عليه السلام. (٢)

٤. أحمد بن عبدالله، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن صفوان عن خالد بن نجیح. (٣)

٥. علي بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقي، قال: حدّثني أبي، عن جدّه أحمد بن أبي عبدالله البرقي، عن محمد بن عيسى. (٤)

٦. حدّثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقي، قال: حدّثني أبي وعلي بن محمد بن ماجيلويه جميعاً، عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي. (٥)

٧. حدّثنا علي بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقي، قال:

حدّثني أبي، عن جدّه أحمد بن أبي عبدالله. (٦)

٨. حدّثنا علي بن أحمد بن عبدالله، قال: حدّثني أبي، عن جدّه أحمد بن أبي عبدالله. (٧)

٩. حدّثنا علي بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقي، قال:

حدّثني أبي، عن جدّه أحمد. (٨)

ص: ٤٨٥

١- الكافي: ٤/٥٤، باب فضل القصد، الحديث ١٢.

٢- الكافي: ٤/٣١٧، باب من يشرك قرابته من كتاب الحج، الحديث ١٠.

٣- الكافي: ٥/٧٨، باب الحث على الطلب والتعرض للرزق، الحديث ٨.

٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٨٨، الباب ٣٢، الحديث ١٧.

٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٢١، الباب ٤٧، الحديث ١١.

٦- معاني الأخبار: ١٠٧، باب معني الأمانات، الحديث ١.

٧- معاني الأخبار: ١٦١، باب النعم، الحديث ٢.

٨- معاني الأخبار: ٣٠٢، باب معني الشجنه، الحديث ١.

الرابع: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن خالد البرقي

قال المحقق البروجردى - عند ذكر مشايخ الكليني: أحمد بن عبدالله فقد روى المصنف (الكليني) عنه مفرداً (بلفظ أحمد) عشره أحاديث، روى هو واحداً منها عن جدّه، وواحداً عن أحمد بن محمد، والباقي عن أحمد بن أبي عبدالله أو أحمد بن محمد البرقي، والكل واحد كما سيظهر، ولم أجد له روايه عن غير أحمد بن محمد بن خالد البرقي، وقد روى عنه ولده علي بن أحمد بن عبدالله وهو من شيوخ الصدوق، والشريف الصالح الحسن بن حمزه العلوي المرعشي الطبري، والمصنف (الكليني)، وهو من طبقه الثامن.

ثم إن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، كان جدّ هذا الشيخ كما يستفاد من أسانيد الروايات (١).

ثم ذكر قدس سره أحاديث عن كتاب الأمالى للشيخ الطوسي.

قال المحقق التستري: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقي يروى عن جدّه، ويروى عنه الكليني، وهو آخر عدته في طريقه إلى أحمد بن أبي عبدالله البرقي. (٢)

أمّا الخامس من رجال هذا البيت، فهو:

علي بن أحمد بن عبدالله بن أحمد البرقي (شيخ الصدوق)

وقد مرّ الكلام عنه عند ذكر الثالث منهم.

ص: ٤٨٦

١- . أسانيد كتاب الكافي: ١١٦.

٢- . قاموس الرجال: برقم ٤٠٣. والعجب أنّ الأستاذ حسين علي محفوظ، لم يذكره في مشايخ الكليني في تقديمه علي كتاب الكافي، رغم كونه قد صار بصدد استقصائهم!!

وعلى ضوء ما تقدّم نقول: إنّ القرائن السابقة التى تنفى أن يكون الكتاب من تأليف الجدّ، تؤيد أنّ الكتاب من تأليف أحمد بن عبد الله بن أحمد الذى هو سمى جدّه، وكان هو وسعد بن عبد الله فى طبقه واحده، وكلاهما من مشايخ الكلينى، فىكون المؤلف ممّن عاش فى أواخر القرن الثالث، وأدرك شيئاً من القرن الرابع، وله دور فى نقل الأحاديث، كما عرفت شيئاً منه، وهذا هو المتعيّن جداً.

نعم هناك احتمال آخر، ولكنّه لا- ينافى ما قلناه، وهو أنّه قد مرّ أن محمد بن خالد البرقى ألف كتاباً فى من يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام وجاء بعده ابنه الذى ألف كتاب طبقات الرجال، ولعله أدرج فيه ما كتبه والده فى من يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد توارث الكتاب أبناء هذه العائله إلى أن وصلت النوبه إلى أحمد ابن عبد الله، فأكمل الكتاب بما وجدته فى كتاب طبقات سعد بن عبد الله بن خلف الأشعري القمى وغيره. فتكون النتيجة: أنّ الكتاب ليس من نتاج جهود مؤلف واحد، بل هو نتيجة لعمل ثلاثة علماء، وهم:

١. محمد بن خالد البرقى.

٢. ابنه أحمد بن محمد بن خالد.

٣. حفيد الابن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن خالد البرقى.

هذا ما توصلنا إليه فى تحقيق وتعيين مؤلف الكتاب.

وأما هويه الكتاب فهو بصدد التعريف بطبقات الرواه عن المعصومين بحسب الترتيب الزمنى لهم عليهم السلام من دون أن يركّز على وثاقه أحد وعدمها، وقد أصبح كتاباً ثميناً فى هذا المضمار.

ومن قرأ كتاب رجال الشيخ الطوسى يدعن بأنّه قد صدر عن هذا الكتاب، وانتفع به كما انتفع هو بما دوّنه أسلافه.

ومن المعلوم أنّ الكتاب بهذه الصورة يحتاج إلى ترجمه المذكورين

فيه من الرواه، ترجمه موجزه تُطلع القارئ على منزله الراوى علماً ووثاقه وشيخاً وتلميذاً، وهذا هو الذى قام به الأستاذ الفاضل: حيدر محمد على البغدادى (أبو أسد)، فشمر عن ساعد الجد وأتى بما هو فوق المرام، وهذا ما سيكشف عنه الإمعان فى مطالعه تعليقاته وتحقيقاته، التى اتسمت بالدقه والوضوح والشمول.

رحم الله تعالى الماضين من علمائنا ورواه أحاديثنا، وحفظ الباقيين منهم.

والحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات

جعفر السبحانى

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١٢ ذى الحجه الحرام ١٤٢٩ هـ

ص: ٤٨٨

عصره.. مكانته العلميه.. آثاره

ازدهر علم الحديث في القرنين: الثاني والثالث الهجريين ازدهاراً باهراً، نتيجة للجهود الكبيره التي بذلها حَمَلُهُ الحديث الذين استهانوا بكل الصعاب في سبيل تلقّيه وتدوينه وضبطه وتنقيحه، ورفع رايته، وقد تركوا في هذا المجال آثاراً قيّمه، أضاءت الطريق للأجيال التاليه.

وأودّ قبل الشروع في الحديث عن شخصيه شيخنا القمي ، أن أمهد بهذا التمهيد:

كان للشيعة آنذاك مراكز مهمه للحديث:

أولها: العراق، ونخصّ بالذكر منه الكوفه، فلقد كانت تزدهم بمئات المحدثين، الذين تلقّوا حديث الرسول صلى الله عليه و آله والوصى وسائر الأئمه عليهم السلام (من بعده) وتناقلوه عصرًا تلو عصر.

وممّا يشهد لذلك قول الحسن بن على بن زياد الوشاء (وكان من أصحاب الرضا عليه السلام) لأحمد بن محمد بن عيسى الأشعريّ القميّ: إنني أدركت في هذا المسجد - يعني: مسجد الكوفه - تسعمائه شيخ كلّ يقول حدّثني جعفر بن

ثانياً: بلاد ماوراء النهر وأخصّ بالذكر «سمرقند وكش و خوارزم» وما حولها، فقد كان لمحدّثي الشيعة هناك نشاط ملموس، أدّى إلى انتعاش الحركة العلميّة فيها، لاسيّما في عصر أبي النضر العياشي، الذي يُعتبر بحق قطب رحي تلك الحركة، يدلّ على ذلك قول النجاشي: إنّ أبا النضر أنفق على العلم والحديث، تركه أبيه سائرهما، وكانت ثلاثمائه ألف دينار، وكانت داره كالمسجد، بين ناسخ، أو مقابل، أو قارئ، أو معلق، مملوءة من الناس. (٢)

وقوله في ترجمه أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالله القزويني القاضي: إنّهُ قدم بغداد سنه ست وخمسين وثلاثمائه ومعه من كتب العياشي قطعهُ، وهو أوّل من أوردها إلى بغداد ورواها عن أبي جعفر أحمد بن عيسى العلوي الزاهد عن العياشي. (٣)

ثالثاً: قم والرّي، فقد كانتا مركزاً لحديث أهل البيت: وكان للمحدّثين في هذه الديار مدرسه خاصه تختلف عن مدرسه محدّثي الكوفه في شرائط قبول الحديث ورده.

وقد بلغت عنايه العلماء بالحديث درجه أنّهم كانوا يفارقون أهليهم، ويقطعون الفيافي من أجل طلبه أو نشره، وممّن اعتنى هذا الاعتناء: إبراهيم بن هاشم، الذي جدّ في طلب الحديث في بلده الكوفه، وتخرّج من مدرستها، ثم انتقل إلى قم، فكان هو أوّل من نشر حديث الكوفيين بها. (٤)

هذه الشروه الحديثيه، انتقلت إلى ابنه (أبي الحسن علي بن إبراهيم)، الذي تبوّأ مكانه ساميه في دنيا العلم والحديث. وإليك كلمات الرجاليين في حقّه:

ص: ٤٩٠

- ١- . رجال النجاشي: برقم ٧٩.
- ٢- . رجال النجاشي: برقم ٩٤٥.
- ٣- . رجال النجاشي: برقم ٦٩١.
- ٤- . انظر: رجال النجاشي: برقم ١٧؛ وفهرست الطوسي: رقم ٦.

١. قال النجاشي: ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنّف كتباً، وأضرب في وسط عمره. (١)
٢. وقال الشيخ الطوسي: له كتب (ثم ساق أسماء كتبه) وقال: أخبرنا بذلك الشيخ المفيد رحمه الله عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الصدوق) عن أبيه، ومحمد بن الحسن (ابن الوليد) وحمره بن محمد العلوي، ومحمد بن علي ماجيلويه، عن علي بن إبراهيم (٢).
٣. وذكره ابن إسحاق النديم ضمن فقهاء الشيعة ومحدثيهم وعلمائهم حيث قال: «علي بن هاشم» وهو علي بن إبراهيم بن هاشم، من العلماء والفقهاء وله من الكتب: كتاب المناقب، كتاب اختيار القرآن، كتاب قرب الإسناد. (٣)
٤. وقال الذهبي: علي بن إبراهيم، أبو الحسن المحمدي (كذا)، رافضي جلد، ثم ذكر أنّ له تفسيراً، وأنه يروى عن ابن أبي داود، وابن عقده، وجماعه. (٤)
- أقول: في قول الذهبي نظر، فعلى بن إبراهيم أعلى طبقه من ابن عقده (المتوفى ٣٣٣ هـ)، ولم نجد له روايه عنه، ولعلّ الذهبي وجد روايات ابن عقده في التفسير، فظن أنّ الراوي عنه، هو علي بن إبراهيم، والصواب أنّه العباس بن محمد (تلميذ علي بن إبراهيم)، أمّا ابن أبي داود، وهو عبدالله بن سليمان بن الأشعث (٢٣٠-٣١٦ هـ) (٥) فهو من أقرانه، فلا تستبعد روايته عنه، ولكننا لم نظفر له بروايه عنه.
٥. وقال ابن حجر العسقلاني بعد ذكر عبارته الذهبي المتقدمه: وهو علي بن

ص: ٤٩١

- ١- . رجال النجاشي: برقم ٦٧٨.
- ٢- . الفهرست: برقم ٣٨٠.
- ٣- . الفهرست (للنديم): ٣٢٥.
- ٤- . ميزان الاعتدال: ٣/١١١ برقم ٥٧٦٦.
- ٥- . ميزان الاعتدال: ٢/٤٣٣ برقم ٤٣٦٨.

إبراهيم بن هاشم القمي، ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنفى الإماميه، وذكره محمد بن إسحاق النديم في الفهرست، وقال له من الكتب التفسير والناسخ والمنسوخ والمغازى والشرائع. (١)

أساتذته:

امتاز على بن إبراهيم بسعه روايته، وقد وقع فى إسناده كثير من الروايات، يبلغ عددها فى الكتب الأربعة (٧١٤٠) (٢) مورداً.

١. أبوه إبراهيم بن هاشم. ويأتى فى طليعه أساتذته، حيث انتفع بعلمه غايه الانتفاع، وحمل عنه حديثاً كثيراً، تكشف عنه رواياته عنه، التى بلغت فى الكتب الأربعة (٦٤١٤) مورداً. (٣)

٢. محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين، من أصحاب أبى جعفر الثانى عليه السلام.

قال النجاشى فى وصفه: جليل فى أصحابنا، ثقة، عين، كثير الروايه، حسن التصانيف. (٤) ورواياته عنه تبلغ (٥٦٨) مورداً. (٥)

٣. هارون بن مسلم بن سعدان الكاتب السمرائى، وأصله الأنبارى. قال عنه النجاشى: ثقة، وجه. لقي أباً محمد وأباً الحسن عليهما السلام. له كتاب التوحيد، وكتاب الفضائل، و... (٦). ورواياته عنه تبلغ (٨٣) مورداً. (٧)

٤. صالح بن السندى. ورواياته عنه تبلغ (٦٣) مورداً.

٥. أحمد بن محمد بن خالد البرقى، مؤلف «المحاسن»، توفى عام ٢٧٤ هـ أو

ص: ٤٩٢

١- . لسان الميزان: ٤/١٩١ برقم ٥٠٦.

٢- . معجم رجال الحديث: ١١/١٩٣ برقم ٧٨١٦.

٣- . معجم رجال الحديث: ٣١٦/١ برقم ٣٣٢.

٤- . رجال النجاشى: برقم ٨٩٧.

٥- . معجم رجال الحديث: ٢١٤/١٢ برقم ٧٨٣٠.

٦- . رجال النجاشى: برقم ١١٨١.

٧- . معجم رجال الحديث: ٢١٤/١٢ برقم ٧٨٣٠.

٢٨٠ هـ، ذكره الشيخ الطوسي في رجال الجواد والهادي عليهما السلام.

٦. علي بن محمد شيره القاشاني. قال النجاشي: كان فقيهاً، أكثراً من الحديث. له كتاب التأديب، وكتاب الجامع في الفقه. (١)

وثمه أساتذته آخرون يروى عنهم علي بن إبراهيم، منهم:

٧. المختار بن محمد بن مختار الهمداني. وروايته عنه تبلغ (١٦) مورداً.

٨. أخوه إسحاق بن إبراهيم بن هاشم القمي. روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، كما روى عن محمد بن إسماعيل بن بزيع.

٩. إسماعيل بن محمد المكي.

١٠. الحسن بن موسى الخشاب، الذي أدرك عصر أبي الحسن العسكري عليه السلام (٢). قال عنه النجاشي: من وجوه أصحابنا، مشهور، كثير العلم والحديث. (٣)

١١. ريان بن الصلت الأشعري، القمي. قال النجاشي: روى عن الرضا عليه السلام، كان ثقة صدوقاً. (٤)

١٢. سلمه بن الخطاب، قال عنه النجاشي: كان ضعيفاً في حديثه له عدّه كتب.

١٣. العباس بن معروف، أبو الفضل القمي. ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب الرضا عليه السلام (٥). وقال النجاشي: ثقة، له كتاب الآداب. (٦)

١٤. عبدالله بن الصلت، أبو طالب القمي. قال النجاشي: ثقة، مسكون إلى روايته، روى عن الرضا عليه السلام يُعرف له كتاب التفسير (٧) وقد بقي عبدالله حتى لقيه

ص: ٤٩٣

١- . رجال النجاشي: برقم ٦٦٩.

٢- . رجال الطوسي: برقم ٥ (أصحاب العسكري عليه السلام)، و برقم ٣ (من لم يرو عنهم عليهم السلام).

٣- . رجال النجاشي: برقم ٨٤.

٤- . رجال النجاشي: برقم ٤٣٥.

٥- . رجال الطوسي: برقم ٣٤.

٦- . رجال النجاشي: برقم ٧٤١.

٧- . رجال النجاشي: برقم ٥٦٢.

محمد بن الحسن الصفار (المتوفى ٢٩٠ هـ)، وروى عنه.

١٥. محمد بن خالد بن عمر الطيالسى التميمى . قال النجاشى: مات سنة (٢٥٩ هـ)، وهو ابن (٩٧) سنة. (١).

١٦. يعقوب بن يزيد بن حماد السلمى ، الأنبارى ، من كتّاب المنتصر. قال النجاشى: روى عن أبى جعفر الثانى عليه السلام، وكان ثقة صدوقاً. (٢).

١٧. ياسر، خادم الرضا عليه السلام. وغيرهم.

تلامذته:

روى عنه جماعه نذكر منهم ما يلى:

١. على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى (والد الشيخ الصدوق). قال النجاشى: شيخ القميين فى عصره، ومتقدّمهم، وفقههم، وثقتهم. ثم ذكر له (١٨) كتاباً، وقال: مات سنة (٣٢٩ هـ). (٣).

٢. أحمد بن زياد بن جعفر الهمدانى. قال عنه الصدوق فى «كمال الدين»:

كان رجلاً ثقة ديناً، فاضلاً، رحمه الله عليه ورضوانه. وكان من مشايخه، وقد ترصّى عليه فى موارد من المشيخه، وكناه بأبى على فى الأمالى. روى له فى «الوسائل» سبعين مورداً.

٣. الحسن بن حمزه العلوى. قال النجاشى: أبو محمد الطبرى يعرف بالمرعشى. كان من أجلاء هذه الطائفة وفقهائها. له كتب. قدم بغداد ولقيه شيوخنا فى سنة ٣٥٦ هـ ومات فى سنة ٣٥٨ هـ. (٤).

وقال عنه الطوسى: العلوى الطبرى، كان فاضلاً أديباً عارفاً فقيهاً زاهداً ورعاً

ص: ٤٩٤

١- . رجال النجاشى: برقم ٩١١.

٢- . رجال النجاشى: برقم ١٢١٦.

٣- . رجال النجاشى: برقم ٦٨٤.

٤- . رجال النجاشى: برقم ١٤٨.

كثير المحاسن، له كتب وتصانيف كثيرة. (١)

ووصفه المفيد بالشريف الزاهد والشريف الصالح في أماليه. وهو من مشايخ الصدوق، ترضى عليه في معاني الأخبار.

٤. محمد بن موسى بن المتوكل. ذكره الطوسي في من لم يرو عنهم عليهم السلام وقال: روى عن عبدالله بن جعفر الحميري، وروى عنه ابن بابويه. (٢)

وقد أكثر الصدوق الرواية عنه، وذكره في طرقة إلى الكتب في ٤٨ مورداً، والظاهر أنه كان يعتمد عليه، وادعى ابن طاووس في فلاح السائل الاتفاق على وثاقته. ذكره العلامة وابن داود في القسم الأول.

٥. محمد بن يعقوب الكليني. قال عنه النجاشي: أبو جعفر الكليني... شيخ أصحابنا في وقته بالري، ووجههم وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم، صنّف الكتاب الكبير المعروف بالكليني، يسمّى الكافي في عشرين سنة... مات رحمه الله ببغداد سنة ٣٢٩ هـ. (٣) وقال الطوسي في الفهرست: ثقه عارف بالأخبار، له كتب.

٦. أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزه بن موسى الكاظم عليه السلام.

٧. محمد بن علي بن أبي القاسم، ماجيلويه.

٨ و ٩. أحمد ومحمد ابنا علي بن إبراهيم. وغيرهم.

طبقة في الرجال

من أجل تحديد طبقة نذكر في المقام أموراً تلقى ضوءاً على العصر الذي عاش فيه علي وجه التقريب، ومنها:

الأول: يبدو ممّا سردنا من أسماء مشايخه أنّ أكثر رواياته عن تلامذه الإمام الجواد عليه السلام (المتوفى ٢٢٠ هـ)، والهادي عليه السلام (المتوفى ٢٥٤ هـ)، والعسكري

ص: ٤٩٥

١- الفهرست: برقم ١٩٥.

٢- رجال الطوسي: برقم ٣.

٣- رجال النجاشي: برقم ١٠٢٧.

(المتوفى ٢٦٠ هـ). وقد يروى عن بقي من تلامذه الإمام الرضا إلى سنوات طويلة بعده عليه السلام، كعبدالله بن الصلت.

الثانى: أنه لا يروى (مشافهه) عن محدثى قم، الذين ماتوا فى حياه الجواد عليه السلام. وفى حدود تلك الفتره، أو بعدها بقليل، مثل: زكريا بن آدم الأشعري، وعبدالعزیز بن المهتدى الأشعري، ومحمد بن عيسى بن عبدالله الأشعري، ومحمد بن خالد البرقي .

الثالث: أن أقدم من روى عنهم على بن إبراهيم، ممن أرخت وفياتهم هو:

محمد بن خالد الطيالسي، الذى توفى سنه (٢٥٩ هـ).

وعلى ضوء ما تقدّم، يمكننا أن نقدّر تاريخ مولده بنحو سنه (٢٣٠ هـ) أو بعدها بقليل، وأرجح أنها لا تتجاوز العقد الرابع من القرن الثالث.

وأما تاريخ وفاته، فلم يُحدّد أيضاً، ولكنّه كان حياً عام ٣٠٧ هـ، فقد روى الصدوق عن حمزه بن محمد بن أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا على بن إبراهيم بن هاشم سنه ٣٠٧ هـ (١) وأظنّ أنه مات بعد هذا التاريخ بقليل.

وقفه مع تفسيره المتداول

إنّ كتاب «تفسير القمى» المشهور المتداول اليوم، مؤلّف من قسمين رئيسيين منضمين إلى بعضهما:

الأول: تفسير شيخنا، الذى نحن بصدد الحديث عنه، أعنى: على بن إبراهيم القمى، ورواياته وأخباره، التى يروى جُلّها عن أبيه.

وقد روى تفسيره هذا تلميذه أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزه بن موسى الكاظم عليه السلام.

الثانى: روايات تلميذه العباس (المذكور آنفاً)، التى يروى أكثرها عن أحمد

ص: ٤٩٦

ابن محمد بن سعيد الهَمْدَانِيّ ، المعروف بابن عُقْدَه (المتوفى ٣٣٣ هـ) بسنده إلى أبي الجارود زياد بن المنذر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

وللعباس هذا ذكر في كتب الأنساب، وليس له ذكر في الكتب الرجاليه.

يُشار إلى أنّ الشيخ الطوسي عدّ جدّه: محمد بن القاسم بن حمزه بن موسى العلوي، في أصحاب الإمام الهادي عليه السلام. (١)
ونخلص ممّا تقدّم أنّ التفسير مُلَفَّق من تفسيرين أساسيين: تفسير علي بن إبراهيم، وتفسير أبي الجارود؛ ولكل من التفسيرين سند خاص يعرفه كل من راجع هذا التفسير.

هذا، ولم يقتصر العباس العلوي (تلميذ القمي) في روايته على ابن عُقْدَه، بل روى عن مشايخه الآخرين وهم:

١. محمد بن جعفر الرزاز: قال راوى التفسير (أبو الفضل العباس بن محمد):

حدثنا محمد بن جعفر الرزاز، عن يحيى بن زكريا، عن علي بن حسان، عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ) (٢).

٢. أبو عبدالله الحسين بن محمد بن عامر الأشعري. قال (راوى التفسير):

أخبرنا الحسين بن محمد بن عامر، عن المعلى بن محمد البصرى، عن ابن أبي عمير، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (٣).

٣. أبو علي محمد بن أبي بكر همام بن سهيل البغداديّ الكاتب (المتوفى ٣٣٦ هـ) قال (راوى التفسير): حدثنا محمد بن همام، قال حدثنا جعفر بن محمد ابن مالك، قال حدثنا القاسم بن الربيع، عن محمد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عن منخل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ

ص: ٤٩٧

١- رجال الطوسي: ٤٤٤ برقم ٤١.

٢- تفسير القمي: ٢/٣٣١، سورة الحديد.

٣- تفسير القمي: ١/١٦٨، سورة المائدة.

تُرْفَعُ وَ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ (١).

وقد ذكر المحقق الطهراني في موسوعته أسماء ثله أخرى ممن روى عنه جامع التفسير غير ما ذكرنا، وإليك أسماء بعضهم على وجه الإجمال:

١. أبو الحسن علي بن الحسين السعدآبادي القمي، الراوي عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي.

٢. الشيخ أبو علي أحمد بن إدريس بن أحمد الأشعري القمي (المتوفى ٣٠٦هـ).

٣. الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن ثابت، الراوي عن الحسن بن محمد ابن سماعه (المتوفى عام ٢٦٣هـ).

٤. أبو جعفر محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري القمي، الراوي عن أبيه كتاب «قرب الاسناد».

٥. محمد بن أبي عبدالله وهو أبو الحسين محمد بن عون الأسدي (المتوفى ٣١٢هـ)، من مشايخ الكليني.

٦. حميد بن زياد النينوائي (المتوفى ٣١٠هـ)، وهو أيضاً من مشايخ الكليني.

٧. الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي.

٨. أبو القاسم الحسنی، الراوي لتفسير الفرات عن مؤلفه، و فرات و علي بن إبراهيم كانا متعاصرين.

إلى غير ذلك من المشايخ الذين يروى عنهم في هذا التفسير، مع أنه لم توجد روايه علي بن إبراهيم عن أحد من هؤلاء في جميع رواياته المرويه عنه في الكافي وغيره (٢)، وهذا دليل على أن راوي التفسير يروى عن هؤلاء المشايخ بلا واسطه علي بن إبراهيم.

ص: ٤٩٨

١- . تفسير القمي: ٢/٧٩، سورة النور.

٢- . لاحظ الدرعيه: ٣٠٢/٤-٣٠٧.

ثم إن غير واحد من المحدّثين وغيرهم استظهر ممّا ورد في أوّل تفسير القمى توثيق كل من وقع في أسناد روايات هذا التفسير المنتهيه إلى المعصومين، لأنّه ورد في ديباجه الكتاب العبارة التاليه:

نحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهى إلينا، ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم وأوجب رعايتهم ولا يقبل العمل إلّابهم. (١)

قال صاحب الوسائل: قد شهد على بن إبراهيم - أيضاً - بثبوت أحاديث تفسيره وأنها مرويه عن الثقات عن الأئمه عليهم السلام. (٢)

وقال المحقّق الخوئى: إنّ على بن إبراهيم يريد بما ذكره إثبات صحّه تفسيره وأنّ رواياته ثابتة وصادره عن المعصومين، وأنها انتهت إليه بواسطه المشايخ والثقات من الشيعة، وعلى ذلك فلا موجب لتخصيص التوثيق بمشايخه الذين يروى عنهم على بن إبراهيم بلا واسطه. (٣)

أقول: ما نقلناه عن العلمين - مع احترامنا وتكريمنا لرأيهما - نابع عن عدم دراسه الكتاب بدقه إذ اكتفوا بما جاء في ديباجه الكتاب، لما عرفت من أنّ التفسير ملقّق ممّا رواه جامعه عن على بن إبراهيم عن مشايخه إلى المعصومين عليهم السلام، وممّا يرويه (جامع التفسير) عن مشايخه حتّى ينتهى السند إلى زياد بن المنذر أبى الجارود.

بل هناك روايات يرويهها راوى التفسير عن سائر مشايخه بأسانيدهم المتصله إلى الإمام عليه السلام - كما مرّت عليك أسماؤهم - فكيف يمكن عدّ هذا التفسير أحد مؤلفات على بن إبراهيم القمى والأخذ بما ذكره في ديباجه الكتاب.

أضف إلى ذلك: أنّه لا يمكن القول بأنّ مراد القمى من عبارته: «رواه مشايخنا

١- . تفسير القمى: ١/٤.

٢- . الوسائل: ٢٠/٦٨، الفائدة السادسة.

٣- . معجم رجال الحديث: ١/٤٩ المقدمه الثالثه.

وثقاتنا» كل من وقع في سنده إلى أن ينتهي إلى الإمام، بل الظاهر كون المراد خصوص مشايخه بلا واسطه، ويعرب عنه عطف «وثقاتنا» على «مشايخنا» الظاهر في الأساتذه بلا واسطه، ولما كان النقل عن الضعيف بلا واسطه من وجوه الضعف، دون النقل عن الثقة إذا روى عن غيرها، خصّ مشايخه بالوثاقه ليدفع عن نفسه سهم النقد والاعتراض، وإلّا فقد ورد في أسناد القمي من لا يصح الاعتماد عليه من أمّهات المؤمنين، فلاحظ.

والحق، إنّ لتفسير القميّ أهميه خاصه بين كتب التفسير، فبالإضافه إلى سَمَو مكانه مؤلّفه في العلم والفضل والإتقان، وقُرب عصره من عصر أئمه أهل البيت عليهم السلام، بل أدرك عصر الإمامين: الهادي والعسكري عليهما السلام، وإن لم يرو عنهما، فإنّ تفسيره يتمتع بمزايا عديده، من أهمّها:

١. إنّ شحنه بالروايات الوارده عن المعصومين عليهم السلام، لاسيما عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

٢. شرح المفردات القرآنيه شرحاً واضحاً وافياً، مستلهماً معانيها من رؤيه كليّه للقرآن المجيد، تجد ذلك على سبيل المثال في شرحه لمعنى الهدايه، قال:

(الهدايه في كتاب الله على وجوه أربعه...)(١)، ومعنى الإيمان، قال: (الإيمان في كتاب الله على أربعه أوجه...)(٢)، ومعنى الظنّ ، قال: (الظنّ في الكتاب على وجهين....)(٣)، ومعنى الحسنه والسيئه، قال: (الحسنات في كتاب الله على وجهين، والسيئات على وجهين...)(٤)، وغير ذلك من الموارد.

٤. اتّبع أسلوب الاستدلال عند تفسيره لآيه ما في موارد عديده، وقد يستدلّ لذلك إمّا بآيه أخرى، أو بروايه عن المعصومين عليهم السلام.

ص: ٥٠٠

١- . تفسير القمي: ١/٤٣-٤٤.

٢- . المصدر السابق.

٣- . تفسير القمي: ١/٥٧.

٤- . تفسير القمي: ١/١٥٢.

٥. أشار في موارد كثيره إلى أسباب النزول، مستنداً في ذلك إلى بعض الروايات، وقد يسرد بعض الحوادث التاريخيه المتّصله بهذا الشأن، لتبيان معنى الآيه، التي هو بصدد تفسيرها.

ولهذه المزايا وغيرها، أجد الحاجه ماسّه إلى تجريد تفسير القمّي من روايات تلميذه أبي الفضل العباس العلوي لتتجلّى صورته أكثر، وتبرز قيمته الحقيقيه بشكل أوضح، فأسأل الله تعالى أن يقيض بعض الباحثين الجديرين بهذا العمل، ليقوم به أحسن قيام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

جعفر السبحاني

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١ جمادى الآخره ١٤٢٩ هـ

ص: ٥٠١

(بعد ٢٥٠-٣٢٩ هـ)

محمد بن يعقوب بن إسحاق، ثقة الإسلام وشيخ المحدثين أبو جعفر الكليني الرازي، البغدادي، صاحب كتاب «الكافي» أحد الكتب الأربعة عند الشيعة الإماميه.

ولد بعد منتصف القرن الثالث، أي بعد عام ٢٥٠ هـ، وتوفي عام ٣٢٩ هـ.

أسرته

إنّ للأسره التي يترعرع فيها الإنسان تأثيراً في تكوين شخصيته ونمو سجاياه، ورسم مؤهلاته، وقد ولد الشيخ الكليني في أسرهِ علميه عريقه، وتربى في أحضان فاضله شريفه.

فوالده هو أحد علماء الري وقد انتقل إلى موطنه (كلين) وبقي فيها إلى أن تُوفّي، وقبره هناك معروف يُزار.

وأخوه إسحاق بن يعقوب أحد من يروى عنه الكليني على ما في غيبه الشيخ الطوسي باسناده عن محمد بن يعقوب الكليني عن إسحاق بن يعقوب قال:

سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فوقع التوقيع بخط مولانا صاحب الدار عليه السلام: «أما ما سألت عنه - أرشدك الله تعالى وثبتك - من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا...» وجاء في آخره:

«والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب، وعلى من أتبع الهدى».(١)

وأما أمه فهي أيضاً من بيت عريق في العلم والحديث، وكانت عالمه فاضله، تربت في هذا البيت العذى أنجب العديد من المحدثين والعلماء.

فوالدها هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن أبان، الذي وصفه الشيخ الطوسي بقوله: محمد بن إبراهيم المعروف بعلان الكليني، خبير.(٢)

وعمها هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أبان، الذي يعرفه الشيخ الطوسي بقوله:

أحمد بن إبراهيم المعروف بعلان الكليني، خير، فاضل، من أهل الري.(٣)

وأخوها، هو الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني، يعرفه النجاشي بقوله: علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني المعروف بعلان، يكنى أبا الحسن، ثقة، عين، له كتاب أخبار القائم عليه السلام.(٤)

ومما ذكرنا يظهر أنّ «علان» لقب للعائلة، حيث إنّ الجد والأب والخال يطلق عليهم علان، وخال الكليني هذا من مشايخه.

ويظهر من العلامة المامقاني أنّ ابن الخال محمد بن علي وحفيده القاسم بن محمد، كانا من علماء عصرهما.(٥)

وهذا يدلّ على أن العلم قد ضرب بجرانه في هذه الأسره قبل الكليني وبعده، وأنه نشأ بين ظهراينهم وتألق نجمه عندهم، فصار من أكابر المحدثين وأعظم المجتهدين في عصره على وجه أطلق لسان كل موافق ومخالف للثناء عليه وإطرائه.

ص: ٥٠٣

١- الغيبة للشيخ: ١٧٦.

٢- رجال الطوسي: ٤٩٦، باب من لم يرو عنهم عليهم السلام، باب الميم برقم ٢٩.

٣- رجال الطوسي: ٤٣٨، باب من لم يرو عنهم عليهم السلام، باب الألف برقم ١.

٤- رجال النجاشي: ٨٨/٢ برقم ٦٨٠.

٥- تنقيح المقال: ٣٠٢/٢ برقم ٨٤٤٦.

إنَّ البيئه التي عاش فيها الكليني كان يغلب عليها التشيع، فقد كانت الري وقم من معاقل الشيعة ومراكز تجمّعهم.

ولكنّ الأفكار السائدة في العالم الإسلامي آنذاك، كانت تميل إلى التجسيم والتشبيه وإثبات الجهم لله سبحانه والقول بالجبر والقدر إلى غير ذلك ممّا طفحت به كتب المحدثين في ذلك العصر، وذلك بعد أن مات المؤمن والمعتصم اللذان كانا يؤيدان التيار العقلي ويحاربان تيار المحدثين الذين طغى عليهم الجمود، ولمّا جاء المتوكّل ومن خلفه انقلبت سياسته البيت العباسي إلى تقريب أهل الحديث المتشدّدين وإقصاء أهل العقل والكلام، وبهذا راجت الروايات المدسوسة من قبل مسلمة أهل الكتاب كما ظهرت طوائف و فرق مختلفه.

فمن محدث يحمل لواء التشبيه والتجسيم، ويضم في جرابه كلّ غث وسمين لا يبالي عمّن أخذ وما أخذ.

إلى خارجي يكفّر جميع طوائف المسلمين بملء فمه، ويحب الشيخين ويبغض الصهرين.

إلى دُخلاء في الإسلام يتظاهرون به صوناً لدمائهم ويوجهون سهام غدرهم إلى ظهور المسلمين.

إلى غير ذلك من الطوائف والأفكار المنحرفة التي نشأت بعد إقصاء العقل والعقليين.

ويكفيك أنّ محمد بن أبي إسحاق بن خزيمه (المتوفى ٣١١هـ)، كان من ثمرات ذلك العصر، وقد ألف كتاباً أسماه: «التوحيد في إثبات صفات رب العالمين» وهو في الحقيقة كتاب شرك، وقد قال عنه الرازي: إنّه كان رجلاً مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل. (١)

ص: ٥٠٤

وليس ابن خزيمه هو الوحيد في نشر التجسيم والتشبيه، فقد سبقه في ذلك خشيش بن أصرم (المتوفى ٥٢٥ هـ) مصنف كتاب «الاستقامه» والذي عرّفه الذهبي بأنه يردّ فيه على أهل البدع. (١)

ويريد الذهبي ب «أهل البدع» أهل التنزيه الذين لا- يُثبتون لله سبحانه خصائص الموجود الإمكانى ويتزّهونه عن الجسم والجسمانيه.

ولحقه أحمد بن محمد السجستاني السجزي، وقد اعتمد عليه الذهبي قائلاً:

بلغنى أن ابن خزيمه حسن الرأى فيه، وكفى بهذا فخراً. (٢)

وكان لتلك الأفكار انتشار وصدى في الحواضر الإسلاميه، ولأجل نقد هذه المسائل عقد شيخنا الكليني في أصول الكافي أبواباً وفصولاً عديده لردّها وإبطالها. (٣)

وكان أبو الحسن الأشعري (المعاصر للكليني) في أوّل أمره معتزلياً رافعاً لواء العقل والتفكير، إلّا أنه رجع في عام ٣٠٥ هـ عن ذلك المنهج والتحق بمنهج الإمام أحمد منادياً بأعلى صوته في الجامع الكبير في البصره: مَنْ عرفنى فقد عرفنى، ومَنْ لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى، أنا فلاّن بن فلاّن كنت قلتُ بخلق القرآن، وإنّ الله لا- يُرى بالأبصار، وإنّ أفعال الشرّ أنا أفعالها، وأنا تائب مقلع معتقد للردّ على المعتزله. (٤)

وهذا يشير إلى أنّ الجو العام في ذلك العصر لم يكن لصالح الداعين إلى التحرّر من الجمود والتقليد، وإعمال الفكر والنظر.

ص: ٥٠٥

١- . تذكره الحفاظ: ٥٥١/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٢٥٠/٢.

٢- . ميزان الاعتدال: ١٣٢/١.

٣- . انظر: الكافي (كتاب التوحيد): ١٣٧/١-٢٠٥.

٤- . فهرست ابن النديم: ٢٧١.

لم يكن الشيخ الكليني متمكناً من فن الحديث فحسب، بل كان مع براعته فيه، ملتماً بثقافته عصره، مشاركاً أو متخصصاً في أكثر من فرع من فروعها، يظهر ذلك ممّا جاد به قلمه في كتبه العديده.

فأدبه الراقى تبدو ملامحه من خلال مقدّمه «الكافي» وكذا من ثنايا هذا الكتاب، كقوله: الحمد لله المحمود لنعمته، المعبود لقدرته، المطاع في سلطانه، المرهوب لجلاله، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في جميع خلقه، علا فاستعلى، ودنا فتعالى، وارتفع فوق كلّ منظر، الذى لا بدء لأوليته، ولا غايه لأزليته. (١)

ومن ملامح أدبه - أيضاً - أنه أفرد كتاباً فيما قيل في الأئمه عليهم السلام من الشعر.

أمّا معرفته بالرجال فتبرز واضحاً في «الكافي» حيث إنّ الأسانيد التي يسوقها قبل الروايه تعرب عن اطلاعه الواسع على المشايخ والتلاميذ وطبقاتهم، مضافاً إلى أنّ له كتاباً خاصاً في علم الرجال، ذكره مترجموه، إلّا أنه - للأسف - مفقود، ولو وصلنا هذا الكتاب لنفعنا كثيراً.

هذا ولم تقتصر معرفه الكليني بالأدب والرجال، وإنّما شملت علم الكلام أيضاً، حيث ذكر بعض آرائه الكلاميه في ثنايا الأحاديث، خصوصاً في الجزء الأول.

أضف إلى ذلك أنه ألف كتاباً في رد القرامطه أصحاب النحله الفاسده المنشقه من الإسماعيليه.

ص: ٥٠٦

إنَّ أهم أثر تركه شيخنا المحدث هو «الكافي» الذي أمضى في تأليفه عشرين عاماً من عمره الشريف، ولذلك أصبح الكتاب من أوثق الكتب الحديثية، وقد وصفه الشيخ المفيد بأنه من أجل كتب الشيعة وأكثرها فائدة. (١)

ويقول الشهيد في إجازته لابن الخازن: كتاب «الكافي» في الحديث الذي لم يعمل الإماميه مثله. (٢)

والمشهور أنه يحتوى على ١٦١٩٩ حديثاً، وهو يزيد على ما في الصحاح الستة من الأحاديث بعد حذف المكررات منها.

ثناء العلماء وأقوالهم فيه

قد سمعت كلمه المفيد والشهيد في حق شيخنا المترجم وكتابه، وإليك كلمات أخرى لعلماء الفريقين - وسنقتصر على القليل بدل الكثير :-

١. يقول النجاشي: محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني، شيخ أصحابنا في وقته بالرى ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم، صنّف الكتاب الكبير المعروف الذي يسمّى «الكافي» في عشرين سنة. (٣) ثم ذكر كتبه.

٢. وقال الشيخ الطوسى: محمد بن يعقوب الكليني يكنى أبا جعفر، جليل القدر، عالم بالأخبار، وله مصنّفات يشتمل عليها الكتاب المعروف بالكافي. (٤)

٣. وقال في الفهرست: محمد بن يعقوب الكليني، يكنى أبا جعفر، ثقه، عارف بالأخبار، له كتب منها كتاب «الكافي» يشتمل على ثلاثين كتاباً. (٥)

ص: ٥٠٧

١- . تصحيح الاعتقاد: ٥٧.

٢- . بحار الأنوار: ٧٦/٢٥.

٣- . رجال النجاشي: ٢/٢٩٠، برقم ١٠٢٧.

٤- . رجال الطوسى: ٤٩٦، باب من لم يرو عن الأئمة، باب الميم برقم ٢٧.

٥- . الفهرست: ١٦١، برقم ٦٠٣.

هذا بعض ما قاله علماء الشيعة في حقّه، وإليك بعض النصوص من علماء السنّه، وقد ذكروه بإجلال من دون أيّ غمز فيه.

٤. ذكره مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (٥٤٤-٦٠٦ هـ) في «جامع الأصول» في تفسير ما رواه أبو هريره عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مائه سنه من يجدّد لها دينها». وقال: أخرجه أبو داود. (١)

ثمّ ذكر أنّ العلماء تكلموا في تأويل هذا الحديث كلّ واحد في زمانه، ثمّ قال:

ونحن نذكر الآن المذاهب المشهورة في الإسلام التي عليها مدار المسلمين في أقطار الأرض وهي: مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، ومالك، وأحمد، ومذهب الإماميه، ومن كان المشار إليه من هؤلاء على رأس كلّ مائه سنه.

ثمّ ذكر أنّ الإمام الباقر هو مجدّد مذهب الإماميه على رأس المائة الأولى، والإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام على رأس المائة الثانيه.

ثمّ قال: وأمّا من كان على رأس المائة الثالثه... أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي من الإماميه. (٢)

٥. وذكره عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير (٥٥٨ - ٦٣٠ هـ) في حوادث عام ٣٢٨ هـ وقال: وفيها توفّي محمد بن يعقوب، (وقتل محمد بن علي) أبو جعفر الكليني وهو من أئمّه الإماميه وعلمائهم. (٣)

٦. وقال عنه ابن حجر: محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني سكن بغداد وحدث بها عن محمد بن أحمد بن عبد الجبار وعلي بن إبراهيم بن هاشم، كان من فقهاء الشيعة والمصنّفين على مذهبهم، توفّي سنه ثمان وعشرين

ص: ٥٠٨

١- . لسان الميزان: ٤٣٣/٥.

٢- . جامع الأصول: ٣٢٣/١١ ضمن الرقم ٨٨٨١، في الملاحم باب ما يذكر حول المائة.

٣- . ما بين القوسين موجود في الطبعتين القديمه والحديثه. لاحظ الكامل في التاريخ: ٣٦٤/٨ حوادث عام ٣٢٨ هـ، ولاحظ الطبعه القديمه: ٢٧٤/٦. ولعلّ «قتل» مصحف «قيل».

إلى غير ذلك من الكلمات التي لا مجال لنقلها.

رحلته في أخذ الحديث وعرض كتابه

إنّ التاريخ لم يسجّل رحلات الكليني في أخذ الحديث وعرضه، إذ لا شك أنّه كانت له رحلات في أخذ الحديث وعرض كتابه، فإنّ أكثر مشايخه وإن كانوا متواجدين في قم والري، ولكنّ قسماً منهم كانوا في خارج دينك البلدين، حتّى أنّ بعض مشايخه كان من منطقته آذربايجان، وبما أنّ الكليني كان ملتزماً بأخذ الحديث من الراوي شفهيّاً فلا بدّ من أن تكون له رحلات إلى بعض المناطق التي يتواجد فيها أئمّه الحديث وكتبهم.

والّذي ذكره التاريخ هو رحلته إلى بغداد عام ٣٢٧هـ، ولكنّه لم يقتصر على هذه الرحلة بل إنّّه قصد دمشق وبعليّك، وهذا ما يذكره الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر حيث يقول: محمد بن يعقوب من شيوخ الرافضة قدم دمشق وحَدَّث ببعليّك عن أبي الحسين محمد بن عليّ الجعفريّ السمرقندي، ومحمد بن أحمد الخفاف النيسابوري، وعليّ بن إبراهيم بن هاشم.

روى عنه أبو سعد الكوفيّ شيخ الشريف المرتضى أبي القاسم عليّ بن الحسين بن موسى الموسوي، وأبو عبد الله أحمد بن إبراهيم (بياض في الأصل)، وأبو القاسم عليّ بن محمد بن عبدوس الكوفي، وعبد الله بن محمد.

أبنا أبو الحسن... (بياض في الأصل) بن جعفر، قال: أبنا جعفر بن أحمد بن حسين بن السراج، أبنا أبو القاسم المحسن حمزه... الوراق بتنيس، أبنا أبو عليّ الحسن بن عليّ بن جعفر الديلي بتنيس في المحرم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، أبنا أبو القاسم عليّ بن محمد بن عبدوس الكوفي، أخبرني محمد بن

ص: ٥٠٩

يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن موسى بن إبراهيم المحاربي، عن الحسن بن موسى، عن موسى بن عبد الله، عن جعفر بن محمد قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله».

أخبرنا أبو محمد بن حمزه - بقراءة تى عليه - عن أبي زكريا عبد الرحيم بن أحمد.

وأخبرنا أبو القاسم بن السوسى، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن يونس، أنبأنا أبو زكريا.

وأخبرنا أبو الحسين أحمد بن سلامه بن يحيى، أنبأنا سهل بن بشر، أنبأنا رشأ بن نظيف، قال: حدثنا عبد الغنى بن سعيد قال:

فأمّا الكليني - بضم الكاف والنون بعد الياء - فمحمد بن يعقوب الكليني، من الشيعة المصنفين، مصنف على مذاهب أهل البيت.

قرأت علي أبي محمد بن حمزه، عن أبي نصر بن ماكولا، قال: (١)

وأمّا الكليني - بضم الكاف، وإمالة اللام، وقبل الياء نون - فهو: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازى من فقهاء الشيعة المصنفين فى مذهبهم، روى عنه أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم الصيمرى وغيره، وكان ينزل بباب الكوفه فى درب السلسله ببغداد، وتوفى فيها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائه، ودفن بباب الكوفه فى مقبرتها. قال الأمير بن ماكولا: ورأيت أنا قبره بالقرب من صراه الطائى عليه لوح مكتوب فيه: هذا قبر محمد بن يعقوب الرازى الكلينى الفقيه. (٢)

العنايه بكتاب «الكافى»

حظى كتاب «الكافى» منذ أن ظهر إلى النور باهتمام العلماء والمحدّثين قراءه واستنساخاً ونشراً، ثمّ تعليقاً وشرحاً ودراسه. وإليك بعض ما يدلّ على ذلك:

ص: ٥١٠

١- .الإكمال لابن ماكولا: ١٤٤/٧.

٢- . تاريخ مدينه دمشق: ٢٩٧/٥٦-٢٩٨.

قال النجاشي (٣٧٢-٤٥٠ هـ) في ترجمته للكليني: كنت أتردد إلى المسجد المعروف بمسجد اللؤلؤي، وهو مسجد نبطويه النحوي، أقرأ القرآن على صاحب المسجد، وجماعه من أصحابنا يقرأون كتاب الكافي، علي ابن الحسين أحمد الكوفي الكاتب، (حدثكم): محمد بن يعقوب الكليني، ورأيت أبا الحسن العقرائي، يرويه عنه. (١)

وهذا يعني أنّ الشيخ العقرائي يروي الكافي عن مؤلفه بلا واسطه وهو صريح قول النجاشي: «يرويه عنه».

ويقول في ترجمه العقرائي: إسحاق بن الحسن بكران أبو الحسين العقرائي (وقد مر في ترجمه الكليني أنّه أبو الحسن) كثير السماع ضعيف في مذهبه، رأيت في الكوفه وهو مجاور وكان يروي كتاب الكليني عنه، وكان في هذا الوقت علواً، فلم أسمع منه شيئاً. (٢) وفي النسخ المطبوعه (علواً) والظاهر أنّه تصحيف (علواً) والمراد به أي أنّه كان طاعناً في السن، وعلواً في الاسناد حيث ينقل عن المؤلف بلا واسطه.

والشاهد على ما ذكرنا أنّ النجاشي ذكر ذلك في ترجمه أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن عبدون، قال: ولقد لقي أبا الحسن علي بن أحمد القرشي المعروف بابن الزبير، وكان علواً في الوقت (أي عمّر مائه سنه ومات ابن الزبير سنه ٣٤٨ هـ). (٣)

وممن روى كتاب الكافي عن المؤلف: المحدث الشريف جعفر بن محمد بن قولويه صاحب «كامل الزيارات» (المتوفى ٣٦٩ هـ) ويدلّ على ذلك ما ذكره النجاشي في سنده إلى الكافي يقول: عن جماعه شيوخنا، محمد بن محمد (بن النعمان المفيد)، والحسين بن عبيد الله (الغضائري)، وأحمد بن علي بن

ص: ٥١١

١- رجال النجاشي: ٢٩٠/٢ برقم ١٠٢٧.

٢- رجال النجاشي: ١٩٩/١ برقم ١٧٦.

٣- رجال النجاشي: ٢٢٨/١ برقم ٢٠٩.

نوح (السيرافي) عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عنه. (١)

ولأبي غالب أحمد بن محمد الزراري (المتوفى ٣٦٨ هـ) عناية خاصة بهذا الكتاب، يكشف عنها قوله في رسالته إلى حفيده في ذكر آل أعين: وجميع كتاب الكافي تصنيف أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني: روايتي عنه. بعضه قراءة، وبعضه إجازة. وقد نسخت منه كتاب الصلاة والصوم في نسخه، وكتاب الحج في نسخه، وكتاب الطهر والحوض في جزء، والجميع مجلد. وعزمي أن أنسخ بقيه الكتاب إن شاء الله في جزء واحد، ورقّ طلحي. (٢)

وفي هذا المجال يأتي قول العلامة الحلّي (المتوفى ٧٢٦ هـ) في إجازته للسيد ابن مهنا: وأما الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني فرويت أحاديثه المذكوره المتصله بالأئمه عليهم السلام عنّي وعن والدي والشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد وجمال الدين أحمد بن طاووس وغيرهم باسنادهم المذكور إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن رجاله المذكوره في كلّ حديث عن الأئمه عليهم السلام. (٣)

أما التعليقات والشروح والدراسات، فلا نرى حاجه للحديث عنها، لكثرتها، وانتشار عدد كبير منها.

الكليني وتهمة تحريف القرآن

أُتهم الشيخ الكليني بالقول بتحريف القرآن أكثر من الآخرين، وما ذلك إلّا لأنّه أورد في كتابه روايات ربّما يستظهر منها المخالف - من دون دراسه السند والمتن - القول بالتحريف، وقد قام غير واحد من المحقّقين بالإجابه عن هذه الروايات ببيان ضعف أساندها وعدم دلالتها على ما يرومه الخصم، والذي يهّمنا

ص: ٥١٢

١- رجال النجاشي: ٢٩٠/٢ برقم ١٠٢٧.

٢- رساله أبي غالب الزراري: ١٧٦-١٧٧، برقم ٩٠.

٣- بحار الأنوار: ١٤٦/١٠٤، كتاب الإجازات، رقم ٨.

هو ما ربّما يوجد في بعض النسخ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه و آله سبعة عشر ألف آيه»^(١).

وهذه روايه شاذه لا تفيد علماً ولا عملاً ولا يقبلها العقل السليم، مضافاً إلى أنّ نسخ الكافي مختلفه، فهذا هو المحدث الكبير الفيض الكاشاني نقلها عن الكافي على لفظ سبعة آلاف آيه^(٢).

يقول المحقق الشعراني: أنّ لفظ «عشر» من زياده النساخ أو الرواه والأصل هو سبعة آلاف، فإنّ لفظه «سبعة آلاف» هي القريبه من الواقع الموجود بأيدينا، وظاهر الحديث أنّه ليس بصدد إحصاء عدد الآيات، بل الغايه من ذلك إطلاق العدد التام المتناسب مع الواقع بعد حذف الكسور أو تميمها، كما هي العاده والمتعارف في الاستعمال^(٣).

والعجب أنّ خصوم الكليني بين من ينقله عنه بلفظ سبعة عشر ألف آيه، كالألوسي^(٤)، وبين من ينقله بلفظ سبعة آلاف آيه، كموسى جار الله^(٥).

غير أنّ أحد خصومه كأبي الحسن الندوي لم يرتض كلا العددين، فنقله في رسالته^(٦) بلفظ: سبعين ألف آيه!!

والمدى اقترحه على اللجنه المشرفه على تصحيح الكافي دراسه الموضوع، وملاحظه النسخ قديمها وحديثها حتّى يتجلى الحق بأظهر صورته.

ص: ٥١٣

١- . الكافي: ٦٣٤/٢، الحديث رقم ٢٨.

٢- . الوافي: ١٧٨١/١٩، الحديث رقم ٧/٩٠٨٩.

٣- . شرح أصول الكافي للمازندراني: ٧٦/١١ و ٨٧.

٤- . مختصر التحفه: ٥٢.

٥- . الوشيعه: ٢٣.

٦- . صورتان متضادتان: ٩٤.

وهناك اقتراحات أخرى نذكرها تبعاً:

١. التعليق على المواضع التي روى فيها الحديث معلقاً أو الاسناد محولاً، أو نقل بلفظ «بهذا الاسناد»، أو «بالاسناد» فيجب توضيح هذه الموارد في كل صفحة وردت فيها دون أن يقتصر على مورد واحد ثم تعطف عليه سائر الموارد.

٢. تفسير المفردات المشكّله في الشر والنظم الواردين في الكتاب.

٣. التعليق على الأحاديث الشاذة التي لا تتفق مع ظاهر الكتاب والسنة المتواترة، أو ما اتفقت عليه الإماميه.

٤. نشر الكتب التي نقل عنها الكليني بواسطة أو بلا واسطه، كبصائر الدرجات والمحاسن للبرقي، والنوادر لأحمد بن محمد بن عيسى، إلى غير ذلك ممّا يمكن أن نصل إليه في المكتبات.

٥. إنّ للشيخ الكليني كتاباً - كما ذكرنا - باسم رسائل الأئمة عليهم السلام، وكان هذا الكتاب موجوداً عند ولد الفيض حيث ينقل عنه في كتابه: «مكاتب الأئمة عليهم السلام» بلا واسطه، فيجدر بأصحاب هذا الشأن البحث عنه في المكتبات، فرّما يكون موجوداً فيها.

٦. التأكيد من كتاب «روضه الكافي» هل هو من تأليفه أو لا؟ وعلى الأول فهل هو جزء من الكافي أو كتاب مستقل؟

٧. الفحص عن قبره في بغداد والاهتمام به، فقد اتفق المترجمون على أنّه دفن في باب الكوفه ببغداد، وقيل: إنّ قبره في درب السلسله ببغداد بالقرب من صراه الطائي. (١)

٨. التحقيق والفحص عن قبور نواب الإمام المهدي عليه السلام الأربعة رحمهم الله.

وفي الختام نقدم هذه الصفحات القليله إلى الإخوه الكرام المشاركين في المؤتمر العالمي لثقه الإسلام الكليني رحمه الله، عسى أن نشاركهم في هذا

ص: ٥١٤

الثواب الجزيل، وأن تكون خدمه متواضعه لروح هذا المحدّث الكبير الذي لم يزل يشع نور كتابه على العالم الإسلامي أجمع.

وكما نتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى الإخوه المحقّقين والمشرفين في مؤسسه «دار الحديث» العامره.

والحمد لله رب العالمين

ص: ٥١٥

إشاره

حياته وآثاره

الحمد لله على جزيل إفضاله وعظيم إنعامه، والصلاه والسلام على خاتم رسله وأنبيائه، محمد وآله الطيبين الطاهرين عييه علمه، وموئل حكمه، صلاه دائمه مادامت السماء ذات أبراج والأرض ذات فجاج.

أمّا بعد: فليس من السهل اليسير ترجمه حياه الشريف المرتضى، الذي فاق أقرانه، وزان أمثاله، فصار يشار إليه بالبنان في مختلف العلوم، فهو في الفقه إمامه، وفي أصوله مؤسسسه، وفي الكلام رائده، وفي الحديث راويته، وبالجملة هو أسوه في العلم والفضل والأخلاق.

كيف لا يكون الشريف المرتضى كذلك، وقد اكتسب من العلوم النصيب الأوفر ولم يترك فضيله من الفضائل إلا حازها.

وكان رحمه الله من الشخصيات اللامعه التي أتفق المترجمون على الثناء عليه وإطرائه، والإشاده بنبوغه وفضله وعلمه، وأنه القدوه في العلوم الإسلاميه، وهو غصن الدوحه العلويه.

نسبه الشريف

هو السيد على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام، أبو القاسم العلوي الموسوي، البغدادي، الملقب بالشريف المرتضى، وبعلم الهدى .

وأُمّه السیده فاطمه بنت الحسين بن أحمد بن حسن بن الناصر الأصبم، والتي ينتهي نسبها إلى الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام.

شرف تتابع كابر عن كابر كالمرح انبوب على انبوب

نشأته وسيرته

ولد في بغداد عام ٣٥٥ هـ، وتوفّي فيها سنة ٤٣٦ هـ، ونشأ في بيت علوي طاهر، وعلمى عريق، وقد درس أوّليات العلوم هو وأخوه الشريف الرضى على ابن نباته وابن جنّي إلى أن تأهّلا- لحضور دروس شيخ الأئمّه المفيد رحمه الله، وقصّه تتلمذهما على يد الشيخ المفيد معروفه ومشهوره، ملخصها: أنّ أمّهما (العلويه فاطمه بنت الناصر) أخذت بأيديهما ودخلت على الشيخ المفيد فقام لها وسلّم عليها فقالت له: هذان ولدای قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه، فبكى الشيخ وقال: رأيت البارحة في المنام أنّ فاطمه الزهراء عليها السلام بنت الرسول صلى الله عليه وآله دخلت عليّ وأنا في مسجدى بالكرخ ومعها ولداها الحسن والحسين عليهما السلام صغيرين فسلمتهما إليّ وقالت: علمهما الفقه، فانتبهت من النوم، وتعجبت من ذلك.

ولذلك تولّى رحمه الله تعليمهما وفتح الله لهما على يديه من العلوم والفضائل ما لا يحصى، وهى باقيه ما بقى الدهر.

كلمات العلماء فى حقّه

لقد أثنى عليه علماء الفريقين، على نحو قلّمَا يتفق لغيره مثل هذا الثناء، ونحن نذكر شيئاً من ذلك.

ص: ٥١٧

قال تلميذه النجاشي: أبو القاسم المرتضى، حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلماً شاعراً أديباً، عظيم المنزله في العلم والدين والدنيا. (١)

وقال تلميذه الآخر الشيخ الطوسي: إنه أكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً، متكلم فقيه جامع العلوم كلها، مد الله في عمره. (٢)

وقال السيد ابن زهره: علم الهدى الفقيه النظار، سيد الشيعة وإمامهم، فقيه أهل البيت، العالم المتكلم، البعيد المثل، الشاعر المجيد، كان له بزرٌ وصدقه وتفقد في السر. (٣)

وقال الثعالبي: قد انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم، وله شعر في نهايه الحسن. (٤)

وقال ابن خلكان: كان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومقاله في أصول الدين. (٥)

وقال ابن أبي طي: هو أول من جعل داره دار العلم وقدرها للمناظره، ويقال:

إنه أمر ولم يبلغ العشرين، وكان قد حصل على رئاسه الدنيا والعلم مع العمل الكثير، والمواظبه على تلاوه القرآن، وقيام الليل وإفاده العلم، وكان لا يؤثر على العلم شيئاً، مع البلاغه وفصاحه اللهجه. (٦)

وأخير قال الدكتور عبدالرزاق محيي الدين: كان من سابقهم - يعني الشيعة - دعوه إلى فتح باب الاجتهاد في الفقه، وأسبقهم تأليفاً في الفقه المقارن، وأنه كان

ص: ٥١٨

١- رجال النجاشي: ٢٧٠، برقم ٧٠٨.

٢- رجال الطوسي: ٤٨٤؛ الفهرست: ١٦٤، برقم ٤٣١.

٣- غايه الاختصار: ٧٦.

٤- يتيمه الدهر: ٦٩/٥، برقم ٤٩.

٥- وفيات الأعيان: ٣١٣/٣، برقم ٤٤٣.

٦- انظر: لسان الميزان: ٢٥٧/٤، برقم ٥٧٩٧.

واضع الأسس لأصول الفقه لديهم، ومجلى الفروق بينها وبين أصول العقائد لدى الشيعة وسواهم، وأنه في علم الكلام كان قرن القاضي عبد الجبار رأس المعتزلة، وإنه في جماع ذلك كان يعتبر مجدد المذهب الشيعي الإمامي. (١)

وللشاعر الكبير أبي العلاء المعري قصيده غزاء، رثى بها النقيب أبا أحمد الموسوي، والتفت فيها إلى مدح ولعديته: الشريفين المرتضى والرضي في أبيات رائعه، مطلعها:

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيفٍ وعبر المستافِ

ومنها:

أبقيت فينا كوكبين سناهما في الصبح والظلماء ليس بخافِ

متأنيين، وفي المكارم أرتعا متألقين بسؤدد وعفافِ

قدري في الإرداء، بل مطرين في ال إجداء، بل قمرين في الإسلافِ

رُزقا العلاء، فأهل نجد كلما نطقا الفصاحة مثل أهل ديافِ

ساوي الرضي المرتضى وتقاسما خطط العلاء بتناصفٍ وتصافِ (٢)

آثاره العلمي

إن التعرف على شخصيه لامعه يحصل من طريقين: تاره بسماع أقوال العلماء بحقه، وأخرى بالتعرف على آثاره التي تركها. فإن مكانه الإنسان بآرائه وأفكاره.

ص: ٥١٩

١- . انظر: موسوعه طبقات الفقهاء: ٢٣٥/٥.

٢- . ديوان سقط الزند: ٣٠١، طبع القاهره.

وقد تعرفت على الطريق الأول، وأما الطريق الثاني فإنَّ الإمعان في الآثار يدلُّ بوضوح على أنَّ السيد الشريف ما ترك حقلاً من حقول العلم والمعرفة إلاّ- ورده، ومصنّفاته تدلُّ على أنّه كان متخصّصاً في أكثر العلوم الإسلاميّه وشاركاً في بعضها. وقد استقصى الشيخ الأميني رحمه الله مؤلّفاته، وقال: ومن هذه الفضائل ما خطّه مزيره القويم من كتب ورسائل استفاد بها أعلام الدين في أجيالهم وأدوارهم، وإليك أسماؤها:

١. الشافي في الإمامه ٢. الملخص في الأصول

٣. الذخير في الأصول ٤. جمل العلم والعمل

٥. الغرر والدرر ٦. تكمله الغرر

٧. المقنع في الغنيّه ٨. الخلاف في الفقه

٩. الناصريّه في الفقه ١٠. الحلبيّه الأولى

١١. الحلبيّه الأخيره ١٢. المسائل الجرجانيّه

١٣. المسائل الطوسيّه ١٤. المسائل الصباويّه

١٥. المسائل التّبانيات (١) ١٦. المسائل السّلاويّه

١٧. مسائل في عدّه آيات ١٨. المسائل الرازيّه

١٩. المسائل الكلاميّة ٢٠. المسائل الصيداويّه

٢١. الديلميّه في الفقه ٢٢. كتاب البرق

٢٣. طيف الخيال ٢٤. الشيب والشباب

٢٥. المقمصه ٢٦. المصباح في الفقه

٢٧. نصر الروايه ٢٨. الذريعه في أصول الفقه

٢٩. شرح بائيّه الحميري ٣٠. تنزيه الأنبياء

ص: ٥٢٠

٣١. إبطال القول بالعدد ٣٢. المحكم والمتشابه
٣٣. النجوم والمنجمون ٣٤. متولّى غسل الإمام
٣٥. الأصول الاعتقاديّة ٣٦. أحكام أهل الآخرة
٣٧. معنى العصمه ٣٨. الوجيزه فى الغيبه
٣٩. تقريب الأصول ٤٠. طبيعه المسلمين
٤١. رساله فى علم الله ٤٢. رساله فى الإراده
٤٣. أيضاً رساله فى الإراده ٤٤. رساله فى التوبه
٤٥. رساله فى التأكيد ٤٦. رساله فى المتعه
٤٧. دليل الخطاب ٤٨. طرق الاستدلال
٤٩. كتاب الوعيد ٥٠. شرح قصيده له
٥١. الحدود والحقائق ٥٢. مفردات فى أصول الفقه
٥٣. الموصليّه، ثلاث مسائل ٥٤. الموصليّه الثانيه، تسع مسائل
٥٥. الموصليّه الثالثه (١٠٩) مسائل ٥٦. المسائل الطرابلسيه الأولى
٥٧. الطرابلسيه الأخيره (١٣) مسأله (١) ٥٨. مسائل ميفارقين (٦٥) مسأله
٥٩. المسائل الرازيّه (١٤) مسأله ٦٠. المسائل المحمديّات (٥) مسائل
٦١. المسائل البادرات (٢٤) مسأله ٦٢. المسائل المصريّه الأولى (٥) مسائل
٦٣. المصريّات الثانيه ٦٤. المسائل الرملّيات (٧) مسائل
٦٥. مسائل فى فنون شتى ، نحو مائه مسأله ٦٦. المسائل الرسيّه الأولى (٢)
٦٧. المسائل الرسيّه الثانيه ٦٨. الانتصار فيما انفردت به الإماميه
٦٩. تفضيل الأنبياء على الملائكه

-
- ١- . سأله الشيخ أبو الفضل إبراهيم بن الحسن الأبانى. (الأمينى).
 - ٢- . ٢٨ مسأله سأله العلامة أبو الحسين الحسين بن محمد بن الناصر الحسينى الرسى. (الأمينى).

٧١. ديوان شعره يزيد على عشرين ألف بيت

٧٢. الصّرفه فى بيان إعجاز القرآن

٧٣. الرساله الباهره فى العتره الطاهره

٧٤. نقض مقاله ابن عدى فيما لا يتناهى

٧٥. جواب الملاحظه فى قديم العالم

٧٦. تتمه الأعراض من جمع أبى رشيد

٧٧. نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر

٧٨. إنقاذ البشر من القضاء والقدر

٧٩. الردّ على أصحاب العدد فى شهر رمضان

٨٠. تفسير الحمد وقطعه من سوره البقره

٨١. الردّ على ابن عدى فى حدوث الأجسام

٨٢. تفسير قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) (١)

٨٣. كتاب الثمانين (٢)

٨٤. الكلام على من تعلق بقوله: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ) (٣)

٨٥. تفسير قوله: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) (٤)

٨٦. تتبع أبيات للمتنبى التى تكلم عليها ابن جنى (٥)

ص: ٥٢٢

١- . الأنعام: ١٥١.

٢- . قاله القاضى التنوخى كما فى المستدرک [على وسائل الشيعة للعلامة النورى]: ٥١٦/٣. (الأمينى).

٣- . الإسراء: ٧٠.

٤- . المائدة: ٩٣.

كان الشريف المرتضى قدس سره زاهداً في الدنيا، راغباً عنها، دائماً لها، سالكاً طريق أجداده الكرام. وكان قدس سره مشهوراً بالبدل والعطاء، والجود والسخاء، مغضياً الطرف عن الحساد والأعداء، وإليك غيظ من فيض جوده وكرمه ومحاسن أخلاقه:

١. وقف الشريف المرتضى موارد قريه من أملا- كه على قرطاس الفقهاء حتى لا- يواجهوا آية مصاعب في ما يحتاجون لتحرير كتبهم.

٢. روى أنه كان يملك أراضي كثيرة بين بغداد و كربلاء، وكانت في غايه الإعمار، وقد نُقل في وصف عمارتها أنه كان بين بغداد و كربلاء نهر كبير، وعلى حافتى النهر كانت القرى إلى الفرات، وكان يعمل في ذلك السفائن، فإذا كان في موسم الثمار كانت السفائن المارّه في ذلك النهر تمتلئ من سقطات تلك الأشجار الواقعه على حافتى النهر، وكان الناس يأكلون منها بلا محذور.

٣. نقل أصحاب السير أنّ الناس أصابهم في بعض السنين قحط شديد، فاحتال رجل يهودى على تحصيل قوته، فحضر يوماً مجلس الشريف المرتضى وسأله أن يأذن له في أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم، وأمر له بجائزه تجرى عليه كل يوم، فقرأ عليه برهه، ثمّ أسلم على يده. (١)

٤. قال الخطيب: إنّ أبا الحسن على بن أحمد بن على بن سلك الفالى الأديب كانت له نسخه من كتاب «الجمهره» لابن دُرَيْد في غايه الجوده، فدعته الحاجه إلى بيعها فباعها واشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً، فتصفّحها فوجد بها أبياتاً بخطّ بائعها، وهى:

أَنْسَتْ بِهَا سَبْعِينَ حَوْلًا وَبَعْتُهَا لَقَدْ طَالَ وَجَدَى بَعْدَهَا وَحَنِينِي

وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْنِي سَأْبِعُهَا وَلَوْ خَلَدْتَنِي فِي السَّجُونِ دِيُونِي

وَلَكِنْ لَضَعْفٍ وَافْتِقَارٍ وَصَبِيهِ صَغَارٍ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ شُؤُونِي

ص: ٥٢٣

فقلت ولم أملك سوابق عبره مقاله مكويّ الفؤاد حزين

«وقد تُخرج الحاجات يا أمّ مالك كرائم من ربّ بهنّ ضنين»

وقال الخطيب: فأرجع السيد النسخه إليه وترك له الدنانير. (١)

٥. حكى عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي أنه قال: كان الشريف المرتضى ثابت الجأش، ينطق بلسان المعرفه ويردّد الكلمه المسدّده، فتمرق مروق السهم من الرميّه ما أصاب أصمى، وما أخطأ أشوى. (٢)

٦. روى أصحاب التراجم أنّ السيد المرتضى كان يجري الرزق على جميع تلامذته حتى أنّه قرّر للشيخ الطوسي كلّ شهر أيام قراءته عليه اثني عشر ديناراً وعلى ابن البرّاج كلّ شهر ثمانيه دنانير ليتفرّغوا بكلّ جهدهم إلى الدراسه من غير تفكير بأزمات المعيشه ومشاكل الحياه. (٣)

٧. قال ابن أبي طيّ: هو أوّل من جعل داره دار العلم وقدرها للمناظره... وأنّه أمر ولم يبلغ العشرين. (٤)

ولعلّ هذا المقدار يكفي في تبين عظمه سيدنا الشريف المرتضى في مجال العلم والفضل والأخلاق والسجايا الحسنه.

أشهر تلامذته

أحصى الشيخ الأميني في «الغدیر» اثنين وعشرين عالماً ممّن درس على يد الشريف المرتضى رحمه الله، نذكر منهم:

ص: ٥٢٤

١- .وفيات الأعيان: ٣/٣١٦.

٢- .لسان الميزان: ٢٢٣/٤، نقلًا عن تاريخ ابن أبي طيّ. ومعنى (أصمى): رمى الصيد فقتله مكانه وهو يراه، أمّا قوله: (وما أخطأ أشوى) فيراد به أنّ السهم إذا أخطأ الصيد، أصاب شواه، والشوى، ما كان غير مقتل من الأعضاء، كاليدين والرجلين.

٣- .روضات الجنات: ٢٠٣/٤.

٤- .لسان الميزان: ٢٥٧/٤، برقم ٥٧٩٧.

١. شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (المتوفى ٤٦٠هـ).

٢. أبو يعلى سلار بن عبد العزيز الديلمي (المتوفى ٤٤٨هـ).

٣. أبو الصلاح تقي بن نجم الحلبي، خليفته في بلاد حلب (المتوفى ٤٤٧هـ).

٤. القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (المتوفى ٤٨١هـ).

٥. الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزه الجعفري (المتوفى ٤٦٣هـ).^(١)

إلفات نظر

بقيت أمور تتعلق ببعض آرائه الخاصة وما نسب إليه من تهمة وافترادات يجب إلفات نظر القارئ إليها، وهي:

١. أن السيد الشريف المرتضى مع كونه عالماً من أعلام الطائفة، ومرجعاً يرجع إليه في المعارف والعقائد والأحكام والشريعة، فمع ذلك كله فله آراء تختص به ولا يشاركه فيها إلا القليل، وإليك بعضها:

أ. قوله بعدم حجّيه خبر العدل الواحد واختصاص الحجّيه بالمتواتر أو المحفوف بالقرينه المفيده للعلم، وفي الوقت نفسه هو يعمل بأكثر الأحاديث الواردة في الجوامع الحديثيه، وذلك لزعم تواترها أو كونها محفوفه بالقرينه. وقد خالفه في هذه المسأله تلميذه الجليل شيخ الطائفة في كتاب العده بوجه مبسوط.

ب. قوله بالصرفه في إعجاز القرآن، وقد ألف رساله باسم الصرفه طبعت أخيراً، وهذا قول غير مرضى عند الطائفة الإماميه، وقد أوضحنا القول الصحيح حول ذلك في كتابنا «الإلهيات».^(٢)

٢. ترجم الذهبى للشريف المرتضى في «ميزان الاعتدال» ولكنه (عفا الله عنه) أتى ببعض الكلمات التي يناقض بعضها بعضاً، فيصفه بقوله: المتكلم

ص: ٥٢٥

١- .روضات الجنات: ٢٩/٤؛ الغدير: ٣٦٢/٤.

٢- .لاحظ الإلهيات: ٣٣٧/٣-٣٤٤.

الرافضى المعتزلى. (١) فهو يجمع له بين الرفض والاعتزال، مع أنّ الاعتزال منهج كلامى من أعضان مدرسه الخلافه المعروفه.

وأما الرفضه فتتمثل بالإماميه والزيديه والإسماعيليه، وأين هؤلاء من المعتزله؟! مع أنّ وصف هؤلاء بالرفض من مصاديق قوله سبحانه: (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) . (٢)

والعجب أنه نسب تأليف «نهج البلاغه»، إلى الشريف المرتضى، قائلاً: وهو المتهم بوضع كتاب «نهج البلاغه»!! مع أنّ الكتاب ليس موضوعاً أولاً، ثم هو من جمع أخيه الشريف الرضى ثانياً.

وأعجب منه ما نقله ابن حجر عن ابن حزم أنه قال: «إنّ الشريف المرتضى كان من كبار المعتزله الدعاه، وكان إمامياً!!» (٣) مع أنّ الإماميه عن بكره أبيهم هم غير المعتزله، وإن كانوا يشاركونهم فى القول فى بعض الأصول، ومن أراد أن يقف على الأصول المشتركه بين الفريقين فليرجع إلى كتابنا «رسائل ومقالات». (٤)

٣. إنّ الشريف المرتضى وأخيه الرضى قد رميا بالتهم الباطله وهم برآء منها، مع أنّهما كوكبان فى سماء العلم والفضيله، وقد مضى قول أبى العلاء المعرى فيهما:

أبقيت فينا كوكبين سناهما فى الصبح والظلماء ليس بخاف

ساوى الرضى المرتضى وتقاسما خطط العُلا بتناصف وتصاف

وقد كتبنا مقالاً فى الأكاذيب التى رمى بها العلمان الجليلان، تحت عنوان: «المرتضى والرضى كوكبان فى سماء العلم والعمل» وألقى فى مؤتمر

ص: ٥٢٤

١- . ميزان الاعتدال: ١٢٤/٣، برقم ٥٨٢٧.

٢- . الحجرات: ١١.

٣- . لسان الميزان: ٢٥٧/٤، برقم ٥٧٩٧.

٤- . رسائل و مقالات: ٣٦٧/١-٣٨٥.

تكريمي انعقد بمناسبة مرور ألف عام على تأليف «نهج البلاغه» (١).

نكتفى بهذا المقدار اليسير من الكلام حول هذه الشخصية الفذة ونتقل للكلام عن كتابه القيم: «الذريعة إلى أصول الشريعة».

السيد المرتضى وأصول الفقه

إذا كان الاجتهاد عبارته عن بذل الوسع في استنباط الأحكام الشرعية أو الوظائف العمليه من مصادرها، فهو رهن تأسيس قواعد ممهده لاستنباط هذه الأحكام والوظائف.

فإذا كان الاجتهاد سر خلود الدين الإسلامي وحياته، وجعله غصاً طرياً مصنوعاً عن الاندراست عبر القرون ومغنياً للمسلمين عن التطفل على موائد الأجانب، فعلم أصول الفقه في طريق هذا الهدف السامي. ولذلك عرّفوا علم أصول الفقه بأنه عبارته عن القواعد الممهده لاستنباط الأحكام الشرعية وما ينتهي إليه المجتهد في مقام العمل، فالمجتهد يبذل وسعه لاستنباط أحد أمرين:

١. استنباط حكم الله الواقعي الذي جاء به صاحب الشريعة من الكتاب أو السنه.

٢. استنباط الوظيفة العمليه عندما تقصر يد المجتهد ولم يتوصل إلى الحكم الواقعي، فيلتجئ إلى الأصول العمليه كأصل البراءه والاحتياط والتخيير والاستصحاب. فالأصول العمليه تقع في الدرجه الثانيه من الاستنباط، لا يعتمد عليها المجتهد إلا بعد اليأس من الوصول إلى الحكم الشرعي الواقعي في المصدرين الرئيسيين، ولذلك وقع علم الأصول موضع عنايه واهتمام العلماء من الفريقين.

إنّ علم الأصول بمحتواه لم يكن أمراً مغفولاً عنه في عصر الأئمه عليهم السلام، فقد

ص: ٥٢٧

١- . اقرأ ذلك المقال في كتابنا: تذكره الأعيان: ٣١/١-٤٩.

أملى الإمام الباقر وأعقبه ولده الإمام الصادق عليهما السلام على أصحابهما قواعد كليه في الاستنباط، رواها أصحاب الحديث في كتبهم، كما قام لفيف من أصحاب الأئمة بتأليف رسائل مختصره في بعض الأبواب:

فألف يونس بن عبد الرحمن (المتوفى ٢٠٨ هـ) كتاب «اختلاف الحديث ومسائله»^(١)، وهو أشبه بباب التعادل والترجيح.

كما ألف إسماعيل بن علي النوبختي (٢٣٧-٣١١ هـ) كتاب «الخصوص والعموم والأسماء والأحكام»^(٢) وألف كتاباً آخر باسم «إبطال القياس»^(٣).

وجاء بعده الحسن بن موسى النوبختي، فألف رساله في خبر الواحد والعمل به^(٤).

وقد جمع الحرّ العاملي قدس سره هذه الأحاديث في كتاب مستقل أسماه: «الفصول المهمه في أصول الأئمة».

هذه هي المرحله الأولى من مراحل تدوين أصول الفقه، وقد اتّسعت حركه التأليف في المرحله الثانيه، فأفردوا لجميع مسائل أصول الفقه باباً خاصاً في التأليف.

وفي مقدمه هؤلاء شيخ الأئمه محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، فألف كتاباً باسم «التذكره في أصول الفقه»^(٥) وهو مطبوع ومنتشر.

وقد اقتدى به تلامذته، فألف سلّار بن عبد العزيز الديلمي (المتوفى ٤٤٨ هـ) كتاباً في ذلك المضممار أسماه «التقريب في أصول الفقه»^(٦).

ص: ٥٢٨

١- رجال النجاشي: برقم ١٢٠٩.

٢- رجال النجاشي: برقم ٦٧.

٣- فهرست ابن النديم: ٢٢٥.

٤- فهرست ابن النديم: ٢٢٥.

٥- لاحظ: الذريعه لآقا بزرك الطهراني: ٣٦٥/٤.

٦- لاحظ: الذريعه لآقا بزرك الطهراني: ٣٦٥/٤.

كما أُلّف تلميذه الآخر الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ) كتاباً آخر باسم «العدة في أصول الفقه» وقد طبع عدة مرات.

لكن العذى شمر عن ساعد الجدّ في هذه المرحلة وأُلّف كتباً عديدة في أصول الفقه هو السيد الشريف المرتضى، فله تأليف ثلاثة في هذا الصدد، هي:

١. مسائل الخلاف في أصول الفقه

٢. مسائل منفردات في أصول الفقه

٣. الذريعة في أصول الشريعة.

والكتاب الثالث هو الأثر الوحيد الباقي في هذا الصدد له قدس سره، ولم نجد أثراً للكتابين المتقدمين.

ولم يزل هذا الكتاب منذ تدوينه مرجعاً للفقهاء والمجتهدين ومورد اهتمام العلماء عبر القرون، وقد قاموا بتحريره تارة وتلخيصه أخرى وشرحه ثالثه، وإليك بيان ذلك:

١. قام العلامة الحلّي بتحريره وأسماه: «النكت البديعة في تحرير الذريعة»، كما ذكر ذلك في كتابه «خلاصه الأقوال»^(١).

٢. قام الشيخ أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد السيهقي فريد خراسان (٤٩٩-٥٦٥ هـ) بتلخيص الكتاب وأسماه «تلخيص مسائل الذريعة» ذكر ذلك تلميذه محمد بن شهر آشوب في «معالم العلماء»^(٢).

٣. وشرحه الشيخ عماد الدين الطبري صاحب «بشاره المصطفى»^(٣).

٤. وشرحه - أيضاً - السيد كمال الدين المرتضى بن المنتهى بن الحسين بن علي الحسيني المرعشي، من مشايخ منتجب الدين كما في فهرسته^(٤).

ص: ٥٢٩

١- . لاحظ: الذريعة: ٣٠٣/٢٤.

٢- . لاحظ: الذريعة: ٤٢٧/٤.

٣- . الذريعة: ٢٦/١٠.

٤- . فهرست منتجب الدين، برقم ٣٧١. قال: شاهده ولي عنه روايه.

والكتاب يحتوى على مقدمه وأربعة عشر باباً، هي كما يلي:

١. الكلام فى الخطاب وأقسامه وأحكامه.

٢. القول فى الأمر وأحكامه وأقسامه.

٣. فى أحكام النهى.

٤. الكلام فى العموم والخصوص.

٥. فى المجمل والبيان.

٦. الكلام فى النسخ.

٧. الكلام فى الأخبار.

٨. صفة المتحمّل للخبر.

٩. الكلام فى الأفعال.

١٠. الكلام فى الإجماع.

١١. الكلام فى القياس.

١٢. الكلام فى الاجتهاد.

١٣. الكلام فى الحظر والإباحه.

١٤. فى النافى والمستصحب للحال.

وقد صنّف السيد الشريف هذا الكتاب فى السنوات الأخيره من عمره الشريف، إذ فرغ من تأليفه عام ٤٣٠ هـ، وقد ذرّف على السبعين، أى أنه أُلّفه بعد أن نضجت أفكاره وأحاط بالعلوم جميعاً واستخرج دقائقها، ولذا صار مصدراً دراسياً منذ تأليفه إلى عده قرون.

و كان الكتاب مخطوطاً مستوراً عن الأعين إلى أن قام الأستاذ الكبير الدكتور أبو القاسم الكرجى بتحقيقه وبذل جهده فى مقابلته مع ثلاث نسخ خطيه، وبهذا قدم للعلم والعلماء خدمه كبيره، ومع ذلك لم يكن المطبوع خالياً من هُنْ وهُنْ.

فقد اهتم المحقق بتسويد الهوامش وشحنها بالإشاره إلى النسخ المختلفه التى لا حاجه لذكرها لوضوح عدم صحتها، فى حين

أهمل تخريج الأحاديث

ص: ٥٣٠

والروايات وأقوال الصحابه وأقوال العلماء وآرائهم، ومع ذلك فالفضل يرجع إليه لأننا استفدنا من جهوده وعمله.

ولأهميه هذا الكتاب قامت مؤسستنا مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام بتحقيق الكتاب تحقيقاً جديداً منقحاً كاملاً، مزيناً بالتعليقات وشرح المعضلات مع فهرس كامله خدمه للإسلام وهديه ثمينه لطلبه العلوم الدينيه.

ص: ٥٣١

ميثم البحراني

جدّ في اكتساب العلم، فاستضاء بنوره، وتمسك بأهل البيت عليهم السلام، فلجأ إلى ركن وثيق.

جال في أكثر من ميدان من ميادين العلم، ولكنه أولع بعلمَي الحكمة والكلام، واستأثرا بنصيب وافر من جهوده وعنايته، فجلّى في ميدانهما، وذاعت شهرته بهما في الأوساط العلميّه، وعند رجال الدوله في العراق، ممّن اهتم بترويج العلم مثل عبد العزيز بن جعفر بن ليث النيسابوري (١)، وعلاء الدين عظاملك بن بهاء الدين الجويني (٢).

وتدلّك مؤلّفات شيخنا البحراني على غزاره علمه، ومتانته تحقيقه، وعمق أفكاره، وحصانه تعبيره في ما تناوله من موضوعات لاسيما ما يرتبط منها بمباحث الحكمة والكلام والعقائد.

ص: ٥٣٢

١- . كان شيخاً مشكوراً محموداً جواداً، حسن السيره. تولّى مديرية شرطه واسط والبصره. توفّي ببغداد سنه (٦٧٢ هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٦٧١-٧٨٠ هـ): ص ٩٨ برقم ٦٨.

٢- . كان جليل الشأن، محسناً للعلماء ذا نظر في العلوم الأدبيه والعقليه. تنقل في المناصب إلى أن ولي العراق. توفّي (سنه ٦٨١ هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٦٨١-٦٩٠ هـ): ص ٨٠-٨٣ برقم ٣٤.

هناك حقول يانعه زاهره فى حياه هذا الفيلسوف المتكلم، والفقير الأديب، ولكننى أكتفى هنا بارتياح حقلين منها، يتعلق الأول منها بالجانب العلمى، والثانى بالجانب السلوكى، وهما يلتقيان فى شخصيته، ويرفد أحدهما الآخر ليعبرا عن توجهاته واهتماماته، وعن منهجه فى الحياه.

وأود أن أصطحب معى شرحه لنهج البلاغه المسمى بمصباح السالكين، لألج بواسطته إلى الحقل الأول، ولكن لا لأستريح فيه طويلاً، وإنما لأقف قليلاً فى إحدى زواياه، وأشتم عير بعض أزهاره، فالوقت لا يسع لأكثر من ذلك.

اتفقت المعاجم على أن ميثماً البحرانى كان عالماً ربانياً وفيلسوفاً إلهياً جال فى أكثر من ميدان من ميادين العلم، إلا أنه أولع بعلمى الحكمة والكلام، فجلى فى ميدانها وذاعت شهرته بها فى الأوساط العلميه، وعند رجال الدوله فى العراق، كعبد العزيز بن جعفر بن ليث النيسابورى وعلاء الدين الجوينى اللذين اهتما بترويج العلم ورعايه العلماء، هذا ما يقوله عنه أصحاب المعاجم وكتب التراجم.

غير أن التعرّف عليه عن طريق هؤلاء أحد الطرق التى راجت فى التعرّف على الشخصيات العلميه، إلا أن لنا فى المقام طريقاً آخر للتعرف على قابلياته العلميه وإنجازاته وما اكتسبه فى الحقلين: العلمى والسلوكى.

وهذا الطريق يتمثل فى دراسه حياه أساتذته وتلاميذه وما ترك من آثار علميه.

فإن دراسه هذه المواضيع الثلاثه تلقى أضواءً على شخصيته وما حصل عليه فى مجالى العلم والعمل.

أمّا أساتذته فقد تتلمذ على يد الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسى الهمذى يضمن الدهر بمثله إلفى فترات يسيره وبينه وبين أستاذه مساجلات ومكاتبات تدل على رفيع منزلته وولعه باكتساب العلم.

وأمّا تلامذته فنكتفى أن العلامه الحلى الذى يضرب به المثل فى عالم الذكاء هو ممن تخرج عليه. ومثله لا يخضع إلالدرس عالم كبير يروى عطشه.

وأمّا الثالث وهو التعرّف على الآثار العلميه التى تركها، فهى وإن كانت كثيره

فقد تربو على عشره.

ولكن بيت القصيد من مؤلفاته - مع ما له من آثار ومؤلفات المذكوره فى المعاجم - هو شرحه لنهج البلاغه الذى أسماه بمصباح السالكين، وقد جاء الاسم مطابقاً للمسمى حيث تناول فى هذا الشرح جانباً خاصاً من جوانب نهج البلاغه وهو الجانب الفلسفى والعرفانى اللذان قلما ولجه شراح ذلك الكتاب الذين ناهز عددهم المئات.

إن موضوعات نهج البلاغه متعددة ومتنوعه، وغالباً ما يكرس شراخه جهودهم لتفسير وتبيين وتحقيق موضوع واحد منها أو موضوعين - كل وفق اختصاصه وعلى قدر بضاعته من العلم - أما سائر موضوعاته فيتناولونها بإيجاز أو بشكل غير مريض .

ثم شراح ركزوا على الجانب الأدبى فيه، وحاولوا إبراز ما فيه من (عجائب البلاغه، وغرائب الفصاحه، وجواهر العربيه، وثواقب الكلم الدينيه والدينويه)، وعنى آخرون بالجانب التاريخى فيه، وتبيان الوقائع والأحداث التاريخيه، وجمع غيرهم بين هذين الجانبين، فى حين اهتم آخرون بموضوعات أخرى فيه، كعلامتنا البحرانى الذى سلك فيه مسلكاً يتلاءم مع اختصاصه، حيث ملأه بالمباحث الإلهيه والمسائل الكلاميه والعقائديه والأسرار العرفانيه، وأشبعها بحثاً وتوضيحاً، ولذا لم يعط سائر الموضوعات حقه من الشرح والتحقيق.

ولعلَّ الأجواء السياسيه والاجتماعيه المضطربه التى كانت سائده فى عصره، قد ساعدت فى دفعه إلى اختيار هذا المسلك، حيث عاصر الغزو العسكرى للبلاد الإسلاميه من قبل التتار، وانهيار الدوله العباسيه، وضعف المسلمين، وتغلب الروح الانهزاميه لدى معظم ساسه البلاد وقادتها، وانصرافهم إلى اللهو والعبث والفساد، وشاهد بأُم عينيه تفشى الانحرافات فى المجتمع وطغيان الروح الماديه فيه.

هذا هو ابن كثير يعكس لنا فى تاريخه، الوضع المؤسف السائد فى بلاط

ص: ٥٣٤

الخلافة العباسي الّذى كان يرقص فيه الخليفة مع حبيته، وجيوش التتار أحاطت بسور دار السلام بغداد، ونصبوا عليه المجانيق والعرادات، يقول:

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (١)، ثم قال: وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حَتَّى أُصِيبَتْ جاريه تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياها وكانت مولده تسمى عرفه، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً، وأحضر السهم الّذى أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: «إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب عن ذوى العقول عقولهم» فأمر الخليفة عند ذلك بزياده الاحتراز، وكثرت الستائر على دار الخلافة وكان قدوم هولاء كوخان بجنوده كلها - وكانوا نحو مائتى ألف مقاتل - إلى بغداد فى ثانى عشر المحرم من هذه السنه.

فإذا كان هذا هو حال الخليفة ومقدار إهتمامه بحفظ الخلافة فما بال غيره؟!

إذا كان رب البيت بالدفع مولعاً فشيمه أهل البيت كلهم الرقص

فالداء الناجع لهذا المجتمع الغارق فى العيث والفساد والترفه هو الدعوه إلى القيم والمثل الأخلاقية وذكر الله سبحانه وذكر مقامات الأولياء والأنبياء والمثوبات والعقوبات، وهذا هو الذى دفع العلامه إلى التركيز عليه فى شرحه لنهج البلاغه.

ومن هنا حاول رحمه الله أن يغرس فى النفوس حبّ الله تعالى، وحبّ الفضائل والمكارم، ويحثّها على انتهاج سبيل الحق، والرجوع إلى الله تعالى، وسلوك الطريق الموصل إليه، وضروره التحلّى بالفضائل النفسانية، والابتعاد عن رذائل الأخلاق.

ومما يدخل فى هذا الإطار، قوله قدس سره:

ص: ٥٣٥

إنَّ كمال القوه العمليه إنّما هو باستكمال الحكمه العمليه، وهى استكمال النفس بكمال الملكه التامه على الأفعال الفاضله حتّى يكون الإنسان ثابتاً على الصراط المستقيم متجنباً لظرفى الإفراط والتفريط فى جميع أفعاله. (١)

لن يسمح لنا الوقت بالوقوف أكثر من هذه اللحظات فى هذا الحقل، فلننتقل إلى الحقل الثانى لنمر عليه سريعاً. ومرورنا هذه المره يكون من خلال قصه طريفه وقعت للمحقق البحرانى، نقلها بعض العلماء، ومفادها أنّ بعض فضلاء العراق، بعثوا إليه برساله تتضمن لومه على اعتزاله عن الناس، مع ما يتمتع به من مهاره فى العلوم، فكتب فى جوابهم:

طلبت فنون العلم أبغى بها العلاء فقصر بي عما سموت به القلُّ

تبيّن لى أنّ المحاسن كلّها فروع، وأنّ المال فيه هو الأصل

فلم يرتضوا منه هذا القول، فكتب فى جوابهم:

قد قال قوم بغير علم ما المرء إلّابأصغرّيه

فقلت قول امرىء حكيم ما المرء إلّابدرهميه

من لم يكن درهم لديه لم تلتفت عرسه إليه

ثم توجه إلى العراق، ودخل إحدى حلقات الدرس بشيابه الخشنه الرثه، فلم يلتفتوا إليه، ثم أخذوا فى مناقشه مسأله دقيقه، فراح البحرانى يجيب عنها بأجوبه جيده، فلم يرتضوها، ولما حضر الطعام لم يشر كوه فيه، وأفردوه بشىء منه.

ثم جاء فى اليوم التالى بملايس فاخره، ذات أكمام واسعه، فرحبوا به، ثم جرى نقاش بينهم فى إحدى المسائل، فتكلم فيها صاحبنا بكلام غير علمى، فاستحسنوه، ولما حضرت المائده بادروا إليه بالآداب، فألقى الشيخ كُمه فى الطعام، وقال لها (كلى يا كُمى)، فاستغربوا منه ذلك، فقال: أنتم إنّما أكرتمم أكمامى هذه الواسعه، وإلّا فأنا صاحبكم بالأمس!!

ص: ٥٣٦

هذه القصة ذات مداليل عميقه ترتبط بواقع الأوضاع الاجتماعيه فى ذلك العصر، فإذا كان (الفضلاء) الذين تقع عليهم مسؤوليه التوجيه والتعليم والإرشاد، ومن يتطلع إليهم المجتمع على أنهم الأسوه والقذوه فى ترجمه أفكار وقيم الإسلام وتجسيدها فى الواقع المعاش، إذا كان هؤلاء قد اختلّت عندهم المقاييس، وعظمت فى أعينهم أشياء هذه الحياه الفانيه، فما بالك بسائر شرائح وطبقات المجتمع!!

إنّ شيخنا البحرانى يدين من خلال هذه القصة التناقض الفاضح بين القول والفعل، وبين الشعار والممارسه.

إنّ أخطر ما يواجه الدين، ويُفضى إلى إبعاد الناس عنه ونفورهم منه، هو اتّساع المسافه بين الكلام عن الدين، وبين تحكيم الدين فى الحياه، وكلما قلّت المسافه بينهما أو أُلغيت، كلما ازداد إقبال الناس عليه، وآمنوا بصلاحيته لتنظيم الحياه وقيادتها.

وممّا لا- ريب فيه أنّ العلم والمعرفه لا- يُغنيان شيئاً، ولا- يُثمران ثماراً طيبه، إذا لم تتحرك خطوات الإنسان على ضوئهما، ف (الداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر) و (العلم يهتف بالعمل وإلّا ارتحل عنه) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام.

ولنعم ما قاله الشاعر:

تعصى الإله وانت تظهر حجّه هذا لعمرى فى الفعال بديع

إن كان حُجُك صادقاً لأطعته إن المحبّ لمن يحبّ مطيع

وفى هذا الإطار يأتى قول الفيلسوف والعالم الفيزيائى الفرنسى باسكال (المتوفى ١٦٦٢ م): كم هى المسافه بعيده بين أن تعرف الله، وأن تُحبّه.

مؤلفاته وتصانيفه

وفى الختام نشير إلى أسماء عدد من مؤلفات العلّامه البحرانى رحمه الله:

١. مصباح السالكين (الشرح الكبير لنهج البلاغه) فى خمسهِ أجزاء.

ص: ٥٣٧

٢. اختيار مصباح السالكين (الشرح المتوسط لنهج البلاغه).

٣. شرح على المائة كلمه لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

٤. قواعد المرام فى علم الكلام.

٥. النجاه فى القيامه فى تحقيق أمر الإمامه.

٦. الاستقصاء فى إمامه الأئمه الاثنى عشر.

٧. أصول البلاغه.

٨. رساله فى الإمامه.

٩. رساله فى الوحي والإلهام.

١٠. شرح الإشارات فى الحكمه النظرية.

والحمد لله رب العالمين

جعفر السبحانى

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

قم المقدسه

٢٥ ذى الحجه الحرام ١٤٢٧ هـ

ص: ٥٣٨

إنّ فى نشر حياه العلماء والإشاره إلى جهودهم المضنيه فى طريق تحصيل العلم وتعليمه وبثه بين الناس، إشاده بمكانه العلم وترويجه لمدارسته، كما أنّ فيه استجابته لدواعى الوفاء لهم وتثميناً لجهودهم وتعريفاً بمقامهم ومكانتهم، واستلهاماً لعطائهم الثرى.

والحقّ أنّ فى دراسه حياه العلماء إحياءً لتراث الأُمّه، وتعريفاً بمن بنى تلك الحضاره ورفع أعمدتها ووضع ركائزها، الأمر الذى يعزّز من ثقه الجيل الحاضر بنفسه، وكذا الأجيال القادمه، لإدراكهم أنّ حضارتهم عريقه وذات جذور ضاربه فى أعماق التاريخ.

ولذلك نرى أنّ الأمام المتحضّر قد اهتمت بنشر آثار السلف بأساليب مختلفه، وهى تحتفل بذكرياتهم بإقامه المؤتمرات والاجتماعات، وما هذا إلّا لأنّ فى ذلك حثّاً للجيل الصاعد على الأخذ بطريقتهم والمشى على مسيرتهم.

وقبل كلّ شىء فإنّ الكتاب العزيز قد أشاد بمقام العلم والعلماء فى غير واحده من الآيات.

قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (١).

ويقول سبحانه: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ

ص: ٥٣٩

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١).

وأى مقام ومنزله أولى وأنبى من ذلك، إذ جاء ذكر العلماء فى رديف الملائكة وشهدا مع الله سبحانه على أنه لا إله إلا هو.

فالعلماء مصايح الظلام وحصون الإيمان وخلفاء الأنبياء بأقون ما بقى الدهر:

أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَ أَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. (٢)

هذا وقد قام لفيف من علمائنا الأبرار بتأليف موسوعات حول علماء الشيعة وطبقاتهم وآثارهم وما قدموا للحضارة الإنسانية من عطاءات وما ابتكروا من علوم، إلّا أنّ ما قام به البحاثة الكبير والمتتبع الخبير آيه الله الشيخ محمد محسن (المعروف بأقا بزرك) الطهرانى (١٢٩٣-١٣٨٩ هـ) فى هذا المجال عمل لا يُعادلّه غيره، ذلك أنه قام بعملين كبيرين كلّ واحد منهما يُعدّ عمل جماعه، وقد تصدّى له بمفرده، وها نحن نذكر هذين العملين:

١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: جمع فيه أسماء مصنفاتهم فى مختلف العلوم وقد طبع فى ٢٦ جزءاً.

٢. طبقات أعلام الشيعة: ترجم فيها حياتهم، مبتدئاً بالقرن الرابع الهجرى ومختتماً بالقرن الرابع عشر.

وقد أفاض رحمه الله فى موسوعته هذه، القول فى تراجم أعيان تلك الأيام الخالية، وذكر ما آثرهم وآثارهم الخالده، وأسمى كلّ جزء يرجع إلى قرن باسم خاص وإليك ذكرها:

١. نوابغ الرواه فى رابعه المئات.

٢. إزاحه الحلّك الدامس بالشموس المضيئه فى القرن الخامس.

ص: ٥٤٠

١- . آل عمران: ١٨.

٢- . نهج البلاغه: الحكمة ١٤٧.

٣. الثقات العيون في سادس القرون.

٤. الأنوار الساطعه في المائة السابعه.

٥. الحقائق الراهنه في تراجم أعيان المائة الثامنه.

٦. الضياء اللامع في عباقره القرن التاسع.

٧. إحياء الدائر من مآثر أهل القرن العاشر.

٨. الروضه النضره في علماء المائة الحاديه عشره.

٩. الكواكب المنتثره في القرن الثاني بعد العشره.

١٠. الكرام البرره في القرن الثالث بعد العشره.

١١. نقيب البشر في القرن الرابع عشر.

وقد قامت دور النشر بطبع أكثر أجزاء هذه الموسوعه في بيروت وإيران، غير أنّ القسم الثالث من «الكرام البرره» لم يزل تحت الخباء، وكانت النفوس تشتاق إلى مطالعته، غير أنه كان في تحقيقه ونشره صعوبه، بل صعوبات، ومع ذلك فقد استسهله المحققان الفاضلان: السيد حيدر محمد على البغدادي، و خليل النايقي، فقاما بتحقيق هذا القسم وبيان مصادر التراجم الوارده فيه، في مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام، التي وفّرت لهما كلّ ما يلزم للعمل من أجواء مناسبة، وإمكانات متاحه. وقد بذلا في هذا السبيل جهوداً لا يقوم بها إلاّ الأمثل فالأمثل من عشاق الفضيله، شكر الله مساعى الجميع، والحمد لله رب العالمين.

جعفر السبحاني

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٥ رجب ١٤٢٧ هـ

ص: ٥٤١

رجل العلم والجهاد

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على خاتم رسله، إمام الرحمه، وقائد الخير، ومفتاح البركه، وعلى آله الهداه الميامين.

علم الشهاده والكرامه والعلی وحليف علم الدين والآثار

نحمد الله الذى رفع منزله العلماء الصُّلحاء على الشهداء، وفضّل مدادهم على دمائهم، فالشهيد ثمره من ثمار جهود العالم، استضاء بأنوار علمه، وسلك درب الجهاد على هدى تعاليمه وإرشاداته، ومن هنا فضّل الله سبحانه جهود العلماء فى ميادين التعليم والتربيه، على شهاده الشهداء فى مجال الجهاد والنضال.

هذا إذا كان الشهيد ليس بعالم، والعالم ليس بشهيد، وأما إذا اجتمع كلا العنوانين فى فردٍ، فيكون عالماً محققاً، وكاتباً بارعاً، وخطيباً مرشداً، وشجاعاً بأسلاً، يحمل هموم المسلمين، ويخوض غمار ساحات الجهاد، ليصون الإسلام من كيد الأعداء، فيحظى بوسام الشهاده، فإنّ مثل هذا الفرد قد بلغ الغايه فى الكمال، وفاز بالقدح المعلىّ فى ميدانى العلم والإيثار.

وهذا هو شأن العلامه الراحل آيه الله السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر رضوان الله تعالى عليه.

لقد عاش رحمه الله فى بيت علمى عريق، زانه التقى والفضل، فأثمر ثمرات يانعه،

وفاح شذا أزهاره، فبلغ كل قريب وبعيد.

وثمة نكته نلفت نظر السامع إليها، وهي أنّ طبيعه العلم والعلماء تقتضى الهدوء والدعه والعيش فى أجواء بعيدة عن الضوضاء والضجيج، فالعلماء غالباً ما يتواجدون فى المعاهد والمدارس والمختبرات وقاعات الدرس والبحث.

وأما الشهيد فهو يعيش فى خضم الحوادث الداميه فى ميادين النضال.

فكيف يلتقى العلم بالشهادة والشهادة بالعلم، وبالتالي يفوز العالم بمقام الشهاده؟

وما يدفع العجب، هو وقوفنا على هذه المسأله، وهى أنّ العلم والشهادة يجمعهما أمران:

١. الملكات النفسيه الساميه والفضائل الأخلاقيه العالیه، إذ يرى كلّ منهما أنّه مسؤول أمام الله تعالى وأمام الأئمه...

٢. أن العالم يقبض قلمه ويُسيل فكره ليقارع الظلم والفساد ويدعو إلى الصلاح والفلاح، والشهيد يقبض سلاحه، ويُريق دمه، ليستأصل جذور الظلم والطغيان، ويسقى بدمه شجره الحريره والإيمان، ليعيش المجتمع تحت رايه العدل.

إنّ الآثار العلميه للمرجع الدينى الشهيد السيد محمد الصدر؛ تدلنا على علو كعبه فى الفقه والأصول، وهذا ما نراه واضحاً فى كتابه القيم «ما وراء الفقه»، فهذا الكتاب مبتكر فى موضوعه، جامع لشتات ما يحتاج إليه الفقيه فى دوره الفقيهيه، إلى قضايا ومعلومات لها صلّه وثيقه بالفقه ولكنها لا تبحث إلّافيه.

وقد أجاد السيد الشهيد كلّ الإجاهه فى جمعها وتحقيقها، وقدّمها للمحقّقين من الفقهاء والأصوليين فى موسوعه ضمّت عشره أجزاء، تثير العجب من بُعد غوره، وغزاره علمه، وسعه أطلّاعه على العلوم الكونيه والطبيعيه والتاريخيه.

وأما دوره فى الإصلاح والتغيير، فكان فاعلاً ومؤثراً، وقد خطا خطوات جريئه على طريق توعيه المجتمع، وشحذ عزيمته، وتوجيهه نحو المبادئ والقيم

الإسلاميه، ووقف بوجه السلطه الغاشمه الظالمه، التي سلبت كل الحريات وصادرت عامه ثروات الشعب الماديه والمعنويه، حتى صار أسوه للآخرين، ورمزاً للأبطال الخالدين.

وفي ختام كلمتنا نتمثل بقول الفقيه والشاعر المفلق السيد محمود البغدادي:

رجلان في دنيا الثبات وهما الحياه إلى الحياه

رجل الصراع المرّيع - صف باللثام وبالطغاه

والعالم الوثّاب امن - يه الشعوب الناهضات

عاشا بلا ذات وما كال - عزّ في سحق الذوات

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

جعفر السبحاني

قم المقدسه مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

الرابع من ربيع الأول ١٤٢٩ هـ

ص: ٥٤٤

الفصل الخامس: رسائل إرشاديه

إشاره

١. رساله الشيخ محمد شهيد وجوابنا عنها
٢. رساله إلى أعضاء دارالزهراء
٣. التقريظ على تفسير الشيخ الملكي الإصفهاني
٤. رساله مفتوحه إلى الشيخ محمد سالم الخضر رئيس مبرّه الآل والأصحاب

ص: ٥٤٥

بسمه تعالى

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خاتم الأنبياء وحبيب إله العالمين محمد وآل بيته الطاهرين الطيبين المعصومين.

إلى سماحه الشيخ جعفر السبحاني (أدام الله ظله)

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

اسمى محمد شهيد من جنوب افريقيا تخرجت من جامعه الأزهر الشريف والحمد لله متمسك بولايه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

بهذا الخطاب لسماحتكم أوّذ أن أعلمكم بأننى تعلمت كثيراً منكم خلال قراءتى لقليل من مؤلفاتكم، لا سيما كتابكم المترجم إلى اللغة الإنجليزية (The Message of Muhommad) يعنى عن حياه الرسول الأ-عظم صلى الله عليه وآله، وأيضاً كتابكم الفلسفى بعنوان «نظريه المعرفة».

زرتُ الجمهوريه الإسلاميه فى إيران العام الماضى ولكن الوقت ما وسعنى لزيارتكم، وكم أرجو العوده إلى مدينه قم (صانها الله) لا سيما إلى ضريح السيده المعصومه عليها السلام وإلى بيتكم بيت العلم والأخلاق والتقوى إن شاء الله.

والله أسأل أن يوفقنى لأن أتعلم على أيديكم الشريفه (حفظكم الله).

يتبقى لى أن أطلب منكم أن تذكرنى فى دعائكم الصالح إذ أنت الأب الحنون لى وإن أنتم قادتنا لطريق إمام زماننا قائم آل محمد الحجه ابن الحسن (عجل الله فى فرجه الشريف وسهل الله مخرجه).

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

تلميذكم: محمد شهيد

ولدنا الفاضل الشيخ محمد شهيد حفظه البارى تعالى

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وصلتني - وصلكم الله - رسالتكم الشريفه، ولمست من خلالها ولاءكم الخالص لأئمه أهل البيت عليهم السلام حشرنا الله وإياكم معهم يوم القيامة.

أوصيكم بمطالعه حياه قادتنا الأئمه الاثنى عشر عليهم السلام فإن فيها حياه القلوب وصفاء الروح، وعليكم بالاتصال بجامعه المصطفى العالميه، وطلب الكتب النافعه منهم، والكراريس الدراسيه.

أرجو من الله أن تكونوا فى دوام الصحه وأن تدعو لنا بحسن العاقبه، كما أنى أدعو لكم بالتوفيق لما فيه خير الدنيا والآخره، إن شاء الله تعالى.

جعفر السبحانى

قم المقدسه - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٤ ذى القعدة ١٤٢٩ هـ

ص: ٥٤٨

٢ رساله إلى أعضاء دارالزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الصادق عليه السلام:

«بادروا إلى أولادكم قبل أن يسبقكم المرجئه».

الحمد لله بجميع محامده كلها، على جميع نعمه كلها، والصلاه والسلام على خير خلقه محمد وآله المطهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

إخوتى مسؤولو وأعضاء دارالزهراء عليها السلام، أبنائى وبناتى المشاركين فى دوره الإسلاميه الصيفيه؛

سلام الله عليكم جميعاً وبركاته وواسع خيره وجزيل رعايته وفواضل توفيقاته.

لقد رسم لنا النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام منهجاً تربوياً حافلاً شاملاً، لا يترك ناحيه من نواحي النفس لا- يوليها عنايته، ولا- تتناولها إرشاداته، ولا تعممها نصائحه وتوجيهاته وتعليماته، وله فى كل جانب وعمل آداب ساميه وأخلاق رفيعه، وهذا من خصائص ديننا الحنيف التى لا نجد لها فى غيره من الشرائع أو النظم الوضعيه....

ولذا فإن التعرف على هذا المنهج والسعى إلى تطبيقه مرهون بدراسه ما جاء فى القرآن الكريم وسننه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأحاديث الأئمه المعصومين عليهم السلام... وهذا

ص: ٥٤٩

ما نوصى به أولاً، ثم إن التدبر في القرآن الكريم لا ينفك عن إقامة الدروس الخاصه بحفظه أو حفظ أجزاء منه، فإن في حفظ القرآن صيانه للإيمان وتقويه للعقيدته وسنداً لبناء الأخلاق الحميده.

كما أن التعرف على أخلاقيات أهل البيت عليهم السلام وسلوكياتهم وإفهامها للطلبة والطالبات من خلال شرحها لهم بمحاضره أو قصه أو شعر، أو كتابه أحاديثهم بخط جميل من قبل الطلاب ومنح الجوائز لمن يصمم أجمل زخرفه أو لوحه فنيه، كل ذلك يُعدّ من وسائل ترسيخ المفاهيم الإسلاميه في النفوس وتعبئه الأرواح، وإحياء أمر النبي وأهل بيته عليهم السلام وهو الوقود الحقيقي الذي يحتاجه البشر كافه لخوض عباب بحر الحياه المتلاطم، والوصول إلى الأهداف النبيله وسواحل الأمان.

إن التركيز على مفاهيم الصدق والإنصاف والاستقامه واحترام الكبير وصله الرحم والصبر على المكاره يعتبر من الضروريات التي لها أولويه التقدّم على غيرها.

كما أن الاهتمام بالرياضه والسلامه البدنيه لا يتخلف في الأهميه عن السلامه الروحيه المطلوبه، وهذا يتحقق من خلال وضع برنامج متكامل، لبعث النشاط في نفوس وأبدان الطلبة والطالبات، ومنه نستطيع تعويدهم على أداء الصلاه في أوقاتها والنهوض إلى صلاه الصبح في وقتها المفضل...

أيها الشباب اعلّموا أنكم أول من يخطط الأعداء لإصابته بسهام شرهم وعدائهم، إذ أن فتره الشباب حساسه جداً وخطره أيضاً، فإذا نجحتم خلالها في صيانه أنفسكم، فقد أغلقتم أمام الشيطان والأعداء ذلك الباب، الباب الذي يحلم أن يبقى مفتوحاً دوماً ليلج من خلاله إلى كيانتكم ويحقق أمنياته في إفساد المجتمع وجعله خاضعاً لمخططاته ويستعمره فكراً وروحياً.

قال الإمام الصادق عليه السلام: عليكم بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير.

فليكن ما تشرعون إليه هو الخير والصلاح، واحذروا من سريان الشبهات وما

يسبب الانحراف إلى أوساطكم.

ويجب الاهتمام بالمحاورات الفكرية فيما بينكم وبتوجيه من معلمكم ومناقشه الأفكار والعقائد الإسلامية على ضوء مؤلفات العلماء الأعلام وتفسير القرآن العزيز.

وبهذا الأسلوب سوف تكونون قادرين في المستقبل على الدفاع عن دينكم ومذهبكم، والنهوض بمسؤولية الدعوه إلى الحق والخير، ليحظى الآخرون بالنعمة التي أنعمها الله عليكم، وتكونوا مصداقاً لقول سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام: «فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك».

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نجدد دعاءنا لكم بالخير والساداد.

جعفر السبحاني

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ثامن رجب الأصب ١٤٣٠ هـ

ص: ٥٥١

للملكی الإصفهانی

الحمد لله رب العالمین، والصلاه والسلام علی من أنزل علیه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابیحُه، وسراجاً لا یخبو توقده، وبحراً لا یُدرك قعره، ومنهاجاً لا یضلّ نهجه، وشعاعاً لا یظلم ضوؤه، وفرقناً لا یخمد برهانه(١) وعلی آله الذین هم ینایع الحکمه، ومصابیح الدجی، وترجمان الوحی إلى یوم الدین.

أما بعد؛ فإنّ الله سبحانه قد بعث رسوله بالمعجزه الكبرى الخالده علی مرّ الدهور والأجیال، إیداناً بأنّ شریعته شریعه خالده لا تُنسخ، وأنّ بقاءها رهن ببقاء تلك المعجزه ساطعه النور فی کلّ القرون، ومرشده للأُمم جمعاء إلى نهج الحق.

ولأجل تلك الغایه القصوی قام علماء الإسلام منذ رحیل الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله

ص: ٥٥٢

١- . اقتباس من خطبه الإمام أمير المؤمنين علی علیه السلام حول عظمه القرآن الکریم، فی نهج البلاغه، الخطبه ١٢٨.

بتأسيس العلوم التي تساعد على فهم القرآن الكريم، وتكشف الغطاء عن مضامينه ومفاهيمه، ولم يكتفوا بذلك بل ألفوا تفاسير بأساليب وأنماط مختلفه حسب مقتضيات الزمان وحاجات العصر، فجاءت التفاسير تترى كلُّ يكمل الآخر.

وممن بذل جهده في عصرنا هذا، العالم الفاضل الحجة الشيخ محمود الملكي الإصفهاني - دامت إفاضاته - حيث شمر عن ساعد الجد وقام بتفسير كتاب الله العزيز في صورته بين الإيجاز والإطناب تنسجم وحاجات الجيل الحاضر، وفسر مفرداته وأوضح فقراته، وآخى بين الجمل والآيات بطريقه مناسبه. ولم يقتصر على ما وصل إليه ذهنه الوقاد، بل استعان بتفاسير الأعظم وأعلام العصر وغيرهم.

ونحن إذ نبارك له هذا الأثر القيم والسفر المنيف، نرجو من الله سبحانه أن يوفقه لإكمال مشروعه، إنّه قريب مجيب.

جعفر السبحاني

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٣ شوال المكرم ١٤٣١ هـ

ص: ٥٥٣

رئيس مركز البحوث والدراسات

في مبرّه الآل والأصحاب المحترم

قرأنا في جريده الرأي الكويتيه (العدد ١٠٤٢٨) حواراً مع الشيخ محمد سالم الخضر حول مشروع (مبرّه الآل والأصحاب) تحت عنوان «هدفنا تخليص الأُمّه من الصراع الطائفي».

وإليك بعض فقرات هذا الحوار:

١. قال الشيخ الخضر جواباً عن سؤال: كيف جاءت فكره مبره الآل والأصحاب؟ بزغت الفكره نتيجته للوضع الطائفي القائم في الأُمّه الإسلاميه والذي استغله أعداء الإسلام أسوأ استغلال، فأردنا أن نقوم بعمل شيء إيجابي حتى نخلص المجتمع من الصراع الطائفي الذي وصل إلى الكويت، وصارت فكره المبرّه مقبوله لدى المعتدلين من الطرفين حيث إنّها مسّت الجرح وتعاملت معه بحكمه، وأبرزت بعض الحقائق الغائبه عن المتسبين للطرفين.

٢. وقال: إنّ حب آل البيت فطري عند جميع المسلمين، وإنّ المبره على وشك الانتهاء من كتاب يستوعب شخصيه الإمام الحسين من ميلاده ونشأته، وقد

أسميناه «قره العين في سيره الإمام الحسين رضى الله عنه» إلى أن يقول: إننا نعيش في فتره حرجه في حياه الأئمه تفرض علينا أن نتعقل في رؤيتنا لمأساه الحسين رضى الله عنه، وان نقف موقفاً واحداً ضد النداءات الطائفية المستفزه والتي من شأنها أن تخلق جوّاً من التشاحن البغيض بين المسلمين.

٣. وقال: أذكر منها عبارته (يا لثارات الحسين) التي تستحق من خطباء المنابر و القاده السياسيين (سنّه وشيعه) موقفاً موحداً لما فيها من الاستفزاز الطائفي والتحريض على المسلمين:

فيزيد لم يكن سنياً كما أنّ الحسين لم يكن شيعياً، إذ لم يكن في ذلك الزمان (سنّه وشيعه) بالمعنى العقائدى أصلاً، وترديد عبارته (يا لثارات الحسين) في زماننا هذا، وقد مات قتله الحسين رضى الله عنه منذ أكثر من ١٣٦٠ سنه يعنى أننا نكرّس في أبنائنا، الطائفية، والرغبه في الانتقام من الآخر.

وعلينا أن نتساءل: من منّا يتحمّل دم الحسين رضى الله عنه ويستحق أن يُنتقم منه ؟

٤. ثم تطرق الشيخ الخضر إلى صيام عاشوراء وأنّه ليس فكره طائفيه ولا حتى من خصوصيات طائفه دون أخرى، فإنّ الذين ينتقدون هذه السنّه النبويه يتناسون أنّ المسأله اتفقيه بين أهل السنّه والجماعه وبين الشيعه الاثنى عشرية بغضّ النظر عن اجتهادات وآراء البعض.

هذه فقرات أربع التقطناها من الحوار الذى أجرى مع الشيخ محمد الخضر رئيس مركز البحوث والدراسات فى المبره المذكوره.

ولنا معها وقفات، نريد عطف نظر الرئيس المحترم إليها:

الأولى: لا شك أنّ توحيد الكلمه والابتعاد عن التفرق والتشردم أمر يستحسنه العقل، ويأمر به الشرع، فالله سبحانه مدح الوحده ودم الفرقه بقوله:

ص: ٥٥٥

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (١) فكأن الأمة المتفرقة كالمتردى فى البئر، حيث لا تكتب له النجاه إلابالتمسك بحبل الموصول إليه، وهكذا الأمة المتفرقة، لا تنجو من عواقب الفرقة إلابالتمسك بحبل الله سبحانه.

ونحن إذا أمعنا النظر فى هذه الآية: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) (٢)، نرى أنه سبحانه جعل تفرق الأمة إلى شيع، فى عذاب العذاب النازل من السماء! فأى بيان أفضل من هذا؟ كما نزه سبحانه نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله من أن يكون فى عذاب المفرقين للدين فقال: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (٣).

ويقول الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «الزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة. وإيّاكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب. ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتى هذه». (٤)

وعلى هذا، فالتقريب بين المسلمين و تخليص الأمة من الصراع الطائفى، هو أمنيه كل مسلم واع ينبض للإسلام ومصالح المسلمين قلبه. ولأجل تحقيق هذه الأمنيه قام فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر، رجال مخلصون من الشيعة والسنة بتأسيس دار باسم «دار التقريب بين المذاهب الإسلاميه»، وإصدار مجله باسم «رساله الإسلام» وقد نجحوا فى أهدافهم نجاحاً باهراً يقف عليه كل من قرأ شيئاً من منشوراتهم، وما قدموا للأمة من أفكار وآراء وأعمال صادقه تنم عن إخلاصهم وتفانيهم فى سبيل التقريب.

هذا ممّا لا نقاش فيه، ونحن نصافق أصحاب المبره فيما يدعون إليه من

ص: ٥٥٦

١- آل عمران: ١٠٣.

٢- الأنعام: ٦٥.

٣- الأنعام: ١٥٩.

٤- نهج البلاغه، الخطبه ١٢٧.

الثانيه: جاء في الفقيه الثانيه: إنَّ حب أهل البيت أمر فطري وعطف عليه حب الصحابه وإنه أيضاً فطري، ونحن لا نناقشه في جعل أهل البيت والصحابه في ميزان واحد، مع أنه لا يقاس بآل محمد أحد. قال علي عليه السلام في حقهم: «لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأُمه أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين. إليهم يفيء الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولايه، وفيهم الوصيه والوراثه».(١)

كيف يقاس بهم غيرهم مع أنه سبحانه فرض مودتهم على المسلمين عامه، من غير فرق بين الصحابه وغيرهم، وقال: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٢)!

كيف يقاس بهم غيرهم وقد أشركهم النبي صلى الله عليه وآله في المباهله دون غيرهم، فقال سبحانه: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٣)!

وقد اتفق أهل السير والحديث والتفسير على أنه لم يحضر في أرض المباهله غير النبي وسبطيه وبنته وصهره وأشركهم في المباهله، وأمرهم بالتأمين بعد دعائه، وترك أزواجه وأقرباءه وعامه الصحابه.

وكم وكم لآل البيت من فضائل، ومناقب متواتره أو متضافره أصفق على نقلها أئمه الحديث، وليس لغيرهم ما لهم، وهذا يبعثنا على أن نعطي لكل فئه حقه، ونقيم لهم وزناً خاصاً، ولا نبخس الناس أشياءهم.

نحن نمر على هذه التسويه مرور الكرام، ولكن نناقشه في أمرين آخرين:

ص: ٥٥٧

١- . نهج البلاغه، الخطبه ٢.

٢- . الشورى: ٢٣.

٣- . آل عمران: ٦١.

١. أنّ الكاتب يدّعى أنّ حب آل البيت أمر فطرى، فلازم ذلك أن يُرى أثر الحب على مائده المدّعين: فى كتبهم وخطبهم و آرائهم، والدفاع عن محبّتهم إلى غير ذلك من مظاهر الحب، ومن أظهر مظاهر الحب هو الطاعه حيث قالوا: «إنّ المحب لمن أحب مطيع» وقد شاع وذاع: الحب هو الاتّباع.

ومع ذلك لا- نجد فى حياه المدّعين أى أثر من آثار الحب سوى هذه الكلمه وما أشبهها، وقد ملأوا كتبهم بآثار غيرهم، واستشهدوا برواياتهم وآرائهم وفتاواهم، ولم يذكروا عن آل البيت عليهم السلام فى الفقه والتفسير والأدب والأخلاق والأصول والفروع إلّاشيئاً يسيراً جداً!!

هذا هو أبو هريره قد عاش مع النبى صلى الله عليه وآله وصحبه أقل من أربع سنين وقد رووا عنه أزيد من خمسه آلاف حديث، فى حين عاش على عليه السلام مع النبى صلى الله عليه وآله منذ بعثته إلى رحيله صلى الله عليه وآله ولكنهم لم يرووا عنه إلّاعشر ما رووا عن أبى هريره!! فهل هذا ينسجم والتسويه بين الآل والأصحاب فى الحب والاتّباع!؟

٢. أنّ لآل البيت عليهم السلام حبّ من يحبهم ويطيعهم، ويأخذ منهم حلالهم وحرامهم، وفى الوقت نفسه يأخذ عن غيرهم إذا صحّ الطريق، وهؤلاء هم المعروفون بالشيعة فى أقطار العالم، ومنهجهم ودينهم هو العمل بقول الرسول: «إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى وأنهما لا- يفترقان حتى يردا على الحوض»^(١) وفى هذا المجال نقول: إنّ الأبطال المجاهدين فى جنوب لبنان هم من الشيعة الإماميه، وقد وقفوا أمام أطماع الصهاينه فى الأراضى الإسلاميه حتى ردّوا السهام إلى نحورهم، فأعمالهم البطوليه وتضحياتهم أمر مشكور يقدره كل من له غيره على إسلامه ودينه، ولكن ممّا يثير الدهشه، أنّه فى الوقت الذى يقاتل فيه هؤلاء المجاهدون الأبطال فى لبنان، القوات الصهيونيه المعتديه، دفاعاً عن حياض الوطن وعن كرامه الأُمّه العربيه والإسلاميه، ويسطّرون أروع الملاحم

ص: ٥٥٨

١- . حديث متواتر رواه أصحاب الصحاح والمسانيد بأسانيد كثيره.

فى الثبات والتضحىة والفداء، كانت الأصوات المبجوحه ل «علماء» ودعاه وخطباء تلك الفئه المتطرّفه، تدعو الناس إلى عدم تقديم أى شكل من أشكال المساعده لهم، بل راحوا يفتون (مأجورين من حكّامهم) بتحريم رفع يدي الضراعه إلى الله عزّ وجلّ ، والدعاء لأبطال الجهاد والمقاومه بالنصر وتثبيت الأقدام!!

فلو أنّ امرءاً حرّاً (مسلماً كان أو غير مسلم) مات أسفاً من هذه المواقف المخزيه، ما كان به ملوماً، بل كان جديراً به عند ذوى الضمائر الحيّه.

فأيه قلوب محتومه تضمّ صدور هؤلاء، حيث لا يفقهون مصالح المسلمين، بل مصلحه أنفسهم! وأيه غشاوه على أعينهم، إذ لا يبصرون من يدافع بحقّ عن كيان الأُمّه ومقدّراتها ومقدّساتها!! وأيّ وقر فى آذانهم، يصمّمهم عن سماع صراخ اليتامى والثكالى، وأنين الجرحى والمعدّيين والمشرّدين من أبناء دينهم وأمتهم!! وأيه أنفس شحيحه ينطوون عليها، حين تدفعهم إلى البخل عليهم بالدعاء، بل يأمرّون الناس فيه بالبخل!!

كيف يتلون الكتاب المجيد، وتلهج ألسنتهم بآياته، وهم يخذلون، ويحضّون على خذلان من يصدّ عدوان أشدّ الناس عداوه للذين آمنوا، وينعتونهم بكل سوء (لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ) .(١) ومع ذلك يدعون حبّ آل البيت وتخليص الأُمّه من الصراع الطائفى.

الثالثه: تطرّق الشيخ محمد الخضر فى كلامه إلى الشعار الذى ترفعه الشيعة وخطباء المنابر - أعنى قولهم: «يا لثارات الحسين» - وسأل عن معنى هذا الشعار ومن الذى يُنتقم منه ؟

أقول: إنّ التساؤل عن معنى شعار «يا لثارات الحسين»، وعن الغايه المقصوده منه، وقد بات قتله الحسين فى مزبله التاريخ، والإيحاء بأنّ

ص: ٥٥٩

المناداه به دعوه للانتقام من أتباع سائر المذاهب الإسلاميه، ما هو إلّاتساؤل مريب، ومحاولة بائسه للطعن على حمله هذا الشعار، وتشويه سمعتهم، وتمزيق وحده المسلمين.

فالحسين عليه السلام يمثّل أحد طرفي الصراع المشتعل أواره بين الحق والباطل، والعدل والجور، والاستقامه والانحراف، والصالح والفساد، والحرية والاستبداد، ومن هنا بقيت قضيته حيّه خالده، ولم تمت باستشهاده ولن تموت، ولم تنته بموت قاتليه ولن تنتهي، فكلّ سعى، وكلّ تحرّك، وكلّ موقف ينتصر للحق والعدل والاستقامه والحرية والمبادئ الساميه، ويخذل الباطل والظلم والانحراف والاستبداد والانتهازيه، فهو انتقامٌ لأبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، وأخذٌ بثأره.

والتاريخ، لم يسجّل في صفحه واحده من صفحاته الكثيره، استغلال الشيعه لهذا الشعار استغلالاً سيئاً، باستباحه دم أيّ مسلم من أيّ مذهب كان، على الرغم ممّا تعرّضوا له من ظلم واضطهاد وقتل وسجن وتشريد على أيدي الحكام الجائرين وأشياعهم، وعلى الرغم من امتلاء تاريخهم القديم والحديث بالثورات والانتفاضات والمواقف الجريئه ضد الطغاه المفسدين.

وتزداد الصوره نصاعه أكثر، إذا انضمّ إلى ما تقدّم، وقوفهم إلى صفّ أتباع سائر المذاهب الإسلاميه في الدفاع عن الإسلام، والمصالح العليا للمسلمين، بل لهم فضل السبق على غيرهم في مواجهه الأعداء والغزاه المستعمرين، كما حصل مثلاً في حركه الجهاد ضد الاحتلال البريطاني الغاشم لمدينه البصره في عام (١٣٣٣ هـ)، ودفاعهم عن الخلافه العثمانيه على الرغم مما مارسه العثمانيون ضدهم من قمع وظلم وإقصاء وتهميش، وكما حصل أيضاً في ثوره العشرين العارمه (١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م) ضد القوات البريطانيه المحتله للعراق.

الرابعه: ختم الشيخ الخضر كلامه بقوله: نفخر أن لدينا مشروعاً عملياً للوحده الإسلاميه منطلقاً من صيام عاشوراء وقال: إنّه لا بد من إحياء تلك السنه

ص: ٥٦٠

النَّبِيُّ فَإِنَّ الْمَسْأَلَةَ اتِّفَاقِيَّةً بَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ وَبَيْنَ الشَّيْخَةِ الْإِثْنَى عَشْرِيَّةً. وَاسْتَدْنَا إِلَى قَوْلِ الْمَرْجِعِ الدِّينِيِّ السَّيِّدِ الْخُوَيْثِيِّ - رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ -.

أَقُولُ: إِذَا كَانَتْ الْغَايَةُ، تَخْلِيصَ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّرَاحِ الطَّائِفِيِّ وَتَجْسِيدِ الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ خِلَالِ صِيَامِ عَاشُورَاءَ، فَنَعَمَتِ الْغَايَةُ وَبُنِيَتْ الْوَسِيلَةُ، وَذَلِكَ لِلْأُمُورِ التَّالِيَةِ:

١. أَنَّ تَسْمِيَةَ صِيَامِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ يَعْرَبُ عَنِ الْخَلْطِ بَيْنَ السَّنَةِ، وَالنَّفْلِ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ بِلَا مَنَعٍ مِنَ التَّرْكِكَ إِنْ كَانَ مِمَّا وَاطَبَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ أَوْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ مِنْ بَعْدِهِ فَسَنَّهُ، وَإِلَّا فَمَنْدُوبٌ وَنَفْلٌ. (١)

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ: كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فَضِرَ رَمَضَانَ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ. (٢)

وَتَدُلُّ الرِّوَايَةُ بِوُضُوحٍ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالصَّحَابَةَ الْكِرَامَ تَرَكَوا صِيَامَهُ بَعْدَ فَضْرِ رَمَضَانَ. وَمَعَ هَذَا، كَيْفَ يَصِفُهُ الشَّيْخُ بِالسَّنَةِ، وَيُرِيدُ إِحْيَاءَهَا وَقَدْ تَرَكَهَا صَاحِبُ الشَّرِيْعَةِ وَخُلَفَاؤُهُ!؟

وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صِيَامَ عَاشُورَاءَ كَانَ سَنَّهُ جَاهِلِيَّةً وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَصُومُهُ قَبْلَ قُدُومِهِ لِلْمَدِينَةِ.

وَيُظْهِرُ مِنَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ بَعْدَ مَا اغْتَضَبَ الْخُلَافَةَ، صَارَ بِصَدَدِ إِحْيَاءِ تِلْكَ السَّنَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، حَيْثُ رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ عَامَ حِجِّهِ، عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ:

يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ سَمِعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: هَذَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَلَمْ يَكْتُبْ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَأَنَا صَائِمٌ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُفْطِرْ. (٣)

ص: ٥٦١

١- . الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢/٢٦٥، مادة سنّه.

٢- . صحيح البخاري، كتاب الصوم، رقم الحديث ٢٠٠٢.

٣- . صحيح البخاري، كتاب الصوم، رقم الحديث ٢٠٠١.

روى البخارى عن ابن عباس قال: قدم النبي المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح. هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه. (١)

والحديث يدل على أنّ صيام يوم عاشوراء من سنن اليهود على خلاف ما دلّ عليه الحديث السابق من أنّها سنه جاهليه عربيه، ويمكن الجمع بأنّ العرب فى الجاهليه اتخذتها عن اليهود فصارت سنه لهم.

وعلى أى تقدير سواء أكانت سنه جاهليه أم سنه يهوديه، فيوم عاشوراء الذى كانت اليهود يصومون فيه وصام فيه النبي صلى الله عليه وآله بحجّه أنّه أحق بموسى منهم، غير اليوم العاشر من محرّم الحرام الذى يُتصوّر أنّ صيامه سنّه من سنن النبي صلى الله عليه وآله.

وذلك لأنّ الحديث يحكى بوضوح أنّ النبي صلى الله عليه وآله أو ان قدومه للمدينه، وجد اليهود يصومون فيه، ومن المعلوم أنّ هجره النبي صلى الله عليه وآله كانت فى النصف الأوّل من ربيع الأوّل، فاليوم الذى صام فيه النبي صلى الله عليه وآله، وأمر بصومه كان فى النصف الأوّل من شهر ربيع الأوّل ولا صلّه له بعاشر محرّم الحرام، فمن يريد أن يعمل بالحديث فليصم اليوم العاشر الذى يصوم فيه اليهود، لا عاشر محرّم الحرام.

وقد تتبّه بعض الفلكيين من المسلمين لذلك الخطأ الرائج على ألسنه العوام، أعنى الفلكى الطائر الصيت أبو ریحان محمد البيرونى (٣٦٢-٤٤٠ هـ) حيث قال أنّ عاشوراء هو عبرانى معرّب يعنى: «عاشور» و هو العاشر من «تشرى» اليهود، الذى صومه صوم «الكبّور» وأنه اعتُبر فى شهور العرب، فجعل فى اليوم العاشر من أوّل شهورهم كما هو فى اليوم العاشر من أوّل شهور اليهود.

ثم نقل الروايه من أنّ النبي صلى الله عليه وآله لما قدم المدينه... وقال: وهذه الروايه غير صحيحه لأنّ الامتحان يشهد عليها وذلك لأنّ أوّل المحرم كان سنه الهجره يوم

الجمعه، السادس عشر من شهر تمّوز سنه ثلاث و ثلاثين وتستمائه للاسكندر، فإذا حسبنا أوّل سنه اليهود في تلك السنه كان يوم الأحد، الثاني عشر من أيلول ويوافقه اليوم التاسع والعشرون من صفر، ويكون صوم العاشور يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأوّل، وقد كانت هجره النبي صلى الله عليه و آله في النصف الأوّل من ربيع الأوّل، إلى أن قال:... فيكون على ما ذكرنا قدوم النبي المدينة قبل العاشور بيوم واحد وليس يتفق وقوعه في المحرّم إلّا قبل تلك السنه ببضع سنين أو بعدها بتيف وعشرين سنه، فكيف يجوز أن يقال: إنّ النبي صام عاشوراء لاتفاقه مع العاشور في تلك السنه؟! (١)

وبعبارة أكثر وضوحاً: إنّ السنه العبريه (اليهوديه) تبدأ في الخريف، بدلاً من منتصف فصل الشتاء (كما في التقويم الميلادي)، وهي (أي السنه العبريه) تعتمد على القمر، وتتكون من (١٢) شهراً، وهي:

تشرى، مرحشوان، كسلو، طبت، شباط، أدار، نيسان، أيار، سيوان، تموز، آب، أيلول.

وتتكون الأشهر من (٣٠) و (٢٩) يوماً بالتبادل. ويضاف في خلال (١٩) عاماً شهر قوامه (٢٩) يوماً سبع مرات بين شهرى (أدار ونيسان)، ويطلق على هذا الشهر اسم (فيادار)، وفي الوقت ذاته يصبح أدار (٣٠) يوماً. (٢)

وعلى ضوء ذلك نقول: إذا صحّ أنّه نُدب إلى صيام يوم عاشوراء، وأنّ ثَمّه من يريد صوم ذلك اليوم، فليصم في يوم (العاشور) من شهر (تشرى) الذي يقع دائماً في فصل الخريف (حسب التقويم العبرى)، لا- أن يصوم في يوم (عاشوراء) من شهر (محرّم الحرام)، الذي يتحرك عبر الفصول، وفقاً للتقويم الهجرى.

ومما يثير العجب ما نقله ابن حجر عن بعض من حاول تصحيح الحديث

ص: ٥٤٣

١- الآثار الباقيه عن القرون الخاليه، ص ٤٢١، تحقيق اذكيائى.

٢- انظر: الموسوعه العرييه العالميه: ٨٢/٧-٨٣، مؤسسه أعمال الموسوعه، الرياض، المملكه العرييه السعوديه، الطبعة الثانيه.

وقال: يحتمل أن يكون أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحسب السنين الشمسيه فصادف يوم عاشوراء بحسبهم اليوم الذى قدم فيه المدينة.(١)

ولا أظن أنه يخفى على القارئ وجود التناقض فى كلام القائل، إذ كيف يمكن أن يصادف قدوم النبي صلى الله عليه و آله يوم عاشوراء بحسبهم؟ ولذلك قال ابن حجر: إن سياق الأحاديث تدفع هذا التأويل.

وفى الختام نلفت نظر الأساتذه الذين يصرون على الاحتفال بيوم عاشوراء أن أول من احتفل بهذا اليوم الحجاج بن يوسف الثقفى فى أيام عبد الملك بن مروان، يقول المقرئى: إن ملوك بنى أيوب الذين أزالوا الفاطميين عن منصبه الخلافة كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون فى المطاعم ويصنعون الحلوات ويتخذون الأواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون انلحمام جرياً على عادته أهل الشام التى سنّها لهم الحجاج فى أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعه على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن على لأنه قتل فيه.(٢)

وقد لعب الوضعون الكذّابون دوراً عظيماً فى الدعوه إلى إظهار الفرح والسرور فى عاشر محرم، واتخاذة عيداً وإظهار الزينه كالخضاب والاكتحال إلى حد، قام غير واحد من المحققين بتكذيب هذه المراسم.

قال ابن حجر: إن ما أصيب به الحسين - رضى الله تعالى عنه - فى يوم عاشوراء إنما هو الشهاده الداله على حظوته ورفعته ودرجته عند الله، وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهر - إلى أن قال - واما بدع الناصبه المتعصبين على أهل البيت من اظهار غايه الفرح والسرور، واتخاذة عيداً وإظهار الزينه فيه، كالخضاب

ص: ٥٦٤

١- .فتح البارى: ٢٠٠/٤.

٢- .الخطط المقرئيه: ١/٤٩٠ (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار).

والاكتحال وليس جديد الثياب، وتوسيع النفقات، وطبخ الأَطعمه والحبوب الخارجه عن العادات واعتقادهم أنّ ذلك من السنه والمعتاد، والسنه ترك ذلك كله فأنه لم يرد في ذلك شيء يعتمد عليه ولا أثر صحيح يرجع إليه، وقد سئل بعض أئمه الحديث عن هذه الأمور - فقال لم يرد فيه حديث عنه صلى الله عليه وآله ولا أحد من أصحابه، ولا استحبه أحد من أئمه المسلمين لا من الأربعة ولا من غيرهم، ولم يرد في الكتب المعتمده في ذلك صحيح أو ضعيف....(١)

فدع عنك نهياً صحيحاً في حَجْرته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

ثم إنّ بعض من يريد احياء هذه السنه المتروكه بنص الحديث المتقدم يحاول أن يدعمه بفتوى فقهاء الشيعه والمسكين جاهل بفقهم وأن استحباب صومه ليس أمراً متفقاً عليه وإليك دراسه كلامه في هذا الموضوع:

٢. أنّ القول بأنّ صيام يوم عاشوراء أمر اتفق على جوازه، السنّه والشيعه، أمر لا يوافق الواقع، فإنّ لفقهاء الإماميه فيه آراء سبعة إليك إجمالها:

أ. حرمه صومه إذا كان بنيه التبرّك بمصرع الحسين وآل بيت النبي عليهم السلام، سواء أثبت صيام عاشوراء عن النبي أم لم يثبت.

ب. استحباب الإمساك في هذا اليوم عن الأكل والشرب وبقية المفطرات إلى ما بعد صلاه العصر تأسياً بعطش الحسين وأهل بيته وأصحابه.

ج. استحباب صومه كماً لكن على وجه الحزن فقط، ومعنى ذلك استحبابه بهذا القيد.

د. كراهه صومه من دون نيّه الحزن، ولعله المشهور.

ه. استحباب صومه من حيث هو.

و. حرمه صومه مطلقاً بأي نيّه كانت، حزناً أم تبركاً.

ص: ٥٦٥

١- الصواعق المحرقة: ١٨٣، بتلخيص وكلامه ذيل يليق بالمطالع.

ز. الاحتياط - وجوباً - باجتنباب صومه مطلقاً بأى تيه كانت. (١)

ومع ذلك فكيف يصف الشيخ صيام عاشوراء بقوله: أمراً أصفق عليه الفريقان!؟

نعم، قال السيد الخوئي بكونه مندوباً - لكن مندوباً - بالذات، و حراماً بالعرض، وقد اختزل المتحدث كلامه فاكتمى بصدوره وترك ذيله، وإليك ما قاله فى ذيل كلامه:

نعم لا إشكال فى حرمه صوم هذا اليوم بعنوان التيمّن والتبرّك والفرح والسرور كما يفعله أجلاف آل زياد والطغاه من بنى أمية من غير حاجة إلى ورود نص أبداً، بل هو من أعظم المحرّمات، فإنّه ينبى عن خبث فاعله وخلل فى مذهبه ودينه، وهو الذى أشير إليه فى بعض النصوص المتقدمه من أنّ أجره مع ابن مرجانه الذى ليس هو إلّا النار، ويكون من الأشيع والأتباع الذين هم مورد اللعن فى زياده عاشوراء. وهذا واضح لا ستره عليه، بل هو خارج عن محلّ الكلام كما لا يخفى. (٢)

٣. سلّمنا، كون صيامه سنّه يلىق أن تُحيا فلماذا تُحيا بالابتهاج والسرور، أيجوز فى منطق العقل، والعاطفه، والابتهاج بيوم سُفك فيه دم إمامهم سبط رسول الله وريحانته، ودماء الأبرار الأتقياء من أهل بيته وأصحابه!؟

أو ليس هذا دليلاً على أنّ وراء الكواليس شيئاً، وأنّ التيات ليست بصادقه ولا خالصه، وأنّ المبره مصيده للشيعه أو صد عن انتشار التشيع الذى بدأ ينتشر منذ أعوام لقوه منطقه، ووضوح مسالكه.

إنّه يجدر بمن تهّمه وحده خطا المسلمين، ويدعو إلى جمع كلمتهم وإصلاح

ص: ٥٦٦

١- . لاحظ: رياض المسائل: ٤٦٧/٥؛ جواهر الكلام: ١٠٥/١٧، الصوم فى الشريعة الإسلاميه الغراء للكاتب: ٣٠٦/٢-٣١٠؛ الرسول

المصطفى صلى الله عليه وآله والشعائر الحسينيه: ٤٧٥-٤٧٨ وقد أفاض القول فى حكم الصيام مما لا مزيد عليه.

٢- . مستند العروه، كتاب الصوم: ٣٠٥/٢.

واقعهم المساوى، يجدر به أن يعمل على تجنّب إثارة مسائل الخلاف، والتأكيد على المشتركات - وما أكثرها - لتعزيز روح الثقة، التى هى مفتاح التآخى والتعاون والتآلف بينهم، وأن تكون نيّاته صادقه فى هذا الاتجاه، لا أن يرفع يافطه الوحده، ليختفى وراءها، ويخفى معه - كما يظن - أغراضه السقيمه، فيصبح مصداقاً للمثل السائر: سَخَّ ليسرق.

فدعوا هذا الحرص المصطنع على الوحده والتقارب بين المذاهب الإسلاميه، فإنّ إصراركم على استفزاز الآخرين فى عقائدهم ومشاعرهم، يكشف عن نيّاتكم الحقيقيه، ويفضح دموع التماسيح التى تذرّفونها أسىً كاذباً على مصالح المسلمين، الذين لم يعد ينظلي عليهم هذا التمويه والخداع.

٤. نفترض أنّ صيام يوم عاشوراء سنّه نبويه، ولكن من أصول بعض أهل السنّه وعلى رأسهم ابن تيميه، ترجيح ترك السنّه إذا كان شعاراً للمخالف، وله نظائر:

١. تسطيح القبر

قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقى: السنّه فى القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعى (١).

وقال الرافعى: إنّ النبي صلى الله عليه وآله سَطَّحَ قبره ابنه، وعن القاسم بن محمد قال رأيت قبر النبي و أبى بكر وعمر مسطّح. وقال ابن أبى هريره: إنّ الأفضل الآن العدول من التسطيح إلى التسنيم، لأنّ التسطيح صار شعاراً للروافض، فالأولى مخالفتهم وصيانه الميت وأهله عن الاتهام بالبدعه (٢).

ص: ٥٦٧

١- اختلاف الأئمه: ٨٨/١، فى هامش الميزان للشعرانى

٢- فتح العزيز فى شرح الوجيز: ٤٥٣/٢.

٢. الجهر بالبسملة

روى البيهقي عن أبي هريره قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر بالصلاه ب «بسم الله الرحمن الرحيم»، وأما أن على بن أبي طالب عليه السلام يجهر بالتسميه، فقد ثبت بالتواتر.

وكان على بن أبي طالب يقول: يا من ذكره شرف للذاكرين، ومثل هذا كيف يليق بالعاقل أن يسعى في إخفائه. (١)

ولكن حكى الرافعي عن ابن أبي هريره أن الجهر بالتسميه إن صار في موضع شعار للروافض، فالمستحب هو الإصرار بها مخالفه لهم. (٢)

٣. ترك المستحبات إذا صارت شعاراً للشيعة

قال ابن تيميه عند بيان التشبه بالروافض: ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم، فإنه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهه لهم ولا يتميز السنن من الرافضى، ومصلحه التمييز عنهم لأجل هجرانهم، ومخالفتهم، أعظم من مصلحه هذا المستحب. (٣)

حكى البرسوى عن كتاب «عقد الدرر والالآكى وفضل الشهور والليالى» للشيخ شهاب الدين الشهير بالرسام ما يلى يقول: ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبه بيزيد الملعون فى بعض الأفعال، وبالشيعة والروافض والخوارج أيضاً، يعنى لا يجعل ذلك اليوم عيد أو يوم ماتم، فمن اكتحل يوم عاشوراء فقد تشبه بيزيد الملعون وقومه وإن كان للاكتحال فى ذلك اليوم أصل صحيح، فإن ترك السنه، سنه إذا كانت شعاراً لأهل البدع كالتختم باليمين فإنه فى الأصل سنه، لكن لما كان شعار أهل البدع والظلمه، صارت السنه أن يجعل الخاتم فى خنصر

ص: ٥٦٨

١- . مفاتيح الغيب: ٢٠٥/١ و ٢٠٤.

٢- . فتح العزيز فى شرح الوجيز: ٤٥٣/٢.

٣- . منهاج السنه: ١٤٣/٢.

إلى غير ذلك من الموارد التي تركوا فيها السنّة لأجل كونها شعاراً للمخالف.

فإذا كان هذا هو الأصل المتبع عند السلف فيليق بالخلف أن يتبع في كلّ سنّه صارت شعاراً للمخالف، ومن المعلوم - إلى حدّ عِلْمِهِ الأَكْمَهُ والأَصْمُ - أنّ صيام عاشوراء صار شعاراً للأُمويين بعد مقتل الحسين عليه السلام وشهادته، ويقول باقر العلوم عليه السلام: «اللهم إنّ هذا يوم تبرّكت به بنو أميه وابن آكله الأكباد بقتلهم الحسين عليه السلام...» (٢)

فعلى من ينبض قلبه بوحده الكلمه وتوحيد الأمّه أن لا يصوم يوم عاشوراء لئلا يتشبهه بالأمويين وأذئابهم ومن سار على نهجهم.

هذه رسالتى المفتوحه لرئيس مركز البحوث والدراسات فى مبرّه الآل والأصحاب عسى أن ينظر إليها بعين الإنصاف والتجرد عن الرأى المسبق الذى نشأ عليه فى بيئته.

زاد فى الطنبور نغمه

هذا هو حال صوم عاشوراء وقد اتضح أنّ النبى صلى الله عليه وآله لو صام، فإنّما صام فى شهر ربيع الأوّل الذى اتفق فيه عاشوراء اليهود ولا صلّه له بعاشر محرم الحرام.

بلغنا أنّ فؤاد الرفاعى صاحب مركز (وذكر) أعلن يوم عاشوراء يوم فرح وسرور، وقد نشر دعايه لذلك فى صحيفه (الوطن) الكويتيه يوم ٢٩ ذى الحجه من هذه السنه ١٤٣١ هـ.

والمسكين مع أنّه من مقلّده ابن تيميه، فقد تجاوز حدّه، فإنّ إمامه يعدّ الفرح فى يوم عاشوراء من بدع الناصبى الحجاج بن يوسف الثقفى، وقال فى منهاج السنه وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله أنّه قال: «سيكون فى ثقيف كذاب

ص: ٥٦٩

١- . روح البيان: ١٤٢/٤.

٢- . مصباح المتهدد: ٧٧٥؛ بحار الأنوار: ٩٨/٢٩٥.

وهذا الناصبي هو المبير، فأحدث السرور حتى رويوا أنّ من وسّع على أهله يوم عاشوراء، وسّع الله عليه سائر سنته.

ثم نقل (ابن تيميه) عن حرب الكرماني أنه سأل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، فقال: لا أصل له، وليس له إسناد يثبت.

ثم ذكر أنّ كلّ ما روي من الاكتحال يوم عاشوراء والاعتسال والتوسعه على العيال وإحداث أطعمه غير معتاده كلها بدع، لم يستحب أحد من أئمة المسلمين الأربعة، ولا غيرهم، شيئاً من هذه الأمور. (١)

فإذا كان داعيتكم، هذا الذي اتخذتموه إماماً في الأصول والفروع، ووصفتموه بشيخ الإسلام، وتلقّيتم أنظاره وعقائده كالوحي المنزل، يعدّ ذلك من البدع، أفصح بعد هذا لفؤاد الرفاعي أن يجعل ذلك اليوم، يوم فرح وسرور؟ (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (٢).

ومع ذلك، ففي الأئمة من أهل السنه من ألقى جلباب التعصّب وأصدر بياناً توضيحياً، نأتى به بنصّه:

قال السيد يوسف هاشم الرفاعي:

قد اطلعت على ما أصدره ووزعه مركز «وذكر» من منشورات بمناسبة يوم عاشوراء العاشر من شهر محرم الحرام والتي يدعو الناس فيها بجانب الصوم المسنون إلى «إبداء الفرح والسرور» في ذلك اليوم الذي قتل فيه شهيداً مظلوماً سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين رضي الله عنه واكرم منزله ومثواه ومن استشهد معه من أهل بيته وأنصاره الكرام في معركة الطف بكربلاء حوالي سنة ٦٠ من الهجرة، وبهذا الخصوص أجد واجباً على أن أوضح وأبين ما يلي:

ص: ٥٧٠

١- . منهاج السنه: ٥٥٤/٤-٥٥٥ (بتلخيص).

٢- . يونس: ٣٥.

أولاً: أنّ نص حديث الصيام الوارد في البخارى وغيره لم يتضمن ولا يفهم منه ولا يستنبط أنّ النبي صلى الله عليه وآله يدعو أصحابه ومن بعدهم المسلمين إلى ابداء واطهار «السرور والفرح والأنس» بهذا اليوم ولم يؤثر ذلك عن الصحابه الكرام ومن قال ذلك فقد حمّل نص الحديث ما لا يحتمل ونسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله ما لم يقل وفي هذا العمل من الإثم العظيم ما فيه.

ثانياً: أنّ السواد الأعظم من المسلمين (أهل السنه والجماعه) وخاصه أتباع المذاهب الأربعة (الشافعيه والحنابله والمالكيه والأحناف) أجمعوا على أنّ الإمام الحسين مات شهيداً مظلوماً ومن معه، ويحملون ابن زياد وابن سعد وجنودهما «المظلّمه الكبيره والإثم العظيم» على تلك الجريمه النكراء التي أغضبت الله تعالى ورسوله وصالح المسلمين، وكانت نقطه سوداء فى تاريخ المسلمين، واعتبروا يزيد بن معاويه ظالماً طاغياً هو وجنوده وجلالوزته وقد قام المسلمون جميعاً بعد ذلك بالاقتصاص منهم فرداً فرداً وقتلهم، وقد كانت تلك المأساه المفجعه التي حصلت فى كربلاء (السبب الرئيسى فى سخط الله وفى سرعه زوال الدوله الأمويه التي لم تعمر إلّا قليلاً بعد ذلك «سبعين(1) سنه تقريباً») وقد حفلت كتب أهل السنه والجماعه بما يثبت ويجلى موقفهم المستنكر لهذه المأساه والغاضب عليها، وفى كتاب الإمام «الشبلنجى، الشافعى المصرى رحمه الله تعالى عن أهل البيت» ما يشفى الغليل ويوضح الدليل على ذلك ومعروف كذلك رأى الإمام أحمد بن حنبل فى تكفير واستنكار عمل من أقرؤا وقاموا وشاركوا بتلك الجريمه النكراء والمأساه الأليمه التي لا تزال ندفع ثمنها حتى اليوم.

ثالثاً: إنّى وجمهور الأسره الرفاعيه فى الكويت وخارجها، نبرأ ونشجب ولا نقبل بإبداء السرور والفرح فى هذا اليوم (عاشوراء) ذكرى استشهاد «جدنا الإمام

ص: ٥٧١

الحسين» بل يعتصر قلبنا ألماً وحزناً لذكرها وما نال أهل البيت الكرام فيها وترحم عليهم ونحتسبهم عند الله تعالى مع الشهداء الأخيار، غير أننا لا نلطم خدّاً ولا نشق جيباً امتثالاً لما أمرنا به ربنا الله تعالى ورسوله جدنا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونقول: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولنتذكر قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (١).

وقوله صلى الله عليه وآله: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله، واحبوا آل بيتي بحبي»، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ونرفق ذلك ببيان آخر، كتبه على يوسف المتروك، وها هو نص البيان، الذي جاء تحت عنوان:

عاشوراء بين الحزن والفرح

لأولئك الذين يدعون للفرح والمسرّه يوم عاشوراء لنجاه موسى وقومه من الغرق، ويتخذون من هذه المناسبه فرصه لاستفزاز المسلمين من محبى آل البيت عليهم السلام، وإذا كان النبى صلوات الله عليه وآله قد احتفل بنجاه موسى عليه السلام، فهناك مناسبات لا تقل أهميه عن هذه المناسبه لم نسمع أنه احتفل بها، كنجاه إبراهيم من نار النمرود، ونجاه يونس من بطن الحوت، ونوح من الغرق، وغير ذلك من حوادث جرت على الأنبياء السابقين.

أقول: ليس هناك مجال للمقارنه بين مناسبه حصلت قبل آلاف السنين لأمه خلت مشكوك في صحه توقيتها، لعدم وجود أشهر عربيه زمن موسى عليه السلام خاصه باليهود، أو لدى الفراعنه في زمانه، وبين مأساه حدثت بعد خمسين سنه من وفاه المصطفى صلوات الله عليه وآله، فسجلت صفحه سوداء بل حمراء قانيه في

ص: ٥٧٢

تاريخ الإسلام، وهي استشهاد حفيده وريحانته بل روحه التي بين جنبيه.

فقد روت أم سلمه في حديث صحيح رواه الترمذى عن أبي سعيد الأشج...

عن سلمى قالت: دخلت على أم سلمه وهي تبكى فقلت: ما يبكيك؟ فقالت:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال:

شهدتُ قتل الحسين آنفاً) وروى الإمام أحمد مع حذف الاسناد عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام نصف النهار أشعث أغبر معه قاروره فيها دم فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم. قال عمار بن أبي عمار وهو أحد رواة الحديث: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم (تفرد به الإمام أحمد وإسناده قوى).

يروى الإمام البخارى (في باب معانقه الصبي، ص ٣٦٤ والترمذى: ١٩٥/١٣ في باب مناقب الحسن والحسين وابن ماجه في المقدمة، باب ١١، ج ١٤٤ و مسند أحمد، ج ١٧٢/٤ و الحاكم في المستدرک ج ١٧٧/٣ وغيرها من المصادر انّ النبي صلى الله عليه وآله قال: حسين منى وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسياب) وليس من المبالغه ان قلنا انّ ما جرى على الحسين من أذى واعتداء كأنه جرى على رسول الله صلى الله عليه وآله لقوله: «حسين منى وأنا من حسين»، ولا بدّ أن نتوقف مع بقيه كلامه صلوات الله عليه عندما قال: «حسين سبط من الأسياب» وحتّى نتعرف على معنى هذا القول والمنزله التي منحها البارى جل شأنه للأسياب نقرأ قوله تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) . (١)

وهذا ما أكده الحسين يوم عاشوراء وقد عزم القوم على قتله قال عليه السلام: أيها الناس اعلّموا أنّه ليس بين مشرق الأرض ومغربها سبط غيرى، فكان يشير إلى

ص: ٥٧٣

حديث رسول الله صلى الله عليه وآله انّ الحسين سبط من الأسياب، لم يقتصر الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى كلّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتأسى بما جرى على أهل بيته الكرام، وذريته التي أمر الله بمودتها وموالاتها بقوله: (قُلْ لَا أَشِيئُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) بل تعدى ذلك الحزن فشمل الطيبه، فأمرت السماء دماً في ذلك اليوم وأصبح الناس وكل شيء لهم ملء دماً، وبقي أثره في الثياب مده حتى تقطعت، وأن هذه الحمره التي ترى في السماء ظهرت بعد قتله عليه السلام ولم تر قبله.

وقال ابن سيرين في (تفسير روح البيان): والحمره التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وحكمته على ما قال ابن الجوزي: ان غضبنا يؤثر حمره الوجه، والحق منزّه عن الجسميه، فأظهر تأثير غضبه على من قتله الحسين بحمره الأفق، إظهاراً لعظيم الجنايه، ولم يرفع حجر في الدنيا يوم قتله إلّا وجد تحته دم عبيط، وقد ورد هذا المعنى بألفاظ مختلفه في المصادر التاليه: مقتل الحسين: ٨٩/٢؛ ذخائر العقبى: ١٥٠، ١٤٥، ١٤٤؛ تاريخ دمشق كما في مناقبه: ٣٣٩/٤؛ والصواعق المحرقة: ١١٦، ١٩٢؛ الخصائص الكبرى: ١٢٦؛ تاريخ الإسلام: ٣٤٩/٢؛ تذكره الخواص: ٢٨٤، ومصادر أخرى لم أذكرها اختصاراً للمقال.

يقول الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونه الدمشقي في كتابه (الحسين حفيداً وشهيداً): إن مبغضى أهل البيت من أهل الشام كانوا يطبخون الحبوب ويغتسلون، ويتطيبون، ويلبسون أفخر ثيابهم، ويتخذون ذلك اليوم عيداً يظهر فيه الفرح والسرو، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيميه عما يفعله الناس يوم عاشوراء من الكحل، والاعتسال، والحناء فقال: ما ملخصه كما ورد في مجموع الفتاوى:

٢٩٩/٢٥ فأجاب (الحمد لله رب العالمين: لم يرد شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله، ولا عن أصحابه، ولا- استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا روى أهل الكتب المعتمده في ذلك شيئاً لا عن النبي صلى الله عليه وآله ولا أصحابه ولا التابعين، لا صحيحاً ولا ضعيفاً، لا في كتب الصحيح، ولا في السنن، ولا المسانيد، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون

الفاضله، ورووا في حديث مكذوب عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه من وسع على أهل يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنه (انتهى كلام ابن تيميه).

يا جماعه، أيها المسلمون، إذا كان هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في سبطه وريحانته الحسين، وما روته أم المؤمنين أم سلمه رضي الله عنها وابن عباس، وما رواه البخاري وغيره من كبار أصحاب المسانيد، وكتب الحديث، وما أفتى به شيخ الإسلام ابن تيميه من حرمة الفرحة يوم عاشوراء، فماذا ترك من ينادى بالفرحة في هذا اليوم المليء بالحزن والأسى لأعداء الإسلام؟ أما الصوم في هذا اليوم فإن كان هذا الصوم قربه إلى الله ولم يكن على سبيل الشماتة، فلا شك أن من قام به يثاب على عمله، فلكل امرئ ما نوى، والله أعلم بما تحمل السرائر.

في يوم عاشوراء سلام عليك يا أبا الشهداء، أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك مني ومن أمه جدك المصطفى صلى الله عليه وآله في يوم استشهادك العظيم، سلام المحتسين الصابرين والمؤمنين بقضاء الله وقدره، سلام عليكم أهل بيت النبوه ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ورحمه الله وبركاته. وحشرنا الله تحت رايتكم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

هكذا يجب أن يكون العلماء الغياري على الإسلام الذين يحرصون على وحده الكلمه والتضامن بين الطوائف الإسلاميه. ويجتنبون عن النعرات الجاهليه المبغضه، المفككه لعرى الأخوه الإسلاميه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ص: ٥٧٥

فهرس المحتويات

مقدمه المؤلف... ٧

الفصل الأول:

فى الكلام والعقائد

١. التجسيم والتشبيه فى منهج ابن تيميه... ١١

١. طلبهم من موسى عليه السلام الاله المجسم... ١١

٢. طلبهم رؤيه الله تعالى... ١٢

٣. عبادتهم العجل فى غياب موسى عليه السلام عنهم... ١٢

تطرق فكره التجسيم إلى النصرانيه... ١٣

دور الأخبار و الرهبان فى نشر فكره التجسيم... ١٤

عقيده أهل السنه فى التنزيه... ١٥

إجابته عن سؤال... ٢٠

كلام ابن تيميه فى العقيدة الواسطيه... ٢١

موقف أهل البيت عليهم السلام من فكره التجسيم... ٢٤

مع ابن تيميه فى عقائده... ٢٩

ص: ٥٧٧

٢. حركة الباري ونزوله عند ابن تيميه... ٢٩

الأول: تعريف الحركة... ٣١

الثاني: وجود الإمكان في المتحرك... ٣١

الثالث: ما هي الغايه من الحركة؟... ٣١

٣. الجبهه والمكان لله سبحانه عند ابن تيميه... ٣٨

أخبار الآحاد هي المصدر عنده للعقائد... ٤٨

ابن تيميه وجلوسه سبحانه على العرش... ٥٠

٤. نظره إلى تكلمه سبحانه في منهج ابن تيميه... ٥٣

نظريه المعتزله... ٥٣

نظريه الأشاعره... ٥٤

نظريه الإماميه... ٥٥

نظريه ابن تيميه... ٥٧

الاستدلال بروايه جابر بن عبد الله... ٦١

تحليل الحديث... ٦٢

استدلال بحديث آخر... ٦٤

ذاته سبحانه ليست محلًا للحوادث... ٦٥

٥. عقائد شاذة ناييه لابن تيميه... ٦٧

٦. العصمه حقيقتها وآثارها... ٧٠

لماذا نبحت عن العصمه؟... ٧٠

العصمه في اللغه... ٧١

العصمه فى مصطلح المتكلمين... ٧١

العصمه من مقوله العلم الرادع... ٧٢

ص: ٥٧٨

العصمه لا تسلب الاختيار عن صاحبها... ٧٤

موقف الشيعة من العصمه... ٧٥

العصمه وآيه التطهير... ٧٦

٧. الأحكام الشرعيه، أظاف فى الأحكام العقليه... ٧٩

١. صيروره الإنسان مستعداً لامتثال الأحكام العقليه... ٧٩

٢. باعته على معرفه المعبود... ٨١

٣. تأكيد العقليات... ٨٢

٤. محصله للقرب... ٨٣

٥. الكشف عن المصالح والمفاسد... ٨٤

٨. فى الرؤيه ومعنى الإله... ٨٦

٩. البداء فى الكتاب والسنة... ٨٩

١. البداء ثبوتاً... ٩١

٢. البداء إثباتاً... ٩٣

١. إخبار يونس عن نزول العذاب... ٩٤

٢. إخبار موسى بثلاثين ليله فى الميقات... ٩٥

إطلاق البداء على الله سبحانه... ٩٧

١٠. التبرك فى الكتاب والسنة... ١٠٠

التبرك لغه... ١٠١

التبرك اصطلاحاً... ١٠٢

النصوص الداله على جواز التبرك... ١٠٣

١. التبرّك في الأمم السالفة... ١٠٣

٢. التبرّك في القرآن الكريم... ١٠٤

ص: ٥٧٩

تبرّك الصحابه بآثار النبي صلى الله عليه وآله... ١٠٧

١. التبرّك بماء وضوئه صلى الله عليه وآله... ١٠٧

٢. التبرّك بقدحه... ١٠٨

٣. التبرّك بسؤره... ١٠٨

٤. التبرّك بمنبره... ١٠٨

٥. التبرّك بالدنياير التي لمسها النبي صلى الله عليه وآله... ١١٠

٦. التبرّك بالعصا التي أعطها النبي صلى الله عليه وآله... ١١٠

٧. التبرّك بقميص النبي صلى الله عليه وآله... ١١١

٨. التبرّك بالبرده المهداه... ١١١

التبرّك بجبته صلى الله عليه وآله... ١١٢

٩. التبرّك بالقبر الشريف... ١١٢

١٠. التبرّك بالمواضع التي صلّى فيها الرسول صلى الله عليه وآله... ١١٣

١١. التبرّك بخاتم النبي صلى الله عليه وآله... ١١٣

١٢. التبرّك بالمسح واللمس... ١١٤

التبرّك في روايات أهل البيت عليهم السلام... ١١٥

١. التبرّك باسم الله جل وعلا... ١١٥

٢. التبرّك بالقرآن الكريم... ١١٥

٣. التبرّك بماء وضوء النبي صلى الله عليه وآله... ١١٦

٤. التبرّك بقبر النبي صلى الله عليه وآله... ١١٦

شبهه القائلين بحرمة التبرّك... ١١٧

١١. التوسّل في الكتاب والسنة... ١٢٣

أنواع الوسائل... ١٢٤

ص: ٥٨٠

الأول: التوسّل بأسماء الله وصفاته... ١٢٤

الثاني: التوسّل بالقرآن الكريم... ١٢٥

الثالث: التوسّل بالأعمال الصالحة... ١٢٦

الرابع: التوسّل بدعاء الأخ المؤمن... ١٢٨

الخامس: التوسّل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله في حياته... ١٢٩

السادس: التوسّل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله... ١٣٠

تكلم النبي صلى الله عليه وآله مع الهالكين من قريش... ١٣٤

سيره المسلمين بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله... ١٣٥

شبهات المخالفين... ١٤٠

الأولى: البرزخ مانع من الاتصال... ١٤٠

الشبهه الثانيه: امتناع إسماع الموتى... ١٤١

الشبهه الثالثه: انقطاع عمل الإنسان... ١٤٢

الشبهه الرابعه: التوسّل بدعاء الأنبياء شرك... ١٤٣

الشبهه الخامسه: أنّ دعاء النبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله بدعه... ١٤٤

السابع: التوسّل بذات النبيّ حال حياته... ١٤٧

توسّل الضرير بشخص النبي صلى الله عليه وآله... ١٤٧

الثامن: التوسّل بذات النبيّ صلى الله عليه وآله بعد رحيله... ١٥٠

التاسع: التوسّل بحق الصالحين وحرمتهم ومنزلتهم... ١٥٣

العاشر: التوسّل بحقّ السائلين... ١٥٥

توسّل الأنبياء: بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله... ١٥٦

خاتمه المطاف: سيره الموحدين في توسلهم بالطيبين والطاهرين... ١٥٨

١. استسقاء عبدالمطلب بالنبي صلى الله عليه وآله وهو صغير... ١٥٨

ص: ٥٨١

٢. استسقاء أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وآله وهو غلام... ١٥٨

٣. توَّسَّل الخليفة بعَمَّ النبي: العباس... ١٦٠

١٢. الاحتفال بيوم الغدير أو سلمان العوده توَّاب عوَّاد... ١٦٣

١٣. فى تسميه الولد بعبد المسيح... ١٧٠

١٤. محسن بن على بين الحقيقه والخيال... ١٧٣

الفصل الثانى

فى الأصول والحديث والفقہ

١. أصول الفقہ ومناهجه عبر العصور... ١٨١

أُصول الفقہ فى أحاديث العتره... ١٨٢

أُصول الفقہ ومناهجه المختلفه... ١٨٣

الطريقه الأولى: طريقه المتكلمين... ١٨٣

الطريقه الثانيه: طريقه الأحناف... ١٨٥

الطريقه الثالثه: الجمع بين الطريقتين... ١٨٦

منهج الإماميه فى تدوين أصول الفقہ... ١٨٨

٢. مصطلح «المسند» فى علوم الحديث والمسانيد فى عصر الأئمه عليهم السلام... ١٩٢

المسانيد فى عصر الأئمه عليهم السلام... ١٩٣

٣. منهجيه نقد متن الحديث... ١٩٦

١. عرض الحديث على كتاب الله الكريم... ١٩٨

٢. عرض الحديث على السنه القطعيه... ١٩٩

٣. عرض الحديث على العقل الحصيف... ١٩٩

٤. عرض الحديث على التاريخ الصحيح... ٢٠٠

ص: ٥٨٢

٥. عرض الحديث على اتفاق الأمة... ٢٠١

٦. مخالفه الحديث لمسلّمات العلم... ٢٠٢

٤. حجه الوداع.. خطب وإرشاد... ٢٠٤

مقدمه... ٢٠٥

عدد خطبه صلى الله عليه و آله فى حجه الوداع... ٢٠٧

١. خطبته صلى الله عليه و آله فى اليوم السابع والثامن من ذى الحجه... ٢٠٧

٢. كلماته صلى الله عليه و آله فى يوم عرفه... ٢٠٨

٣. خطبه رسول الله صلى الله عليه و آله فى يوم عرفه... ٢١١

٤. خطبته صلى الله عليه و آله فى يوم النحر... ٢١٧

٥. خطبته صلى الله عليه و آله فى مسجد الخيف... ٢٢١

٦. خطبه رسول الله صلى الله عليه و آله عند الكعبه... ٢٢٤

٧. خطبته صلى الله عليه و آله فى غدیر خم... ٢٢٥

٥. ما هو المراد من أنّ الأنبياء لم يورثوا؟... ٢٣٧

دراسه مضمون الحديث... ٢٣٩

الهدف هو التوقى من الأعداء... ٢٤٢

٦. رساله إلى الدكتور عبد الوهاب فى رؤيه الهلال... ٢٤٤

١. التخيير بين الأقل والأكثر أمر لغو... ٢٤٤

٢. استلزام ذلك فقهاً جديداً... ٢٤٧

٣. الإفطار فى شهر رمضان والصيام فى العيد... ٢٤٨

٧. شركه الأعمال فى الفقه الإسلامى... ٢٥١

أقوال الفقهاء فى شركة الأعمال... ٢٥٣

أدله القائلين بعدم الجواز... ٢٥٧

١. الإجماع على البطلان... ٢٥٧

ص: ٥٨٣

٢. كونها غرريه... ٢٥٨
٣. كون المعاملات توقيفيه... ٢٦٢
٤. تمليك المعدوم... ٢٦٤
٥. عدم المزج... ٢٦٥
٦. من قبيل شرکه المنافع... ٢٦٥
- ابن حزم وبطلان شرکه الأعمال... ٢٦٦
- أدله المجوزين من السنه... ٢٦٨
- تصحيح شرکه الأعمال... ٢٧٠
- شرکه الأعمال فرع من الشركات المعنويه... ٢٧١
٨. فى وقف الحلی والأثمان... ٢٧٤
١. عدم جواز الوقف... ٢٧٥
٢. جواز الوقف... ٢٧٦
٣. التردد وعدم الجزم بشىء... ٢٧٦
- تصحيح وقف الأثمان مع التجاره بها... ٢٧٧
٩. رساله فى إرث الزوجه... ٢٨٠
١. حول الروايات المعارضه لنظر المشهور... ٢٨٧
٢. مشكله اختلال الميزان فى الفرائض والأسهم... ٢٨٩
٣. مشكله تأخير البيان... ٢٩٠
- الآن حصص الحق... ٢٩١
١٠. هل ترك النبي صلى الله عليه و آله من مصادر التشريع... ٢٩٤

حكم العباديات والقربيات ... ٢٩٨

١. تنقيط القرآن وإعرابه... ٣٠٠

٢. التطور في بناء المساجد... ٣٠٠

ص: ٥٨٤

٣. المناظره مع أصحاب المقالات... ٣٠١
٤. كتابه الحديث... ٣٠٢
٥. النبي وحج التمتع... ٣٠٢
٦. صلاه التراويح... ٣٠٣
٧. ترك النبي صلى الله عليه و آله استلام الحجر بيده... ٣٠٤
- نظره وتعليق على فتاوى القرضاوى الفقيهيه
١١. ادعاء تحريم الزواج المؤقت (المتعّه)... ٣٠٧
١. أخذ التأييد فى تعريف الزواج... ٣٠٨
٢. أهداف الزواج... ٣٠٩
٣. ادعاؤه تحريم المتعه على التأييد... ٣١٠
٤. هل أنّ الرسول صلى الله عليه و آله حرّم المتعه؟... ٣١١
٥. المحرّم هو الخليفه نفسه... ٣١٢
١٢. عدم كفايه التسميه عند الأكل... ٣١٦
١٣. حرمة الاستمنا (العاده السريه)... ٣١٨
١٤. الغناء والموسيقى فى الكتاب والسنة... ٣٢١
- حرمة الغناء فى الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء... ٣٢٣
- حرمة المعازف فى السنة... ٣٢٥
- دليل القائل بالجواز... ٣٢٧
١٥. فى عدم مساواه ديه المرأه لديه الرجل... ٣٣١
- اتّفاق الفقهاء على النصف... ٣٣٢

تضاف السنّه على النصف ... ٣٣٤

ص: ٥٨٥

التنصيف في ديه الأعضاء... ٣٣٤

ما هي المصلحة في تنصيف الديه؟ ... ٣٣٥

الفصل الثالث

مقالات تقريبيه

١. فقه أهل البيت عليهم السلام بين أهل السنّه والشيعة... ٣٣٩

الفصل الأوّل: التعرّف على أهل البيت عليهم السلام وفقههم، وفيه محاور... ٣٤٠

المحور الأوّل: مَنْ هم أهل البيت؟ ... ٣٤٠

الأولى: أفراد البيت في مقابل البيوت... ٣٤١

الثانيه: اللام في أهل البيت للعهد... ٣٤٢

أهل البيت عليهم السلام في لسان النبي الأكرم صلى الله عليه و آله... ٣٤٣

المحور الثاني: الدليل على حجّيه فتاواهم على المسلمين كافة... ٣٤٥

المحور الثالث: مصادر فتاواهم... ٣٤٨

١. استنطاق كتاب الله العزيز... ٣٤٨

٢. سنه رسول الله صلى الله عليه و آله... ٣٥٠

أ. السماع عنه صلى الله عليه و آله... ٣٥٠

ب. كتاب على عليه السلام... ٣٥١

٣. العلم الموهوب... ٣٥٢

خاتمه المطاف: رجوع كبار الفقهاء إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام... ٣٥٣

الفصل الثاني: المدرسه الفقيهيه للشيعة الإماميه... ٣٥٦

المصادر والخصائص... ٣٥٦

الأمر الأول: مصادر الفقه عند الشيعة الإمامية... ٣٥٧

المصدر الأول: القرآن الكريم... ٣٥٧

ص: ٥٨٦

المصدر الثاني: السنّه الشريفه... ٣٥٨

المصدر الثالث: الإجماع... ٣٥٩

المصدر الرابع: العقل... ٣٥٩

إزاحه شبهه... ٣٦١

الأمر الثاني: خصائص فقه الإماميه ومميزاته... ٣٦٣

الأولى: إحراز العدالة فى عامه سند الروايه... ٣٦٤

الثانيه: تقييد العمل بالقياس... ٣٦٤

تخريج المناط... ٣٦٥

الثالثه: انفتاح باب الاجتهاد... ٣٦٦

الرابعه: لكل واقعه حكم... ٣٦٦

الخامسه: التصويب والتخطئه... ٣٦٧

السادسه: تقسيم الأحكام الشرعيه إلى واقعيه وظاهريه... ٣٦٧

السابعه: تقسيم الموضوعات إلى أوليه وثانويه... ٣٦٨

١. الضروره والاضطرار... ٣٦٨

٢. الضرر والضرار... ٣٦٩

٣. العسر والخرج... ٣٦٩

٤. قاعده الأهم والمهم عند التزاحم... ٣٦٩

٥. صلاحيات الفقيه الجامع للشرائط... ٣٧٠

٢. التشيع تاريخاً وعقيدته... ٣٧٢

التسميه من النبى الأعظم صلى الله عليه وآله... ٣٧٣

الأصول المشتركة بين الشيعة والسنة... ٣٧٥

الفوارق بين الإماميه والأشاعره... ٣٧٦

الفوارق بين الشيعة والمعتزله... ٣٧٧

ص: ٥٨٧

الشيعة الإماميه والأحكام الفرعيّه ... ٣٧٩

٣. الأواصر العلميه بين علماء الشيعة والسنة خطوه نحو التقريب... ٣٨١

مدح القرآن للاتحاد وذمه للانقسام والتفرق... ٣٨٤

الانسجام والتضامن الإسلامى... ٣٨٥

التضامن الإسلامى فى ظلال المذاكره والحوار... ٣٨٦

تعاون علماء الفريقين فى العصور السابقه... ٣٨٩

عصر الصادقين عليهما السلام المنير والتضامن الإسلامى... ٣٨٩

نماذج من التعاون والتآلف بين علماء الفريقين... ٣٩١

١. الكلينى فى بعلبك... ٣٩١

٢. الشيخ الصدوق فى بلاد ماوراء النهر... ٣٩١

٣. الشيخ المفيد فى بغداد... ٣٩٢

٤. الشريف المرتضى زعيم أهل العراق... ٣٩٣

٥. الشيخ الطوسى وكرسى التدريس... ٣٩٣

٦. ابن إدريس الحلّى والتعاون مع الفقيه الشافعى... ٣٩٣

٧. الشيخ منتجب الدين الرازى ومديح الرافعى القزوينى... ٣٩٤

٨. فخر المحققين ومديح صاحب القاموس... ٣٩٤

٩. الخواجه نصير الدين الطوسى ونجاه العلماء... ٣٩٥

١٠. العلّامة الحلّى ومختصر ابن الحاجب... ٣٩٧

١١. العلامة هبه الدين الشهرستانى وصلته بعلماء السنه... ٣٩٨

١٢. شرف الدين العاملى ومكاتبتة مع شيخ الأزهر... ٤٠٤

١٣. السيد البروجردى ودعمه للتقريب ... ٤٠٥

رسائل الشيخ الأزهر إلى السيد البروجردى ... ٤٠٦

١٤. السيد محمود الألوسى وصلته بالعلامه الزنجانى ... ٤٠٨

ص: ٥٨٨

دار التقريب ودورها في تقارب المذاهب... ٤١٢

السلفية الوهابية... ٤١٤

حفظ الأصالة... ٤١٨

٤. رساله مفتوحه إلى الشيخ يوسف القرضاوى والرد على ادعاءاته ضد الشيعة والتشيع... ٤١٩

الأولى: البدع النظرية... ٤٢٤

١. ادعاء الوصيه لأمير المؤمنين... ٤٢٤

٢. العلم بالغيب... ٤٢٧

٣. عصمه العتره... ٤٢٨

٤. سب الصحابه... ٤٢٩

الثانية: البدع العمليه... ٤٣١

١. تجديد مأساه الحسين عليه السلام كل عام... ٤٣١

٢. ما يحدث عند مزارات آل البيت من شركيات... ٤٣٢

٥. رساله إلى الدكتور عيسى بن مانع الحميرى... ٤٣٥

٦. رساله إلى الدكتور عبدالرحمن الصالح المحمود والرد على اتهامه الشيعة فى مسأله الإسناد وعلم الرجال... ٤٤٠

٧. الاحتفال بالمولد النبوى الشريف على ضوء الكتاب والسنة... ٤٤٩

البدعه فى اللغة والشرع... ٤٥١

الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه و آله له أصل فى الشريعة... ٤٥٣

١. حبّ النبى أصل من الأصول... ٤٥٣

٢. تكريم النبى صلى الله عليه و آله أصل من الأصول... ٤٥٥

٣. رفع ذكر النبى صلى الله عليه و آله... ٤٥٦

٤. ذكر نعم الله سبحانه وتعالى ... ٤٥٧

ص: ٥٨٩

٥. الاقتفاء بسننه نبي الله عيسى عليه السلام... ٤٥٩

أدله القائل بالبدعه... ٤٦١

٨. رساله إلى أحد أعلام التقريب من أهل السنه حول تكفير اتباع أهل البيت عليهم السلام من قبل بعض الخطباء والوعاظ...
٤٦٥

٩. إدانته مثيرى الفتنه... ٤٦٨

١٠. إدانته إهانته القرآن الكريم فى أمريكا... ٤٧٠

١١. رساله إلى الدكتور الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر... ٤٧٣

الفصل الرابع

فى التراجم

١. البرقى وأثره الرجالى... ٤٧٧

الأول: محمد بن خالد بن عبدالرحمن البرقى... ٤٨٠

الثانى: أحمد بن محمد بن خالد البرقى... ٤٨١

الثالث: عبدالله بن أحمد بن محمد بن خالد... ٤٨٤

الرابع: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن خالد البرقى... ٤٨٦

على بن أحمد بن عبدالله بن أحمد البرقى (شيخ الصدوق)... ٤٨٦

الكتاب تأليف الحفيد... ٤٨٧

٢. على بن إبراهيم القمى عصره.. مكانته العلميه.. آثاره... ٤٨٩

قول العلماء فى حقّه... ٤٩١

أساتذته... ٤٩٢

تلامذته... ٤٩٤

طبقتہ فی الرجال ... ۴۹۵

ص: ۵۹۰

وقفه مع تفسيره المتداول ... ٤٩٦

توثيق من وقع في أسناد التفسير ... ٤٩٩

٣. المحدّث الكليني وأثره الخالد ... ٥٠٢

أسرته ... ٥٠٢

الظروف التي نشأ فيها ... ٥٠٤

ثقافته الواسعه ... ٥٠٦

أثره الخالد ... ٥٠٧

ثناء العلماء وأقوالهم فيه ... ٥٠٧

رحلاته في أخذ الحديث وعرض كتابه ... ٥٠٩

العناية بكتاب «الكافي» ... ٥١٠

الكليني وتهمه تحريف القرآن ... ٥١٢

٤. الشريف المرتضى رحمه الله حياته وآثاره ... ٥١٦

نسبه الشريف ... ٥١٧

نشأته وسيرته ... ٥١٧

كلمات العلماء في حقّه ... ٥١٧

آثاره العلميّه ... ٥١٩

فضائله ومكارم أخلاقه ... ٥٢٣

أشهر تلامذته ... ٥٢٤

إلفات نظر ... ٥٢٥

السيد المرتضى وأصول الفقه ... ٥٢٧

٥. العالم الرباني ميثم البحراني ... ٥٣٢

مؤلفاته وتصانيفه ... ٥٣٧

٦. آقا بزرك الطهراني وطبقات أعلام الشيعة ... ٥٣٩

ص: ٥٩١

٧. السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر رجل العلم والجهاد... ٥٤٢

الفصل الخامس

رسائل إرشاديه

١. رساله الشيخ محمد شهيد وجوابها عنها... ٥٤٧

٢. رساله إلى أعضاء دارالزهراء عليها السلام... ٥٤٩

٣. التقريظ على تفسير البيّنات للملكي الإصفهاني... ٥٥٢

٤. رساله مفتوحه إلى الشيخ محمد سالم الخضر... ٥٥٤

كلام حول صوم عاشوراء... ٥٦١

ما هو المراد بعاشوراء في الحديث النبوي؟... ٥٦٢

النبي صام عاشوراء في ربيع عام وروده المدينة لا عاشوراء محرم الحرام... ٥٦٢

تحقيق الفلكي البيروني في الآثار الباقية في صيام النبي في مهجره... ٥٦٢

نماذج من ترجيح ابن تيميه ترك السنّه إذا كانت شعاراً للمخالف... ٥٦٧

١. تسطيح القبر... ٥٦٧

٢. الجهر بالبسمله... ٥٦٨

٣. ترك المستحبات إذا صارت شعاراً للشيعة... ٥٦٨

الردّ على البيان الذي أصدره مركز «وذكر»... ٥٦٩

ابن تيميه يرى الاحتفال والسرور يوم عاشوراء بدعه أحدثها الناصبي الحجاج بن يوسف الثقفي... ٥٦٩

تبرؤ جمهور الأسره الرفاعيه من هذا البيان... ٥٧١

عاشوراء بين الحزن والفرح... ٥٧٢

فهرس المحتويات... ٥٧٧

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع :: www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

